

أَكْثَرُ مِنْ

٣٠٠٠

فَائِدَةٌ تَدْبِيرِيَّةٌ قُرْآنِيَّةٌ

جَعَلْنَا الْيُودَ رَا

جليس الصالحين وائيس المتجهدين

أسامة



دليل استخدام الكتاب

جلسة أسرية تتدارس فيها مع أفراد أسرتك شيئاً من كتاب الله، واجعل يوم الجمعة مثلاً لمدارسة سورة الكهف وجني ثمارها.

نخبر رفيقك في الحج والعمرة هو القرآن، وتدبر القرآن أمام الكعبة وفي رحاب المسجد النبوي أعظم وأهم وأسهل.

ما أجمل خواطر القرآن المسجدية ويمكن اقتباسها من هذه الفوائد التدبرية، وفي الحديث: «من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيراً، أو يعلمه كان كآجر حياح تاماً حبه». صحيح الترغيب والترهيب رقم: 82.

طالع خواطر كل جزء قبل أن تسمع إليه من إمام مسجدك في صلاة التراويح أو التهجد، ويستجد الفارق هائلاً بين ما تدبرته وما لم تدبره.

قال الإمام المنذري: «**وتناسخ العلم** النافع له أجره، وأجر من قرأه، أو نسخّه، أو عمل به من بعده، ما بقي خطه والعمل به». الترغيب والترهيب

ص 110



أكثر من

٣٠٠٠

فائزة تدبرية قرآنية

جعلنا الأوفياء

جليس الصالحين وائيس المتجهدين





حقوق الطبع محفوظة

اسم الكتاب : جعلناه نورا
المؤلف : خالد أبو شادي
التجهيز الفني : karam art
الطبعة : الأولى
سنة الطبع : ١٤٣٩ هـ / ٢٠١٨ م
المقاس : ١٧ × ٢٤
الناشر : دار الأندلس الجديدة

رقم الإيداع : ١٥٦٥٧ / ٢٠١٧

الترقيم الدولي : I.S.B.N
978-977-456-517-4



newandalus.book@gmail.com

إهداء الكتاب

يا غارقاً في بحار الظلمات..
ولاهثاً وراء الأهواء والشهوات..
ما مسستَ كتاب الله من رمضان الذي فات..
وقلبه يوشك أن يُقال له مات..
أين أنت من أنوار الآيات؟

يا كلَّ أقفال القلوب تحطمي!
واستقبلي نور الهداية واسعدي
قد طال ليلك بابتعادك عن هُداه
آن الأوان اليوم حتى ترشّدي
يا ليت كل الباحثين عن الغنى
رأوا الجواهر لامعاتٍ في يدي
سُور من القرآن عمّ ضياؤها..
تجلو ظلام القلب حتى يهتدي
طوبى لصاحبها بروضة جنة..
يا رب بلِّغنا جوار محمد
بتلاوةٍ بتدبيرٍ بتهجّد
يا رب غنّنا الشهادة في غدٍ

مفاتيح التدبر العشرة

1 الفهم أولاً:

اعرف معنى الكلمات التي تقرؤها من أحد كتب التفسير المعتمدة

2 شدة الاحتياج:

لا بد من احتياجك لهداية القرآن وأنواره وأنتك بدون أنواره من الضالين

3 القراءة في الصلاة:

قراءة القرآن في الصلاة وداخل المسجد أجمع للقلب والهمة وأعون على التدبر

4 القراءة ليلاً:

الليل محل الأعطيات وتنزل البركات وخاصة الثلث الأخير منه

5 تكرار الآيات:

تكرار الآية يؤدي بالمعنى إلى الاستقرار وبالتالي إلى الاعتبار

6 الترتيل وعدم التعجل:

التأني في القراءة يجعل المعاني في متناول قلبك ليعيها

7 الجهر بالقراءة:

رفع صوتك بالتلاوة يجعل قلبك أسمع للقراءة

8 تحسين الصوت بالتلاوة:

صوتك الجميل سينسلك إلى القلب، ويسري في الروح

9 التفاعل مع الآيات:

دعائك بالرحمة عند آيات الرحمة، وسؤال الله الجنة عند آيات الجنة، والتعوذ من النار عند آيات العذاب

10 التخلص من موانع الفهم:

وهي الذنوب والكبر واتباع الهوى والتي تشكل حجاباً يحول دون أنوار القرآن للقلب

دليل استخدام الكتاب

جلسة أسرية تدارس فيها مع أفراد أسرتك شيئاً من كتاب الله، واجعل يوم الجمعة مثلاً لمدارسة سورة الكهف وجني ثمارها.

خير رفيق لك في الحج والعمرة هو القرآن، وتدبر القرآن أمام الكعبة وفي رحاب المسجد النبوي أعظم وأهم وأسهل.

قال الإمام المنذري: «**وانسخ العلم** النافع له أجره، وأجر من قرأه، أو نسخه، أو عمل به من بعده، ما بقي خطه والعمل به». الترغيب والترهيب ص 110

انسخ منه على صفحتك!

تدارسه مع أسرتك

ارجع إليه في خواطر مسجديك

طالعها في رمضان لتنتفع بختمتك

ما أجل خواطر القرآن لمسجديك ويمكنك اقتباسها من هذه الفوائد التبرية، وفي الخليل: «من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيراً، أو يعلمه كان كإبراهيم الخليل» صحيح الترغيب والترهيب رقم: 82

طالع خواطر كل جزء قبل أن تستمع إليه من إمام مسجدك في **صلاة التراويح أو التهجد**، ويستجد الفارق هائلاً بين ما تدبرته وما لم تدبره.

أنت شريك في الأجر والنشر..

قال عبد الله بن المبارك:

«لا أعلم بعد النبوة
أفضل من بث العلم».
سير أعلام النبلاء ٨-٣٨٧

قال رسول الله ﷺ:

«بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً».

رواه البخاري وأحمد كما في صحيح الجامع رقم:

٢٨٣٧

وقال ﷺ:

«مَنْ عَلَّمَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ، كَانَ لَهُ ثَوَابُهَا مَا تَلَيْتُ».

السلسلة الصحيحة رقم: ١٣٣٥

قال ابن الجوزي:

"ومن أحب ألا ينقطع عمله بعد
موته، فليشر العلم بالتدوين
والتعليم". التذكرة في الوعظ ص ٥٥

قال سفيان بن عيينة في قول الله تعالى

﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ مريم: ٣١

«معلما للخير». جامع بيان العلم ١-٤٩٩



يمكنكم سماع محتوى هذا الكتاب كاملاً على رابط
الساوند كلاود التالي:



خارطة الطريق

الفوائد التدرية
صفحة ٢٥

الفهرس الموضوعي
صفحة ٤٩٣

مفاتيح التدبر
صفحة ٤

دليل استخدام الكتاب
صفحة ٥

من روائع المتدبرين
صفحة ٣٦

المقتطفات

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله..

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [٧١] [الأحزاب: ٧١]

أما بعد..

فقد يسر الله لي أثناء شهر رمضان الماضي إعداد حلقات من حصاد تدبر القرآن، تنزل كل ليلة على صفحتي الشخصية، وهي خلاصة تفسير وتدبر القرآن في حدود مائة فائدة لكل جزء أو يزيد، ما بين فائدة لغوية، وتوصية عملية، وقول صحابي أو تابعي، وموقف تربوي، وغير ذلك من ألوان الفوائد، وقد حرصت فيها على التنوع كي لا يمل القارئ، ولكي يؤتي الكتاب أكله وثمرته، ويحقق مراده باستيعاب قارئه للقرآن وتدبر معانيه، فيكون استماعه لقراءة الإمام في صلاة التراويح أو عى، فيتلذذ بالقراءة، ويمجد حلاوة الصلاة، وذلك في رمضان، وبعد رمضان طوال العام أثناء صحبة القرآن.

وكان أن أشار عليّ بعض الأفاضل والمحبين بأن أجمع هذه المادة في كتاب، كي لا تذهب أدراج الرياح، وتضيع بين آلاف الصفحات، فكان هذا الكتاب (جعلناه نوراً) مع مزيد إضافات وفوائد وتعديلات.

ما هو التدبير؟

تدبر الأمر: نظّر في عاقبته، والتدبر في الأمر: التفكير فيه، والتدبير في الأمر: أن تنظر إلى ما تؤول إليه عاقبته، وأما تدبر القرآن فهو تحديق ناظر القلب إلى معانيه، وجمع الفكر على تدبره وتعقله.

قال الإمام الزركشي في ما يقتضيه التدبير، وهو يعلّق على قوله تعالى:

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾

«وصفة ذلك أن يشغل قلبه بالتفكير في معنى ما يلفظ به، فيعرف معنى كلّ آية، ويتأمل الأوامر والنواهي، ويعتقد قبول ذلك، فإن كان مما قصر عنه في ما مضى اعتذر واستغفر، وإذا مرّ بآية رحمة استبشر وسأل، أو عذاب أشفق وتعوّذ، أو تنزيه نزه وعظّم، أو دعاء تضرّع وطلب»^(١).

الفارق بين التدبير والتفسير؟

والتدبر لا يحتاج إلا لفهم المعنى العام للآية، وأما التفسير فخاص بالعلماء، وهو يشمل معرفة أحكام الآيات، والناسخ والمنسوخ، والمجمل والمفصل، وغير ذلك من أحكام القرآن، وهو من القول على الله؛ ولذا تورّع عنه بعض السلف.

والتدبر واجب على كل مسلم؛ ولذا جاء الأمر في القرآن به دون التفسير، وأما التفسير فواجب بحسب الحاجة إليه في فهم كتاب الله.

ولا ينبغي أن يقدم العبد على القرآن شيئاً، مهما كان شريفاً، فإن القرآن سيد الكلام، ومنبع الإيمان؛ ولذا عاب شعبة بن الحجاج على بعض أصحاب الحديث انشغالهم به عن القرآن، فقال يوماً لهم:

«يا قوم! إنكم كلما تقدمتم في الحديث تأخّرتم في القرآن»^(٢).

وهذا تنبيه منه لمن شغلته دراسة الحديث ومسائل الفقه عن القرآن وتدبره، وأنه انشغل بالمهم عن الأهم، فكيف بمن شغله عن القرآن المال والعيال؟!

(١) الإفتان في علوم القرآن ٣٦٩ - ط الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب

(٢) سير أعلام النبلاء ٧-٢٢٣ - ط مؤسسة الرسالة

فوائد التدبر!

أولاً: معرفة الله..

ومن فقد هذه المعرفة فجدير أن يُطْلَق عليه الناس لقب (أُمِّي)! وقد سبق وأن أطلق عليه هذا اللقب المفسر الجليل مُقاتِل بن سليمان، فقال:

«من قرأ القرآن فلم يعلم تأويله فهو فيه أُمِّي»^(٣).

وليس أحلى من معرفة الله عن طريق تعريف الله بنفسه وفي أعظم كتبه! فأيات القرآن زاخرة بذكر أسماء الله وصفاته وأفعاله التي يتعرف من خلالها كل عبد على ربه.

وإذا كانت العبادة هي كمال الحب مع كمال الخضوع، فكيف نحب ربنا لا نعرفه؟! وكيف نخضع له ونحن لا نعلم ما أخبر به عن نفسه؟!

إن العبادة تتعلق بالمعرفة، ومعرفة الله سبحانه - كما يرى ابن القيم - نوعان: معرفة إقرار وهي التي اشترك فيها الناس: البر والفاجر والمطيع والعاصي، والثاني: معرفة توجب الحياء منه والمحبة له وتعلق القلب به والشوق إلى لقائه وخشيته والإنابة إليه والأنس به^(٤). والنوع الثاني من المعرفة لا يتأتى إلا بالتدبر في كتاب الله وفهم آياته، وما أجمل كلام ابن القيم عن هذا الكنز، كنز (معرفة الله):

«وقوله [أي أبي العباس]: (معرفة الله جلا نورها كل ظلمة، وكشف سرورها كل غمة) كلام في غاية الحُسن، فإن من عرف الله أحبه ولا بد، ومن أحبه انقشعت عنه سحائب الظلمات، [وانكشفت] عن قلبه الهموم والغموم والأحزان، وعمر قلبه بالسرور والأفراح، وأقبلت إليه وفود التهاني والبشائر من كل جانب، فإنه لا حزن مع الله أبداً؛ ولهذا قال [تعالى] حكاية عن نبيه ﷺ أنه قال لصاحبه أبي بكرؓ:

﴿لَا تَحْزَنُ إِنَّكَ اللَّهُ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، فدل أنه لا حزن مع الله، وأن من

كان الله معه، فما له وللحزن؟ وإنما الحزن كل الحزن لمن فاته الله، فمن حصل الله له فعلى أي شيء يحزن؟ ومن فاته الله فبأي شيء يفرح؟»^(٥).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان ١-٢٧ - ط دار إحياء التراث - بيروت

(٤) الفوائد ص ١٧٠ - ط دار الكتب العلمية - بيروت

(٥) طريق المحجرتين وباب السعادتین ص ٢٨٠ - دار السلفية، القاهرة، مصر

ثانيًا: حب الجنة وخوف النار:

إن آيات القرآن هي التي غرست في قلوب الصحابة ذكر الجنة والنار كأنهما رأي العين، فامتلات قلوبهم شوقًا إلى الجنة وخوفًا من النار، والرجاء والخوف هما زاد القلب إلى العمل.

وقد شرحت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - دور القرآن في بناء نفسية الصحابة في ما يتعلق بالشواب والعقاب والجنة والنار، فقالت:

«إنما نزل أول ما نزل منه (القرآن) سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمر أبدًا، ولو نزل: لا تزنا لقالوا: لا ندع الزنى أبدًا»^(٦).

وآيات القرآن زاخرة بعرض مشاهد الجنة والنار، وما فيهما من لذات وأهوال، وتعرض لصفات أهلها، وما يؤدي إليهما من أعمال، ولا شك أن تدبر هذه الآيات هو خير معين للمؤمن على لين قلبه وتركيز روحه، ومواجهة موجة المادية الطاغية المتسللة اليوم إلى قلوب الجميع، والتي لو لم ينتبه لها المؤمن لاحتلت قلبه، وأغلقت أبوابه أمام أنوار الوحي، فغرق في الظلمة، وأسرف في الضلالة، وما أصدق قول محمد إقبال يصف هذا الصراع الدائر:

هي المدينة الحمقاء أَلقت بهم حول المفاصد حائرينا
لقد صَنَعَتْ لهم صنم الملامي ليحجب عنهم الحرم الأمينَا

ثالثًا: طاعة الأوامر واجتناب النواهي:

من أصدق ما جاء في وصف القرآن أنه رسائل من الله إلى عباده، وعلى كل من استلم الرسالة أن يتدبرها، ويعلم المطلوب منه فيها، ثم يتفَّذها.

ورسائل الله مبثوثة في كتابه، لكن استلامها يحتاج إلى سعي، يبدأ بالقراءة، ويمرُّ بالتدبر، لكن من لم يمَس مصحفه ابتداءً كيف يستلم الرسالة انتهاءً؟

ولعل وصف القرآن بالرسائل مأخوذ من قول الله تعالى:

﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ هَٰذَا الْقُرْآنَ لِأَنَّذَرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]

قال محمد بن كعب القرظي:

«من بلغه القرآن فكأنما كلمه الله، وإذا قَدَّرَ ذلك لم يتخذ دراسة القرآن عمله، بل يقرؤه كما يقرأ العبد كتاب مولاه الذي كتبه إليه ليتأمله، ويعمل بمقتضاه»^(٧). وكانت هذه هي وصية الصحابي الجليل والغلام المُعَلِّم - كما لقَّبه بذلك رسول الله ﷺ - عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، فعن ابن أبي حاتم أن رجلاً أتى عبد الله بن مسعود فقال: اعهد إليّ، فقال له:

«إذا سمعت الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، فارعها سمعك فإنه خير يُأمر به، أو شر يُنهى عنه»^(٨).

قال أبو حامد الغزالي عند حديثه عما سماه التخصيص: أن يقدر قارئ القرآن الكريم أنه المقصود بكل خطاب ورد فيه، فإن سمع أمراً أو نهياً قَدَّرَ أنه المنهي والمأمور، وإن سمع وعداً أو وعيداً فكمثل ذلك.

وبعد سماع القرآن يأتي دور العمل، وبعد تلقي الأوامر يبدأ التنفيذ؛ ولذا أوصانا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ألا نغتر بحفاظ القرآن ولا قُرَّائه حتى ننظر أعمالهم ونرقب أحوالهم، فقال: «لا يغرنكم مَنْ قرأ القرآن، فإنما هو كلام يُتَكَلَّمُ به، ولكن انظروا من يعمل به»^(٩).

رابعاً: قانون التماثل:

ينصُّ قانون التماثل على من فعل نفس الفعل الذي تسبب في إهلاك قوم، هلك، ومن سار في طريق المتقين الذي ساروا فيه نجاة، فنفس المقدمات تقود لنفس النتائج؛ وليس هدف قصص القرآن أن تكون حكايات يطرب لها السامع دون عمل، أو تستخرج صيحات الإعجاب لحلاوة صوت القارئ دون تغيير أو وجل.

إن القرآن اليوم هو قرآن بالأمس، والإنسان هو الإنسان، والشيطان هو الشيطان، والصراع بين الحق والباطل دائر على مر الأزمان، والمواقف متكررة، فما عليك إلا أن تتدبر ما جاء في كتاب الله؛ ليهديك إلى طريق الحق، فتتخذ المواقف الصائبة في

(٧) إحياء علوم الدين ١- ٢٨٥ ط دار المعرفة - بيروت.

(٨) من روائع إقبال ص ٣١-٣٢ - أبو الحسن الندوي - ط دار الفكر بدمشق.

(٩) اقتضاء العلم بالعمل ص ٧١ - الحطيب البغدادي - ط المكتب الإسلامي.

الأزمات النازلة، لكن لا بد قبل ذلك

أن تحرّر النص القرآني من قيود الزمان والمكان، وتخلع

عنه النظرة التقليدية بأنه كتاب يتبرك به الناس، ويزينون به بيوتهم دون أفعالهم،

ويقرؤونه على الأموات بدلاً من الانتفاع به كدستور حياة.

يقول محمد إقبال منتقدا الاحتفاء الشكلي بكتاب الله:

«إن الكتاب الذي هو مصدر حياتك ومنبع قوتك، لا اتصال لك به إلا إذا حضرتك الوفاة!

فتقرأ عليك سورة «يس» لتموت بسهولة، فواعجبا! قد أصبح الكتاب الذي أنزل

ليمنحك الحياة والقوة، يتلى الآن لتموت براحة وسهولة»^(١٠).

خامساً: مسؤولية القرآن:

إن قراءة القرآن في تدبر تفرض عليك مسؤولية عظيمة، فالقرآن حجة لك أو عليك،

وليس هذا على نطاقك الفردي فحسب، بل يتعداه إلى النطاق الجماعي، فما تلوت

أو سمعت من كتاب الله هو رسالة ربانية عليك أن تبلغها، وما كان سفيان الثوري

مبالغا حين قال:

«من قرأ القرآن يُسأل عما يُسأل عنه الأنبياء عليهم السلام إلا تبليغ الرسالة»^(١١).

وقد استشعر محمد إقبال هذه الأمانة والمسؤولية بشدة، فانطلق يحذرك:

«إني لأرعدُ من خزيك يوم يسألك الرسول ﷺ: قد أخذت منا كلمة الحق، فلماذا لم

تسلمها إلى الخلق؟!»^(١٢).

وهذا واجب على كل مسلم، أن يكون حاله مثل حال الواعظ الذي أخبر عن الراغب

الأصفهاني، فقال:

حق الواعظ أن يتعظ ثم يعظ، ويُبصر ثم يُبصر، ويهتدي ثم يهدي، ولا يكون كدفتر

يفيد ولا يستفيد، وكمسنٌ يشحد ولا يقطع، بل يكون كالشمس التي تفيد القمر الضوء،

ولها أفضل مما تفيده، وكالنار التي تحمي الحديد، ولها من الحمى أكثر مما تفيد»^(١٣).

(١٠) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ١- ١٩٦ - مكتبة نزار مصطفى الباز - السعودية.

(١١) حلية الأولياء ٧- ٢٨١ - ط دار الكتب العلمية.

(١٢) روح الحضارة والثقافة الإسلامية ص ٢٥ - من إصدارات مجلة الأزهر.

(١٣) الذريعة إلى مكارم الشريعة ص ١٨٤ - الراغب الأصفهاني - ط دار السلام بالقاهرة.

مفاتيح التدبر العشرة

لم لا يتصل الناس بالقرآن إلا في رمضان؟!
 لماذا تسهل عليهم الأغنيات، بينما تثقل عليهم الآيات؟!
 لم تكثر عندنا الختمات ويقل الفهم؟ وتتعدد القراءات ويغيب العمل؟!
 لم لا يمثل القرآن طاقة تغييرية للإنسان كما كان دومًا على مر الأزمان؟!
 لم صار حالنا مع القرآن كما يقول الشيخ الغزالي:
 «وتحول القرآن إلى تلاوة منغومة فحسب، يستمع إليها عشاق الطرب، هو الذي جعل
 اليهود والنصارى يذيعون القرآن في الآفاق، وهم واثقون أنه لن يحيي موتًا!»^(١٤).
 إن تعامل الكثيرين مع النص القرآن على أنه نص عادي، وليس قانونًا إلهيًا فيه أمر
 ونهي، فيجب أن يُتبع أمره، ويُجتنب نهيّه، هو الذي أفقد القرآن تأثيره، وبعث في
 النفس الملل من قراءته، والملل مؤدّ إلى الانقطاع.
 وآفة العبادات الملل، وأكثر ما يخلق روح الإيمان الرتابة، ولكي نقضي على هذا الداء
 فلا بد من تدبر القرآن الذي نقرؤه، فالتدبر سيفتح لنا آفاقًا جديدة ومتجددة للمعاني
 بلا انتهاء، وكلما قرأنا استخرجنا منه لآلئ المعاني التي لم نكن نراها من قبل.
 وبين يديك بعض مفاتيح التدبر، يكمل بعضها بعضًا في الأخذ بيدك إلى أعلى درجات
 التدبر، وليس الأمر مقصورًا على هذه المفاتيح وحدها فحسب، فقد تجد غيرها بل
 وأنفع لك منها، وما هي إلا أسباب والنتائج بيد الله وحده، يعطيها من يشاء من
 عباده، ومن أدام قرع الباب فُتح له، وإلى هذه المفاتيح:

١ - الفهم أولاً:

فهم ما تقرأ وتفسيره مطلوب قبل التدبر، فكيف ستتدبر كلامًا لا تفهم معناه؟ وكان شيخ
 المفسرين أبو جعفر الطبري يقول:

«إني لأعجبُ مَنْ قرأ القرآن ولم يعلم تأويله، كيف يلتذُّ بقراءته؟»^(١٥).

وضرب إياس بن معاوية مثلًا جميلًا معبرًا عمَّن يقرأ القرآن دون فهم، ومن يعرف

(١٤) فقه السيرة ص ٦ تحقيق الألباني ط دار الكتب الحديثة.

(١٥) مقدمة تفسير الطبري ط مؤسسة الرسالة ص ١٠ - أحمد محمد شاكر.

تفسيره وتأويله، فقال رحمه الله:

«مثل الذين يقرؤون القرآن وهم لا يعرفون تفسيره،

كمثل قوم جاءهم كتاب من ملكهم ليلاً، وليس عندهم مصباح، فتداخلتهم روعة ولا يدرون ما في الكتاب، ومثل الذي يعرف التفسير كمثل رجل جاءهم بمصباح، فقرأوا ما في الكتاب»^(١٦).

وكلمة قرأ العبد في كتب التفسير فتح ذلك له أبواباً جديدة للتدبر، وآفاقاً جديدة لتذوق كلام الله وفهم مراده، ذلك أن كتب التفاسير تنوع، فمن تفسير بالمأثور كأحاديث نبوية وأقوال صحابة وتابعين، إلى التفسير بالرأي، إلى تفسير يعرض لبلاغة القرآن، إلى تفسير موضوعي، وغير ذلك من أنواع التفاسير التي تعين على تدبر كلام الله.

٢- شدة الاحتياج!

كان ابن تيمية يقول:

«من تدبر القرآن طالباً للهدى منه تبين له طريق الحق»^(١٧).

وهذا حق، فمما يعينك على تدبر القرآن أن تشعر أن القرآن هو جبل الله المتصل بهداه، فإن أفلت من يدك ضللت ضلالاً بعيداً وسقطت سقوطاً مريعاً؛ ولذا كان عليك أن تُقبل على كتاب الله موقناً أنه سبيل نجاتك الوحيد، وأنت بدون غريق بلا طرق نجاة، ويتيمم لا يجد من يرعاه، وأن تعلم أن الشيطان سيفترس إيمانك إن غفلت عن الذكر، وسيد الذكر القرآن، فيدفعك هذا إلى التمسك بالقرآن قراءة وتدبراً، والمحافظة عليه كما تحافظ على طعامك وشرابك بل أكثر، إذ إن غاية الطعام والشراب أن يحفظا جسدك وهو فانٍ، وأما القرآن فيحفظ روحك وهي الباقية.

ويدخل في هذا الباب، أن تقرأ كتاب الله بنية البحث عن حل مشكلتك ومفتاح عقدتك، مع اليقين أنك ستجده في كتاب الله إن تدبرت واجتهدت في البحث، وبحسب صدقك في الطلب، يخلف الله عليك بالعوض، ويُعِدُّ عليك العطايا والدرر.

(١٦) الجامع لأحكام القرآن ١/ ٢٦ - ط دار الكتب المصرية.

(١٧) مجموع الفتاوى ٤- ١٣٧.

٣- القراءة في الصلاة:

ولاشك أن الصلاة ببركتها وروحانيتها أجمع للقلب وأعون لك على التدبر، فضلاً عن أن ثواب قراءة القرآن داخل الصلاة أعظم^(١٨)، وإذا حضر مع شرف العبادة -وهي الصلاة- شرف المكان -وهو المسجد- كانت الفائدة مضاعفة. والمسجد محل البركات وموضع الأعطيات الإلهية؛ ولذا فلا عجب في أن حضور القلب فيه أرجى وأيسر.

٤ - القراءة ليلاً:

في صحيح مسلم: «من نام عن حِزْبِهِ أو عن شيء منه؛ فقرأه ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كُتِبَ له كأنها قرأه من الليل»^(١٩). والحزب في الحديث ينصرف إلى قيام الليل أو قراءة القرآن، وفيه دليل على شرف قراءة القرآن بالليل!! ولا شك أن الليل هو وقت صفاء البال وقلة الأشغال، ومن هنا قال ابن قتيبة: «لأن الليل تهدأ فيه الأصوات، وتنقطع فيه الحركات، ويخلص القول، ولا يكون دون تسمعه وتفهمه حائل»^(٢٠). ويشهد لهذا قول الله تعالى:

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ [المزمل: ٦].

وتفسير ﴿وَطْأً﴾ على بعض الآراء: أشد مواطأة وموافقة بين السمع والبصر والقلب واللسان، لانقطاع الأصوات والحركات. وعلاقة القرآن بالليل متلازمة، فقد روى النسائي بسند صحيح أن شريحاً الحضرمي ذُكر عند رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ:

(١٨) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أعجب أحدكم إذا رجع إلى أهله أن يجد فيه ثلاث خلقات عظام سيان؟ قلنا: نعم، قال: «ثلاث آيات يقرأ بهن أحدكم في صلاته، خير له من ثلاث خلقات عظام سيان». والخلفات: الخوامل

من الإبل. رواه مسلم وابن ماجه عن أبي هريرة، وهو في صحيح الجامع رقم: ٢٦٦٠.

(١٩) صحيح: رواه مسلم عن عمر كفا في صحيح الجامع رقم: ٦٥٦١.

(٢٠) تفسير الرازي المعروف باسم فتح الغيب ٣٠-٦٨٥ - ط دار إحياء التراث العربي.

«ذاك رجل لا يتوسّد القرآن»^(٢١).

أي لا ينام بالليل ولا يترك حزيه من القرآن، وصوّر النبي ﷺ من ينام عن القرآن كأنه اتخذ من القرآن وسادة!

وفي هذا إشارة نبوية بليغة على شرف تلاوة القرآن أثناء الليل.

وقد قال الإمام النووي في توضيح أفضل أوقات تلاوة القرآن والمفاضلة بينها:

«اعلم أن أفضل القراءة ما كان في الصلاة، ومذهب الشافعي وغيره أن تطويل القيام في الصلاة أفضل من تطويل السجود وغيره.

وأما القراءة في غير الصلاة، فأفضلها قراءة الليل، والنصف الأخير من الليل أفضل من النصف الأول، والقراءة بين المغرب والعشاء محبوبة.

وأما القراءة في النهار فأفضلها بعد صلاة الصبح، ولا كراهية في القراءة في وقت من الأوقات لمعنى فيه.

ويختار من الأيام الجمعة والاثنين والخميس ويوم عرفة، ومن الأعشار العشر الأخير من رمضان، والعشر الأول من ذي الحجة، ومن الشهور رمضان»^(٢٢).

وما أجمل قول محمد إقبال حين أشار إلى قيمة المناجاة بالليل والأين بالأسحار:

«كن مثل الشيخ فريد الدين العطار في علمه وذكائه، وجلال الدين الرومي في حكمته، أو أبي حامد الغزالي في علمه وذكائه، وكن مع من شئت في العلم والحكمة، ولكنك لا ترجع بطائل حتى تكون لك أنة في السحر»^(٢٣).

٥- تكرار الآيات:

قام النبي ﷺ - بآية واحدة، ولم يجاوزها حتى أصبح، وهي قوله تعالى: ﴿إِنْ تَعِدُّهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تَقِفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨].

ومن فوائد التكرار أن من غفل عن مراد الآية في المرة الأولى، سينتبه له في المرة الثانية أو الثالثة، وبذلك يحضر القلب ويتأثر، ولا شك أن تكرار الآية يجعلها تمس القلب، وتتغلغل فيه، فيتأثر العبد بها، ويستحضر معانيها، والمطلوب منه فيها.

(٢١) صحيح: سنن الترمذي رقم: ١٧٨٣ وقال الألباني: صحيح الإسناد

(٢٢) التبيان في آداب حملة القرآن ١٥٥-١٥٦ - ط دار ابن حزم بلبنان

(٢٣) دوائع إقبال من ٣٧

وأول من تعلم ذلك من النبي ﷺ أقرب
الخلق منه وأحبهم إلى قلبه، وهي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فقد

روى القاسم بن محمد:

«كنت إذا غدتُ أبداً بيت عائشة أسلم عليها، فغدوت يوماً، فإذا هي قائمة تسبح
وتقرأ: ﴿فَمَنْ أَلَّهِ عَلَيْهِنَا وَوَقْنَا عَذَابَ السَّمُورِ﴾ [الطور: ٢٧]، وتدعو وتبكي
وترددها، فقمْتُ حتى مللتُ القيام، فذهبت إلى السوق لحاجتي، ثم رجعتُ فإذا هي
قائمة كما هي، تصلي وتبكي»^(٢٤).

ومن تعلم هذا التدبر كذلك أختها أساء بنت أبي بكر، فرددت نفس الآية بنفس
التدبر والإطالة، فعن عباد بن حمزة، قال:

دخلتُ على أساء وهي تقرأ: ﴿فَمَنْ أَلَّهِ عَلَيْهِنَا وَوَقْنَا عَذَابَ السَّمُورِ﴾ [الطور: ٢٧].
قال: «فوقفتُ عليها، فجعلت تستعيد وتدعو» قال عباد: فذهبت إلى السوق، فقضيت
حاجتي، ثم رجعت وهي فيها بعد تستعيد وتدعو^(٢٥).

٦- الترتيل وعدم التعجل:

المطلوب للمتدبر الترتيل في القراءة، لأن المقصود الفهم، والسرعة تحرم العبد من
الوقوف على معاني الآيات، فيفوته خير كثير، وقد وصف الله قراءة نبيه فقال:
﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْتَهُ لِلقُرْءَةِ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكِّثٍ﴾ [الإسراء: ١٠٦] أي بَرَوِيَّةٍ ودون عجلة.
قال محمد بن الحسين:

«والقليل من الدرس للقرآن مع الفكر فيه وتدبره أحب إلي من قراءة الكثير من القرآن
بغير تدبر ولا تفكير فيه، وظاهر القرآن يدل على ذلك والسنة وقول أئمة المسلمين»^(٢٦).
وكان هذا نهج الصحابة وأقرب مجلساً ومكانة من رسول الله ﷺ، فقد قال رجل لابن عباس:
إني سريع القراءة إني أقرأ القرآن في ثلاث، فقال له:

«لأن أقرأ البقرة في ليلة فأتدبرها وأرتلها أحب إلي أن أقرأ كما تقول»^(٢٧).

(٢٤) صفة الصفوة ص ٣١٩ - ط دار الحديث.

(٢٥) مسند ابن أبي شيبة ٢-٢٥ ط مكتبة الرشد الرياض.

(٢٦) أخلاق أهل القرآن ١٦٩.

(٢٧) أخلاق أهل القرآن ١٧٠.

وأتى رجل إلى زيد بن ثابت رضي الله عنه، فقال له:

كيف ترى في قراءة القرآن في سبع؟

فقال زيد: حسن، ولأن أقرأه في نصف (نصف شهر)، أو عشر، أحب إليّ، وسلني: لم ذاك؟
قال: فإني أسألك.

قال زيد: لكي أتدبره وأقف عليه ^(٢٨).

٧- الجهر بالقراءة:

لاشك أن سماع كلمات القرآن بصوتك أدعى لتدبرها وفهمها، فمن قرأ القرآن بصوت عالٍ فقد أسمع نفسه، وصرف عنه الشيطان، وبدد الغفلة عن قلبه، والنوم والنعاس عن عينه، على ألا يتأذى بارتفاع صوته أحد.

وكانت هذه قراءة عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما في حديث أبي قتادة، واسمعوا الحديث كاملاً: عن أبي قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج ليلة، فإذا هو بأبي بكر رضي الله عنه يصلي يخفض من صوته، ومرَّ بعمر بن الخطاب وهو يصلي رافعاً صوته، قال: فلما اجتمعا عند النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يا أبا بكر، مررت بك وأنت تصلي تخفض صوتك».

قال: قد أسمعُ من ناجيتُ يا رسول الله.

وقال لعمر: «مررت بك وأنت تصلي رافعاً صوتك».

فقال: يا رسول الله، أوقظ الوسنان (الوسنان: النائم غير المستغرق في نومه)، وأطرد الشيطان، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:

«يا أبا بكر، ارفع من صوتك شيئاً».

وقال لعمر:

«اخفض من صوتك شيئاً» ^(٢٩).

(٢٨) «موطأ مالك» كتاب القرآن، باب: ما جاء في تحزيب القرآن (١/ ٢٠١)

(٢٩) صحيح: أخرجه أبو داود رقم: ١٣٢٩، والترمذي رقم: ٤٤٧، وصححه الألباني في صحيح الترمذي رقم: ٣٦٨

٨- تحسين الصوت بالتلاوة:

ومما يعين على التدبر كذلك: تحسين الصوت بالتلاوة، وقد قال النبي ﷺ: «زَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ، فَإِنَّ الصَّوْتَ الْحَسَنَ يَزِيدُ الْقُرْآنَ حُسْنًا»^(٣٠).
فالصوت الجميل يتسلل إلى القلب، ويسري في الروح، ويستوي في هذا أن تسمعه ممن تحب أو تسمعه بصوتك، وقد سار النبي ﷺ ليلاً، فسمع أبا موسى الأشعري يقرأ القرآن، ويترنم به، فجلس واستمع، وفي اليوم التالي قال له: «لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ الْبَارِحَةَ يَا أَبَا مُوسَى، لَقَدْ أُوتِيتَ مَزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ».

فقال له أبو أيوب ؓ: «لَوْ عَلِمْتُ مَكَانَكَ لَحَبَّرْتُهُ لَكَ تَجْبِيرًا»^(٣١).
يقول: كانت قراءتي كانت عادية، ولو كنت أعلم أنك تستمع إلي، لزدت في قراءتي تحسيناً وتجويداً وترتيلاً.

٩- التفاعل مع الآيات:

جاء في صفة قراءة النبي ﷺ أنه (يقرأ مترسلاً: إذا مرَّ بآية فيها تسبيح؛ سَبَّحَ، وإذا مرَّ بسؤال؛ سَأَلَ، وإذا مرَّ بتعوذ؛ تَعَوَّذَ).
قال الإمام النووي:
«وَيُسْتَحَبُّ هَذَا السُّؤَالُ وَالِاسْتِعَاذَةُ وَالتَّسْبِيحُ لِكُلِّ قَارِئٍ سَوَاءٌ كَانَ فِي الصَّلَاةِ أَوْ خَارِجًا مِنْهَا، قَالُوا: وَيُسْتَحَبُّ ذَلِكَ فِي صَلَاةِ الْإِمَامِ وَالْمُنْفَرِدِ وَالْمَأْمُومِ»^(٣٢).
وتفاعل القارئ بالتسبيح والسؤال والتعوذ يقضي على رتابة القراءة، ويعين على حضور القلب، ويوصل صاحبه إلى التدبر المنشود.

١٠- التخلص من موانع الفهم:

قال تعالى: ﴿يُؤَفِّكُ عَنْهُ مَنَ أُولَئِكَ﴾: [الذاريات: ٩]: أي يُصَرِّفُ عَنِ الْقُرْآنِ مَنْ صَرَفَهُ اللَّهُ لَذُنُوبِهِ وَإِعْرَاضِهِ عَنْهُ..

(٣٠) صحيح: رواه الحاكم عن البراء كذا في صحيح الجامع رقم: ٣٥٨١.

(٣١) صحيح: صحيح ابن حبان رقم: ٧١٩٧.

(٣٢) البيان في آداب حملة القرآن ص ٩٢ - دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت.

جزاء وفاقا..

وهذا من أهم أسباب عدم انتفاع الكثيرين بالقرآن، فإنك تجد المساجد غاصة بالمصلين في رمضان، ومع هذا لا يغير رمضان ولا القرآن إلا أقل القليل من المصلين، والسبب لعل بعضاً منه أورده ابن قدامة في مختصر منهاج القاصدين: «أن يكون التالي مُصِراً على ذنب، أو مُتَّصِفاً بكبر، أو مبتلى بهوى مُطاع، فإن ذلك سبب ظلمة القلب وصدئه، ويمنع من تجلّي الحق، فالقلب مثل المرأة، والشهوات مثل الصدا، ومعاني القرآن مثل الصور التي تترأى في المرأة، والرياضة للقلب بإماطة الشهوات مثل الجلاء للمرأة» (٣٣).

وقال الزركشي في كتاب البرهان:

«واعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي حقيقة ولا يظهر له أسرار العلم من غيب المعرفة، وفي قلبه بدعة، أو إصرار على ذنب، أو في قلبه كبر، أو هوى، أو حب الدنيا، أو يكون غير متحقق بالإيمان، أو ضعيف التحقيق، وهذه كلها حجب وموانع، وبعضها أكد من بعض» (٣٤).

ومع كل موانع التدبر إلا أن لطف الله ورحمته قد يدرك المسرف على نفسه، ويتسلل إلى قلبه، فيحييه من موته، وقد ذكر الإمام القرطبي أن آية واحدة من القرآن كانت سبب توبة إمامين عظيمين من أئمة المسلمين، فقال رحمه الله:

«وهذه الآية ﴿الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦] كانت سبب توبة الفضيل بن عياض وابن المبارك رحمهما الله تعالى.

سئل عبد الله بن المبارك عن بدء زهده فقال: كنت يوماً مع إخواني في بستان لنا، وذلك حين حلت الشار من ألوان الفواكه، فأكلنا وشربنا حتى الليل فتمنا، وكنت مولعاً بضرب العود والطنبور، فقممت في بعض الليل فضربت بصوت يقال له راشين السحر، وأراد سنان يغني، وطائر يصيح فوق رأسي على شجرة، والعود بيدي لا يحبسني إلى ما أريد، وإذا به ينطق كما ينطق الإنسان - يعني العود الذي بيده - ويقول:

(٣٣) مختصر منهاج القاصدين ص ٥٤-٥٥ ط مكتبة دار البيان بدمشق.

(٣٤) البرهان في علوم القرآن ٢-١٨٠-١٨١ بتصرف يسير - الزركشي المتوفى عام ٧٩٤هـ - ط دار إحياء الكتب العربية.

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ

لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾، قلت: بلى والله! وكسرت العود، وصرفت

من كان عندي، فكان هذا أول زهدي وتشميري.

وأما الفضيل بن عياض فكان سبب توبته أنه عشق جارية فواعدته ليلاً، فبينما هو يرتقي الجدران إليها إذ سمع قارئاً يقرأ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ

لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾، فرجع القهقري وهو يقول: بلى والله قد آن، فأواه الليل إلى خربة وفيها جماعة من السابلة، وبعضهم يقول لبعض: إن فضيلاً يقطع الطريق، فقال الفضيل: أواه! أراني بالليل أسعى في معاصي الله، قوم من المسلمين يخافونني!

اللهم إني قد تبت إليك، وجعلت توبتي إليك جوار بيتك الحرام^(٣٥).

وقبل أن أتركك مع صفحات الكتاب وفوائده التدبرية، لا يفوتني أن أذكّر أن كتاب الله مفتاح مجد المسلمين وعزهم، ورجوعهم إليه هو سبب فك عقدتنا وتفريج كربتنا، وأسوق هنا كلمة الشيخ محمد رشيد رضا في مقدمة تفسيره (المنار):

«لو أن المسلمين استقاموا على تدبر القرآن والاهتداء به في كل زمان، لما فسدت أخلاقهم وآدابهم، ولما ظلم واستبد حكامهم، ولما زال ملكهم وسلطانهم، ولما صاروا عالية في معاشهم وأسبابها على سواهم^(٣٦)».

وقال كذلك رحمه الله في تشخيصه لسبب ضعف الأمة وتحلفها:

«وما ضعف الإسلام منذ القرون الوسطى حتى زال أكثر ملكه إلا بهجر تدبر القرآن، وجعله كالرقى والتعاويز التي تتخذ للتبرك أو لشفاء أمراض الأيدان^(٣٧)».

قال ابن تيمية: «وأما كيف يحصل اليقين بثلاثة أشياء: أحدها: تدبر القرآن.

والثاني: تدبر الآيات التي يحدثها الله في الأنفس والآفاق التي تبين أنه حق.

والثالث: العمل بموجب العلم^(٣٨)».

(٣٥) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي ١٧-٢٥٠، ٢٥١ بتصرف يسير - دار الكتب المصرية

(٣٦) تفسير المنار ٥/٢٤١ - محمد رشيد رضا - طبعة الهيئة المصرية للكتاب

(٣٧) تفسير المنار ٩/٦٣

(٣٨) مجموع الفتاوى ٣-٣٣٠-٣٣١ - ط مجمع الملك فهد

محمد البشير الإبراهيمي :

«إن العالم في عذاب ، وعندكم كنز الرحمة.

وإن العالم في احتراب، وعندكم منبع السَّلم.

وإن العالم في غمة الشك، وعندكم مشرق اليقين.

فهل يجمل بكم أن تعطلَّوه، فلا تنتفعوا به ولا تنفعوا؟!!

أحيوا قرآنكم تحيوا به، حققوه يتحقق وجودكم به، أفيضوا من أسرارهِ على سرائركم، ومن

آدابه على نفوسكم، ومن حكمه على عقولكم، تكونوا أطباء ، ويكن بكم دواء» (٣٩).



الجزء الأول

الفاتحة من الآية ١ إلى البقرة الآية ١٤١

عدد الفوائد ٨٣

﴿ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ ﴾ [الفاتحة: ٢]:

قال الإمام البغوي: «الشكر لا يكون إلا على النعمة، والحمد أعم من الشكر، فكل حامد شاكر وليس كل شاكر حامداً».

﴿ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ ﴾ [الفاتحة: ٣]:

ولأنه كذلك، فقد أراد لنا الخير أكثر مما نريده لأنفسنا؛ فجعل مفتاح الخير طلب الهداية في كل ركعة من كل صلاة.

﴿ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ * الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ * مَلِكِ يَوْمِ الدِّيْنِ ﴾ [الفاتحة: ٢-٤]:

في هذه الآيات الثلاث الأولى من سورة الفاتحة يعلمنا الله ثلاث عبادات: كيف نحمده؟ وكيف نشي عليه؟ وكيف نمجّده؟!

﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّيْنِ ﴾ [الفاتحة: ٤]:

قال رشيد رضا: «إنما قال ﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾، ولم يقل مالك الدين؛ لتعريفنا بأن للدين يوماً يمتاز عن سائر الأيام، وهو اليوم الذي يلقي فيه كل عامل عمله ويؤقّ جزاءه».

﴿ اِيَّاكَ نَعْبُدُ وَاِيَّاكَ نَسْتَعِيْذُ ﴾ [الفاتحة: ٥]:

قال ابن القيم: «فأنفع الدعاء طلب العون على مرضاته، وأفضل المواهب إسعافه بهذا المطلوب، وجميع الأدعية الماثورة مدارها على هذا؛ وعلى دفع ما يضاده، وعلى تكميله، وتيسير أسبابه».

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾: تبرؤ من الشرك وتدفع الرياء، ﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: تبرؤ من الحول والقوة وتدفع الكبرياء.

لولا الاستعانة بك ما عرفنا كيف نعبدك، ولا قدرنا على عبادتك.

جاءت بصيغة المخاطب بعد أن كان أول السورة بصيغة الغائب، كأن العبد لما حمد ربه وأثنى عليه ومجده قرَّبه الله منه وأدناه، فكان في غيبة في أول الأمر، ثم صار حاضرًا بين يديه.

﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]:

قال ابن القيم: «أفضل الدعاء على الإطلاق وأنفعه الهداية إلى صراطه المستقيم المتضمن كمال معرفته وتوحيده وعبادته بفعل ما أمر الله واجتناب ما نهى عنه، والاستقامة عليه إلى الممات، مع تضمنها: تزكية النفوس، وإصلاح القلوب».

لاحظ أنك تدعو بالهداية في لحظة من أجل لحظات الهداية - وهي الصلاة - فكيف بالغافل العاصي؟! ومع ذلك ينسى أن يسأل ربه الهداية!

تكرار طلب الهداية في قلب أعظم سورة في القرآن، وفي كل ركعة دليل على أن الضلال أقرب إلى العبد من شرك نعله، وأن فرص انحرافنا - مهما استقمنا - كثيرة، واحتمالات ذلك كبيرة.

﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]:

في الحديث: «اليهود مغضوب عليهم، والنصارى ضلال» صحيح الجامع رقم: ٨٢٠٢.

كل من عرف الحق فلم يتبعه شابه اليهود والتحق بالمغضوب عليهم، وكل من ضل طريقه في معرفة الحق شابه النصارى والتحق بالضالين.

جاء في صحيح البخاري: «إذا قال أحدكم آمين، وقالت الملائكة في السماء آمين، فوافقت إحداهما الأخرى، غُفر له ما تقدم من ذنبه». قال ابن المنير: «وأي فضل أعظم من كونه قولاً يسيراً لا كلفة فيه، ثم قد ربت عليه المغفرة».

سورة البقرة

﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]:

فلا يهتدي بأنوار القرآن غير المتقين؛ لأنهم أطفئوا نور الطاعة في قلوبهم، وآثروا ظلمة الذنب، فكانوا كالعميان!

﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]: كشف الله سرَّ عدم انتفاع أكثر الناس بالقرآن، فقال: ما أقل من اتقى؛ ولذا .. ما أقل المهتدين!

هذه أول صفة مدح الله بها عباده في كتابه، وبها يتمايز الخلق، فأشدهم إيماناً أعظمهم تصديقاً بالغيب؛ ولهذا سبقنا أبو بكر رضي الله عنه.

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣]:

لا تخسر هذه الصفة بكثرة تتبعك لأخبار الإعجاز العلمي التي تؤيد ما جاء في القرآن، بل اجعل شعارك: إن كان قال فقد صدق!

﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ [البقرة: ٣]:

قال أبو العالية: «أرحل إلى الرجل مسيرة أيام، فأول ما أنفق من أمره صلاته، فإن وجدته يقيمها ويتمها أقيمت وسمعت منه، وإن وجدته يضيعها رجعت ولم أسمع منه وقلت: هو لغير الصلاة أضيع».

﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى﴾ [البقرة: ٥]:

جاء بلفظ (عَلَى) أي مستعلين بهدايتهم، وذكر الله أهل الضلالة فقال: ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر: ٢٢]. أي منغمسين به.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]: تقسيم كل إنسان بأفعاله لا بأقواله.

﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩]:

قال ابن عرفة: «نفى عنهم الشعور، وهو مبادئ الإدراك، فبنفي مبادئ الإدراك يتنفى كل الإدراك من باب أخرى».

﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ [البقرة: ١٠]:

المريض يجد طعم الطعام على خلاف ما هو عليه، فيرى الحلو مرًا، وكذلك المنافقون يرون الحق باطلاً والباطل حقًا!

﴿ فَرَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ [البقرة: ١٠]:

البعض يستعجل نزول عقوبة الله بالمنافقين، وما درى أن أعظم عقوباتهم هي مرض قلوبهم، فكيف بزيادة المرض واشتداده؟!

﴿ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْطَحُونَ ﴾ * ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ ﴾ [البقرة: ١١، ١٢]:

نادرًا ما يشعر المفسد أنه مفسد! ولو شعر بذلك لانتحلت المشكلة!

﴿ أَلْزُومُنْ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ ﴾ [البقرة: ١٣]:

من صفات المنافقين احتقار الصالحين فضلًا عن المصلحين، والتقليل دومًا من شأنهم.

الكبر من أهم أسباب عدم اتباع الحق، هل فهمت الآن لم لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر؟

﴿ وَإِذَا حَلَّوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ ﴾ [البقرة: ١٤]:

تحذير مهم: بعض الأصحاب شيطان في هيئة إنسان، لكن لا يراه على حقيقته إلا أهل الإيمان.

﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [البقرة: ١٥]:

لا تتعجب من إملاء الله للمستهزئ بالحق، فإن الله ييغضه؛ لذا يملئ له ليزداد إثماً، فيتضاعف عذابه.

﴿ صُمُّ بُكْمٌ عُمْيٌ ﴾ [البقرة: ١٨]:

وصف المنافقين بأن حواسهم معطلة؛ فالصمم انعدام حاسة السمع عمن كان سميعًا، والبكم انعدام النطق عمن كان ناطقًا، والعمى انعدام البصر عمن كان بصيرًا؛ لأنهم وإن كانت لهم آذان تسمع، وألسن تنطق، وأعين تبصر، إلا أنهم لا يسمعون خيرًا، ولا يتكلمون بالخير، ولا يصرون طرق الخير، ومن كان كذلك كان هو ومن فقد حواسه سماء.

﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٨]:

لا يرجعون عن التمسك بنفاقهم، فهم أصحاب مبدأ، لكنه مبدأ باطل! فكيف لا يتمسك أهل الحق بالمبدأ الذي يؤمنون به؟!

﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ١٩]:

القرآن هو الصيب الذي ينزل من السماء، والقرآن يحيي الله به القلوب فهو مثل المطر، يتفح به المؤمنون، وأما المنافقون فيتفحون ببعضه ولا ينتفعون ببعضه، فانتفعوا بها أظهروا من إيمان، فجرت عليهم أحكام أهل الإسلام، فهذا النور هو الذي انتفعوا به.

﴿فِيهِ ظُلُمٌ وَّرَعْدٌ وَرَقٌّ﴾ [البقرة: ١٩]:

قيل إن رعد القرآن: زواجره التي تخيف، ويرق القرآن: أنواره ومنافعه التي نالت المنافقين بعصمة دمائهم وأموالهم، وأما الظلمات فهي الشكوك التي تنساب المنافقين من قراءة القرآن؛ وجعل أصابعهم في آذانهم هو تخوفهم وحذرهم من فضح نفاقهم، وكرهيتهم لتكاليف الشرع من الجهاد والزكاة.

﴿وَكُلًّا مِّنْهَا رَغْدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [البقرة: ٣٥]:

وقال بعدها: ﴿فَكُلُّوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغْدًا﴾ [البقرة: ٥٨]، وكلتا الآيتين في البقرة، فقدّم الرغد في الأولى لأنها في قصة آدم وهذا في الجنة، وأخرها في الثانية لأنها في بني إسرائيل وهذا في الدنيا، ورغد الجنة مقدّم على رغد الدنيا.

﴿وَتَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَكْتَبُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]:

بعض من (يتلو الآيات) يخاطب بها الناس، وينسى نفسه!

﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]:

قد ينفذ زاد الصبر؛ لذا أمرنا الله أن نستعين بالصلاة الخاشعة لتعين الصبر وتقويه.

﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ٤٥]:

كثيراً ما نوصي من أصيب بمصيبة أن يصبر، لكن ننسى أن نوصيه بقريئة الصبر وهي الصلاة، وكان ﷺ إذا حزبه أمر فزع للصلاة.

﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]:

٣٨

خَفَّتْ عَلَيْهِمْ عِظَائِمُ الْأُمُورِ بِخُشُوعِهِمْ فِي الصَّلَاةِ، فَالْخُشُوعُ قُوَّةٌ!

﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ الَّذِينَ يَنْظُرُونَ أَنَّهُمْ مُلْقَوْنَ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٤٥، ٤٦]:

٣٩

الصَّلَاةُ ثَقِيلَةٌ عَلَى كُلِّ مَنْ لَمْ يَخْشَعْ فِيهَا، وَأَكْثَرُ مَا يَجْلِبُ الْخُشُوعَ فِيهَا الْيَقِينُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ.

﴿وَأَعْرِضْ عَنْ أَلْفِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ نَظَرُونَ﴾ [البقرة: ٥٠]:

٤٠

تأمل: ﴿وَأَنْتُمْ نَظَرُونَ﴾. عِنْدَ اشْتِدَادِ الظُّلْمِ لَا يَشْفِي غَيْظَ الْمَظْلُومِ إِلَّا رُؤْيَا مَصْرَعٍ مِنْ ظُلْمِهِ.

﴿وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة: ٦٠]:

٤١

قال ابن كثير: «لا تقابلوا النعم بالعصيان فُتَسْلَبُوا».

﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾ ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٦١]:

٤٢

ذل الأمة عقوبة لها على ابتعادها عن دينها، فالله يعز الطائع ولو كان ضعيفاً، ويذل العاصي ولو كان قوياً.

﴿لَا فَارِضٌ وَلَا يَكْرُ عَوَانٌ﴾ [البقرة: ٦٨]:

٤٣

الفارض: المِسْنَةُ التي لا تُلِدُ، والبكر: الفتية الصغيرة التي لم تلد قط.

﴿صَفَرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ [البقرة: ٦٩]:

٤٤

للألوان المبهجة أثر على النفوس، فلَوْنُ حَيَاتِكَ بِالْوَانِ الْفَرَحِ.

﴿وَاللَّهُ يُخْرِجُ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٧٢]:

٤٥

ما تكتمه في صدرك سيخرجه الله لا محالة، فزَيِّنْ بَاطِنَكَ كَمَا زَيَّنْتَ ظَاهِرَكَ.

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ [البقرة: ٧٤]:

٤٦

قَسَتْ قُلُوبُهُمْ بَعْدَ أَنْ رَأَوْا مُعْجَزَةَ إِحْيَاءِ اللَّهِ لِقَتِيلِ بْنِ إِسْرَائِيلَ، وَالدَّرْسُ: لَا تَأْمَنْ قَسْوَةَ الْقَلْبِ بَعْدَ الْيَقِظَةِ.

﴿وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهَيِّطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤]:

حجر سقط من رأس جبل من خشية الله، فكان ألين من كثير من القلوب القاسية!

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي﴾ [البقرة: ٧٨]:

قال ابن تيمية: «ذلك متناول لمن ترك تدبر القرآن، ولم يعلم إلا مجرد تلاوة حروفه!».

﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]:

للناس كل الناس، ولو كان غير مسلم! قال ابن عباس: «لو قال لي فرعون خيراً، لرددت عليه مثله».

﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ﴾ [البقرة: ٨٣]:

قدّم القول الحسن على الأمر بإقامة الصلاة!

﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [البقرة: ٨٥]:

جعل الله الخزي مصير من آمن ببعض الكتاب وترك بعضه، ونفس العذاب كان من نصيب فرعون ﴿وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾.

﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ [البقرة: ٩٣]:

عالج هواك في أوائله قبل أن يتغلغل، فإذا تغلغل تشربه القلب، وعميت البصيرة.

تذكر أن من الفتن والمعاصي ما تمر عليه مرور الغافلين، فيتشربها قلبك دون أن يشعر، فيغذي بها جوارحك.

﴿يَا مُرْكُم بِهِ إِيمَنُكُمْ﴾ [البقرة: ٩٣]:

الإيمان سلطة نافذة تأمر وتنهى، وليس مجرد مشاعر باردة لا تغير سلوكاً، ولا تنفي قلباً.

﴿وَلَنْ يَتَسَوَّهَ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة: ٩٥]:

قال ابن رجب: «فدلاً على أنه يكره الموت من له ذنوب يخاف القدوم عليها، كما قال بعض السلف: ما يكره الموت إلا مُريب».

﴿وَلَنَجْذِثَّهُمْ أَخْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوةٍ﴾ [البقرة: ٩٦]:

حياة .. أي حياة، فاليهود يحرصون على أي حياة، ذليلة كانت أو كريمة، أهم شيء ألا يموتوا.

﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرْضِيهِمْ مِنَ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: ٩٦]:

ليس طول العمر محموداً دوماً، بل هو مدموم إن كان سبيلاً للاستزادة من المعاصي.

﴿فَإِنَّهُ نَزَلَهُ عَلَى قَلْبِكَ﴾ [البقرة: ٩٧]:

نزل على القلب ليتدبره القلب، فهل استقبلنا آيات القرآن (بقلوبنا)؟!

﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَرْيُوتَ﴾ [البقرة: ١٠٢]:

قال ابن الجوزي: «الدنيا أسحر من هاروت وماروت، فإن هاروت وماروت يُفَرِّقان بين المرء وزوجه، وأما الدنيا فإنها تفرق بين العبد وربّه».

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا﴾ [البقرة: ١٠٤]:

سبب نزولها:

كان المسلمون يقولون: راعنا يا رسول الله، يعنون المراجعة، وكانت هذه اللفظة سبباً قبيحاً بلغة اليهود، من الرعونة التي هي الحمق، أو يقصدون بها جعله راعياً من رعاة الغنم، فلما سمعتها اليهود اغتتموها وقالوا فيما بينهم: كنا نُسبُ محمداً سراً فأعلنوا له الآن بالشتم، فكانوا يأتونه ويقولون: راعنا يا محمد ويضحكون فيما بينهم، فسمعها سعد بن معاذ - وكان يعرف لغتهم - فقال لليهود: عليكم لعنة الله، والذي نفسي بيده يا معشر اليهود لنن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله ﷺ لأضربن عنقه، فقالوا: أولستم تقولونها؟ فأنزل الله تعالى:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا﴾

﴿وَقُولُوا أَنْظِرْنَا﴾ [البقرة: ١٠٤]:

أي انتظرنا وتأن حتى نفهم عنك، فهذه كلمة أفضل من الكلمة التي اتخذها اليهود ذريعة لسب نبيكم ﷺ.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا أَنْظِرْنَا﴾ [البقرة: ١٠٤]:

هذا أول نداء في القرآن لأهل الإيمان بترتيب المصحف، وفيه أربع فوائد: نهي عن التشبه بالكفار وخاصة اليهود، وإرساء لقاعدة سد الذرائع، وتوجيه لأدب جميل باستعمال أحسن الألفاظ، وتوفير البدائل لما نهى الله عنه.

﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا أَنْظِرْنَا﴾ [البقرة: ١٠٤]:

راقب ألفاظك! في الآية الكريمة إرشاد لطيف إلى أن يتجنب الإنسان في مخاطباته الألفاظ التي توهم المستمع بالجفاء أو الانتقاص من قدره.

﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا﴾ [البقرة: ١٠٩]:

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «كل الناس مني في حل». أراد ألا يعذب أحد بسبيه.

﴿تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٠]:

تجد بعد مشاق الحياة وآلام الموت وأهوال القبر وأحداث البعث وفزع القيامة عملك الصالح، حفظه الله لك حتى يأخذ بيدك، فيوصلك إلى مقعدك في الجنة.

﴿تَشَبَّهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [البقرة: ١١٨]:

كم من مختلفين في (الشكل) وهم متشابهون في (القلب)!

تشابه الظاهر من تشابه الباطن ووحدة المشاعر.

﴿وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠]:

لاحظ تكرار النفي؛ وذلك لأن رضا اليهود غير رضا النصارى، فلو صادفت رضا اليهود فلن ترضى عنك النصارى، ولو صادفت رضا النصارى فلن ترضى عنك اليهود.

﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ [البقرة: ١٢١]:

قال مجاهد: «يعملون به حق عمله».

وذلك باشتراك اللسان والعقل والقلب، فاللسان يرتل، والعقل يتدبر، والقلب يلين ويخضع.

﴿وَإِذْ أُنْزِلَ إِلَهُهُ رَبُّهُ بِكَلِمَتٍ فَأَنزَلَهُنَّ﴾ [البقرة: ١٢٤]:

قال الحسن: «ابتلاه الله بذبح ولده فصبر على ذلك، وابتلاه بالكوكب والشمس والقمر فأحسن في ذلك، وعرف أن ربه دائم لا يزول، ثم ابتلاه بالهجرة من وطنه فخرج مهاجرًا إلى الله، ثم ابتلاه بالالقاء في النار فصبر».

﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾

[البقرة: ١٢٤]:

قال السيوطي: «جمعت الخبر والطلب والإثبات والنفي والتأكيد والحذف والبشارة والنذارة والوعد والوعيد».

﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ [البقرة: ١٢٤]:

قال ابن عاشور: «وإنما قال إبراهيم: ومن ذريتني، ولم يقل وذريتني؛ لأنه يعلم أن حكمة الله من هذا العالم لم تجر بأن يكون جميع نسل أحد من يصلحون لأن يقتدى بهم، فلم يسأل ما هو مستحيل عادة؛ لأن سؤال ذلك ليس من آداب الدعاء».

﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]:

قال شيخ المفسرين الإمام الطبري: «هذا خبر من الله جل ثناؤه عن أن الظالم لا يكون إمامًا يقتدي به أهل الخير».

قال ابن خويز متداد: «الظالم لا يصلح أن يكون خليفة ولا حاكمًا ولا مفتيًا ولا شاهدًا ولا راويًا».

﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ [البقرة: ١٢٦]:

لكنه قال في [إبراهيم: ٣٥]: ﴿هَذَا الْبَلَدُ ءَامِنًا﴾: قال الإمام السيوطي: «الآن الأول دعا به قبل مصيره بلداً عند ترك هاجر وإسماعيل به وهو وادٍ، فدعا بأن يصير بلداً، والثاني دعا به بعد عودته وسكنى جرهم به ومصيره بلداً، فدعا بأمنه».

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ [البقرة: ١٢٧]:

قاما بأعظم عمل وهو بناء الكعبة، ثم دعوا الله أن يتقبل منهما! فلا يغرنك عملك مهما عظم، وصل الله القبول.

﴿وَتُبَّ عَلَيْنَا إِنْكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨]:

يفرغان من أعظم طاعة ثم يسألان الله التوبة، فكيف بالمذنبين؟!

﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢]:

الحياة على الإسلام نعمة، والموت على الإسلام توفيق.

﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾ [البقرة: ١٣٣]:

لم يشغل الموت الوالد عن هموم التربية!

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة: ١٣٨]:

تأمل كلمة الصبغة، وكأن المطلوب أن يتغلغل الإيمان في كل ذرات حياتك ويصبغ كل تفاصيلها.

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٣٨]:

أي دين الله، سماه صبغة؛ لأن أثر الدين يتغلغل في خلايا المؤمن كلها كما يتخلل الصبغ في خيوط الثوب.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةَ عِنْدَهُ مِنْ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٠]:

بعض الناس يظن أن كتمان الحق ليس عملاً، فلا يؤاخذه الله به، وهذه الآية تبدد هذا الوهم.

من روائع المتدبرين



قال الشيخ ابن ظفر المكي: «بلغني أن أبا يزيد طيفور بن عيسى البسطامي لما تحفظ:

﴿يَتَأْتِيهَا الْمَرْمَلُ ۝ قُرْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [المزمل: ١، ٢]، قال لأبيه: يا أبت من الذي يقول الله له هذا؟ قال: يا بني .. ذلك النبي ﷺ، قال: يا أبت ما لك لا تصنع كما صنع النبي محمد ﷺ؟ قال: يا بني .. إن قيام الليل خُصَّصَ به ﷺ، وبافتراضه عليه دون أمته.

فسكت عنه فلما تحفظ قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ، وَثُلُثَهُ، وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾ [المزمل: ٢٠]، قال: يا أبت .. إني أسمع أن طائفة كانوا يقومون الليل فمن هذه الطائفة؟ قال: يا بني .. هؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين. قلت: يا أبت فأني خير في ترك ما عمله الرسول ﷺ وأصحابه؟ قال: صدقت يا بني، فكان أبوه بعد ذلك يقوم من الليل ويتوضأ ويصلي، فاستيقظ أبو يزيد ليلة فإذا أبوه يصلي فقال: يا أبت .. علّمني كيف أتطهر وأصلي معك، فقال أبوه: يا بني ارقد فإنك صغير. قال: يا أبت إذا كان يوم يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم أقول لربي: إني قلت لأبي: كيف أتطهر لأصلي معك فأبى وقال لي: ارقد فإنك صغير بعد.. أتحب هذا؟ فقال أبوه: لا والله يا بني .. ما أحب هذا، وعلمه فكان يصلي معه».

أنباء نجباء الأبناء ص ١٥٠ - ١٥١ - ابن ظفر المكي



الجزء الثاني

سورة البقرة من الآية ١٤٢ إلى الآية ٢٥٢

عدد الفوائد ١١٣

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] :

قال الحسن البصري: «ضاع هذا الدين بين الغالي فيه والجافي عنه». الغالي صاحب إفراط، والجافي صاحب تفريط.

﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ ﴾ [البقرة: ١٤٣] :

حياتك مليئة بالاختبارات الإلهية، ونجاحك فيها مرهون باتباع تعليمات الرسول ﷺ.

﴿ إِنَّكَ اللَّهُ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٤٣] :

رحيمٌ بالناس جميعاً، بالمؤمن والكافر، والبر والفاجر، هذا في الدنيا، أما في الآخرة فالرحمة لا تكون إلا للمؤمن: ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ﴿ [الأحزاب: ٤٣، ٤٤].

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ [البقرة: ١٤٣] :

ما ضاع عند الناس لا يضيع عند الله.

أي صلاتكم، وعبر عن الصلاة بالإيمان، فمن ترك الصلاة فماذا تبقى لديه من إيمان؟!

﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ﴾ [البقرة: ١٤٤] :

قد يحقق الله بعض أمانيك حتى قبل أن تدعوبها، وهذا من كمال لطفه وعظيم رحمته.

﴿قَدْ زَرَىٰ ثَقَلَبٌ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ١٤٤]:

إذا ضاقت بك الأرض فأطلق بصرك نحو السماء، وعلّق قلبك بمن لا يُقلِّقه النداء، ولا تنفذ خزائنه من العطاء.

﴿وَلِكُلِّ وَجْهَةٌ هُوَ مَوْلِيهَا فَأَسْتَبِقُوا الْحَيَرَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨]:

لا بد للإنسان في الحياة من وجهة، يسير نحوها، وببذل وسعه وطاقته لتحقيقها، فحدّد وجهة توصلك إلى الجنة، وحادِر مما يسوق إلى النار.

﴿فَأَسْتَبِقُوا الْحَيَرَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨]:

الدنيا مضمار سباق، فبادر بالتكبيرة الأولى والصف المقدّم في كل عمل صالح، فالسابق اليوم إلى الخيرات هو السابق غداً على أبواب الجنات.

﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ١٤٨]:

استدعاءً للمساءلة، كفيلاً بأن يجعل كل واحد منا يراجع نفسه مع كل عمل، استعدوا جميعاً لذلك اليوم.

﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ [البقرة: ١٥٠]:

علاج الخوف من الناس في إحياء الخوف من الله، ومن خاف الله حقاً لم يخف من الخلق.

﴿وَلَا تَتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٠]:

أعظم النعم وأتمّها هي نعمة الهداية.

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]:

هل تشعر بالإهمال، وأنه لا يوجد من يهتم بك؟! ما رأيك لو اهتم بك رب العالمين؟ وذكرَكَ في الملأ الأعلى في أعلى عليين.

أبشّر.. اسمك الآن يتردد في الملأ الأعلى!

في الحديث القدسي: «قال الله تعالى: عبدي.. إذا ذكرتني خالياً ذكرتني خالياً، وإن ذكرتني في ملأ ذكرتني في ملأ خير منهم وأكبر».

قال ثابت البنانى: إني أعلم متى يذكرني ربي عز وجل، ففزعوا من ذلك، وقالوا:

كيف تعلم ذلك؟! فقال: إذا ذكرته ذكرني: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾.

اذكرة على وجه الأرض.. ليدركك فوق الأرض وتحت الأرض ويوم العرض..
ذكرك له محدود، وذكر الله لك غير محدود!

ما الهَمُّ الذي سيصيبك، وهو يذكرك؟!!

ما المكروه الذي سيلحق بك، وهو يذكرك؟!!

ما الخوف الذي يقلبك وهو يذكرك؟!!

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]:

كثرة ذكر الله علامة من أهم علامات الشكر.

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]: لكل من أثقلتته الهموم وأحاطت به

الغموم، كيف تستوحش والله تعالى معك إن صبرت؟!!

﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٦]:

هم لله يفعل بهم ما شاء، فهم ملكٌ لربهم، والمالك لا يضيع ما ملك.

أكثر الناس يقولون عند المصيبة: لا حول ولا قوة إلا بالله، والأولى أن يسترجع
العبد عندها كما أمره ربه: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ
رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦].

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]:

لا يطفى نار الأحزان في قلبك مثل اليقين بثواب الله عند الرجوع إليه، فهو الذي
يجازي عباده بمثاقيل الذر، وإن تك حسنة يضاعفها.

﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٧]:

قال الراغب الأصفهاني: «الصلاة وإن كانت في الأصل الدعاء، فهي من الله
البركة على وجه، والمغفرة على وجه، وإنما قال: ﴿صَلَوَاتٌ﴾ على الجمع تنبيها على
كثرتها منه، وإنما حاصلة في الدنيا توفيقا وإرشادا، وفي الآخرة ثوابا ومغفرة».

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ ﴿أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ

اللَّعِينُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩]:

من أسباب تنزل اللعنات كتمان الحق خاصة من العلماء!

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة: ١٦٠]:

تأمل ﴿وَبَيَّنُّوا﴾؛ لأن بعض من يتوب يتهيب أو يخجل من إعلان توبته.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ..﴾ [البقرة: ١٦٥]:

هذه مسابقة الحب الحقيقي التي لا يتقدم لها إلا المؤمنون.

أبشروا يا أحباب، ففي الحديث أقسم النبي ﷺ - وهو الصادق المصدوق من غير قسم -: «والله .. لا يُلقِي الله حبيبه في النار».

من طرق الوصول لمحبة الله أن تحافظ على هذا الدعاء: (اللهم إني أسألك حبك، وحبَّ من يحبك، وحب عمل يقربني إلى حبك).

قال الإمام القرطبي: «أحبهم الله تعالى أولاً، ثم أحبوه، ومن شهد له بحبوه بالمحبة كانت محبته أتم».

كيف وصلوا لتلك المحبة؟! أرشدك الله إلى سكة من هذه السكك في قوله: (ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه).

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [البقرة: ١٦٨]:

المعصية باب مغلق، من فتحه دخله، ومن دخله وقع في الحرام، فاحرص على دحر الخطوة الأولى دومًا.

الخطوة هي أقصر مسافة، لكن فيها الهلاك، فمشوار الألف ميل بعيدا عن طريق الحق يبدأ بخطوة.

لاحظ .. خطوات، فالخطوة ستبعها الخطوة؛ لأن الشيطان لحوج ذو إصرار! فالحذر الحذر من الاستصغار الذي يقود إلى الاستمرار.

﴿وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٢]:

قال ابن القيم: «الشكر مبني على خمس قواعد: خضوع الشاكر للمشكور، وحبّه له، واعترافه بنعمته، وثناؤه عليه بها، وأن لا يستعملها فيما يكره».

﴿عَفْوَ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣]:

قيل: سبب تقديم المغفرة على الرحمة أن المغفرة سلامة والرحمة غنيمة، والسلامة مطلوبة قبل الغنيمة.

﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ [البقرة: ١٧٥]:

قال قتادة: «والله ما لهم عليها من صبر، ولكن: ما أجراًهم على العمل الذي يقربهم إلى النار!».

﴿وَعَائِ الْآلَمَالِ عَلَىٰ حِيَةٍ ذَاي الْقَرَبِ﴾ [البقرة: ١٧٧]:

كثير من الناس يغفل عن الصدقة على الأقارب، مع أن ثوابها مضاعف، ففي الحديث: «صدقة ذي الرحم على ذي الرحم صدقة وصلة» صحيح الجامع رقم: ٣٧٦٣.

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩]:

قال السيوطي: «معناه كثير ولفظه قليل؛ لأن معناه أن الإنسان إذا علم أنه متى قُتل قُتل كان ذلك داعياً إلى ألا يُقَدِّم على القتل، فارتفع بالقتل الذي هو القصاص كثير من قتل الناس بعضهم لبعض، وكان ارتفاع القتل حياة لهم، وقد فضلت هذه الجملة على أوجز ما كان عند العرب في هذا المعنى وهو قولهم: (القتل أنفى للقتل) بعشرين وجهًا أو أكثر».

﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٨٢]:

والجنف الجور من غير تعمد، والإثم هو الجور المتعمد، وذلك بتفضيل من لا يستحق التفضيل في الميراث على غيره المساوي له أو الأحق منه، فينبغي لمن حضر الموصي وقت الوصية بها، أن ينصح الموصي بما هو الأحسن والأعدل، وأن ينهأه عن الجور والجنف.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ... لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]:

إن لم يزد صيامك في تقواك، فما هو غير إنهاك لقواك.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]:

هذه الأمة امتداد للمؤمنين من الأمم السابقة، وأخوتنا لهم ثابتة بموجب هذه الآية.

﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة: ١٨٤]:

قالها الله سبحانه في سياق تسلية المؤمنين وتخفيف معاناة الصوم عليهم، هوئنا تهن!

الشهر قصير لا يحتمل التفصيل، وقدمه عبور لا يقبل الفتور، فالسباق السباق قولاً وفعلًا.. حذروا النفس حسرة المسبوق!

﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ﴾ [البقرة: ١٨٥]:

الله أكبر.. من كل آلامنا وأوجاعنا ومخاوفنا وجراحنا؛ ولذا نكررها كل يوم عشرات المرات في صلواتنا.

﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْنَكُم﴾ [البقرة: ١٨٥]:

قال ابن عباس: «حق على المسلمين إذا نظروا إلى هلال شوال أن يكبروا الله حتى يفرغوا من عيدهم».

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦]:

الله قريب، فالبعد إذن منك أيها العبد البعيد!

﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦]:

كلمتان تشكّلان أعظم صام أمان من كل المخاوف والأخطار.

لك الحمد على قربك، ومني الخجل على ابتعادي عنك.

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦]:

والسؤال: هل أنت من عباده حقًا؟!

١٣٢

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦]:

ما أقرب الرب وأبعد العبد (إذا غفل عن الدعاء)!

١٣٣

﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]:

لم يستثن دعوة واحدة من الإجابة، فمهما كبرت آلامك وآمالك وعظمت طموحاتك، فالله هو المجيب!

١٣٤

قال الرازي: «الداعي لا بد وأن يجد من دعائه عوضاً، إما إسعافاً بطلبته التي لأجلها دعا، وذلك إذا وافق القضاء، فإذا لم يساعده القضاء فإنه يُعطى سكينه في نفسه، وانشراحاً في صدره، وصبراً يسهل معه احتمال البلاء الحاضر، وعلى كل حال فلا يُعَدَم فائدة، وهو نوع من الاستجابة».

السكة المختصرة! ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦]:
ضع جبينك على الأرض، وستكون أقرب ما تكون إلى السماء!

١٣٥

﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أَجِيبُ﴾ [البقرة: ١٨٦]:

جاءت بين آيات الصيام، إشارة إلى أن للدعاء مزية خاصة في شهر رمضان.

١٣٦

﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا﴾ [البقرة: ١٨٦]:

استجابة الرب بحسب استجابة العبد... أي شرف هذا؟ وأي فضل؟!

١٣٧

﴿هُنَّ لِيَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧]:

أنتم لباس لبعضكم، فحين تطعن في زوجتك، فإنها تكشف سترك وتفضح نفسك.

١٣٨

﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧]:

لما نزلت الآية، قال له عدي: يا رسول الله، إني أجعل تحت وسادتي عقلاً أبيض وعقلاً أسود، فقال ﷺ: «إن وسادك إذن لعريض، إنما ذلك بياض النهار من سواد الليل».

١٣٩

﴿يَلِكْ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ [البقرة: ١٨٧]:

الهروب من مقدمات الذنب من أهم أسباب النجاة.

قال ابن عمر: «إني لأحب أن أدع بيني وبين الحرام سترة من الحلال لا أخرقها».

وقال ميمون بن مهران: «لا يسلم للرجل الحلال حتى يجعل بينه وبين الحرام حاجزاً من الحلال».

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِإِلَافٍ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨]:

كلمة (وَتُدْلُوا) تبيّن أن اليد التي تأخذ الرشوة هي اليد السفلى، مع كون الحكام الذين تلقى إليهم الأموال في المكانة العليا لا السفلى، فجاءت لتعبر عن دناءة المرتشي ولو كان في الذروة من حيث المنصب وموقع المسؤولية.

﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩]:

قال البراء رضي الله عنه: «نزلت هذه الآية فينا. كانت الأنصار إذا حجّوا فجاءوا لم يدخلوا من قبل أبواب بيوتهم، ولكن من ظهورها، فجاء رجل من الأنصار فدخل من قبل بابه، فكانه غير بذلك، فنزلت: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ﴾» [البقرة: ١٨٩].

﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩]:

في الأمر بإتيان البيوت من أبوابها إشعار بأن كل ما يفعله باسم الدين وليس عليه دليل أو شاهد فهو بدعة، وكل بدعة ضلالة.

﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١]:

ليس المقصود بالفتنة هنا النميمة وإثارة النزاعات، بل المقصود بها هنا الكفر.

﴿فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ (وَاتَّقُوا اللَّهَ)﴾ [البقرة: ١٩٤]:

عند استيفاء الحقوق، تكون النفوس مشحونة؛ لذا أمر الله بالتقوى ليحميها من الظلم، ويعصمها من الزلل.

﴿مَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤]:

الآية تبيح لمن اعتدي عليه أن يرد العدوان مع ثلاثة ضمانات: أن يكون الاعتداء

(مثل) ما وقع عليه لا أزيد منه، وأن يتقي الله فلا يتجاوز الحدَّ في انتصاره لنفسه، وأن يتذكر أن الله مع المتقين ترغيباً له في العدل وعدم التجاوز.

﴿فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤]:

سَمَاءُ اعتداء، وكان حقه أن يسمى: جزاءً، لأن لفظ الجزاء يغري المظلوم بالتمادي، وأما لفظ الاعتداء فيشعر من يباشر حقه في الرد على مَنْ ظلمه، أنه يباشر اعتداء، فيكف ولا يتجاوز حده.

﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]:

المقصود بالتهلكة في هذه الآية -عكس ما يتبادر لأذهان الكثير- هو ترك الجهاد في سبيل الله، وعدم الإنفاق.

﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]:

لله وحده! فلا حاجة للناس بمعرفة تفاصيل حجتك وألوان طاعتك!

﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٧]: عَلِمُ الله بطاعتك من

أعظم ما يهونها عليك، ويجعلها أخف على البدن، وألذ للقلب.

﴿وَتَسَرَّوْا﴾ [البقرة: ١٩٧]:

كلما تزودت لسفر دنيوي تذكر أنك في انتظار سفر أهم، بل وعليه مدار نجاتك من العذاب الأخروي وفوزك الأبدى.

المقصود في الآية تزود الحجاج بالماء، لكن الله ذكر معه الزاد الأهم: ﴿فَاتَّكَبْ

خَيْرَ الزَّادِ النَّقْوَى﴾ [البقرة: ١٩٧]؛ لأن دنيا المؤمن لا تلهيه، وإنما تذكره بالآخرة وتركيه.

﴿وَتَسَرَّوْا فَاتَّكَبْ خَيْرَ الزَّادِ النَّقْوَى﴾ [البقرة: ١٩٧]:

تسرد لسفر الدنيا، وتأخذ فيه معك ما يكفيك وبفيض، ثم تنسى التسرد لأخرتك! وهي الرحلة الأهم ودار الخلود والأبد!

فإذا رأيت الناس قد افتخروا بالعقار والدولار، فافتخر بين يدي ربك بتقواك وقد اجترأ على محارمه الفجار، وأطعته حين عصوه، وحفظت ما ضيعوا.

﴿وَأَذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْنَكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ﴾ [البقرة: ١٩٨]:

تذكر الضلال الذي كنت عليه قبل هدايتك، والجهل الذي سبق علمك، كفيل بأن يكسر حاجز الغرور في نفسك، ويمنعها من الزيف.

﴿وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٩٩]:
كل العبادات تُحْتَم بالاستغفار، ومنها الحج؛ لأن الإنسان جُبل على النقص والتقصير، فيرفع ذلك بالاستغفار.

سُئل الحسن البصري: ما علامة حب الله؟ قال: «أن يذنب العبد، فيلهمه الاستغفار».

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مِنْ سَكَكُم فَأَذْكُرُوا اللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٠٠]:
تنقضي الشعائر، وترحل مواسم الخير، ويبقى ذكر الله الصغيرة الخالدة التي لا تنقطع؛ لشرف الذكر ومكانته.

في صحيح البخاري ومسلم: «كان أكثر دعوة يدعو بها: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١]».

﴿أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٠٣]:
مهما شئت عليك الطاعة، فما تلبث مشقتها أن تنقضي، ويبقى ثوابها وأجرها إلى أن يُتحفك يوم الجزاء.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [البقرة: ٢٠٣]:
ختم الله بها آيات الحج، أي حشركم في الحج باختياركم، لكنه يحشركم غداً رغماً عن أنوفكم، فحشر اليوم الاختياري، عليه أن يذكركم بيوم الحشر الأكبر الإجمالي.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [البقرة: ٢٠٤]:

ليست طلاقة اللسان دائماً محمودة، فأحياناً ما تخفي وراءها سوء السريرة وخيث الباطن.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ﴾ [البقرة: ٢٠٤]:

العبرة دائماً بالأفعال لا بالأقوال!

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ [البقرة: ٢٠٦]:

قال ابن مسعود: إن من أكبر الذنب عند الله أن يُقال للعبد: اتق الله، فيقول: عليك بنفسك (خليك في حالك!).

﴿أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨]:

ادخلوا في الإسلام بكل نواحيه، ولا تأخذوا من الدين ما يروق لكم، وتتركوا ما سواه، فلا تتخيروا على ربكم.

الإسلام بجميع تكاليفه، فلا تتركوا تكليفاً واحداً يشد منكم.

خذوا الإسلام كاملاً ولا تقسموه! ولا تتركوا حكماً من أحكام الدين دون أن تعملوا به.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ﴾ [البقرة: ٢١٤]:

الأوجاع طريق الجنة.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ﴾ [البقرة: ٢١٤]:

ما الفرق بين البأساء والضراء؟! قال أبو الهلال العسكري: «إن البأساء ضراء معها خوف، وأصلها البأس وهو الخوف، يُقال: لا بأس عليك، أي لا خوف عليك، وسُميت الحرب بأساً لما فيها من الخوف».

﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهَ؟ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]:

حين ثور أسئلة استبطاء الفرج في داخلك، فاعلم أن الفرج قريب.

﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]:

قال ابن القيم: «فإن العبد إذا علم أن المكروه قد يأتي بالمحسوب والمحسوب قد يأتي بالمكروه لم يأمن أن توافيه المضرة من جانب المسرة، ولم يأس أن تأتيه المسرة من جانب المضرة؛ لعدم علمه بالعواقب، فإن الله يعلم منها ما لا يعلمه العبد». قد لا يرجح ميزان حسناتك، ولا يستقيم دينك إلا بعد معاناة البأساء والضراء.

فلربما اتسع المضيق .. ولربما ضاق الفضأ

ولرب أمر محزن .. لك في عواقبه رضا

﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]:

مصيبة تقبل بها على الله خير من نعمة تلهيك عنه.

قال ابن عقيل: «تستبطئ الإجابة من الله تعالى لأدعيتك في أغراضك التي يجوز أن يكون في باطنها المفاسد في دينك ودنياك، وتتسخط بإبطاء مرادك مع القطع على أنه سبحانه لا يمتنع شحاً ولا بخلاً ولا نسياناً، لكن إنما أحر رحمة لك وحكمة ومصلحة، وقد تقدم إليك بذلك مقدمة، فقال سبحانه: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾».

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]:

كل أقدار الله خير، سواء طابت بها رُوحك أو ضاقت.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٨]:

يمتحن الله إيمانك بأن يأمرك بهجر ما تحب، كما امتحن أحب خلقه إليه بالهجرة من ديارهم التي يحبون.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ [البقرة: ٢٢٠]:

مهما أخفيت من نواياك، فالله أعلم بخفاياك.

﴿وَلَعِبَدٌ مِّنْهُمْ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢١]:

مهما تعددت دواعي (الإعجاب) بين الناس، فلا شيء يعدل الإعجاب بالإيمان!

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]:

وليست التوبة إلا بعد ذنب، فالذنب إذن ليس نهاية المطاف ولا خاتمة القصة! اسطر بعملك النهاية السعيدة!

ندمك على الذنب يوجع قلبك؛ لذا عوّضك الله عن الألم بهذا الحب؛ ليخفف عنك!

﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَىٰ نِسَائِهِمْ دَرَجَةٌ ۚ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨]:

قوامه الرجل قد تتحول إلى تسلط وتحكم، إلا إذا تذكر الزوج عزة الله وقدرته، وهذا سر ختم الآية بصفة العزة.

﴿أَوْ تَسْرِحْ يُبَاحِشَنِ﴾ [البقرة: ٢٢٩]:

سمى القرآن الطلاق تسريحاً لا ترغيباً فيه، وإنما ترغيباً في حُسن المعاملة، لأن التسريح في الأصل: الإرسال للمرعى، ففيه حث للأزواج عند الطلاق أن يُحسنوا معاملة زوجاتهم، وأضاف لاستعمال لفظ «تَسْرِحْ» شرط أن يكون «بِإِحْسَنِ».

﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾ [البقرة: ٢٣٣]:

ليس الفصال هنا الطلاق؛ بل الفصال هو فطام الصبي عن الرضاعة.

فطام الطفل يرجع فيه القرار للمشورة بين الزوجين، فكيف بغيرها من القضايا؟!

﴿وَالَّذِينَ يَتُوفَوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤]:

وجبت العدة عليها وإن لم يدخل بها زوجها، وفاء للزوج المتوفى ومراعاة لحقه.

١٨٧

﴿وَلَا تَعْرِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥]:

إشارة إلى حرمة عقد النكاح على المعتدة في حالة العدة، وفساد هذا العقد إذا تم ووجوب فسخه، وإذا عقد عليها وبني بها فبُسخ النكاح.

١٨٨

﴿وَلَكِنَّ لَا تَوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [البقرة: ٢٣٥]:

قال ابن عباس: السر: الجماع، وهذا يُسمونه مجاز المجاز، فإن السر مجاز عن الوطء، والوطء مجاز عن العقد، والآية تنهى الرجال عن مواعدة النساء في فترة العدة، وأن يقولوا لهم في السر ما يُستحي من قوله في العلن لمنافاته للشرع، ولا يقول رجل لهذه المعتدة: تزوجيني، بل يعرض بالخطبة إن أراد، ولا يأخذ منها الميثاق والعهد ألا تنكح غيره.

١٨٩

﴿وَلَا تَنسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧]:

لا تجعل لحظة غضبٍ واحدة تهدم آلاف الساعات الجميلة.

١٩٠

قال الإمام الشوكاني: «وهو إرشاد للأزواج إلى ترك تقصي الحقوق على بعضهم، والمساحة فيما بينهم».

١٩١

﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ [البقرة: ٢٣٨]:

لعل من أسباب تخصيص الوصية بالصلاة الوسطى -وهي صلاة العصر- أن ليس لها نافلة تجبر نقصها.

١٩٢

﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩]:

لا بد قبل اللقاءات الفاصلة من التمايز والتصفية!

١٩٣

قالها قوم طالوت حين احتاج إليهم، فبعض كلمات (الأصدقاء) أشد فتكاً من أسلحة (الأعداء).

١٩٤

﴿فَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ

أَنَّهُمْ مُّلتَقُواْ لِلّهِ كَم مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ
اللّهِ ﴿البقرة: ٢٤٩﴾:

جميلٌ أن تُحسِنَ الظنَّ بالله، لكن الأجل أن تفعل ذلك حين يفقد الجميع الأمل.

﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ ﴿البقرة: ٢٥٠﴾:

تخيل شللاً من الصبر ينهمر عليك؛ ليُطفئ لهيب آلامك، ويتسلل لتجاويف
أوجاعك.

﴿قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ
الْكَافِرِينَ﴾ ﴿البقرة: ٢٥٠﴾:

وانظر ماذا صنع الدعاء: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ﴿البقرة: ٢٥١﴾.

من روائع المتدبرين

قال محمد إقبال:

«قد كنت تعمدت أن أقرأ القرآن بعد صلاة الصبح كل
يوم، وكان أبي يراني، فيسألني: ماذا أصنع؟
فأجيبه بأني أقرأ القرآن، وظل على ذلك ثلاث سنوات
متتاليات يسألني سؤاله، فأجيبه جوابي، وذات يوم قلت له:
ما بالك يا أبي! تسألني نفس السؤال وأجيبك جوابًا واحدًا،
ثم لا يمنعك ذلك عن إعادة السؤال من غدٍ؟ فقال: إنما
أردت أن أقول لك: يا ولدي؛ اقرأ القرآن كأننا أنزل عليك.
ومنذ ذلك اليوم بدأت أتفهم القرآن وأقبل عليه،
فكان من أنواره ما اقتبست،
ومن درره ما نظمت».

روائع إقبال لأبي الحسن الندوي، ص ٣١ - دار القلم - دمشق

الجزء الثالث

من سورة البقرة الآية ٢٥٣
إلى سورة آل عمران الآية ٩٢
عدد الفوائد ١٠٠

﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]:

قال كثير من أهل العلم: إنه اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب.

في حديث أبي أمامة مرفوعاً أن اسم الله الأعظم في ثلاث سور: في سورة البقرة، وآل عمران، وطه.

قال أبو أمامة: فالتمستها فوجدت في البقرة: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]..

وفي آل عمران: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ٢]..

وفي طه: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١].

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]:

قولوا لأغني أغنياء الدنيا: أنت أحد ممتلكات الله.

﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]:

لا يصلح توكل القلب إلا على مَنْ ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

نلواها كل ليلة قبل أن ننام ليرعانا الله بعينه التي لا تنام.

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]:

لم يقل بعلمه، فهم لا يحيطون بعلمه، ولا حتى بشيء من علمه، فما أقل ما علموه بجانب علم الله.

﴿وَلَا تَوَدُّهُ حِفْظُهُمَا﴾ [البقرة: ٢٥٥]:

وإن الذي حفظ السماوات والأرض؛ لن يعجزه أن يحفظك من كل سوء، فاعبده وتوكل عليه.

﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]:

كلمة «طاغوت» مبالغة من الطغيان، وهو يتنوع، فمرة يكون الطاغوت شيطانا، أو كاهنا، أو ساحرا، أو حاكما.

﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]:

قدّم الله الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله؛ لأن التخليّة قبل التحلية، فلا بد أن يتخلى العبد عن الطاغوت أولاً قبل إعلان إيمانه بالله، فقبل أن تكوي الشوب وتعطره لا بد لك أن تغسله وتنظفه.

﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦]:

العروة الوثقى هي الإيمان أو الإسلام أو التوحيد، فلتفت كل العرى من يديك، ولتقبض على عروة الدين؛ لتبحر آمنا في بحر الحياة الهائج نحو شطآن الجنان.

﴿لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦]:

إلا إن أراد العبد انفصامها! قال سعيد بن جبير في هذه الآية: ﴿لَا يَغْيِرُ مَا يَقَوْمُ حَتَّى يَغْيِرُوا مَا يَنْقَسِمُ﴾ [الرعد: ١١].

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]:

وحّد الله لفظ (النور) وجمع لفظ (الظلمات)؛ لأن طريق الحق واحد، وطرق الباطل متعددة.

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البقرة: ٢٥٧]:

من كان الله وليه، فلن يضل أبداً، ولن يفهر بإذن الله.

ومتى تولاك هل يضيّعك؟!

على قدر إيمانك تكون ولاية الله لك.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ﴾ [البقرة: ٢٥٨]:

آيات الله ساطعة بيّنة، لكن انطاس بصائر البعض واعتياد رؤية المعجزات ألهى الناس عنها.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمَ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠]

ليس الخبر كالمُعابنة!

﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠]:

طمئنوا القلوب الحائرة، واسكبوا ماء اليقين على الأرواح التائهة، وتصدوا للشبهات؛ لأنها إن لم تجد عندكم جواباً، ستأخذ أصحابها بعيداً عن طريق الله.

﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ [البقرة: ٢٦٠]:

فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ : ليس معناها وضعها في صُرّة، وإنما معناها (فقطّعهن).

﴿وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٦١]:

كُلُّ بِحَسَبِ مَا حَوَى قَلْبُهُ مِنْ إِخْلَاصٍ وَيَقِينٍ وَحَسَنِ ظَنٍّ بِاللَّهِ، مُضَاعَفَاتِ الْأَعْمَالِ تَكُونُ بِحَسَبِ مَحْتَوَى الْقُلُوبِ وَتَبَايُنِ الْأَحْوَالِ.

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .. وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٢]:

لا خوف عليهم مما يستقبلهم من أهوال، ولا يحزنون على ما أصابهم من مصائب.

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَى﴾ [البقرة: ٢٦٣]:

أحياناً تكون الكلمة الطيبة أهم عند الفقير من المال؛ ولذا كانت الكلمة الطيبة صدقة. الأخلاق قبل الأموال! .. ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ (صَدَقَةٍ) يَتْبَعُهَا أَذَى﴾ [البقرة: ٢٦٣].

﴿لَا يَبْطُلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ [البقرة: ٢٦٤]:

ولذا قيل: من أعطى فمَن، كان كَمَن بَخِلَ وُضُنَّ.

في آيات الإنفاق قال الله: ﴿وَتَثْبِيثًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٦٥]:

منا من يُخْرِج الصدقة بعد تردد، ومنا من يبذلها ثابت القلب غير متردد، لا يستوون عند الله!

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٦٧]:

لا تسرق وتصدق، أو تأكل الرشوة وتحج، فليتها ما زنت ولا تصدقت!

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾ [البقرة: ٢٦٨]:

هذا وعد الشيطان في الإنفاق، وأما وعد الله في الإنفاق: ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا﴾ [البقرة: ٢٦٨]، فليُنظر صاحب المال بأي الوعدين يشق!!

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا﴾ [البقرة: ٢٦٨]:

وما يضرُّك وعد الشَّيْطَان مع ضمان الرحمن؟!

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾ [البقرة: ٢٦٨]:

الخوف من الفقر من أهم أسلحة الشيطان، ومنه استدرج الناس إلى أكل الحرام، ومنعهم من الإنفاق الواجب.

قال الحسن البصري: «قرأت في تسعين موضعًا من القرآن أن الله قدر الأرزاق وضمنها لخلقها، وقرأت في موضع واحد: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾ [البقرة: ٢٦٨].»

حينما تهم بالصدقة ثم تراجع؛ فاعلم أن شيطانك قد نجح في مهمته.

﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا﴾ [البقرة: ٢٦٨]:

قدَّم المغفرة لأنها أعلى جائزة، وهي مفتاح باب العطايا التي تحول دونها الذنوب.

﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]:

قال ابن عباس وأبو الدرداء وغيرهما: الحكمة: الفقه في القرآن.

﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [البقرة: ٢٧٠]:

حتى وإن امتلأت الأجواء من حولك بأنفاس الظالمين، فلا أحد يستطيع أن يمنع عنهم عذاب الله في الدنيا والآخرة.

قال القاضي شريح: «الظالم ينتظر العقوبة، والمظلوم ينتظر النصر».

﴿إِنْ تَبَدُّوا لَصَدَقْتَ فَنِعْمَ هِيَ﴾ [البقرة: ٢٧١]:

الله يمدحهم على أفعالهم ونحن نتهمهم في نياتهم! ما رأيك أن تتفرغ لبيتك؟! الله يمدحهم على أفعالهم ونحن نتهمهم في نياتهم!

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢]:

تسليّة للدعاة إن لم يلمسوا ثمرة جهدهم ونتيجة دعوتهم.

﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا تُنْفِسْكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٢]:

إنما تصدق على نفسك لا على غيرك!!

﴿يُخَسِّبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ [البقرة: ٢٧٣]:

ابحث عن الفقير المتعفف، ولا تنتظر أن يبحث عنك! المتعففون كثر.

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ

عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٤]:

من طرق إزالة الأحزان صدقة السر.

﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥]:

لا تسميته بغير اسمه، ولا المقالات التي تمدحه، ولا الإعلانات التي تروج له، ستجعل ما حرم الله حلالا.

الدين يسر؛ لذا فمنهج القرآن في التغيير؛ أن يوفر البدائل الطيبة قبل أن يجرم شيئاً.

﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٦]:

لا يطلب أحد شيئاً من طريق حرام إلا عاقبه الله بنقيض قصده، طلبوا الربح من الربا فعوقبوا بفقد المال.

﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾

[البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩]: قبل أن تدخل أي معركة، تعرّف على خصمك فيها!!

﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٨]:

الربا والإيمان لا يجتمعان.

﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٨]:

هناك معاصي تؤدي صاحبها فحسب، أما الربا فضرره على الكل، في الحديث: «ما ظهر في قوم الربا والزنا إلا أحلوا بأنفسهم عقاب الله» صحيح الجامع رقم: ٥٦٣٤

﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠]:

تكفيك هذه البشارة النبوية: «من نفس عن غريمه، أو محاً عنه، كان في ظلّ العرش يوم القيامة» صحيح الجامع رقم: ٦٥٧٦

﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١]:

مهما أغرتك لذائذ السفر، فأياك ونسيان التجهز لرحلة العودة.

آخر آية في القرآن، عن آخر أيام حياتنا.

﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١]:

هذه آخر آية نزلت من كتاب الله، وقد توفي رسول الله ﷺ بعدها بتسع ليالٍ.

﴿وَلَا تَسْمُرُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٢]:

جاءت في أطول آية في القرآن؛ إشارة لأهمية توثيق المعاملات المالية.

﴿وَلَا يَأْتِ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]:

من خصَّه الله بنعمة، فعليه ألا يمنعها عن الناس؛ لأن من تمام شكر النعمة الإنفاق منها.

قال الله عن كتم الشهادة في الأموال: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ عَاتِمٌ قَلْبُهُ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

هذا كتمان الشهادة في الأموال، فكيف بكتمانها عن نصره الحق!

﴿وَأِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤]:

قال ابن تيمية: «إنما تدل على أن الله يحاسب بما في النفوس، لا على أنه يعاقب على كل ما في النفوس».

في صحيح مسلم: لما نزلت على رسول الله ﷺ: ﴿وَأِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ

أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، اشتد ذلك على أصحاب

رسول الله ﷺ، فقالوا: قد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطقها، فقال ﷺ:

أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا؟ بل قولوا:

سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، فلما اقترأها القوم، ذلت بها ألسنتهم،

(فنسخها الله)، فأنزل الله في إثرها: ﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ

وَالْمُؤْمِنُونَ﴾.

سماها الله سورة البقرة إشارة إلى تعنت بني إسرائيل في طاعة أمر الله في ذبح

البقرة؛ ولذا ختمها بقوله: ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٥].

﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]:

أعظم ما يعين العبد على السمع والطاعة اليقين باليوم الآخر.

﴿لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]:

لم نقصر دلالة الآية على الأخذ بالرخص؟! بينما هي من أدلة الأخذ بالعزيمة

كذلك.

سورة آل عمران

﴿وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ [آل عمران: ٤]:

ليس المراد بالفرقان هنا القرآن، وإلا كان ذلك تكراراً لقوله: ﴿زُلْزِلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ﴾، بل المراد الكتب السماوية وقد أنزل الله فيها فرقاناً يميز به بين الحق والباطل، فالفرقان متضمنٌ في الكتب الثلاثة: القرآن والتوراة والإنجيل.

﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٦]:

نقَدْ علم الله وقدرته إليك في ظلمات ثلاث؛ فهل تحفى عليه حين تدب فوق الأرض وتحت السماء!؟

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ [آل عمران: ٧]:

الذي يفرحون بالمشابهات والشبهات، ويسعون لإثارتها في وسائل الإعلام على العوام في قلوبهم زيغ.

﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧] حرف الجر (في) يجعل (العلم) هو البيئة

التي كلما انغمس فيها العبد أمن من الزلل.

﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: ٧]:

كلما زاد علم العبد زادت خشيته، وتعاضم خوفه من الزيغ بعد الهداية.

﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: ٨]:

الاهتداء للحق أعظم مكافأة للقلوب الصادقة، فما نالها ابن نوح بنبوة أبيه، ولا حرّمها سلمان الفارسي بكفر ذويه.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: ٨]:

لم يُسَمَّ القلب قلباً إلا من تقلبه! فالتغير سنة الحياة، وأكثر ما يكون التغير في القلوب، فاللهم لا تعيرنا إلا إلى أفضل مما هي عليه الآن.

﴿زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ... وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَعَآبِ﴾ [آل عمران: ١٤]:

قال القرطبي: «وفائدة هذا التمثيل أن الجنة لا تُنال إلا بترك الشهوات، وفضام النفس عنها».

﴿زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [آل عمران: ١٤]:

وقدّم النساء على الكل. قال القرطبي: «لكثرة تشوّق النفوس إليهن؛ لأنهن حبايل الشيطان، وفتنة الرجال».

﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧]:

في جوف الليل يطلب الناس راحة أبدانهم بالنوم، ويطلب المؤمنون راحة قلوبهم بالاستغفار.

صابرون وصادقون وقانتون ومنفقون.. ومع ذلك يستغفرون بالأسحار، فكيف بالمذنبين؟

من عجز عن القيام في السحر، فلا يعجز -ولو على فراشه- عن الاستغفار:

﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧].

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨]:

ما أعظم الشاهد وأجل المشهود به!

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨]:

قال ابن كثير: «قرن الله شهادة ملائكته وأولي العلم بشهادته، وهذه خصوصية عظيمة للعلماء».

﴿فَقُلْ أَطَعْتُ وَجْهَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٢٠]:

قال البغوي: «وإنما خصّ الوجه؛ لأنه أكرم الجوارح للإنسان، وفيه بهاؤه، فإذا خضع وجهه للشيء، فقد خضع له جميع جوارحه».

﴿وَتَنَزَّعُ الْمُلُوكُ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٢٦]:

لا يتخلّى أرباب الملوك عن ملكهم طواعية!

﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ [آل عمران: ٢٦]:

تقديم يفيد الحصر، عنوان شكاواك لا يد أن يتغير بعد هذا الإعلان.

﴿وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨]:

قال الحسن البصري: «من رأفته بهم أن حذرهم نفسه!».

كم من معصية تُرتكب اليوم، يؤد صاحبها غداً: ﴿لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠].

بقدر اتباعك للنبي ﷺ تكون درجتك عند ربك: ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]:
الحب الحقيقي ليس بحلو الأقوال بل بصدق الأفعال.

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]:
قال السعدي: هذه الآية هي الميزان التي يعرف بها من أحب الله حقيقة، ومن ادعى ذلك دعوى مجردة، فعلامة محبة الله اتباع محمد ﷺ.

﴿إِنِّي مَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ [آل عمران: ٣٥]:

كانوا يجّهزون أبناءهم لحمل هم الدين قبل أن يولدوا، فما عذر من لم يحمل هم دينه أو أمته من مهده إلى لحده؟!

هم صلاح الذرية، واستعمالهم في مرضاة الله باب سبق تجاوز به الصالحون عمل اليوم إلى التخطيط للغد.

﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٦]:

تمنت أن يكون حملها ذكراً، ولم تعلم أن البركة في أن تحمل بطنها أنثى، وأنها ستكون أم نبي من أولي العزم من الرسل: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٦]:

زكريا لم يسأل ربه الولد إلا حين سمع مريم تقول: ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٣٧]، فبعض ما تسمع من كلمات هو رسائل من الله

إليك، لتتبه وتعرض لفضله!

﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ [آل عمران: ٣٧].
 ﴿وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾ [آل عمران: ٣٩].

.. في المحارب أرزاق تنتظر!

﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ [آل عمران: ٣٧].

يا من ضاق به الرزق، ها هو المحارب بين يديك.

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾ [آل عمران: ٣٨].

القلوب السليمة تفرح عند رؤية النعم على غيرها ولا تحسد، بل يتفاءل أصحابها بأن فضل الله الذي أصاب غيرهم قادر أن يصيهم.

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ [آل عمران: ٣٨].

لا تنتظروا -معشر الآباء- حتى يكبر أولادكم لتدعوا لهم بالصلاح، بل لدعوا لهم قبل مولدهم وقولوا: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾.

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ﴾ ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾
 ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾: هل عرفت الآن مكان الهبات والبشريات والأعطيات.

﴿يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾ [آل عمران: ٣٩].

كلما دنوت من موضع السجود، اقتربت منك بشائر المعبود.

﴿يُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنْ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ [آل عمران: ٣٩].

قال ابن عباس: «وَحَصُورًا: الذي لا يأتي النساء».

﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [آل عمران: ٤٥].

من الممكن أن تحوز أعظم الألقاب في الدنيا: رئيس، وزير، أمير، لكن ما الفائدة إن كانت العاقبة جهنم؟! أهم شيء: وجاهتك في الآخرة.

﴿تَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢].

الحرمان الحقيقي أن لا تكون من أنصار الله في معركة الصراع بين الحق والباطل.

الداعية الحكيم هو من يؤتیه الله جوامع الكلم، فيألف بها قلوب الناس:
﴿قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٤].

﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٣]:

ما ضاق أمر من ورائه رب واسع.

الأمانة هي الأمانة ولو كانت في دينار واحد: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ
يَقْنِطَ إِيَّاهُ إِنَّ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُوَدِّعُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ
قَائِمًا﴾ [آل عمران: ٧٥].

﴿قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتِ سَبِيلٌ﴾ [آل عمران: ٧٥]:

كان اليهود يستحلون أموال العرب. قال الحافظ ابن كثير:

«إنما حملهم على جحود الحق أنهم يقولون: ليس علينا في ديننا حرج في أكل
أموال الأميين، وهم العرب، فإن الله قد أحلها لنا، قال الله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ
عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥].

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتِ سَبِيلٌ﴾ [آل عمران: ٧٥]: سأل رجل
ابن عباس رضي الله عنهما: إنا نصيب في الغزو من أموال أهل الذمة الدجاجة والشاة.
قال ابن عباس:

فتقولون ماذا؟

قال: نقول ليس علينا بذلك بأس.

قال: «هذا كما قال أهل الكتاب ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتِ سَبِيلٌ﴾ [آل عمران: ٧٥]،
إنهم إذا أدوا الجزية، لم تحل لكم أموالهم إلا بطيب أنفسهم».

﴿كُونُوا رِبَايَنَ إِمَّا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَإِمَّا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩]:
لم يشغلهم تعليم الناس عن تعليم أنفسهم.

قدم تعليم القرآن على تلاوته؛ فمن بذل القرآن لغيره بورك له في تلاوته.

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾
[آل عمران: ٨٥]:

هذا تأييس لأهل الكتاب من النجاة في الآخرة، وردّ لقولهم: نحن على ملة إبراهيم؛ لذا فنحن ناجون على كل حال.

﴿لَنْ نَأْلُوا الْبَرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]:

قال ابن عباس: البر هو الجنة، أي لن تدخلوا الجنة حتى تبدلوا ما تحب النفس.

قال مجاهد: كان ابن عمر قائما يصلي، فأتى على هذه الآية: ﴿لَنْ نَأْلُوا الْبَرَّ حَتَّى

تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]، فأعتنق جارية له وهو يصلي قد أراد أن يتزوجها.

جاء سائل إلى الربيع بن خثيم يسأله، فخرج إليه في ليلة باردة، فنزع برنسا له

فكساه إياه، ثم تلا هذه الآية: ﴿لَنْ نَأْلُوا الْبَرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢].

كان عبد الله بن عمر يتصدق بالسكر، ويقول: سمعت الله يقول: ﴿لَنْ نَأْلُوا الْبَرَّ

حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ والله يعلم أني أحب السكر.

من روائع المتدبرين



صحابي جليل هو عامر بن ربيعة يأتيه ضيف فيكرمه، فيذهب الرجل إلى رسول الله ﷺ، ويطلب منه أن يعطيه أرضًا فأعطاه رسول الله ﷺ، فذهب إلى عامر ليخبره ويقول له: إني استقطعت رسول الله ﷺ واديًا ما في العرب أفضل منه، ولقد أردت أن أقطع لك منه قطعة تكون لك ولعقبك، فقال له عامر: لا حاجة لي في قطيعتك! نزلت اليوم سورة أذهلتنا عن الدنيا: ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١].

تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ١٦٤ - مكتبة العبيكان.



الجزء الرابع

من سورة آل عمران الآية ٩٣

إلى سورة النساء الآية ٢٣

عدد الفوائد ١٣٨

﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران : ٩٧]:

من لم يحج حج الفريضة وهو قادر عليه، فقد كفر بنعمة الله عليه.

قال عمر رضي الله عنه: «لقد هممتُ أن أبعث رجالاً إلى الأمصار، فينظرون إلى من كان له مال ولم يحج، فيضربون عليه الجزية، فذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾».

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا...﴾ [آل عمران : ١٠٣]:
كلُّ الحبال التي تشبَّث بها قد تنقطع، إلا حبل الله المتين!!

الأخوة في الله نعمة، فهل أدبنا شكرها؟!

يتفاوت الإخوان في خيريتهم، فعلى أي أساس يقع هذا التفاوت؟ يجب ابن حبان قائلًا: «خير الإخوان أشدهم مبالغة في النصيحة»، فاتخذ صاحبًا يحصي عليك!

﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾ [آل عمران : ١٠٣]:

سمع أعرابي هذه الآية، فقال: والله ما أنقذهم منها وهو يريد أن يعيدهم فيها. فقال ابن عباس: خذوها من غير فقيه.

﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران : ١٠٤]:

لا فلاح لأمة ليس فيها مصلحون، ومهما كثر فيها الصالحون.

حينما عظمنا أمر الله عظم قدرنا، وحين هان علينا أمر الله هُنا عليه.

﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ [آل عمران : ١٠٤]:

إن لم تكن معهم داعيًا، فلا أقل من أن تستجيب لدعوتهم؛ حتى تُحسّر في ركايبهم.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا﴾ [آل عمران : ١٠٥]:

قدّم التفرق على الاختلاف؛ لأن اختلاف (الأقوال) يسبقه (تفرق) القلوب.

جاءت بعد ذكر آيات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن ترك شعيرة الأمر والنهي موجب للفرقة والاختلاف.

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران : ١٠٦]:

كل عمل تعلمه اليوم إما أن يبيّض وجهك يوم القيامة أو يسوّده، فراجع أعمالك لأنها بها لون وجهك ومصيرك غداً.

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران : ١١٠]:

للناس وليس للمسلمين، فالمسلم خير للبشرية جمعاء.

﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران : ١١٠]:

أمة فريدة بين الأمم! أُخْرِجَتْ خصيصاً لهم! كأنها من نسيج آخر غير نسيج الأمم.

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ [آل عمران : ١١٠]:

مجرد الانتهاء لهذه الأمة لا يقدم أو يؤخر، ولا يرفع ولا يخفض! فخيرية الأمة معلّقة

بشرط: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران : ١١٠]:

﴿أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران : ١١٠]:

الناس في هذا العالم في أمس الحاجة إليكم.. أكبر بكثير مما تتصورون.

﴿لَنْ يَضُرَّوْكُمْ إِلَّا أَذًى﴾ [آل عمران : ١١١]:

تسليّة للخائفين، فمهما تسلط عليكم الأعداء لن يضرّوكم إلا أذى يسيراً، ولن تكون لهم العاقبة.

﴿يَتْلُونَ ءَايَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران : ١١٣]:

قال ابن عطية: «قيام الليل لقراءة العلم المبتغى به وجه الله داخل في هذه الآية».

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خِيَالًا﴾

[آل عمران : ١١٨]: إياك أن تطلب الاستشارة أو النصيحة إلا من مؤمن.

﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران : ١١٨]:

الأسنة مغارف الصدور.

أخفوا بغضهم، ففضحهم الله بقلبات ألسنتهم.

﴿يُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ [آل عمران : ١١٩]:

كان المؤمنون يحبون المنافقين بناء على ظاهر حالهم، فالؤمن يحكم على الظاهر ولا ينبش أو يفتش في البواطن.

﴿وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرَّكُمْ كَيْدُهُمْ﴾ [آل عمران : ١٢٠]:

الوقاية من كيد العدو سبيلها الأوحاد: التقوى والصبر.

سورة آل عمران يد حانية ومفتاح سكيته غامرة لمن طال طلبه للرزق حتى يشس

﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ .. أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى﴾، ولطالبي النصر والفرج: ﴿وَلَقَدْ

نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران : ١٢٣].

﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران : ١٢٦]:

اختصار الطريق إلى النصر يكون بطلبه من الله وحده، ولا دخلنا في المتاهة.

﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [آل عمران : ١٢٦]:

نصرهم الله يوم بدر بخمسة آلاف من الملائكة، وحتى لا تتعلق القلوب بالأسباب

وتغفل عن رب الأسباب، فقد ذكرهم بهذه الحقيقة: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾.

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]:

مكان النصر وزمانه ليس لك وإن كنت نبياً!

قال السعدي: «إنما عليك البلاغ وإرشاد الخلق والحرص على مصالحهم، وإنما الأمر لله هو الذي يدبر الأمور، ويهدي من يشاء ويضل من يشاء».

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٠]:

المؤمن الحق لا ينتظر شواهد من الواقع حتى يمثل لأمر الله، بل يبادر بتنفيذ الأمر مباشرة.

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران: ١٣٣]:

أمرنا بالمسارعة إلى المغفرة؛ لأن بابها يُغلق بموت الجسد الذي يأتي فجأة، وموت القلب هو الذي يمنع من التوبة.

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾

[آل عمران: ١٣٣]: هل رأيت كريماً يأمر من يغدق عليه بالإسراع لنيل ما لديه؟! ما أكرم الله رب العالمين!

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾ [آل عمران: ١٣٣]:

قال رسول الله ﷺ: (التَّوَدُّةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا فِي عَمَلِ الْآخِرَةِ).

﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]:

المتقون تنزهوا عن أشياء من الحلال مخافة الوقوع في الحرام فساهم الله (متقين).

﴿...لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ [آل عمران: ١٣٣، ١٣٤]:

جعل الله أول صفات المتقين أنهم ينفقون؛ لأن الإنفاق دليل يقين بالآخرة وصدق إيمان بالجزاء.

﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]:

ليسوا جoadات لا تشعر ولا تحس، بل هم لحم ودم يشعر بنار الغيظ والألم، لكنه يحبسه.

﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٤]

قال الحسن بن علي: «لو أن رجلاً شتمني في أذني هذه واعتذر في أذني الأخرى لقبِلْتُ عُذْرَهُ».

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا﴾

[آل عمران: ١٣٥]: ليست الغرابة مع الذنوب في السقوط، لكن الغرابة ألا تحاول النهوض.

أخطر من الوقوع في الحرام، أن تُحرَم الإحساس بمرارة الآثام!

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ..﴾ [آل عمران: ١٣٥]:

يروى أن ابن مسعود قال: هذه الآية خير لأهل الذنوب من الدنيا وما فيها!!

قال ثابت البناني: بلغني أن إبليس لما نزلت هذه الآية ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا

فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٣٥] بكى.

﴿وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥]:

مهما عفا عنك البشر سيظلون يحتفظون في قلوبهم نحوك بشيء، الله وحده هو من يعفو زلاتك ويمحو عثراتك.

﴿خَلْدِيكَ فِيهَا﴾ [آل عمران: ١٣٦]:

اعمل من الطاعات بقدر بقائك في الجنة، وما أكرم من يكافئ على العمل المحدود بشواب يتجاوز العقول وكل الحدود.

القرآن مليء بما يبعث على التفاؤل: ﴿لَا تَقْنَطُوا﴾ ﴿وَلَا تَيْأَسُوا﴾ ﴿وَلَا

تَهِنُوا﴾ ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾

فتفاءلوا يا أهل القرآن.

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ [آل عمران: ١٣٩]:

لوقالها لك أحد أحبائك لحفف أحزانك! اسمعها من الله يواسيك ويخفف مآسيك..

﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]:

للعبد من العلو بحسب ما معه من الإيمان.

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]:

قال الألويسي: «فلا تهنوا ولا تحزنوا، فالإيمان يوجب قوة القلب، ومزيد الثقة بالله، وعدم المبالاة بأعدائه».

لا تشمت يوماً بما يغريك؛ فالأيام دوارة.

﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]:

يا صاحب الكرب: سُنَّةُ الله قضت أن يومك الجميل قادم في الطريق. الشدة بعد الرخاء، والرخاء بعد الشدة، هما كتعاقب الليل والنهار والحر والبرد، سُنَّةٌ من سنن الله في الكون.

﴿وَيَتَّخِذْ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ..﴾ [آل عمران: ١٤٠]:

الشهادة ليست صدفة أو خبط عشواء، إنما هي اتخذ من الله واصطفاء. يمشي الشهداء اليوم بيننا ولا تشعر بهم، لكن عين الله ترعاهم وتحرسهم، فإذا اقترب موعد اللقاء، شرفهم الله بالموت في سبيله.

﴿وَلِيَمِخَصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [آل عمران: ١٤١]:

أي يختبرهم حتى يخلصهم بالبلاء من العيوب والأمراض والعلل، كالذهب الخالص يتخلص من الشوائب بالنار، فيصير نقيًا لا خبث فيه.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ

الْقَادِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢]:

كلما عظم المطلوب صعبت وسيلته، وأعظم مطلوباتنا الجنة.

﴿وَكَايْنٍ مِنَ نَبِيِّ (قُتِلَ)﴾ [آل عمران: ١٤٦]:

قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب، بضم القاف من (قُتِلَ)، النبي قُتِلَ والريون قُتِلوا فيها وهنوا.

﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]:

افترض أنك لم تر عاقبة الصبر في الدنيا، ألا تكفيك محبة الله؟!

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ

الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧]: الذنوب تؤخر النصر؛ لذا شرع الاستغفار

قبل الدعاء بالنصر.

كان أتباع الرسل إذا لقوا عدوهم خافوا عاقبة تقصيرهم وتأثير ذنوبهم، فقالوا:

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا﴾ [آل عمران: ١٤٧].

﴿فَقَالَتْ لَهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ﴾ [آل عمران: ١٤٨]:

ثواب الدنيا تعثره الأكدار؛ لذا لم يصفه بالحسن، بعكس نعيم الجنة الذي لا

كدر معه، فهو الحُسن كله.

﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٠]:

الفرج عنده، والنصر عنده، والأمن عنده، والسعادة عنده، والخير كله عنده،

فهنيئًا لك إن تولاك!

﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ [آل عمران: ١٥١]:

قال ابن تيمية: «تخويف الكفار والمنافقين وإرعابهم هو سلاح رباني وفضل إلهي

لا دخل للمؤمنين فيه».

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ﴾

[آل عمران: ١٥٢]: ليست من الإحساس كما يتبادر بل من الحس وهو القتل،

أي إذ تقتلونهم بإذنه.

﴿حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٢]:

الذنوب تؤخر النصر، هُزم الصحابة في أحد بسبب معصية قلة منهم (٤٠ رجلاً

من أصل ٧٠٠ هم عدد جيش المسلمين).

﴿مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾ [آل عمران: ١٥٢]:

لو عذر الله أحداً بالغفلة عن نيته، لعذر الصحابة يوم أحد وجراحهم تنزف، فلا تغفل عن حراسة قلبك وتعاهد نيتك مهما حدث.

سبب نزولها:

نزلت في أصحاب النبي ﷺ وهم في أرض الجهاد، وتحت وقع السيوف، فما يُقال فينا اليوم ونحن ننافس على حطام الدنيا الفانية؟!

﴿إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَكُونُوا عَلَى أَحَدٍ﴾ [آل عمران: ١٥٣]:

ليس معنى (تَصْعَدُونَ) أي ترقون من الصعود؛ بل من الإصعاد وهو الركض على الأرض (الصعيد).

﴿فَأَثْبِكُمْ غَمًّا يَغْمِرُ لِكَيْلًا تَحْزَنُوا﴾ [آل عمران: ١٥٣]:

تخلص من همومك الصغيرة بتبني الهموم السامية الكبيرة.

﴿فَأَثْبِكُمْ غَمًّا يَغْمِرُ﴾ [آل عمران: ١٥٣]:

فأثابكم! هل تخيلت يوماً أن الهم قد يكون ثواباً؟ يوم القيامة ستكتشف أن بعض أحزانك قد حثك من النار وأدخلتك الجنة.

﴿فَأَثْبِكُمْ غَمًّا يَغْمِرُ لِكَيْلًا تَحْزَنُوا﴾ [آل عمران: ١٥٣]:

إذا تابعت عليك الآلام، فاعلم أنك على موعد مع رحيل الأحزان!

﴿ثُمَّ أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنٌ﴾ [آل عمران: ١٥٤]:

الأمن والأمان منبعهما القلب، والقلب لا سلطان لأحد عليه إلا الله؛ ولذا كان الأمن والأمان من الله وحده.

﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤]:

إما أن نحمل هم غيرنا بالإشارة أو ستمحور حول ذاتنا بالأنانية والأثرة.

﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ

كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، ثم تم قرير العين!

﴿قُلْ إِنْ أَمَرْتُكُمْ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]:

سأل الذي بيده كل شيء أن يعطيك أي شيء!

تأكيد رباني جازم ينزع عنك أوهامًا ثلاثة: تعلق القلب بغيره والتوكل على عدتك وعددك، والشك في وعده، وسوء الظن بربك.

﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾

[آل عمران: ١٥٤]: قال الحجاج لأم سجين: سأقتل ابنك، فقالت: لو لم تقتله مات!

﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤]:

أنزل الله الابتلاء بعباده ليختبر الله ما في صدورهم من حسن الظن به أو سوء الظن.

قال الزجاج: «أي ليختبر الله تعالى ما في صدوركم بأعمالكم، فإنه قد علمه غيبًا، ويريد أن يعلمه شهادة لتقع المجازاة عليه».

ختم الله بهذه الجملة الآية حتى لا يظن ظان أن الابتلاء يضيف لله سبحانه علمًا جديدًا، ويعلمه ما لم يكن يعلم، حاشاه سبحانه!

﴿إِنَّمَا أَسْأَزَلَهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ [آل عمران: ١٥٥]:

بعض ذنوبك أو ثباتك السيئة؛ قد تكون سببًا في تسلط الشيطان عليك وصرفك عن الحق!

قيل لأبي سليمان الداراني: ما بال العقلاء أزالوا اللوم عن أساءهم؟! فقال: إنهم علموا أن الله ابتلاهم بذنوبهم ثم قرأ: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠]:

﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا﴾ [آل عمران: ١٥٦]:

﴿لَوْ﴾ حرف يفتح باب الحسرة على مافات، والتردد في ما هو آت، لا تقل أبدًا: لو!

﴿فَمَا رَحِمُوا مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْهُمْ لَبَلَغُوا الْبَرْقَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]:

النفوس تنفر من الغليظ القاسي مهما بلغ من العلم والحكمة والخبرة.

﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]:

كل من (انفَضَّ) الناس من حوله، فعليه أن يراجع (فظاظته).

قرن بين فظاظه القول وغلظة القلب، فتعرَّف على طبيعة قلبك عن طريق مراقبة لفظك.

لو جمعت علوم أهل الأرض وذكاءهم، فلن تدخل القلوب إلا بطرق أبوابها بالكلمة الطيبة والمعاملة الهينة.

قيلت في محمد ﷺ وهو المؤيد بالوحي وصاحب النبوة، فكيف بمن هو دونه؟!

﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]:

تعجَّب من استبد برأيه ولم يشاور أحدًا، وقد شاور خير الخلق وصفوة رسل الله أصحابه.

توجيه رباني ومنهج محمدي.

ما أبعدهما عن قول: ﴿مَا أَرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى﴾ ، وهو أسلوب فرعوني ومنهج استبدادي! لا تتفرعن ولا تستبد!

المشورة تلقيح الرأي بآراء أخرى كما قال الشاعر:

شاور سواك إذا نابتك نائبة .. يومًا وإن كنت من أهل المشورات

سين: لم تحتاج المشورة ولو كنت من أهل الرأي والمشورة؟!

جيم: فالعين تنظر منها ما دنا ونأى .. ولا ترى نفسها إلا بمرآة

﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]:

متى عزمتم وصممت فتوكل على الله، وامض نحو هدقك بلا تردد، وثق أن الله لن يخذلك.

قال القشيري: وحقيقة التوكل شهود التقدير، واستراحة القلوب عن كد التدبير.

﴿هُم دَرَجَتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٦٣]:

كلما كسلت عن الطاعات وضعفت عن المسارعة في الخيرات، فتذكر قوله: ﴿هُم دَرَجَتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٦٣]، فدرجتك يوم الجزاء غداً بحسب نصيبك من الاجتهاد اليوم.

﴿أُولَٰئِكَ أَصَبْتُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥] لا تلومن إلا أنفسكم، وفش عن تقصيرك قبل أن تتهم غيرك.. هذه وصية القرآن.

﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥]:

لم يكن على وجه الأرض أحب إلى الله من الصحابة، ومع هذا خاطبهم بهذا الخطاب؛ لأن من يجبك يضعك أمام مسؤولياتك دون موارد، ولا يحاييك على حساب الحق.

﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]:

قدم (الرب) على (الرزق) لأن جوار الرب أعظم رزق.

تكفيهم والله هذه العنيدة! وأن ينظروا إلى الله سبحانه وهم في جواره!

﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾

[آل عمران: ١٧٢]: أصدق الحب في استمرار البذل رغم ألم الجراح.

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾

[آل عمران: ١٧٣]: المؤمن شديد التفاؤل، وعلامة ذلك أن نفس أدلة المشائمين هي أقوى باعث على تفاؤله!

﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]:

كان معاوية رضي الله عنه يقول: «إني لأستحيي أن أظلم من لا يجد علي ناصراً إلا الله».

قد تنزل البلاءات بالمؤمن حتى لا يبقى في قلبه ما يتعلق به إلا (الله).

﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]:

لم يحصل لهم الخوف الشديد من اجتماع عدوهم، بل على العكس: ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾

﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]:

تعلق القلوب عند الشدة بالخلق؛ لذا شرع الله لنا أن نقول: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ عند كل شدة؛ حتى يصرف العبد همّه عن لا ينفعه أو يضره إلى من بيده النفع والضرر.

﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]:

دعاء قاله المسلمون يوم الجراح والآلام في أحد: ﴿فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّ لَهُمْ سُوءٌ﴾ [آل عمران: ١٧٤]، فالأحرى بكل من عانى نفس المعاناة أن يقلدّهم ويقتفي الأثر.

﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ، فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوايَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]:
أصوات الخوف شيطانية كاذبة، فكيف تصغي إليها وربك يطمئتك: لا تخف.

﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوايَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]:

في الحديث النبوي: «لا يمتنع أحد مخافة الناس أن يتكلم بالحق إذا رآه أو عرفه».
صحيح ابن حبان رقم: ٢٧٨

﴿وَلَا يَحْزَنُكَ﴾ ﴿لَا تَحْزَنُ﴾ ﴿لَا تَحْزَنُوا﴾ الحزن يوهن القوى ويضعف
الهمم؛ ولذا تكرر النهي عنه في القرآن، فنقذ الأمر، وقاوم الحزن، وتفاءل!

﴿إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾ [آل عمران: ١٧٨]:

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ خَيْرًا لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾ [آل عمران: ١٧٨]: قال القشيري:

«من تمام المكر بهم والمبالغة في عقوبتهم أننا نعدّ بهم وهم لا يشعرون! ونستدرجهم من حيث لا يعلمون، نُملي لهم فيظنون ذلك إنعامًا، ولا يحسبونه انتقامًا! وقد اتضح لكل ذي بصيرة أن ما يكون سبب العصيان وموجب النسيان غير معدود من جملة الإنعام».

﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَيْثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾

[آل عمران: ١٧٩]: قال ابن كثير: «لا بد أن يعقد سبباً من المحنة يُظهر فيه وليّه، ويفتضح فيه عدوّه، يُعرّف به المؤمن الصّابر، والمنافق الفاجر».

﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١]:

سبب نزولها:

قال الحسن ومجاهد في سبب نزولها: «لما نزلت: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقرضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾، قالت اليهود: إن الله فقير يستقرض منا ونحن أغنياء»، وذكر الحسن أن القائل هو حيي بن أخطب.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]:

الموت ليس نهاية الرحلة بل بدايتها، فإما نعيم وإما جحيم، فحدّد وجهتك من اليوم!

﴿وإِنَّمَا تُوفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]:

أجر المؤمن: الثواب، وأجر الكافر: العقاب، ولفظ التوفية ﴿تُوفَّوْنَ﴾ يشعر أن قبلها في الدنيا أو البرزخ بعض الأجور، لكن توفية الأجور وتكملها لا يكون إلا يوم القيامة.

﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]:

الزحزحة تكون بعمل يسير، فربّ عمل صغير زحزحك عن النار، فإياك واستصغار أي عمل صالح!

﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥]:

بين الجنة والنار مقدار (زحزحة)، فما أفقرك غداً إلى حسنة واحدة تزحزحك عن النار هذه الزحزحة!

تعريف جديد ووحيد للفوز.

والله لو لم يكن إلا النجاة من أهوال النار لكان فوزاً عظيماً، فكيف لو أضيف إليه دخول الجنة، فوز من وراء فوز.

﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ﴾

[آل عمران: ١٨٨]: قال السعدي: «بالخير الذي لم يفعلوه، والحق الذي لم يقولوه، فجمعوا بين فعل الشر وقوله، والفرح بذلك».

﴿ إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠]:

بكى عليه الصلاة والسلام حتى بلّ لحيته وقال: لقد أنزلت علي الليلة آيات.. وبيل لمن قرأها ولم يتفكر فيها!

﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ .. وَيَتَفَكَّرُونَ ﴾ [آل عمران: ١٩١]:

الطاعة ولودا فكثره الذكر قادتهم لعبادة أخرى وهي عبادة الفكر.

﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [آل عمران: ١٩١]:

قال أبو سليمان الداراني: «إني لأخرج من منزلي فما يقع بصري على شيء إلا رأيت لله علي فيه نعمة ولي فيه عبرة».

﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ﴾

[آل عمران: ١٩٣]: قال محمد بن كعب القرظي: «ليس كل الناس سمع النبي ﷺ، ولكن المنادي القرآن».

﴿ وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾ [آل عمران: ١٩٣]:

سئل الحسن البصري عن الأبرار، فقال: «هم الذين لا يؤذون الدُّرَّ».

﴿ لَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ * مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ ﴾

[آل عمران: ١٩٦]: مهما طال نعيمهم وكثر، فما هو إلا قطرة في بحر ما ينتظرهم من أهوال النار.

﴿ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴾ [آل عمران: ١٩٨]:

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: ما من مؤمن إلا والموت خير له، ومن لم يصدقني؛ فإن الله يقول: ﴿ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴾.

سورة النساء

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١]:

قال ابن القيم: «وصلة الرحم واجبة وإن كانت لكافر، فله دينه وللواصل دينه».

﴿وَعَاثُوا آلِيَنَّمَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء: ٢]:

من السبع الطوال في القرآن، وثاني آية منها ﴿وَعَاثُوا آلِيَنَّمَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء: ٢]! في ظل الإسلام العظيم، لا خوف على حَقِّك مهما كنت ضعيفًا.

﴿وَلَا تَبَدَّلُوا الْحَبِثَ بِالطَّيِّبِ﴾ [النساء: ٢]:

قال سفيان الثوري عن أبي صالح: «لا تعجل بالرزق الحرام قبل أن يأتيك الرزق الحلال الذي قُدِّرَ لك».

﴿ذَلِكَ أَذَىٰ لَا تَعُولُوا﴾ [النساء: ٣]:

أي تجوروا وتميلوا عن الحق، من عال الميزان عولاً إذا مال، ومنه عال الحاكم إذا جار، ثم استعول في الميل المعنوي؛ لأن تعدد الزوجات يعرّض صاحبه غالباً للجور.

﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ﴾ [النساء: ٦]:

الحقوق المالية لا بد لها من توثيق ولو كانت بين الأقربين.

﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾ [النساء: ٨]:

هذه وصية لمن عنده خادم أن يصرف له راتب شهر عند شهود الميراث، فإن النفوس تشوف للعطاء، فوسّع على غيرك كما وسّع الله عليك.

اليتم إما طريق الجنة (أنا وكافل اليتيم في الجنة)، وإما طريق النار: ﴿إِنَّ الَّذِينَ

يَاكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠].

﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ ﴾ [النساء: ١٧]:

تأمل رحمة الله في قوله (على)، فجعل التوبة حقاً أحقه على نفسه سبحانه، فما من تائب إلا وجعل الله على نفسه حقاً أن يقبل توبته.

﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ﴾ [النساء: ١٧]:

إقدامك على المعصية ليس جهلاً بحرمتها، وإنما هو جهل بعظمة من عصيت!

﴿ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ ﴾ [النساء: ١٧]:

قال أبو العالية: «سألت أصحاب النبي ﷺ عن هذه الآية، فقالوا: كل من تاب قبل الموت فقد تاب من قريب».

﴿ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْنَهُنَّ ﴾ [النساء: ١٩]:

جمع الله هنا بين عمليين من أعمال الجاهلية نهى عنها، فالأول: كانوا يرثون النساء كالميت، والثاني: العضل أي المنع من التزويج، فكان أولياء الميت يمنعون زوجته من الزواج بعده، ويتركونها على ذلك حتى تدفع لهم ما أخذت من ميراث الميت، أو تموت فيرثوها.

﴿ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ١٩]:

خيراً كثيراً، ولو بدون حب، فليس على الحب وحده يقوم الزواج.

﴿ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ١٩]:

ليس فقط ذهاب ما تكره، وليس عكس ذلك من الخير فحسب، بل وكثيراً أيضاً.

لو قال خيراً لكفى؛ فكيف وهو خير كثير؟! ﴿ كَثِيرًا ﴾ لدرجة أن ينسبك

آلامك، فتفعل معها كأن الألم بالغاً!

قد تكون كراهية الشيء أول الخير فيه، فأحسن الظن باللطيف الخبير.

﴿ وَأَخَذَتْ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ [النساء: ٢١]:

رباط الزوجية أعظم عقد وميثاق، فلا تحل هذا العقد في لحظة غضب.

الجزء الخامس

من سورة النساء الآية ٢٤

إلى سورة النساء الآية ١٤٧

عدد الفوائد ١٣٣

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٧]:

لا تعاند ربك فتؤذي نفسك؛ وذلك بإرادة المعصية وإصرارك عليها.

﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٢٧]:

هل أدركت الآن حجم المؤامرة التي فضحها الله في كتابه؟!

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ .. [النساء: ٢٧]

﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ .. [النساء: ٢٨]: ما أحلم الرب في تودده إلى العبد!!

﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]

فلا قوة له إلا بربه، فاقترب من ربك، واستمد منه القوة.

سئل الثوري عن قوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]: ما

ضعفه؟ قال: المرأة تمر بالرجل فلا يملك نفسه عن النظر إليها، وهو لا يتنفع

بها؟ فأى شيء أضعف من هذا؟!

خلقنا الله ضعفاء لنفتقر إليه، فإذا افتقرنا إليه قوينا!

بلغ من ضعفه أن كلمة تُعِده، وأخرى تُحزله، وثالثة تغضبه، ورابعة تُقلقه،

فأى شيء أضعف من هذا؟!

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]:

قال الفضيل بن عياض: «لا تغفلوها عن ذكر الله، فإن من أغفلها عن ذكر الله - تبارك وتعالى - فقد قتلها».

﴿إِنْ تَحْتَبِئُوا كِبَارًا مَّا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١]:

مجرد اجتناب الكبار يكفر عنا الصغائر! فأبي كرم هذا؟!

﴿وَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٣٢]:

لم نسمع بكريم قال لأحد: سألني، ثم لم يعطه، فكيف بأكرم الأكرمين؟! وهو الذي قال: ﴿وَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾.

قال سفيان الثوري: «ما أمر بالمسألة إلا ليعطي».

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [النساء: ٣٢]:

ادفع الحسد عن قلبك بدعاء ربك وسؤال فضله.

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [النساء: ٣٢]:

نهى الله عن مجرد تمنى ما في أيدي الغير، وهو عمل القلب، فكيف بالعدوان عليهم وهو عمل الجوارح؟!

ذكرنا الله بأن تفضيل بعضنا على بعض محض فضل إلهي لا دخل للعبد فيه؛ لئلا يسخط المفضل، أو يفخر الفاضل.

﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ﴾ [النساء: ٣٤]:

تفقد المرأة من صلاحها بمقدار ما تفقد من حفظها لسر زوجها.

﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ [النساء: ٣٤]:

لطف الله بالنساء ورحم ضعفهن حتى جعل عقوبتهن مجرد كلمة وعظ!

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٤]:

لن يردع الزوج عن ظلم زوجته شيء أعظم من تذكره عظمة الله وعلوه وكبره!

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ، وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ [النساء: ٣٥]

قال الزمخشري: «وإنما كان الحكمان من أهلها؛ لأن الأقارب أعرف ببواطن الأحوال، وأطلب للصالح، وإليهم تسكن نفوس الزوجين، ويبرز إليهم ما في ضائرتهم من الحب والبغض، وإرادة الصلح والفرقة، وموجبات ذلك ومقتضياته، وما يزويانه عن الأجانب، ولا يجبان أن يطلعوا عليه».

﴿إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ [النساء: ٣٥]

صدق إرادة الإصلاح عند الزوجين من أهم أسباب التوفيق بينهما عند الخلاف.

قال القاسمي: «من أصلح نيته فيما يتوخاه؛ وفقه الله تعالى لمبتغاه».

﴿وَالصَّاحِبِ بِالنَّجَبِ﴾ [النساء: ٣٦]

على الصاحب لصاحبه حق زائد على مجرد إسلامه من:

مساعده على أمور دينه ودنياه،

والنصح له،

والوفاء معه في اليسر والعسر،

وأن يحب له ما يحب لنفسه.

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦]

هب العالم كله ضجّ بامتيازاتك وتكلم عن إنجازاتك، لكن ربك لا يحبك!!

﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ [النساء: ٣٧]

أي يحضون الناس عليه، وهذا أشد البخل، وهؤلاء هم المنافقون، ويحتمل أن يراد به كتمان التوراة بما فيها من صفة النبي ﷺ، وعلى هذا يكون المراد هنا اليهود، وهو المأثور عن ابن عباس.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضَاعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠]:

قال قتادة: «لأن تفضل حسنتي ما يزن ذرة أحب إلي من الدنيا وما فيها».

﴿وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضَاعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠]:

من مضاعفتها نشر ثناء الناس عليها، ودعاؤهم لصاحبها.

يضاعفها إلى كم؟ قال السعدي: «إلى عشرة أمثالها إلى أكثر من ذلك، بحسب

حالتها، ونفعها، وحال صاحبها إخلاصاً ومحبة وكمالاً».

﴿وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]:

قال ابن عطية: «الله إذا منّ بتفضله.. بلغ بعبدته الغاية!».

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ [النساء: ٤١]:

يكي الشاهد هنا، فماذا عن المشهود عليهم؟

﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣]:

كم من مُصَلٍّ غافلٍ من سكرة هواه، لا يعلم ما يتلوه في الصلاة.

﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ﴾ [النساء: ٤٣]:

قال السعدي: «فيه إشارة إلى أنه ينبغي لمن أراد الصلاة أن يقطع عنه كل شاغل

يشغل فكره».

﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [النساء: ٤٣]:

أعظم موضع يحتاج إلى التصريح هو موضع الأحكام الشرعية، ومع هذا كثي

القرآن فيه، فحافظ على رُقِيِّ كلماتك في جميع أحوالك.

﴿وَكُفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا﴾ [النساء: ٤٥]:

إذا تخلى الناس عنك في كربك، فاعلم أن الله يريد أن يتولاك.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بِاللَّهِ يَزْكِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٩]:

يزكك الله وينشر لك الذكر الحسن بقدر ما تقاوم تزكية نفسك ومدحها.

﴿بَلِ اللَّهِ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٩]:

إن لم تكن تزكيتك من رب الأرض والسماء، فلن ينفعك عند الناس تزكية ولا ثناء.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنفُسَهُمْ بِاللَّهِ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ

فَتِيلًا﴾ [النساء: ٤٩]:

تزكية النفس عادة يكرهها الله وينفر منها الناس، فلم تفعلها؟!

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٥٤]:

لا تحسد أحداً على نعمة من النعم، فأنت لا تعلم ماذا حرمه الله أو أصابه من النقم!

الحاسد معترض على ربه لا على من حسده.

﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦]:

﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [النساء: ٥٦]:! هذا حالهم.. كلما ظنوا تخفيفاً زيد في

عذابهم، فمن الذي يطبق هذا؟!

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]:

أخذ النبي ﷺ مفتاح الكعبة من عثمان بن طلحة فأمره ربه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ

تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، فكيف بالأمانة في ما هو أعظم من مفتاح!

قال السعدي: «الأمانات يدخل فيها أشياء كثيرة، وأداؤها بأن يجعل فيها الأكفاء لها».

﴿إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ [النساء: ٥٨]:

أعظم المواعظ مواعظ القرآن.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُتَنَفِّقِينَ

يَصُدُّونَ﴾ [النساء: ٦١]:

إذا أردت كشف المنافق، فتحاكم معه إلى الكتاب والسنة، وراقب موقفه.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ [النساء: ٦٣]:

انصح سرّاً فهو أرجى للقبول.

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥]:

إيمان بلا تسليم لأحكام الشرع هو محض هراء.

﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾

[النساء: ٦٥]: الاستقامة لا تعني فقط فعل الطاعات، بل لزوم الحق والإذعان له في كل الأحوال.

﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ﴾ [النساء: ٦٥]:

من دلائل الإيمان الصادق: التسليم التام لأمر الله من غير أدنى حرج في النفس.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ [النساء: ٦٦]:

فعل المواعظ وتنفيذها من أهم أسباب الثبات على الحق.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ [النساء: ٦٦]:

أكثر الناس انتكاساً؛ أقلهم عملاً بما يوعظ به.

﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾

وَالصَّالِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩]: قدّم الصديق على الشهيد لأن الحياة في سبيل الله

أصعب من الموت في سبيله.

﴿قُلْ مَنَعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النساء: ٧٧]:

قليل .. لا يستحق أن تبكي على فقده، ولا أن تقلق من أجله.

قال السعدي: «لذات الدنيا مشوبة بأنواع التنغيص وزمانها منقضية، والآخرة

دائمة النعيم وأهلها خالدون، فإن فكر العاقل عرف الأحق بالإشارة».

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩]:

فهمت من هذه الآية أن أحزائي وقلقي ومخاوفي من صنع يدي، وأن سعادي

قرار شخصي، وأن الناس لا يستطيعون -مهما فعلوا- أن يشقوني.

الابتلاء تذكير عملي بذنوبك كي تتوب منها.

﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾ [النساء: ٨٢]:

قال ابن القيم: «فقرأة آية بتفكر وتفهم خير من قراءة ختمه بغير تدبر وتفهم».

﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنَيطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾

[النساء: ٨٣]: اللسان في الفتن وقعه كوقع السيف، ومنهج المؤمن في الفتن إمساك اللسان، واستشارة العلماء الثقات.

﴿ مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا ﴾ [النساء: ٨٥]:

الشفاعة هي الوساطة في إيصال خير أو دفع شر، سواء كانت بطلب من المتفع أم لا، وتكون بلا مقابل، ومنها الشفاعة للمظلومين، وفي الحديث: «اشفعوا توجروا».

﴿ مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا ﴾ [النساء: ٨٥]:

بعضنا يتردد في الشفاعة لأنه يخاف على مكانته، ويرى أنه لن يستفيد من الشفاعة شيئاً، فوعده الله بنصيب منها.

﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِينًا ﴾ [النساء: ٨٥]:

الآية الوحيدة في القرآن التي ورد فيها اسم الله المقيت، فلا تحمل الهم، إنما أنت شيء من الأشياء، فلن يعجز المقيت أن يدبر لك (قوتك).

﴿ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِحِجَّةٍ فَحَيَّوْا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوْهَا ﴾ [النساء: ٨٦]:

ما أجمل (الكرم) ولو كان في (التحية).

﴿ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِحِجَّةٍ فَحَيَّوْا بِأَحْسَنَ مِنْهَا ﴾ [النساء: ٨٦]:

دين يعلمنا الإحسان في كل شيء حتى في التحية.

﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُتَفِقِينَ فِتْنَةٍ ﴾ [النساء: ٨٨]:

ليس العجب من مرض المنافقين، ولكن العجب من انقسام أهل الحق فيهم إلى فريقين!

لما كان للمنافق وجهان، كان مفهوماً أن يكون للصالحين فيه رأيان مختلفان، بحسب ما يراه كل واحد منهما.

﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [النساء: ٨٩]:

الضال يتمنى أن يكون الناس كلهم مثله، كي لا يشعر بوحشة الانحراف.

قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: «ودت الزانية لو زنى النساء كلهن».

﴿سَتَجِدُونَ ءَاخِرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُواكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلٌّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ

أَرْكَسُوا فِيهَا﴾ [النساء: ٩١]: هم قومٌ من أسد و غطفان كانوا إذا أتوا المدينة أسلموا وعاهدوا ليامنوا المسلمين، فإذا رجعوا إلى قومهم كفروا ونكثوا عهدهم ليامنوا قومهم، وما هم بمخلصين الود لأبي من الفريقين، ففيهم نزلت هذه الآية.

﴿سَتَجِدُونَ ءَاخِرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُواكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلٌّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ

أَرْكَسُوا فِيهَا﴾ [النساء: ٩١]: المؤمن حازم صارم، فأمر الله المؤمنين أن يأخذوا ويقتلوا المتلاعبين بالدين، الذين يظهرون الإسلام مع المسلمين، فإذا ما عادوا إلى قومهم كانوا معهم ضد المسلمين.

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُواكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلٌّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أَرْكَسُوا فِيهَا﴾

[النساء: ٩١]: يظنون الحياد بين الحق والباطل كافيًا، وأنه الطريق الأسلم، وما علموا أن هذا أول خطوة في طريق السقوط.

﴿وَمَا كَانَتْ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً﴾ [النساء: ٩٢]:

وعليه، فلا يقتل القاتل حين يقتل متعمدًا وهو (مؤمن).

هذه صيغة من صيغ الامتناع والمبالغة في النفي، أي يمتنع ويستحيل أن يصدر

من أي مؤمن قتل مؤمن! أي: متعمدًا، وغرض الآية: تفضيع قتل المؤمن.

﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحَرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ

إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا﴾ [النساء: ٩٢]:

ليس معنى (يصدقوا) الصدقة بل المعنى هنا العفو، وسمي العفو هنا صدقة حثًا عليه وتنبهًا على فضله.

﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِدًا فَجَزَاؤُهُ... وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾

٥٥

[النساء: ٩٣]: عذابه عظيم حتى يكون (ألم المقتول) أهون ما يكون إذا قورن (بألم القاتل).

﴿إِذَا ضَرِيقُكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَيَسَّرُوا﴾ [النساء: ٩٤]:

٥٦

حتى عند القتال لا بد من التبين والتثبت، فلا شيء يبرر التهور في إصدار الأحكام على الآخرين.

﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ...﴾ [النساء: ٩٤]:

٥٧

إلى كل معلّم! قال ابن عاشور: «هي عظة لمن يمتحنون طلبية العلم فيعتادون التشديد عليهم».

﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْجَاهِدُونَ﴾ [النساء: ٩٥]:

٥٨

محال أن يساوي الله بين عيد أسرع إليه وآخر أبطأ عنه.

﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾

٥٩

[النساء: ١٠٠]:

سبب نزولها:

*

نزلت في جندب بن ضمرة، وكان قد بلغه وهو بمكة فقال لبنيه: احملوني فإنني لست من المستضعفين، وإني لأهتدي إلى الطريق، وإني لا أبيت الليلة بمكة، فحملوه على سرير متوجّهاً إلى المدينة، وكان شيخاً كبيراً، فمات بالتنعيم، ولما أدركه الموت أخذ يصفق يمينه على شمالك ويقول: اللهم هذه لك، وهذه لرسولك ﷺ، أباعك على ما بايع عليه رسولك - ثم مات - ولما بلغ خبر موته الصحابة قالوا: لينه مات بالمدينة فنزلت الآية ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٠].

﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٧] أرض الله واسعة ومليئة

٥١

بالفرص ومنح التغيير! فاخرج إلى أرض جديدة إن ضاقت بلادك بأحلامك.

﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً﴾ [النساء: ٩٧]:

التعليل بالأعذار لا يصلح أن يكون مبرراً للفشل والاستسلام.

﴿وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٠]:

المهجرة في أقصر تعريف: دليل على أن دين المرء أعلى عنده من وطنه.

﴿ثُمَّ يَدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٠]:

نية المرء خير من عمله، وبعض نياتك تبلغ بك أعظم الدرجات، ولن ينقطع أجرها حتى بعد موتك.

﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٠]:

قال السعدي: «فقد حصل له أجر المهاجر الذي أدرك مقصوده بضمان الله تعالى؛ وذلك لأنه نوى وجزم، وحصل منه ابتداء وشروع في العمل، فمن رحمة الله به وبأمثاله أن أعطاهم أجرهم كاملاً ولو لم يكملوا العمل، وغفر لهم ما حصل منهم من التقصير في الهجرة وغيرها».

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣]:

كان الحسن البصري يقول: «يا ابن آدم.. ماذا يعز عليك من دينك إذا هانت عليك صلاتك؟!».

الصلاة فضلاً عن أنها أفضل العبادات، لكنها كذلك من أهم وسائل تنظيم الأوقات.

﴿فَإِنَّهُمْ بِالْمَوْتِ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾ [النساء: ١٠٤]:

الآلم واحد لكن الجزء مختلف ومتفاوت بحسب حال القلب: ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ

اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤].

﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا

يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤]:

آلامك.. لا يخففها عنك إلا رجاء ثواب الله.

تشجيع على الصبر، فليس ما تقاسونه من ألم خاصًا بكم، بل يشارككم فيه الكفار والفجار، وإنهم ليصبرون على آلامهم، فما لكم لا تصبرون! مع أنكم ترجون من حسن العاقبة في الدنيا، وثواب الآخرة ما لا يرجون.. آه من جلد الفجار وعجز الأبرار..

﴿وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥]:

أي لأجل الخائنين خاصيًا ومدافعًا عنهم، فلا تخاصم اليهود من أجل خائن، ولو كان مسلمًا.

قال الشوكاني: «أي: لأجل الخائنين خصيماً: أي خاصيًا عنهم مجادلًا للمحقين بسببهم، وفيه دليل على أنه لا يجوز لأحد أن يخاصم عن أحد إلا بعد أن يعلم أنه مُحِقٌّ».

﴿يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٧]:

لم يقل (يخونون)، وهو افتعال دال على التكلف لقصد المبالغة في الخيانة، ويمكن أن يخون الإنسان غيره، لكن كيف يخون نفسه؟

خيانة النفس تحدث بالغفلة عن العقوبة الآجلة بالشهوة العاجلة، فجعلت خيانة هؤلاء لغيرهم خيانة لأنفسهم؛ لأن سوء عاقبة هذه الخيانة سيعود عليهم، ولهذا يقال لمن ظلم غيره: إنه ظلم نفسه.

﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٨]:

الخاص عند الله كالعام! فراقبه على الدوام، ولا تستهن بنظره إليك في السر والإعلان.

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠]:

ما أقرب الله.. ما أرحم الله.. ما ألطف الله!!

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ....﴾ [النساء: ١١٠]:

أبشع الظلم ظلم النفس؛ لأنها أعلى ما تملك، ولا تستحق منك هذه المعاملة! كيف لعبد أن يذبح نفسه؟!

﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرَوْهَا بَرِيًّا فَقَدْ آخَضَ بِهَيْبَتِنَا وَإِنْعَامُنَا﴾

[النساء: ١١٢]: قال القشيري: «من نسب إلى أحد ما هو بريء منه من المخازي عكس الله عليه الحال، وألبس ذلك البريء ثواب محاسن راميته، وسحب ذيل العفو على مساويه، وقلب الحال على المتعدي بما يفضحه بين أشكاله، في عامة أحواله».

وقوع العبد في المعصية أهون عند الله من اتهام بريء بها.

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤]:

قال عليه الصلاة والسلام: «كلام ابن آدم كله عليه لاله إلا ما كان من أمر بمعروف، أو نهي عن منكر، أو ذكر الله». قيل لسفيان الثوري: ما أشد هذا الحديث! فقال سفيان: ألم تسمع الله يقول هذا بعينه.

﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُولَىٰ مَا تَوَلَّى﴾ [النساء: ١١٥]:

وعيدٌ إلهي بأن يترك الله كل فاسدٍ مع اختياره! أي نجعله والياً لما تولاه من الضلال، ونُخْلِ بينه وبين ما اختار لنفسه من سبب الأحوال، وهذا دليل على استقلال إرادة العبد وحرية اختياره، فهو مخير لا مسير.

﴿وَلَا مُرْتَهَمٌ﴾ [النساء: ١١٩]:

يبلغ من تسلط الشيطان على العبد أن يأمره فيمتثل، كالعبد بين يدي سيده، وهذا قمة الدل والهوان، فضلاً عن أنه يورد يوم القيامة النيران.

﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء: ١٢٠]:

والغرور: إظهار الشيء المكروه في صورة المحبوب، والمعنى: أن ما سؤله لهم الشيطان في حصول ما يرغبون:

إما باطل لا يقع، مثل ما يسؤله للناس من عقائد فاسدة ومذاهب منحرفة.

أو حاصل لكنه غير محمود في العاقبة، مثل ما يزيته للناس من قضاء دواعي الغضب والشهوة.

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيَكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾

[النساء: ١٢٣]: حتى أهل الكتاب لهم أمان، لكن لن (ينجو) إلا أهل (الأعمال).

﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣]:

قرأت لابن الجوزي في صيد الخاطر: «من الاغترار أن تسيء فترى إحساناً، فتظن أنك قد سوحت، وتنسى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾».

كل ظالم معاقب على ظلمه في العاجل قبل الآجل.

﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨]:

خيرٌ من ماذا؟! قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ إصلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هي الحالقة» صحيح الجامع رقم: ٢٥٩٥.

﴿وَأُخْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾ [النساء: ١٢٨]:

لا يعطل الصلح بين المتخاصمين، ولا يطيل الخصومة؛ إلا الشح، فكل خصم يصيح: حقي! حقي!

﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ [النساء: ١٢٩]:

قال الحسن وابن جرير: في المحبة، وعن أبي مليكة أن الآية نزلت في عائشة رضي الله تعالى عنها، وكان رسول الله ﷺ يحبها أكثر من غيرها من نسائه.

أخرج أحمد وأبو داود والترمذي عن عائشة أنها قالت: «كان النبي ﷺ يقسم بين نسائه فيعدل، ثم يقول: اللهم هذا قسَمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك».

قال جابر بن زيد: كانت لي امرأتان فلقد كنت أعدل بينهما حتى أَعْدُ القُبْل! وعن مجاهد قال: كانوا يستحبون أن يسووا بين الضرائر حتى في الطيب، يتطيب لهذه كما يتطيب لهذه، وعن ابن سيرين في الذي له امرأتان يكره أن يتوضأ في بيت إحداها دون الأخرى.

﴿وَأِنْ يَنْفَرَقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ﴾ [النساء: ١٣٠]:

هذه أرق كلمة يمكن أن تسمعها المطلقة، ويكفي أنها مواساة من الرب اللطيف لعبده المنكسر الضعيف.

﴿وَأِنْ يَنْفَرَقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾

[النساء: ١٣٠]: لا تشعر بالضيق عند فقد ما تحب، فقد يأخذ الفقد يدك إلى السعة.

﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا﴾ [النساء: ١٣٠]:

مما وسعه الواسع: (الحياة)؛ فلن تضيق الحياة على مؤمن.

﴿وَأِنْ يَنْفَرَقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ﴾ [النساء: ١٣٠]:

كل شيء فقدته، فارقه مع اليقين بالعوض، وسيغنيك الله عنه من سعته.

رُوي عن جعفر بن محمد أن رجلاً شكاً إليه الفقر، فأمره بالنكاح، فذهب الرجل وتزوج، ثم جاء إليه وشكاً إليه الفقر، فأمره بالطلاق، فسئل عن هذه الآية فقال: أمرته بالنكاح لعله من أهل هذه الآية: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾، فلما لم يكن من أهل تلك الآية أمرته بالطلاق، فقلت: فلعله من أهل هذه الآية ﴿وَأِنْ يَنْفَرَقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ﴾.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [النساء: ١٣٤]:

قال أبو حامد الغزالي: «من طلب الدنيا بالدين خسرهما جميعاً، ومن ترك الدنيا للدين ربحهما جميعاً!».

﴿كُونُوا قَوْمِينَ بِالْإِقْصَ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [النساء: ١٣٥]:

إن لم يكن لك من نفسك واعظ، لم تنفعك المواعظ.

﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا﴾

[النساء: ١٣٥]: قد يقول قائل: قد ينحاز صاحب الهوى إلى الغنى طمعاً في غناه؛

فلم ذكر الله الانحياز إلى الفقير؟ والجواب: قد ينحاز صاحب الهوى إلى الفقير رحمةً به وشفقة عليه.

﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَّ أَنْ تَعْدِلُوا﴾ [النساء: ١٣٥]:

إياك أن يميل بك الهوى لتمنع حقاً عن من تكره، أو تعطي بغير حق من تحب.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ءَامِنُوا﴾ [النساء: ١٣٦]:

نحتاج دوماً لتجديد الإيمان، وتفقدته في قلوبنا، مهما كنا مؤمنين.

﴿أَيُّبْنِفُوتَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٩]:

العزة الحقيقية لا تستمد إلا من الله.

﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠]:

كما أنك تأثم على كلام لا يجوز أن تتكلم به؛ فكذلك تأثم بسكوتك على منكر لا يجوز السكوت عنه.

﴿إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠]:

قال القرطبي: «فكل من جلس في مجلس معصية ولم ينكر عليهم يكون معهم في الوزر سواء، وينبغي أن يُنكر عليهم إذا تكلموا بالمعصية وعملوا بها، فإن لم يقدر على النكير عليهم فينبغي أن يقوم عنهم حتى لا يكون من أهل هذه الآية».

رُوي عن عمر بن عبد العزيز أنه أخذ قومًا يشربون الخمر، فقبل له عن أحد الحاضرين: إنه صائم، فحمل عليه الأدب (أي: عاقبه)، وقرأ هذه الآية: ﴿إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ﴾.

﴿الَّذِينَ يَرِيبُصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ﴾ [النساء: ١٤١]:

المنافقون يفتحون خطوط الرجعة لكل الاحتمالات تحسباً للقدام؛ لأنهم ليسوا أصحاب مبدأ.

﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١]:

لا يُسلط الله الكافرين على المؤمنين إلا بمقدار نقص إيمانهم وابتعادهم عن دينهم.

﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى﴾ [النساء: ١٤٢]:

حين يرحل الحب من القلب؛ يتأقل المرء عن اللقاء!!

﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى﴾ [النساء: ١٤٢]:

إذا لم تجد الماء في قلبك عند قيامك للصلاة بتكاسل، فهذه مصيبة أعظم تقرع ناقوس الخطر، وتوجب سرعة التحرك والحذر.

﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢]:

قال كعب: «من أكثر من ذكر الله برئ من النفاق».

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١]:

من أحب شيئاً أكثر من ذكره، فكيف حبك لربك؟!

﴿أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١]:

قال السعدي: «وأقل ذلك: أن يلزم الإنسان أورد الصباح والمساء، وأدبار الصلوات الخمس، وعند العوارض والأسباب، وينبغي مداومة ذلك، في جميع الأوقات، على جميع الأحوال».

﴿مُذَبِّدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ [النساء: ١٤٣]:

حدّد موقفك في الصراع بين الحق الباطل، وإلا تسرّب النفاق إلى قلبك، ومِلتَ بمرور الوقت إلى أهل الباطل دون أن تشعر.

﴿مُذَبِّدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ [النساء: ١٤٣]:

ليس الحياد دائماً فضيلة، أحياناً يكون علامة نفاق!

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ﴾ [النساء: ١٤٧]:

هذه بشارة! قال قتادة: «إن الله جلّ ثناؤه لا يعذب شاكراً ولا مؤمناً».

قال القشيري: «هذه آية توجب حسن الرجاء وقوة الأمل، لأنه جعل من أمارات الأمان من العقوبة شيئين اثنين: الشكر والإيمان، وهما خصلتان يسيران خفيفتان، فإن الشكر مقالة، والإيمان حالة، ولقد هوّن السبيل على العبد حين رضي منه بمقالته وحالته».

٥٦٦

قال الزمخشري: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ﴾ [النساء: ١٤٧]: «أيتشفى به من الغيظ؟ أم يدرك به الشر؟ أم يستجلب به نفعاً؟ أم يستدفع به ضرراً؟ كما هو شأن الملوك.

٥٦٧

وهو الغنى المتعالي الذي لا يحوز عليه شيء من ذلك، وإنما هو أمر اقتضته الحكمة أن يعاقب المسيء، فإن قمتم بشكر نعمته وآمتتم به فقد أبعدتم عن أنفسكم استحقاق العذاب».

من روائع المتدبرين

عن ابن عباس أن عمر بن الخطاب، كان إذا دخل بيته نشر المصحف فقرأ، فدخل ذات يوم فقرأ فأتى على هذه الآية:

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢]

إلى آخر الآية، فانتعل وأخذ رداءه ثم أتى أبي بن كعب

فقال: يا أبا المنذر.. أتيت قبل على هذه الآية

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢]

وقد ترى أنا نظلم ونفعل، فقال: يا أمير المؤمنين إن هذا

ليس بذلك، يقول الله:

﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] إنها ذلك

الشرك.

تعظيم قدر الصلاة ٢-٥٢٤ - محمد بن نصر المروزي - مكتبة الدار -

المدينة المنورة

الجزء السادس

من سورة النساء الآية ١٤٨
إلى سورة المائدة الآية ٨١
عدد الفوائد ٧٧

﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ [النساء: ١٤٨]:

قال السعدي: «فإنه يجوز له أن يدعو على من ظلمه ويتشكى منه، ويجهر بالسوء لمن جهر له به، من غير أن يكذب عليه، ولا يزيد على مظلمته، ولا يتعدى بشتمه غير ظالمه، ومع ذلك فعفوه وعدم مقابله أولى، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠].

﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [النساء: ١٤٨]:

يريد الله أن يحمي أذان المجتمع من قول السوء والألفاظ الرديئة؛ لأن الناس تتكلم بما تسمع، والنطق بالكلمة السيئة سيرهق أجيالاً قادمة؛ لأن من يسمع يردد، ويلقي إلى غيره فينشر، فينتشر السوء كالوباء، وتحمل الوزر من نطق به أول مرة.

﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٨]:

هذا التذييل مقصود به التحذير من التعدي في الجهر بالسوء المأذون فيه، ووعد للمظلوم بأن الله تعالى يسمع شكواه ودعائه، ويعلم ظلم ظالمه له.

حجة المظلوم وإن لم يسمعها أحد، فإن الله سامعها، وقادر على الانتصار لها.

﴿أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٤٩]:

الجزاء من جنس العمل، فمن عفا عن الناس، عفا الله عنه.

سورة المائدة

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١]:

ما هذه البلاغة! حكى النقاش أن أصحاب الكِندي قالوا له: أيها الحكيم.. اعمل لنا شيئاً مثل هذا القرآن، فقال: نعم أعمل مثل بعضه، فاحتجب أياماً كثيرة ثم خرج فقال: «والله ما أقدر ولا يطيق هذا أحد، إني فتحت المصحف فخرجت سورة المائدة، فنظرتُ فإذا هو نطق بالوفاء، ونهى عن النكث، وحلّل تحليلاً عاماً، ثم استثنى استثناء بعد استثناء، ثم أخبر عن قدرته وحكمته في سطرين، ولا يقدر أحد أن يأتي بهذا».

﴿وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ [المائدة: ٢]:

معطوف على شعائر الله، والمراد به الجنس، فيدخل في ذلك جميع الأشهر الحرم، وهي أربعة: ذو القعدة، وذو الحجة والمحرم، ورجب، وسُمِّي الشهر حراماً باعتبار أن إيقاع القتال فيه حرام.

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا﴾ [المائدة: ٢]: حذارٍ إن تدفعكم كراهية أحد إلى الجور عليه والعدوان. قال ابن كثير: «لا يحملنكم بغض أقوام على ترك العدل، فإن العدل واجب على كل أحد، في كل أحد، في كل حال».

عن زيد بن أسلم قال: «كان رسول الله ﷺ وأصحابه بالحديبية، حين صدهم المشركون عن البيت، وقد اشتد ذلك عليهم، فمر بهم ناس من المشركين من أهل المشرق يريدون العمرة، فقال الصحابة: نصد هؤلاء كما صدنا أصحابهم، فنزلت هذه الآية».

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]: والإثم هو التجرؤ على معصية الله التي يأثم صاحبها، والعدوان هو التعدي على الخلق في دمائهم وأموالهم وأعراضهم، فكل إثم وعدوان يجب على العبد كفو نفسه عنه، ثم إعانة غيره على تركه.

﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّينَ﴾ [المائدة: ٤]:

قال ابن القيم: «من شرف العلم أنه لا يباح إلا صيد الكلب العالم - أي المدرب -». حتى الكلاب تتمايز فيما بينها بالعلم!

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ [المائدة: ٨]:

خلافك مع غيرك يجب ألا يخرجك عن دائرة العدل وقول الحق.

قال ابن روضة لليهود: والله لقد جئتكم من عند أحب الناس إلي، يعني رسول الله ﷺ، ولأنتم أبغض إلي من القردة والخنازير، ولا يحملني بغضي لكم وحبِّي إياهم أن لا أعدل عليكم، فقالوا: بهذا قامت السماوات والأرض.

﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ [المائدة: ١١]:

كم من خطر أحدق بك وأنت عنه غافل، حرسك الله منه دون أن تحس.

﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَٰنْ أَقِمُّ الصَّلَاةَ﴾ [المائدة: ١٢]:

أقرب العباد إلى الله أكثرهم صلاة، وهم الفائزون بمعية التأيد والنصرة.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣]:

ومن أحبه الله أحبه الملائكة والناس أجمعون.

﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي﴾ [المائدة: ١٤]:

ادعاءتكم باطلة! لم يقل: «ومن التصاري» إشارة إلى أن ادعاءهم النصرانية - وهي الدين الذي جاء به عيسى - هو قول بأفواههم دون أن يتبعوه بقلوبهم؛ إذ لو كانوا متبعين له حقاً لآمنوا بمحمد ﷺ الذي بشر به عيسى عليه السلام.

﴿فَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ، فَأَعْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾

[المائدة: ١٤]: قال قتادة: «لما تركوا كتاب الله، وعصوا رسله، وضيعوا فرائضه، وعطلوا حدوده، ألقى بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة، ولو أخذ القوم كتاب الله وأمره، ما افترقوا ولا تباغضوا».

﴿فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [المائدة: ١٤]:

قال عبد الله بن مسعود: قد ينسى العبد بعض العلم بالمعصية، وتلا هذه الآية: ﴿فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [المائدة: ١٤].

﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ [المائدة: ١٨]:

قال بعض شيوخ الصوفية لبعض الفقهاء: أين تجد في القرآن أن الحبيب لا يعذب حبيبه؟ فلم يرد عليه، فتلا الشيخ هذه الآية: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾

لهذه الآية شاهد في مسند أحمد عن أنس: مرَّ النبي ﷺ في نفر من أصحابه، وصبي في الطريق، فلما رأت أمه القوم خشيت على ولدها أن يوطأ، فأقبلت تسعى وتقول: ابني.. ابني! وسعت فأخذته، فقال القوم: يا رسول الله، ما كانت هذه لتلقي ابنها في النار، فقال ﷺ: «لا.. والله ما يلقي حبيبه في النار».

﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ [المائدة: ٢٣]:

أنعم عليهما ينعم الإيمان والثبات والثقة بوعد الله وطاعة أوامره، وهي كلها نعم دينية، لا يلتفت إليها أكثر الناس؛ ولذا لا يؤدون شكرها، ويجزعون لمصائب الدنيا وحدها.

﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾

[المائدة: ٢٣]: من خاف من الله حقاً لم يخف من الخلق.

﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ

فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ٢٣]:

المبادرة المبادرة، والهجوم خير وسيلة للدفاع.

﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾

[المائدة: ٢٣]: لم يلق نصيح الرجلين استجابة من قومهم، لكن القرآن خلّد

ذكرهما بهذه الكلمات.. مقاييس النجاح عند الله مختلفة!

﴿فَأَفَرَقَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٥]:

فراق الفجرة من سمات البررة.

﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]:

القبول لا يخضع لظاهر العمل، بل لما وقر في قلبك من التقوى.

﴿فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٣٠]:

في الحديث الذي أخرجه الشيخان: قال رسول الله ﷺ: «لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفلٌ من دمها؛ لأنه أول من سن القتل».

﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورَثُ سَوَاءَ أَخِيهِ﴾ [المائدة: ٣١]:

شكراً لك أيها الغراب.. علمتنا درساً من دروس الأخوة.

تعلم من كل من حولك حتى لو كان أقل منك، فقد تعلم ابن آدم من غراب

كيف يدفن أخاه.

﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]:

هذا أعظم نص عرفته البشرية في تعظيم قتل النفس، قال الزمخشري في فائدة هذا التعبير: «تعظيم قتل النفس وإحيائها في القلوب، وليشمتز الناس عن الجسارة عليها، ويترأغبوا في المحاماة على حرمتها؛ لأن المتعرض لقتل النفس إذا تصور قتلها بصورة قتل الناس جميعاً، عظم ذلك عليه فبطله - عن القتل - وكذلك الذي أراد إحياءها».

﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥]:

كل قرينة تقرب من الله فهي وسيلة، فكل عمل صالح، وكل اجتناب لمعصية هو وسيلة إلى الله.

الوسيلة هي الوصلة التي توصل إلى طاعة الله ورضوانه ومحبه، وهل يتقرب

إنسان إلى أحد يحبه إلا بما يعلم أنه يحبّه؟ فما بالناس بالتقرب إلى الله؟ وما يحبّه الله

سبحانه أوضحه في الحديث القدسي: «وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما

افترضته عليه».

﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨]:

ختم الله آية حد السرقة بهاتين الصفتين، فهو عزيز في انتقامه من المفسدين، حكيم في تقديره الحدود حفظاً لمصالح عباده.

قال الأصمعي: كنتُ أقرأ: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءُ بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَفْوٌ رَّحِيمٌ﴾، وبجانبني أعرابي، فقال كلام من هذا؟ قلت: كلام الله، قال: ليس هذا كلام الله، فانتبهت فقرأت: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨] فقال: أصبت.. هذا كلام الله، فقلت: أتقرأ القرآن؟ قال: لا، قلت: من أين علمت؟ قال: يا هذا.. عزَّ فحكم فقطع، ولو غفر ورحم لما قطع.

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨]:

أكل الحرام نقصان في كل شيء، في الإيمان وفي الأبدان.

يقول صاحب الظلال: «والرَّدع عن ارتكاب الجريمة رحمة بمن تحدَّته نفسه بها؛ لأنه يكفه عنها، ورحمة بالجماعة كلها لأنه يوفر لها الطمأنينة، ولن يدَّعي أحد أنه أرحم بالناس من خالق الناس، إلا وفي قلبه عمى، وفي روحه انطماس!».

﴿فَمَنْ تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفْوٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٩]: الظلم عمل إيجابي شرير مفسد، فلا يكفي في التوبة أن يكف الظالم عن ظلمه، بل لا بد أن يعوّضه بعمل إيجابي صالح، يصلح به ما أفسده.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يَطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ﴾ [المائدة: ٤١]:

آية يتفرض لها القلب خوفاً، فالمدار في صلاحك أو فسادك بحسب قلبك، فراقب قلبك باستمرار.

سين: ما الحكمة في إرادة الله فتنة بعض خلقه؟

جيم: هم بدأوا!

زاغوا فازاغهم، وابتعدوا فأبعدهم، وانحرفوا فعاقبهم على انحرافهم: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٩٤].

﴿سَتَعُولُ لِلْكَذِبِ﴾ [المائدة: ٤٢]:

دَمَّ اللهُ سماع الكذب، فما بالك بمن يردده وينشره؟!

﴿أَكَلُونَ لِلْسُّحْتِ﴾ [المائدة: ٤٢]:

أي الحرام. قال ابن جرير: شفع مسروق لرجل في حاجة فأهدى إليه جارية، فغضب مسروق غضباً شديداً وقال: لو علمت أنك تفعل هذا ما كلمت في حاجتك، ولا أكلمه فيها بقي من حاجتك. سمعت ابن مسعود يقول: «من شفع شفاعاً ليرد بها حقاً، أو يرفع بها ظلماً، فأهدى له، فقبل، فهو سحت».

﴿سَتَعُولُ لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلْسُّحْتِ﴾ [المائدة: ٤٢]:

قال أبو حنيفة: «إذا ارتشى الحاكم انعزل في الوقت وإن لم يُعزل (أي استحق العزل)».

﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]:

قال ابن عباس: «من جحد ما أنزل الله فقد كفر، ومن أقر به ولم يحكم فهو ظالم فاسق».

﴿وَالْجُرُوحُ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ﴾ [المائدة: ٤٥]:

حث على التعامل بالفضل لا بالعدل، أي: فمن تصدق بما ثبت له من حق القصاص لجرحه أو دم وليه، فصدقته كفارة لذنبه، وفي الحديث: «ما من رجل يجرح في جسده جراحة، فيتصدق بها إلا كفر الله عنه مثل ما تصدق». صحيح الجامع رقم: ٥٧١٢.

﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [المائدة: ٤٩]:

سبب نزولها:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «قال كعب بن أسد وابن سوريا وشاس ابن قيس بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى محمد لعلنا نفتنه عن دينه: فأتوه فقالوا: يا محمد، إنك قد عرفت أنا أحبار اليهود وأشرافهم وساداتهم، وإننا إن اتبعناك اتبعك يهود ولم يخالفونا، وإن بيننا وبين قومنا خصومة فنحاكمهم إليك فتقضى لنا عليهم، ونؤمن لك ونصدق، فأبى رسول الله ﷺ ذلك، فأنزل الله فيهم:

﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾

﴿وَأَن أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ يَمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [المائدة: ٤٩]:

الوحي في مقابل اهوى، فلا ينصرف أحد عن حكم الله إلا اتباعاً لهواه، مهما تذرّع بالأعذار.

﴿وَأَحْذَرَهُمْ أُنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩]:

والتحذير هنا تحديداً من اليهود، فإنهما كما قال الحافظ ابن كثير: (كذبة كفرية خونة)، فهذه صفات ثلاث ملازمة لهم في مكان وزمان.

لا محابة في الحق، فالتحذير هنا لسيد الخلق وصفوة رسل الله، لكنه ينصرف إلى أمته من باب أولى.

أي: احذر هؤلاء اليهود؛ فإنهم كما قال الحافظ ابن كثير: (كذبة كفرية خونة) فهؤلاء اليهود فيهم هذه الثلاث الصفات (كذبة كفرية خونة)، وهذا هو الحق في وصفهم في جميع الأزمان وفي كل مكان.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْاْ فَأَعْلَمَ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ [المائدة: ٤٩]:

بعض الطاعات لا يوفق لها العبد بسبب ذنب سابق، فلا تظن أن شؤم الذنب انقضى بانقضائه.

﴿لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾ [المائدة: ٥١]:

﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ ﴿أَيَبْنِعُوْا عَنْهُمْ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ﴾

[النساء: ١٣٩]، لكن الواقع شيء آخر! فأبي غربة يحياها المسلمون اليوم؟!!

﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]:

قال عبد الله بن عتبة: «اليتق أحدكم أن يكون يهودياً أو نصرانياً وهو لا يشعر».

﴿فَعَسَىٰ اللَّهُ أَن يَأْتِيَنَا بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ﴾ [المائدة: ٥٢]:

سيفتح الله باباً كنت تحسبه .. من شدة اليأس لم يُخلق بمفتاح

سين: ما الذي يجمع بين (الفتح) و(أمر من عنده)؟! جيم: يجمعهما المفاجأة وعدم توقع الحدوث.

﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾
[المائدة: ٥٢]: تسارع المنافقين لإرضاء أعداء الأمة داء قديم، ويتجدد مع كل أزمة.

أرض الخوف يتفشى فيها داء النفاق.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾
[المائدة: ٥٤]:

سنة الله في خلقه .. إذا انتكس مؤمن واحد، أتى الله بقوم آخرين بدلاً منه!

﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]:

قال أبو يزيد البسطامي: «ليس العجب من حبي لك وأنا عبد فقير؛ بل إنها العجب من حبك لي وأنت ملك قدير».

﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤]:

أوصى النبي ﷺ أبا ذر: «قل الحق وإن كان مُرًّا». قلت: زدني. قال: «لا تخف في الله لومة لائم».

إن كنت تخشى اللوم في ما تقول أو تكتب على صفحتك، فتذكر أن الله مدح أحبابه فقال: ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤].

﴿يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]:

قدم محبته لهم على محبتهم له؛ فلو أنه أحبهم ما أحبوه، ولا وصلوا إلى طاعته ولا عرفوه.

﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ...﴾ [المائدة: ٥٤]:

من ذل بين يدي إخوانه ولان، فاز بمحبة الرحمن.

﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]:

لا يمكن لعبد أحب الله أن يرتد عن دينه، اغرسوا حب الله في قلوب من تحبون.

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾

[المائدة: ٥٨]: الاستهزاء بالدين علامة قلة العقل، ولو همل صاحبه أعلى الشهادات.

﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَنْبِيَاءُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السَّحْتَ﴾ [المائدة: ٦٣]

[المائدة: ٦٣]: مقاومة الرشوة والفساد المالي من مهام المصلحين في كل عصر.

﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَنْبِيَاءُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السَّحْتَ لَإِثْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ٦٣]:

قال الإمام القرطبي: «ودلت الآية على أن تارك النهي عن المنكر كمرتكب المنكر، فالآية توبيخ للعلماء في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]:

فكل من سأل الله ومد إليه يديه، لم يردّهما (صفراً) خائبين.

﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤]:

أيها الصامتون .. ما أفدح خسارة هذا الصمت!

﴿كَلَّمَآ أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَاَهَا اللَّهُ﴾ [المائدة: ٦٤]:

اليهود دائماً قادة إشعال الحروب والفتن بين الشعوب.

﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً فَعَمَّوْا وَصَمَّوْا﴾ [المائدة: ٧١]:

إذا فُتِنَ (القلب) عمي (البصر)، وصُمَّتْ (الآذان)؛ فتخَيَّطَت (الجوارح).

﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً﴾ [المائدة: ٧١]:

الفتنة تصيب دوماً من لم يحسب حسابها، وأكثر من يظن أنه بعيد عن الفتنة هو أكثر الناس وقوعاً فيها.

﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ﴾ [المائدة: ٧٤]:

دعا الله إلى التوبة من قال: إن الله هو المسيح ابن مريم، ومن قال: إن الله ثالث ثلاثة، ومن قال: يد الله مغلولة.

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ... كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩]:

المجتمع السلبي الذي يرى المنكر ولا ينكره مجتمع ملعون بنص القرآن!

﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ [المائدة: ٧٩]:

قال أهل العلم: وليس من شرط الناهي عن المنكر أن يكون سليماً من المعاصي، بل ينهى العصاة بعضهم بعضاً،

﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٩]:

المصلحون سبب رحمة الأمة، ووقاية لها من نزول لعنة الله، فالله حين (لعن) بني إسرائيل يبين لنا السبب، فقال: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾

﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ [المائدة: ٧٩]:

من شأن المنكرات أن يبدأها واحد، ثم يتبناها قلة، فإن لم يجدوا من يغير عليهم تزايدوا، فانتشرت حتى تعم، وينسى الناس كونها من المنكرات، فلا يهتمون إلى الإقلاع والتوبة منها، فتصيبهم لعنة الله.

من روائع المتدبرين



أورد الذهبي في سير أعلام النبلاء في ترجمة عبدالله بن عمر رضي الله عنهما هذا الخبر: عن قزعة، قال: رأيت على ابن عمر ثيابا خشنة، فقلت له: إني قد آتيتك بثوب لين مما يصنع بخراسان، وتقر عيناى أن أراه عليك. قال: أرنيه، فلمسه، وقال: أحرير هذا؟ قلت: لا، إنه من قطن.

قال: إني أخاف أن ألبسه، أخاف أكون مختالا فخورا، ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٣].

حلية الأولياء ١ / ٣٠٢ وسير أعلام النبلاء ٣-٢٣٣ ط الرسالة. قال الذهبي: كل لباس أوجد في المرء خيلاء وفخرا، فتركه متعين ولو كان من غير ذهب ولا حرير.



الجزء السابع

من سورة المائدة الآية ٨٢
إلى سورة الأنعام الآية ١١٠
عدد الفوائد ١٠٤

﴿تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣]:

بقدر ما تعرف من الحق، يلين قلبك ويفيض دمعك.

﴿فَأَنْبَهُهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّتٍ﴾ [المائدة: ٨٥]:

رُبَّ كلام خرج من قلب صادق، كان سبب دخول صاحبه الجنة، ألا ما أغلى الكلام وأهمية اللسان!

﴿فَأَنْبَهُهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا﴾ [المائدة: ٨٥]:

﴿وَلَعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾. وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم.

﴿وَأَحْفَظُوا أَيْمَنَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩]:

أمر من الله تعالى لعباده بأن يصونوا أنفسهم من الخث في أيمانهم، أو الإكثار منها لغير ضرورة، فإن الإكثار من الحلف بغير ضرورة يؤدي إلى قلة الحياء من الله تعالى، كما أن الحلف الكاذب يؤدي إلى سخط الله سبحانه على الحالف وبغضه له.

﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ... فَأَجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: ٩٠]:

بكلمة واحدة ﴿فَأَجْتَنِبُوهُ﴾ ألقع الصحابة عن عادة تأصلت في نفوسهم لعشرات السنين.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ [المائدة: ٩١]:

إيقاع العداوة بين المسلمين هدف شيطاني، فقد يئس أن يُعبد في الأرض، لكن رضي بالتحريش بين المؤمنين.

﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ [المائدة: ٩٤]:

٦٥١

في عصر السماوات المفتوحة، لا تتعجب من سهولة الوصول للمعصية، فالمقاطع المحرمة بين يديك تصل إليها بضغط زر، وحكمة الله: ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ [المائدة: ٩٤].

﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَيْثِ﴾ [المائدة: ١٠٠]:

٦٥٢

للخيث كثرة وبهرج لا ينجو من (الإعجاب) به إلا الأقلون.

﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]:

٦٥٣

عن أبي أمية الشعباني أنه قال: سألت عنها أبا ثعلبة الخشني، فقال لي: سألت عنها خيرًا، سألت عنها رسول الله ﷺ، فقال: «بل ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحًا مطاعًا، وهوى متبعًا، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخاصة نفسك، ودع العوام».

قال شيخ المفسرين أبو جعفر الطبري: «عليكم أنفسكم فأصلحوها، واعملوا في خلاصها من عقاب الله، وانظروا لها فيما يقرّبها من ربها، فإنه لا يضرّكم من ضلّ، يقول: لا يضرّكم من كفر وسلك غير سبيل الحق، إذا أنتم اهتديتم وامتتم بربكم، وأطعتموه فيما أمركم به وفيما نهاكم عنه، فحرمتم حرامه وحللتهم حلاله».

٦٥٤

قال الزمخشري:

٦٥٥

«كان المؤمنون تذهب أنفسهم حسرة على أهل العتوّ والعناد من الكفرة، يتمنون دخولهم في الإسلام، فقليل لهم: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، وما كُلفتم من إصلاحها والمشي بها في طرق الهدى، ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾ ضلال غيركم عن دينكم إذا كنتم مهتدين».

﴿يَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فِيْ قَسَمَانِ بِاللَّهِ﴾ [المائدة: ١٠٦]:

٦٥٦

الصلاة تنهى عن المنكر، ومن ضمن هذه المنكرات: الكذب.

﴿وَأَرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [المائدة: ١١٤]:

سُئِلَ أَحَدُ الْعُبَادَ: لِمَ وُصِفَ اللَّهُ بِخَيْرِ الرَّازِقِينَ؟ قَالَ: لِأَنَّهُ إِذَا كَفَرَ أَحَدٌ لَا يَقْطَعُ رِزْقَهُ.

﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ [المائدة: ١١٨]:

مِمَّا يَعْنِيكَ عَلَى الْخُشُوعِ فِي الصَّلَاةِ: تَرْدِيدُ الْآيَةِ حَتَّى لَوْ بَقِيَتْ تَرْدُدُ آيَةً وَاحِدَةً فَقَطْ فِي تِلَاوَتِكَ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَامَ لَيْلَةَ بَآيَةِ ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ [المائدة: ١١٨]:

﴿هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة: ١١٩]:

لَنْ يَصْمَدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا الصَّادِقُونَ.

تَذَكَّرْ أَنَّ أَصْلَكَ (مَنْ طِين) أَفْضَلُ مَا يَتَرَعُ مِنْ قَلْبِكَ بَذْرَةُ الْكِبَرِ الدَّفِينِ.

﴿فَاهْلِكْنَهُمْ يُذَوِّبَهُمْ﴾ [الأنعام: ٦]:

الْخِلَاصَةُ فِي كَلِمَتَيْنِ: الذُّنُوبُ مُهْلِكَةٌ.

﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ﴾ ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ يُذَوِّبَهُمْ﴾: لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ تَكَرُّارٌ بَلْ

تَذَكِيرٌ لِلْأَبْرَارِ وَتَرْدِيدٌ لِلْإِعْتِبَارِ.

العذاب يتزل بالأوزار، ويرتفع بالاستغفار ..

﴿كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ﴾ [الأنعام: ١٢]:

سَبَّحَانَ مَنْ أَلْزَمَ نَفْسَهُ بِمَا فِيهِ خَيْرُ عِبَادِهِ، لَطْفٌ مَا بَعْدَهُ لَطْفٌ.

رَحْمَتُهُ بِكَ سَابِقَةٌ عَلَى خَلْقِهِ لَكَ! قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُتِبَ رَبِّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ

بِيَدِهِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ: رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي».

كَانَ أَبُو الْعَالِيَةِ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ يَرْحُبُ بِهِمْ ثُمَّ يَقْرَأُ: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ

يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كُتِبَ رَبِّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ﴾ [الأنعام: ٥٤].

﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ١٢]:

الْمَالِكِ الْحَقِيقِيِّ يَذَكِّرُكَ أَنَّ كُلَّ مَا فِي يَدَيْكَ مِلْكٌ لَهُ، وَهُوَ مَعَارُ لَكَ فِتْرَةَ حَيَاتِكَ،

ثُمَّ يَسْتَرِدُّهُ مِنْكَ.

﴿كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ﴾ [الأنعام: ١٢]:

دعوة للمسرفين على أنفسهم، والغارقين في بحار اليأس، والظانين بالله ظن السوء.

﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأنعام: ١٥]:

قالها رسول الله ﷺ لمن ساومه على دينه، فقلها اليوم إن قابلت نفس المساومين.

عجبا أن يخاف من عاقبة الذنب نبي معصوم، ولا يخاف منه إنسان جهول ظلوم.

﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧]:

أي ضرر مهما كان صغيرا، في أجسادنا أو أرواحنا، في نفوسنا أو نفوس أحبائنا، لا يكشفه إلا الله.

ومن أعظم الضرر: حجاب العبد عن رب العالمين، وهو أشد وأخزى من عذاب الجحيم.

إذا سكن قلبك إلى الله لم تخف غيره، ولم ترجُ سواه، فلتطمئن قلوب أولياء الله

ومن ضاقت بهم السبل من عباده الصالحين.

قال ابن القيم: «والتحقق بمعرفة هذا يوجب صحة الاضطرار وكمال الفقر

والفاقة، ويحول بين العبد وبين رؤية أعماله وأحواله، فهو الذي يمس بالضرر،

وهو الذي يكشفه، فمسه بالضرر لحكمة، وكشفه الضرر لرحمة».

﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بَخِيرٌ فَهُوَ عَلَى

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: ١٧]:

هذه الآية من أسباب دواعي رجوع العبد إلى ربه بالكلية.

﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]:

قال محمد بن كعب القرظي: «لأنذركم به ومن بلغ»، قال: من بلغه

القرآن، فكانها رأى النبي ﷺ، ثم قرأ: «ومن بلغ أنكم تشهدون»، وقال

أيضا: من بلغه القرآن فكانها كلمه الله عز وجل.

﴿إِنَّهُ لَا يَفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام: ٢١]:

سيبقى ظلم الظالمين سدا منيعا حائلا دون فلاحهم أو توفيقهم.

﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنِّي سُرَّكَاؤُكُمْ﴾ [الأنعام: ٢٢]:

هذا احتجاز إلهي قسري: الزموا أماكنكم لا تبرحوها! حتى تعرفوا ما يُفعل بكم، ويقضي الله في أمركم.

﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾: أي فرّقنا بين العابدين والمعبودين، وهو من الزوال أي ذهاب الشيء واختفاؤه، وقال: «زَيَّلْنَا» ولم يقل: «فَرَّقْنَا»؛ لأن التفريق معه بقية أمل في الاجتماع، أما التزييل، فهو زوال إلى الأبد، وهو ما يزيد من وحشة المشركين حين يقاسون العذاب وحدهم.

﴿قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]:

ويحكم.. اسكنوا! حتى بين يدي الله تحلفون كذبا!

﴿أَفَلَمْ يَكْفِ كَذِبُكُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ؟﴾ [الأنعام: ٢٤]:

يبرر المرء معصيته ليتهرب من عواقبها، وذلك ليلتمس النجاة بأي صورة، ولو بالكذب على نفسه.

﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ [الأنعام: ٢٥]:

أعظم العقوبة.. أن يحال بينك وبين فهم كلام الله.

آية قتلت علي بن الفضيل بن عياض، وسُمِّي بها (قتيل القرآن): ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْلَتُنَا نُرَدُّ...﴾ [الأنعام: ٢٧]

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْلَتُنَا نُرَدُّ﴾ [الأنعام: ٢٧]:

مجرد أول نظرة إلى النار جعلت صاحبها يتمنى الرجوع للعالم للندى لفضل الخير، فكيف يكون الحال بعد دخول النار ومقاساة العذاب؟

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَآلِبٌ وَلَهُمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ٣٢]:

ليكن حزنك على ما فات من آخرتك أضعاف حزنك على ما فات من دنياك،

والا لم تكن عاقلاً: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

١٨٦ من لزم التقوى زهد في دنياه وهانت عليه مصائبه؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَلِلذَّارِ
الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُنْقُونَ أَفْلاَ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ٣٢]

١٨٧ ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣]:

تعزية من الله وتسلية لنبیه، فیر فی حیاتک علی هذا النهج الرباني مع كل مصاب.

١٨٨ انظر شدة حرص النبي ﷺ على أن تستجيب له أمته، وهكذا قلب كل داعية،
عليه أن يكون رؤوفاً رحيماً بأمته.

١٨٩ ﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣]:

الظلم نقل حق إلى غير مستحقه، وأبشع أنواع الظلم: الشرك؛ لأنه نقل حق
الذات الإلهية المستحق وحده للعبادة إلى من لا يستحقها.

١٩٠ ﴿فَصَبْرُوا عَلَى مَا كَذَبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَنَّهُمْ نَصَرْنَا﴾ [الأنعام: ٣٤]:

إذا بلغ أعداء الحق درجة تكذيب أهله وإيذائهم، فهذه علامة قرب النصر
بشرط أن يحققوا الصبر.

١٩١ ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [الأنعام: ٣٦]:
المستجيب للحق حي ولو كان أصم وأبكم وأعمى، والمعاند ميت ولو كان تآم
الحواس!

١٩٢ من فقد سماع القلب لأوامر ربه حُرِمَ التوفيق في سائر أمره، والمقصود به سماع الاعتبار.

١٩٣ ﴿وَلَا طَيْرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ﴾ [الأنعام: ٣٨]:

كل الحيوانات تعرف الله وتسبحه، ولكن لا تفقهون تسبيحهم.

١٩٤ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَآخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾

[الأنعام: ٤٢]: قال داود عليه السلام: «سبحان مُسْتَخْرِجِ الدُّعَاءِ بِالْبَلَاءِ، وسبحان
مُسْتَخْرِجِ الشُّكْرِ بِالرِّخَاءِ».

﴿فَاخْذَنْهُمْ بِالْأَسْأَةِ وَالْضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢]:

٧٩٥

مرَّ أبو جعفر محمد بن علي بمحمد بن المنكدر وهو مغموَّم، فسأل عن سبب غمه فقيل له: الدَّيْنُ قَدْ قَدَحَهُ، فقال أبو جعفر: أفتَحَ له في الدعاء؟ قيل: نعم. قال: لقد بورك لعبد في حاجة أكثر منها من دعاء ربه، كائنة ما كانت.

٧٩٦

قال ابن القيم: «إذا ابتلى الله عبده بشيء من أنواع البلياء والمحن، فإن رده ذلك الابتلاء والمحن إلى ربه وجمعه عليه وطرحه ببابه فهو علامة سعادته وإرادة الخير به، والشدة بتراء لا دوام لها وإن طالَّت، فتُقْلِعُ عنه حين تقلع وقد عوض منها أجلَّ عِوَضٍ وأفضلَه، وهو رجوعه إلى الله بعد أن كان شاردًا عنه، وإقباله عليه بعد أن كان نائيًا عنه، وانطراحه على بابه بعد أن كان معرضًا، وللوقوف على أبواب غيره متعرضًا، وكانت البلية في حق هذا عين النعمة، وإن ساءت وكرهها طبعه ونفرت منها نفسه، فربما كان مكروه النفوس إلى محبوبها سببًا ما مثله سبب».

٧٩٧

﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنعام: ٤٣]:

قسوة القلب هي التي تكبل العبد عن بلوغ هذه المنزلة العظيمة: منزلة الضراعة والتمرغ في تراب العبودية.

٧٩٨

إذا حُرمت من التضرع لله فاعلم أن في قلبك قسوة، وعلاجها كثرة الذكر والاستغفار.

٧٩٩

إذا قسا قلب العبد بالذنوب حُرِمَ التضرع بين يدي علام الغيوب!

٨٠٠

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ، فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٤٤]:

فتح أبواب الدنيا على العبد قد يكون استدراجًا ومقدمة عقوبة سماوية. من أعظم الاستدراج أن يتابع عليك نعمه، وأنت مقيم على معاصيه!

٨٠١

هذا نصُّ سنَّة الاستدراج! في الحديث: «إذا رأيت الله تعالى يُعطي العبد من الدنيا ما يحب وهو مقيم على معاصيه، فإنما ذلك منه استدراج» صحيح الجامع رقم: ٥٦١.

٧٠٢ ﴿تَمَادِي الظُّلُمُوطُغِيَانُ الظَّالِمُ مُؤَذِّنٌ بِقُطْعِ دَابِرِهِ وَاجْتِنَاثِهِ مِنْ جَذْوَرِهِ: ﴿فَقُطِّعْ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الأنعام: ٤٥]:

٧٠٣ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ [الأنعام: ٤٦]:
قال ابن الجوزي: «يعاقب الإنسان بسلب معاني تلك الآلات، فيرى وكأنه ما رأى، ويسمع وكأنه ما سمع، والقلب ذاهل عما يتأذى به؛ ولا يتفكر في خسران آجلته، لا يعتبر برفيقه، ولا يتعظ بصديقه، ولا يتزود لطريقه، وهذه حالة أكثر الناس، فنعوذ بالله من سلب فوائد الآلات، فإنها أقبح الحالات».

٧٠٤ ﴿فَمَنْ أَتَقَى وَأَصْلَحَ﴾ [الأعراف: ٣٥]:

تقوى القلب لا بد أن يتبعها إصلاح العمل.

٧٠٥ ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا﴾ [الأنعام: ٥١]:

الإنذار هو الإعلام بمواضع الخوف، وإنما خصّ الخائفين بالإنذار، لأن الإنذار للذين يخافون إنذاراً نافعاً، خلافاً لحال الذين ينكرون الحشر، والخوف علامة الإيمان، فخوف الحشر يقتضي الإيمان بوقوعه.

٧٠٦ ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ [الأنعام: ٥٢]:

تخصيص الغداة والعشي بالذكر، إشعار بفضل العبادة في هذين الوقتين؛ لأنها محل الغفلة والاشتغال بالأمور الدنيوية.

٧٠٧ قال أبو العالية: «سألت أصحاب محمد عليه السلام عن قوله: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يُتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾، فقالوا: كل من عصي الله فهو جاهل، ومن تاب قبل الموت فقد تاب من قريب». [النساء: ١٧].

٧٠٨ ﴿وَلَتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٥]:

كم في واقع الأمة اليوم من بشائر، يراها المشائمون خسائر، ومن أعظمها تمايز الصفوف وانكشاف الباطل.

﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ [الأنعام: ٥٩]:

فكيف بدمعة مؤمن وزفرة مكروب ودعوة مظلوم؟!

قال ابن عباس: «ما من شجرة في بر ولا بحر إلا ملك موكل بها يكتب ما يسقط منها».

﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]:

سجل الله فيه كل أحداث الكون، فإذا جاءت الأحداث كانت موافقة لما سجله الله قبل آلاف السنين!

﴿قُلِ اللَّهُ يُحِبُّكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ﴾ [الأنعام: ٦٤]:

هذا ما قاله الله للمشركين، فعجباً لبعض المؤمنين كيف يتسرّب اليأس إلى قلوبهم؟!

﴿أَوْ يُلَاسِكُمْ شَيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ يَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥]:

من عقوبة الله للظالم أن يُسلط عليه ظالماً آخر، ويكفي الله المؤمنين شرّهما.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [الأنعام: ٦٨]:

قوة مناعة قلبك، لا تبرّر لك الإقامة في بؤر الفساد أو أماكن الوباء.

الإعراض سلاح من أسلحة المؤمنين؛ لأن الالتفات لهؤلاء ومناقشتهم يذكي نار جدالهم وحماستهم للباطل.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي

حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [الأنعام: ٦٨]:

بهذا التوجيه الإلهي يتم وآد الباطل في مهده، ويسلم المجتمع من شرّه.

﴿وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الأنعام: ٧٠]:

الإبسال هو الإسلام إلى العذاب، أو السجن والارتهان، والمعنيان صحيحان.

نفسك الأمارة بالسوء قد تؤدي لحبسك غداً، وتُسليمك إلى العذاب والمهلك

بسوء كسبها.

﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ [الأنعام: ٧٠]:

الأفكار المتعلقة بالشعائر الدينية وأمور العقيدة ليست مجالاً للتسلية أو الفكاهة والسخرية.. هذا خط أحر!

﴿لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أَتَيْنَا﴾ [الأنعام: ٧١]:

هالك هو من لم يكن له أصحاب يدعونه إلى الهدى، ويقولون له: اتنا.

من أعظم أسباب النجاة من الضلال والتمتع بالهداية وجود الأصحاب الصالحين.

هل جربت النظر إلى السماء في ظلمة الليل لتتفكر في ملكوت السموات والأرض؟
إنك إن فعلت لزداد يقينك بربك: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ
وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥]:

﴿لَئِنْ لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ [الأنعام: ٧٧]:

لا تظن هدايتك أو التزامك بتعاليم دينك قد حدث بفضل إمكاناتك وذكاكك،
لا يهدي إلى الله إلا الله.

﴿أَتَحْجُجُونَ فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَيْنَا﴾ [الأنعام: ٨٠]:

كيف أترك ما ثبت لي بالدليل القاطع الموجب للهداية، وألتفت إلى حججكم
الضعيفة، وكلماتكم الباطلة؟! ناقش عدوك بالمنطق!

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢]:

تأملت فوجدت أن الحياة الآمنة لا توجد مع الظلم، فكل الظالمين غير آمنين،
وإن ترسوا بالحرس والعتاد.

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْآمَنُ﴾ [الأنعام: ٨٢]:

كلما زاد إيمانك زاد أمانك.

الآمن منحة ربانية لا يستطيع أن يوفّر لها لك بشر.

﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ﴾ [الأنعام: ٨٣]:

كان زيد بن أسلم يقول في هذه الآية: إنه «العلم يرفع الله من يشاء به في الدنيا».

هي إجابة على سؤال: لماذا يرفع الله بعض الناس دون بعض؟ فالله يعلم من يستحق، ومقدار استحقاقه، وذلك بحسب علمه وحكمته.

قال الشعبي: «العلم ثلاثة أشبار، فمن نال منه شبراً شمع بأنفه وظن أنه ناله، ومن نال الشبر الثاني صغرت إليه نفسه وعلم أنه لم ينله، وأما الشبر الثالث فهيئات لا يناله أحد أبداً».

قال ابن تيمية: «فرع الدرجات والأقذار على قدر معاملة القلوب بالعلم والإيمان، فكم ممن يختم القرآن في اليوم مرة أو مرتين وآخر لا ينام الليل وآخر لا يفطر، وغيرهم أقل عبادة منهم وأرفع قدراً في قلوب الأمة؛ وذلك لقوة وصفاء المعاملة وخلوصها من شهوات النفوس».

﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]:

أثنى الله على ثمانية عشر نبياً في سياق واحد، ثم ختم ثناءه عليهم بقوله: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨] لأن الشرك ذنب لا يغفر، ولو كان من أشرف الخلق!

﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩]: دعوة الله سائرة، والشرف لمن حملها، فإن تحلى عنها قوم أقام الله لها قوماً آخرين.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَقْتَدَ﴾ [الأنعام: ٩٠]:

جاء الأمر باتباع الهدى لا المهتدين! فالفتنة لا تؤمن على حي، فاجعل دائماً ولاءك للفكرة لا للأشخاص.

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١]:

عن ابن عباس قال: قالت اليهود: والله ما أنزل الله من السماء كتاباً، فنزل قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ...﴾.

﴿ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكًا ﴾ [الأنعام: ٩٢]:

تعلّق بالقرآن تجد البركة. قال ابن تيمية: «ونِدِمْتُ على تضييع أكثر أوقاتي في غير معاني القرآن».

البركة أن يعطى الشيء أكبر من حجمه المنظور، وبركة القرآن واضحة، فلو قسنا حجم القرآن بحجم الكتب الأخرى لوجدنا عدد صفحات القرآن أقل، ومع هذا ففيه من الخير والبركات والتشريعات والمعجزات والأسرار ما تضيق به آلاف الكتب.

﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [الأنعام: ٩٤]:

وحيدًا خلال إقامتك في قبرك، ثم في خمسين ألف سنة هي يوم حشرك، وليس معك حينها سوى عملك!

قال الشيخ الطنطاوي عن سرّ شجاعته في قول الحق: «إني لأتصوّر الآن ملوك الأرض وقد خرجوا من قبورهم حُفَاةَ عُرَاةٍ منفردين فاتَّعِظْ، فأقول من فوق هذا المنبر ما ينفعني في ذلك اليوم لا ما يُفيدني اليوم، ومن تصوّر هذا لم يُعديالي بأحد».

﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ ﴾ [الأنعام: ٩٦]:

إن الذي يزيح ظلمة الليل كل يوم بانفلاق الصبح، قادر على تفريج كربك وتسريع فرجك وتيسير أمرك.

﴿ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانُ مَشْبَاهَا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ ﴾ [الأنعام: ٩٩]:

ما الفرق بين المشبه والمتشابه؟ الاشتباه في الشكل، والتشابه في الطعم، فالشكل واحد والطعم مختلف.

﴿ وَلَيَقُولُوا دَرَسْتَ ﴾ [الأنعام: ١٠٥]:

وفي الكلام حذف تقديره: ولئلا يقول أهل مكة جهالة وسفاهة أنك درست على يد أهل الكتاب، وفي قراءة: (دارست) أي أهل الكتاب، ثم أتيت بهذا القرآن.

﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾

[الأنعام: ١٠٨]: حين تكون مهذبًا في كلامك، فأنت تصون دينك عن عبث العابثين وكللمات الجاهلين.

ليس مطلوبًا فقط أن تفعل ما تراه صحيحًا، لكن لا بد ألا يؤدي فعل الصحيح إلى مفسدة أكبر.

﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ١١٠]:

قال ابن القيم: «من عُرِضَ عليه حق فَرَدَّهُ ولم يقبله عوقب بفساد قلبه وعقله ورأيه».

﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ﴾ [الأنعام: ١١٠]:

قلبك متقلب، وأمره ليس بيدك! فتقرب لربك ليقرب قلبك إلى ما ينفعه،
ويبعده عما يضره.

لما احتضر أبو الدرداء جعل يقول: من يعمل لمثل يومي هذا؟ لمثل ساعتني هذه؟
من يعمل لمثل مضجعي هذا؟ قال: ثم يقول: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ
كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ١١٠]:

احذر أن يعاقبك على ثقافتك عن اتباع الحق أول مرة بأن يقلب فؤادك، فلا
تهتدي للحق، أو تهتدي له ولا تقدر على الاستجابة له، ولو حرصت!

من روائع المتدبرين

أورد الإمام الذهبي عن أبي عبد الله مردنيش المجاهد الزاهد المغربي أنه أغار يوماً فغنم غنائم كثيرة، واجتمع عليه من الروم أكثر من ألف فارس، فقال لأصحابه وكانوا ثلاث مائة فارس: ما ترون؟ فقالوا: نشغلهم بترك الغنيمة. قال: ألم يقل القائل: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَبْرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ [الأنفال: ٦٥]، فقال أصحابه: يا رئيس... الله قال هذا؟ فقال: الله يقول هذا وتعدون عن لقاءهم!! قال: فثبتوا فهزموا الروم.

سير أعلام النبلاء ٢٠ / ٢٣٣ - ط مؤسسة الرسالة



الجزء الثامن

من سورة الأنعام الآية ١١١
إلى سورة الأعراف الآية ٨٧
عدد الفوائد ١٠٦

﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ١١١]:

إيمانك رهن بمشيئة الله وتوفيقه، فهل أدركت الآن قدر نعمة الله عليك؟!

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢]:

هيهات أن تسلك طريق الأنبياء دون أن تلتقي بأعدائهم على قارعة الطريق!

﴿زُخْرَفَ الْقَوْلِ غَرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]:

إذا كثرت (زخارف) القول، فاعلم أنها تخفي وراءها عيوب فكرة باطلة.

قال ﷺ: «إنما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان».

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢]:

شياطين الإنس أشد خطورة من شياطين الجن؛ لذا قدم الله ذكرهم هنا.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام: ١١٢]:

أطفئ لهيب الحزن والألم في قلبك، وتعرف على الحكمة الغائبة من الأحداث،

وذلك بتأملك في قول ربك: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام: ١١٢].

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢]:

حتى الأنبياء كان لهم أعداء، فكيف تستبعد وجودهم حولك!

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ [الأنعام: ١١٢]:

كلما كانت رتبة العبد أعلى، كانت البلايا أشد والعداوات أصعب؛ ولذا كان

أشد الناس بلاء الأنبياء عليهم السلام.

﴿وَلِصَغَىٰ إِلَيْهِ أَفْعَدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُّقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: ١١٣]:

التدرج الشيطاني مخادع ورهيب.

فأول خطوة: الإصغاء..

والثانية: الرضا..

والثالثة: اقراراف الحرام.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥]:

كل ما في القرآن لا يزيد عن خبر أو أمر، فخبره صدق، وأمره عدل، بل لا أصدق من الأخبار التي أودعها الله في كتابه، ولا أعدل من أوامره ونواهيه.

﴿وَلَا تُطِيعُوا أَتْبَاعَ الشَّيَاطِينِ أَكْثَرُ مِنْ أَتْبَاعِ الْمُرْسَلِينَ، وَاقْرَأْ إِنْ شِئْتَ: ﴿فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾﴾ [الأنعام: ١١٦]. فلا تغرنك الكثرة!!

﴿وَلَا تُطِيعُوا أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ﴾ [الأنعام: ١١٦]:

الاغترار بالكثرة يؤدي إلى العقل الجمعي ويفسر سياسة القطيع، والتي تقودك لمواكبة من حولك ولو كانوا على خطأ.

﴿وَلَا تُطِيعُوا أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]:

كثرة الأتباع ليست دليلاً على صحة المنهج، وإلا فيلبس صاحب أكثر الأتباع على وجه الأرض، ومن اغتر بكثرة أتباعه صرعوه، وتحكموا به وأهلكوه.

﴿وَدَرُّوا ظُهُورَ الْإِثْمِ وَبَاطِنُهُ﴾ [الأنعام: ١٢٠]:

قال سهل بن عبد الله: «ظاهره الفعال، وباطنه الحب له».

باطن الإثم يشمل ما لا يعرفه الخلق من الحسد والحقد وسوء الظن بالناس وإضمار الشر لهم وغيرها من آثام القلوب.

﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَاهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ [الأنعام: ١٢٢]:

القرآن حياة لقلبك ، ونور يُضيء ظلام دربك .

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُّجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾

[الأنعام: ١٢٣]: في كل بلد مجرمون يُفسدون، فإن تركهم الناس ولم يأخذوا على أيديهم هلكوا جميعًا!

سين: لم اكتفى بذكر أكابر المجرمين!؟ جيم: لأن باقي المجرمين تبع لهم .

﴿يُشْرَحَ صَدْرُهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]:

بقدر إيمانك وحسن إسلامك يكون انشراح صدرك .

﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ، يُجْعَلْ صَدْرُهُ ضَيِّقًا﴾ [الأنعام: ١٢٥]:

ضيق صدرك لعله علامة ضلالك عن طريق الحق، فتخلص من هذا الضيق بالرجوع إلى الحق .

﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ، يُجْعَلْ صَدْرُهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي

السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]:

قرأ عمر بن الخطاب ؓ هذه الآية، ثم سأل أعرابياً: ما الحرجة؟ قال: الشجرة تكون بين الأشجار التي لا تصل إليها راعية ولا وحشية ولا شيء، فقال عمر: كذلك قلب المنافق لا يصل إليه شيء من الخير .

﴿وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بِعُضِّ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٩]:

ينتقم الله من الظالمين بالظالمين، ثم ينتقم من الظالمين أجمعين، فكأن الظالم له رسالة، أن ينتقم من ظالم مثله، قبل أن يهلكا جميعًا .

سئل الأعمش عن هذه الآية، فقال: سمعتهم يقولون: «إذا فسد الناس أُمِّر عليهم شرارهم» .

﴿وَلِكُلِّ دَرَجَتٌ مِّمَّا عَمِلُوا﴾ [الأنعام: ١٣٢]:

قدرك عند الله على قدر عملك .

﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ [الأنعام: ١٣٣]:

الغنى و الرحمة نادرا ما يجتمعان، ولا يجتمعان إلا في عظيم! فسبحان ربي العظيم.

﴿إِن مَّا تَوْعَدُونَ لَأَتِي﴾ [الأنعام: ١٣٤]:

ترشدك إلى قصر الأمل، فكل آت قريب، ومن قصر أمله حسن عمله.

لا أحد يقدر على أن يمنع تحقيق وعد الله أو وعيده، بل إن زوال السماوات والأرض لأهون على الله من إخلاف وعد من وعوده.

﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١]:

قال مجاهد: لو كان أبو قبيس (جبل) ذهباً فأنفقه رجل في طاعة الله تعالى لم يكن مسرفاً، ولو أنفق درهماً في معصية الله تعالى كان مسرفاً.

قيل لحاتم الطائي: لا خير في السرف، فأجابهم: بل لا سرف في الخير.

﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَسًا﴾ [الأنعام: ١٤٢]:

الحمولة هي ما يحمل عليه من الإبل وغيرها، والفرش صغار الإبل التي لم تدرك أن تحمل عليها.

﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١]:

وقال في سورة الإسراء: ﴿وَلَا تَقْنَلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ [الإسراء: ٣١]: أي لا تخافوا من فقركم بسبب أولادكم؛ ولهذا قال هناك: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾، فبدأ برزقهم للاهتمام بهم، وأما في هذه الآية فلما كان الفقر حاصلاً قال: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾؛ لأنه الأهم ها هنا.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام: ١٥١]:

ما بطن من الفواحش هو محبة القلب للذنب، لكن لا يقدر على فعله لعدم توفر الظروف أو لخشية افتضاحه بين الناس، ولو تخلص من هذا لوقع في الذنب.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ﴾ [الأنعام: ١٥١]:

الاقتراب من الخطر هو بداية السقوط!

﴿وَلَا نَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام: ١٥٢]:

ما أقيح أن تضاعف جراح اليتيم بأخذ ماله دون وجه حق.

﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الأنعام: ١٥٢]:

في الثقافة العائلية والقبلية، أنت تقف مع أسرتك وعائلتك حتى لو خالفت القانون، إلا في ديننا الإسلامي، فأنت تقف مع الحق ضد أسرتك!

﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥]:

قال السعدي: «أكبر سبب لنيل رحمة الله اتباع هذا الكتاب علماً وعملاً».

﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَوَ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾

[الأنعام: ١٥٨]: لماذا لا ينفع النفس إيمانها؟ قال السعدي: «والحكمة في هذا

ظاهرة، فإنه إنما كان الإيمان ينفع إذا كان إيماناً بالغيب، وكان اختياراً من العبد،

فأما إذا وُجِدَت الآيات صار الأمر شهادة، ولم يبق للإيمان فائدة؛ لأنه يشبه الإيمان

الضروري، كإيمان الغريق والحريق ونحوهما، ممن إذا رأى الموت، ألقع عما هو فيه».

﴿قُلْ أَنْظَرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]:

انتظار الفرج من أعظم العبادات، فأحسن الظنَّ برب الأرض والسموات.

﴿قُلْ إِن صَلَائِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢]:

الإسلام نظام شامل يشمل شؤون الحياة جميعاً، ولا فصل فيه بين سياسة

الامة ودينها.

﴿لَيْسَبُلُوكُمْ فِي مَآءَاتِكُمْ﴾ [الأنعام: ١٦٥]:

أي ليمتحنكم فيما أعطاكم من نعم، والنعم هي رصيدكم في سوق الحياة،

والسوق مكان التجارة، فيربح فيه من ربح، ويخسر من خسر.

﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ [الأنعام: ١٦٥]:

هو العقاب المعجل على الذنب في الدنيا، قبل أن يرجع إلى الآخرة، فيلقى العقوبة الأشد.

سورة الأعراف

﴿فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف: ٢]:

كيف تحمل رسالة تتخرج عن ذكر تفاصيلها أمام غيرك؟

لا يكن فيك ضيق صدر من تبليغ القرآن مخافة أن يكذبوك أو يؤذوك أو يستهزؤوا بك، فبلغ رسالة الله ولو ساءهم ذلك.

خطاب لرسول الله ﷺ يتضمن خطاباً لأمته، فإياك أن تتخرج من آية في كتاب الله أن تبلغها لغيرك!

قال مجاهد وقتادة: الحرج هنا: الشك، لأن الشاك ضيق الصدر، والمراد أمة النبي ﷺ، أي: لا يشك أحد منكم في آية من كتاب الله.

﴿فَجَاءَهَا بِأُسْنًا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ [الأعراف: ٤]:

قال ابن كثير: فكان منهم من جاءه أمر الله وبأسه ونقمته ﴿بَيِّنًا﴾ أي: ليلاً ﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ من القيلولة، وهي: الاستراحة وسط النهار، وكلا الوقتين وقت غفلة وهو.

﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦]:

قال رسول الله ﷺ: «يُدعى نوح يوم القيامة فيقال له: هل بلغت؟! فيقول: نعم، فيدعى قومه فيقال: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أئانا من نذير، وما أئانا من أحد، قال: فيقال لنوح: من يشهد لك فيقول: محمد وأمته».

﴿ فَلَنَقْصُصَنَّ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف : ٧]:

سيقص الله علينا يوم القيامة ما كنا نعمل في الدنيا، وسيكشف بعضنا أنه سبحانه لم يكن غائبًا عن شيء فعلوه، فواخجلناه يومئذٍ أو وافرحناه!

﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴾ [الأعراف : ٨]:

قال وهب بن منبه: «إنما يوزن من الأعمال خواتيمها، وإذا أراد الله بعبد خيرًا ختم له بخير، وإذا أراد الله به شرًا ختم له بشر عمله».

﴿ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ ﴾ [الأعراف : ١٢]:

شعار إبليس الذي أهلكه، وأهلك كل من سار على خطاه.

قال الأوزاعي - رحمه الله - لبقية بن الوليد: «وإذا سمعت أحدًا يقع في غيره؛ فاعلم أنه إنما يقول: أنا خير منه!».

علامة الكبر! قال أبو حازم: «من رأى أنه خير من غيره فهو مستكبر؛ وذلك أن إبليس قال: ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ ﴾ [الأعراف : ١٢]، فكان ذلك استكبارًا».

إنما أهلك إبليس العجب بنفسه: ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ ﴾ [الأعراف : ١٢]، وكملت فضائل آدم باعترافه بذنبه: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا ﴾ [الأعراف : ٢٣].

﴿ خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ [الأعراف : ١٢]:

قال ابن سيرين: «من قاس الدين برأيه قرنه الله مع إبليس».

﴿ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾

[الأعراف : ١٣]: «قال الله تعالى: الكبرياء ردائي، فمن نازعني في ردائي قصمته»
صحيح الجامع رقم: ٤٣٠٩.

دعا إبليس ربه: ﴿ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [الأعراف : ١٤] فاستجاب الله

له: ﴿ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٥] أفلا يستجيب لك؟!

﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف : ١٩]:

حرص ربنا على وقايتنا من الحرام، فأمرنا بعدم الاقتراب منه، كي لا تجذبنا دوامة الحرام عند الاقتراب منها.

﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ [الأعراف : ٢٠]:

في قراءة ابن عباس والضحاك: ملكين، بكسر اللام، فأول مدخل دخل به الشيطان على الإنسان كان حبَّ الملك والخلود، وهو نفس المرض الذي ابتليت به الأمة اليوم: الوهن، وهو حب الدنيا وهو الملك، وكرهية الموت وهو الخلود، فانظر كيف امتد هذا المرض إلى اليوم!

﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لِنَاصِرٍ﴾ [الأعراف : ٢١]:

ليس من القسمة؛ بل من القسم أي حلف لهما الشيطان.

الكاذب كثير الحلف دون أن يطلب منه أحد أن يقسم!

﴿فَدَلَّهُمَا بِقُرْورٍ﴾ [الأعراف : ٢٢]:

قال ابن عباس: «غرَّهما باليمين، وكان آدم يظن أنه لا يحلف أحد بالله كاذباً».

﴿فَدَلَّهُمَا﴾ [الأعراف : ٢٢]:

أي أنزلهما من مرتبتهما العالية إلى واقعة الخطيئة، والتدلية: السقوط من عل، فالطاعة علو، والعصيان هبوط.

﴿وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف : ٢٣]:

تعريف الخسارة في القرآن: هو عدم المغفرة.

قال ابن القيم: ثلث ما نفعه [آدم] عز (أَسْجُدُوا)، ولا شرف (وَعَلَّمَ آدَمَ)،

ولا فخر (وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي)، وإنما انتفع بِذُلِّ (رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا).

﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف : ٢٦]:

يقول ابن عباس: «لباس التقوى هو العمل الصالح».

ما أصدق قول الشاعر:

وخير ثياب المرء طاعة ربه ولا خير فيمن كان لله عاصيا

مهما ارتديت أجمل الثياب، ستظل التقوى أجمل ثوب؛ لأنها ما يحب الله أن يراه عليك.

﴿يَنْبِئُ آدَمَ لَا يَفْلِتَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٧]:

تذكيرٌ بالشأر ممن كان سبب خروج أبيك من الجنة، وهذا كفيل بإذكاء نار العداوة بينك وبين إبليس، فكيف تبيع جوهر العمر النفيس بعمل خسيس؟

﴿يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾ [الأعراف: ٢٧]:

اللباس جولة رئيسية ومعركة محورية في صراع الشيطان مع الإنسان.

﴿إِنَّهُمْ يَرِينَكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرُونَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧]:

عدو يراك ولا تراه، فما أسهل أن يظفرك!

﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ [الأعراف: ٣٠]:

الهداية محض فضل من الله، وأما الضلالة فيجلبها العاصي على نفسه!

﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٠]:

لو علم الضال أنه ضال، لانفكت العقدة، لكن أبشع ألوان الضلال من ظن صاحبا أنه على خير حال.

﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْقَدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]:

قال عليه السلام: «إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب».

﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف: ٣٨]:

ما أشد نخاصم أهل النار: كلُّ يلقي باللوم على غيره وينسى نفسه!

نخية أهل النار اللعن! والتعبير عن المستقبل بلفظ الماضي للتشبيه على تحقق وقوعه.

﴿وَأَسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ [الأعراف : ٤٠]:

ما دام في القلب كبر، فالطريق نحو الجنة مسدود!

﴿حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف : ٤٠]:

المقصود بالجمال الحبل الغليظ لا الجمال المعروف.

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ﴾ [الأعراف : ٤٣]:

حين تطهر قلوبنا من الغل، نعيش في بقعة من الجنة، وحين نحمل الغل، فإننا نحمل في صدورنا النار.

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ [الأعراف : ٤٣]:

أي أخوة هذه التي لا تطهر قلوباً من الغل والحسد!

﴿إِذَا لَفِئَتِكَ يَوْمَ تَارَ الْغُرُورِ فَاذْكُرْ دَعَاءَ أَهْلِ الْجَنَّةِ﴾ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا**

لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ [الأعراف : ٤٣]

﴿وَنُودُوا أَنْ تُلَكُمُ الْجَنَّةُ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف : ٤٣]:

تطيب من الله لخواطر المؤمنين، وإلا فإنهم إذا رأوا مقاعدهم في الجنات علموا أن أعمالهم المشوية بالتقصير لا توجب لهم أبداً هذه الدرجات.

﴿الْجَنَّةُ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف : ٤٣]:

كلمة الميراث دليل على أن الجنة عطية من الله، ومحض فضل منه؛ لأن إيمان العبد وطاعته لا يوجب عقلاً ولا عدلاً إلا نجاته من العقاب المترتب على الكفران والعصيان، لكن لا يوجب جزاء ولا عطاء.

الجنة ميراث يرثه أهل الجنة من قوم كانت قد أعدت الجنة لهم، لكنهم لم يقدموا

الثلثين اللازم لشرائها، قال رسول الله ﷺ: «كل أهل النار يرى منزله من الجنة، فيقولون: لو هدانا الله، فتكون عليهم حسرة. وكل أهل الجنة يرى منزله من النار، فيقولون: لو أن هدانا الله. فهذا شكرهم».

﴿أَنْ لَّعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف : ٤٤]:

قال ميمون بن مهران: «إن الرجل يقرأ القرآن وهو يلعن نفسه. قيل له: وكيف يلعن نفسه؟ قال: يقول: ﴿أَنْ لَّعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف : ٤٤] وهو ظالم».

نادى رجل على سليمان بن عبد الملك وهو جالس على المنبر، فقال: يا سليمان .. اتق الله، واذكر يوم الأذان، فنزل سليمان عن المنبر مغضباً ودعا بالرجل، فقال: أنا سليمان .. فما يوم الأذان؟! فقال الرجل: ﴿فَإِذَنْ مُّوَدِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَّعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف : ٤٤].

قال: وما مظلمتك؟

قال: وكيلك قد غلبني على أرضي قال: فأمر بالكتاب إلى وكيله أن أعطه أرضه، وأرضي مع أرضه!

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ﴾ [الأعراف : ٥٥]:

أمر الله لعباده بالدعاء هو إعانة لأصحاب المحن، وعطاء لأصحاب الحوائج، وراحة لأصحاب الهموم، وأنس لأصحاب القرب من الله.

قال السعدي: «من كان قصد في دعائه التقرب إلى الله بالدعاء، وحصول مطلوبه، فهو أكمل بكثير ممن لا يقصد إلا حصول مطلوبه فقط، كحال أكثر الناس».

﴿تَضَرَّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف : ٥٥]:

علّمنا الله آداب الدعاء بأن ندعوه بلسان الافتقار والانكسار والاضطرار، فتهمر علينا عطايه كالأمطار.

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرَّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يَحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف : ٥٥]:

من غاية إكرام الله لنا أن جعل الإمساك عن دعائه المؤدي إلى عطائه اعتداء منا!!

﴿أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف : ٥٥]:

أفضل الدعاء أخفاه، لأنه دليل إخلاص العبد، ومن أسباب القبول.

﴿وَأَنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف : ٥٥]:

الاعتداء في الدعاء على وجوه: منها علو الصوت فيه والصياح، أو الدعاء بمحال، أو بما ليس في الكتاب والسنة، فيتخير الداعي كلمات فيها سجع كثير، ويترك ما دعا به رسوله ﷺ.

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف : ٥٦]:

قال ابن عطية: ولا تعصوا في الأرض، فيمسك الله المطر، ويهلك الحرث بمعاصيكم، وفي الحديث: «لم يمنع قوم زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يُمطروا» صحيح الجامع رقم: ٩٣٣٥.

قال أبو حيان: «هذا نهي عن إيقاع الفساد في الأرض، وإدخال ما هيته في الوجود بجميع أنواعه، من إفساد النفوس والأموال والأنساب والعقول والأديان».

﴿وَأَدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الأعراف : ٥٦]:

اجعل خوف العقاب ورجاء الثواب جناحين يحملان طير قلبك إلى طريق الاستقامة، فإن انفراد أحد الجناحين يسقط بالطائر، ويهلك العبد.

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف : ٥٦]:

قال يحيى بن معاذ الرازي: «ليكن حظ المؤمن منك ثلاثة: إن لم تنفعه فلا تضره، وإن لم تفرحه فلا تغمه، وإن لم تمدهحه فلا تدمه».

﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف : ٥٦]:

كلما زاد الإحسان زاد قربك من الرحمن.

﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ، وَيَادِّنُ رَبَّهُ﴾ [الأعراف : ٥٨]:

إذا زكا الأصل طاب الفرع، وإذا خبت لم يطب ما خرج منه، فالظاهر يدل على الجوهر، ومن صفا باطن قلبه زكا ظاهر فعله، ومن كان بالعكس، فحاله بالضد.

﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف : ٦٢]:

قال قتادة: «إني أعلم من إحسان الله تعالى إلي ما يوجب حسن الظن به».

راجع ملفاتك القديمة في تعاملاتك مع الله، وأنعش روح الأمل.

قال قوم هود له: ﴿إِنَّا لَنَرُّكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾ [الأعراف : ٦٦] فأجابهم:

﴿يَقُومُ لَيْسَ فِي سَفَاهَةٍ﴾ [الأعراف : ٦٧]: ما أرقى سلوك الأنبياء في الرد على السفهاء.

﴿يَقُومُ لَيْسَ فِي سَفَاهَةٍ﴾ [الأعراف : ٦٧]:

لما ولي عمر بن عبد العزيز خرج ليلة ومعه الحرس، فدخل المسجد فمر في الظلمة برجل نائم فتعثر به، فرفع رأسه إليه، فقال الرجل: أجمنون؟ قال: لا، فهمم به الحرس، فقال لهم عمر: مه! إنما سألتني أجمنون أنت فقلت لا.

﴿أَتَجِدُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُهَا أَنْتَ وَءَابَاؤُكُمْ مَا نَزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ [الأعراف : ٧١]:

كل قول في الدين لا يستند لدليل أو شاهد من الشرع، فمصيره التكذيب والكران.

﴿وَلَكِنْ لَا تَحِبُّونَ النَّصِيحَ﴾ [الأعراف : ٧٩]:

من علامة الهلاك كراهية الناصح مع حب المادح.

محبة الناصح هي علامة القلب الحي، وكلما توارت هذه المحبة عن القلب زادت قسوته واقترب موته.

﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرًا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ [الأعراف : ٨٣]:

قال ابن تيمية: «ومن رضي عمل قوم حثير معهم، كما حثرت امرأة لوط معهم ولم تكن تعمل فاحشة اللواط، فإن ذلك لا يقع من المرأة، لكنها لما رضيت فعلهم عمها العذاب معهم».

﴿وَتَبْعُونَهَا عِوَجًا﴾ [الأعراف: ٨٦]:

كثيرون ممن حولنا يحبون انحرافنا عن صراط الله المستقيم، ويسعون في هذا سعيًا حيثًا.

﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾

[الأعراف: ٨٦]: توعّدوا المؤمنين بنبي الله شعيب بسوء العذاب، وبسبب هذا الوعيد خاف كثير من الناس من اتباع الحق، فوقع الصد عن سبيل الله.. سُنَّةَ جارية متكرّرة في كل عصر.

الجزء التاسع

من سورة الأعراف الآية ٨٨
إلى سورة الأنفال الآية ٤٠
عدد الفوائد ١٢٢

﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَلَّاحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩]:

كل المفاتيح بيد الله، قليل من الناس من يدرك هذا.

﴿فَكَيْفَ أَتَى عَلَى قَوْمٍ كَفِيرِينَ﴾ [الأعراف: ٩٣]:

هكذا نفوس العظماء - وليس أعظم من الأنبياء - تأسف وتحزن لإعراض الناس عن الخير، مع أن هذا هو اختيارهم لأنفسهم، لكنها شفقة المصلح على قومه.

صلة الأنساب والأقوام لا وزن لها عند الله إن تعارضت مع الدين، فالوشيجة الباقية هي وشيجة الدين، والارتباط الوثيق بين الناس إنما يكون عبر حبيل الله المتين.

﴿أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾ [الأعراف: ٩٤]:

من فوائد الشدة والبلاء أن يراك الله متضرعاً بين يديه!

سبب نزول الخيرات والبركات هو استقامة الناس على أمر الله: ﴿وَلَوْ أَنَّ

أَهْلَ الْقُرَىءِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

ليست العبرة بالنعمة إنما العبرة بالبركة في هذه النعمة؛ ولذا كان من دعاء النبي ﷺ: «اللهم بارك لنا في صاعنا، اللهم بارك لنا في مُدِّنَا»، والصاع والمُدَّ مكايل مشهورة عند العرب.

سين: لكن المشاهد أن أكثر أهل الغنى هم من لا يؤمنون بالله، أو لا يتقونه!

٨٦١

جيم: المؤمن التقى أكثر الناس غنى في قلبه، وقناعة في نفسه، ورضا بقدره، وهذه أعظم بركة، ولا حياة أطيب من هذه الحياة.

٨٦٢

﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]:

لا يشتط الظالم في ظلمه إلا عندما يأمن مكر الله؛ لذا فعاقبة الظلم الخسران والهلاك.

٨٦٣

قال ابن حجر: «الأمن من مكر الله يتحقق بالاسترسال في المعاصي مع الاتكال على الرحمة».

٨٦٤

﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾

[الأعراف: ٩٩]: قال القشيري: يقال: «من عرف علو قدره - سبحانه - خشي خفي مكره، ومن آمن خفي مكره نسي عظيم قدره».

٨٦٥

تتابع الذنوب من غير توبة هو سبب إزهاق روح القلب، وتحويله إلى صخرة صماء: ﴿أَن لَّوْشَاءُ أَصَبْتَهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطَّبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأعراف: ١٠٠].

٨٦٦

﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ﴾ [الأعراف: ١١٠]:

اتهم المصلحين بالتآمر على البلد أسطوانة يكررها طغاة كل عصر.

٨٦٧

﴿وَإِنَّكُمْ لَيْنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [الأعراف: ١١٤]:

التقريب وإغداق الهدايا أسلوب الظالمين في إغراء أصحاب النفوس الضعيفة لينفذوا أمرهم ويضمنوا ولاءهم.

٨٦٨

﴿وَأَلْقَى السَّحَرَةَ سَجِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٠]:

وكان قوة قاهرة ألقتهم إلى وضع السجود! فلم يتماكروا أن سجدوا دون تريت أو تردد، بعد أن بهرهم نور الحق الساطع.

﴿ءَامَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ [الأعراف: ١٢٣] :

حتى الإيمان يحتاج إلى تصريح! ما أغبى هؤلاء الطغاة!

﴿قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُتَقَلِّبُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٥] :

كل أوجاع الدنيا مغمورة في بحر ثواب الآخرة.

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَنْذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾

[الأعراف: ١٢٧] : أولى خطوات معاداة الناصحين هي شيطنتهم في عيون الناس.

﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧] :

اختيار الفوقية يُوحي بالسيطرة التامة، وهي أول خطوة في طريق سقوط الطغاة، أن ظنوا أن الأمر إليهم لا إلى الله.

﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا﴾ [الأعراف: ١٢٨] :

قدم موسى الاستعانة بالله على الصبر؛ لأن التوكل على الله أنفع في الشدة من الاعتماد على النفس بصبرها وتجلدها.

خارطة الطريق نحو النصر = توكل + صبر

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ

يَذْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٠] :

ليس معنى السنين هنا السنوات؛ بل القحط وقلة المطر.

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَكُمُوسَىٰ﴾ [الأعراف: ١٣٤] :

في الشدائد والأزمات تتجه الأنظار دومًا نحو المصلحين.

﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ

وَمَغْرِبَهَا﴾ [الأعراف: ١٣٧] :

الاستضعاف أولى خطوات التمكين!

سين: لماذا لم يقل (المستضعفين)، وقال: (كانوا يُستضعفون)؟

٨٧٨

جيم: لسببين: الأول: إشارة إلى سبب هذا الخبر، أي أن الله أورثهم الأرض جزاء صبرهم.

الثاني: التعريض بيشارة المؤمنين في كل عصر بأنهم ستكون لهم العاقبة كما كانت لبني إسرائيل، إن هم صبروا على الأذى في سبيل الله كما صبر من قبلهم.

٨٧٩

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الأعراف: ١٣٧]:

حسبك ثناء على الصبر أنه شرط النصر!

٨٨٠

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ

الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢]:

قال القرطبي: «هذا أصل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتغييره ومفارقة أهله، وأن المقيم بينهم لا سيما إذا كان راضياً، حكمه كحكمهم».. إزالة المنكر أو الزوال عنه.

٨٨١

﴿فَلَمَّا تَخَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣]:

جبال رواسٍ وصخور تتصدع، وقلوب من لحم ودم لا تتصدع!

٨٨٢

﴿سَاصِرُفُّ عَنْ ءَايَتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٤٦]:

المتكبرون أقل الناس إدراكاً للحقائق وفهماً للواقع.

٨٨٣

قال سفيان بن عيينة: «أنزع عنهم فهم القرآن، فأصر فهم عن آياتي».

٨٨٤

﴿فَلَا تُشْمِتْ فِيكَ الْأَعْدَاءُ﴾ [الأعراف: ١٥٠]:

الصديق لا يشمت، الأعداء فقط يفعلون.

٨٨٥

﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَحَ وَآخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ﴾ [الأعراف: ١٥٠]:

لا تعاتب جيبك في لحظات غضبه، فعندما حمل الغضب موسى عليه السلام على إلقاء الألواح وفيها كلام الله، وجرَّ رأس أخيه وهو نبي، عذره الله ولم يعاقبه.

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي﴾ [الأعراف: ١٥١]:

كم أخا من إخوانك دعوت له اليوم!؟

كم من نائم مغفور له، يقوم أخوه يصلي من الليل، فيدعو له، فيغفر الله للاثنتين.

﴿لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤]:

اختصاص يفيد القصر، أي لا يرهب العبد أحداً إلا الله، ورهبته خالصة لوجه الله، وليست رياء ولا سمعة ولا لقصد الثناء.

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]:

من استعظم ذنبه، فقد استصغر رحمة ربه.

قال الثوري: «ما أحب أن يجعل حسابي إلى أبيي؛ لأنني أعلم أن الله تعالى أرحم بي منها».

هكذا مطلقاً، ودون استثناء، كل شيء مرحوم! وأنت شيء من الأشياء!

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ..... يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]:

أبرز صفات نبينا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فما نصيب ورثته من هذه التركة!؟

﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا وَيَوْمَ لَا يَسْئَلُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾ [الأعراف: ١٦٣]:

سئل الحسين بن الفضل عن المثل فقال: (الحلال لا يأتيك إلا قوتاً، والحرام يأتيك جزافاً).. هل يوجد في كتاب الله تعالى!؟ فقال: نعم، في قوله تعالى:

﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا وَيَوْمَ لَا يَسْئَلُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾ [الأعراف: ١٦٣].

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ [الأعراف: ١٦٤]:

(اللواميون) فئة ليتهم إذ قعدوا عن فعل الخير لم يلوموا غيرهم على فعله.

﴿مَعْدِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْقُوتُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤]:

واضح أن الله سيسألنا: لماذا لم ننكر لا لماذا لم نغيّر؟ فلا عذر لساكت!

﴿مَهْمَا انتشرت المنكرات من حولنا، فلا ينبغي ترك الإنكار وإلا نزل العذاب﴾

بالجميع، ولم يتج أحد: ﴿مَعْدِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْقُوتُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤].

﴿وَيَبْلُغُهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨]:

يبتليكم الله بالحسنات والنعم ليعثك على الشكر، كما يبتليكم بالسيئات والنقم ليعثك على الصبر.

﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ [الأعراف: ١٦٩]:

بدلاً من أن يشكروا الله على نعمة المغفرة، كفروا بهذه النعمة واستمروا العصيان.

﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا!﴾ [الأعراف: ١٦٩]:

يا ويح هؤلاء!

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها... إِنَّ السَّيِّئَةَ لَا تُجْزِي عَلَى الْيَسْرِ

ماذا دفعت من ثمن كي تشتري المغفرة؟! أم تظنها رخيصة أو بالمجان؟!

قال معروف الكرخي: «طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب، وانتظار

الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور».

قال الحسن البصري: «إن قوماً ألهتهم أمانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا بلا

حسنة، باعتقاد حسن الظن، وهو كاذب فيه، فلو كان صادقاً لأحسن العمل،

ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ

الْخَاسِرِينَ﴾ [فصلت: ٣٢].

﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ [الأعراف: ١٦٩]:

قال سعيد بن جبير: «يعملون بالذنوب، وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه. قال: ذنب آخر، يعملون به».

﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ [الأعراف: ١٦٩]:

عجيب شأن بعض المذنبين! يمشون على الأرض مطمئنين، وكأنهم أخذوا صكاً من السماء بمغفرة رب العالمين!

﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ [الأعراف: ١٦٩]:

هذه التوبة سابقة التجهيز! يأكلون الحرام، ويقولون: سنستغفر الله وسيغفر!

﴿عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى﴾ [الأعراف: ١٦٩]:

والعرض: الأمر الذي يزول ولا يدوم، ويراد به هنا المال، والأدنى: من الدنو بمعنى الأقرب، لأن متاع الدنيا عاجل قريب، أو من دنو الحال وسقوطها، وفي استخدام اسم الإشارة ﴿هَذَا﴾ إيحاءة إلى تحقير هذا الذي رغبوا فيه.

هذه الآية نزلت في المرتشين، فقد كان قضاة بني إسرائيل يأخذون الرشوة في الأحكام للتسهيل على العوام.

﴿وَالَّذِينَ يُنْسِكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾

[الأعراف: ١٧٠]: من أبرز صفات المصلحين وعلامات صدقهم: الاستمسك بالكتاب مع إقامة الصلاة.

﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَاسْلَخَ مِنْهَا﴾ [الأعراف: ١٧٥]:

لا ييأس إبليس من إغواء أحد ولو بلغ مقام الأولياء، ولا سقف لطموحه في إضلال العبد، فينقله من إمامة المؤمنين إلى إمامة المجرمين!

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ [الأعراف: ١٧٦]:

قال ابن الجوزي: «بالله عليك يا مرفوع القدر بالتقوى: لا تتبع عزها بذل المعاصي». القرآن يرفع صاحبه، والهوى يضعه.

﴿قَتْلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكْهُ يَلْهَثْ﴾

[الأعراف : ١٧٦]: الضالُّ على علم: إن زجرته لم يرتدع (هلك)، وإن تركته بلا نصح (هلك)، كالكلب إن طُرد كان لاهثًا، وإن تركته كان لاهثًا.

قال ابن قتيبة: «كل لاهث إنما يكون من إعياء أو عطش إلا الكلب، فإنه يلهث في حال راحته وحال تعبته؛ وفي حال الري وحال العطش».

ووجه التشابه: حال صاحب الهوى في لهثه خلف هواه.

﴿كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ﴾ [الأعراف : ١٧٦]:

ليس معنى تحمل من وضع الأحمال عليه؛ إذ الكلاب لا يُحمَل عليها، بل المعنى: تزجره وتطرده.

﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَأَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾

[الأعراف : ١٧٩]: كل من له قلب لا يفقه به الحق، وعين لا تبصر الحق، وأذن لا تسمع الحق، فهو (كَأَلَّا نَعْبُدَ بَلْ هُمْ أَضَلُّ)، وسر أنهم أضل من الأنعام أن الأنعام لو كان لديها عقل لفقّهت به!

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف : ١٨٠]:

قال القرطبي موضحًا: «أي اطلبوا منه بأسمائه، فيطلب بكل اسم ما يليق به، تقول: يا رحيم ارحمني، يا حكيم احكم لي، يا رازق ارزقني، يا هادي اهدي، يا فتاح افتح لي، يا تواب تب علي، وهكذا».

قال ابن القيم: «وهو مرتبان: إحداهما: دعاء ثناء وعبادة، والثانية: دعاء طلب ومسألة».

﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف : ١٨٢]:

قال سفيان الثوري: «نُسِغ عليهم النعم، ومنعهم الشكر».

قال أبو حازم: «نعمة الله فيما زوى عني من الدنيا أعظم من نعمته فيما أعطاني منها، إني رأيتُه أعطاهما أقوامًا فهلكوا».

﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ تَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦]:
ما يضرك إن تولى كل الناس عنك ، إن تولى الله أمرك أيها العبد الصالح .

﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ﴾ [الأعراف: ١٩٦]:
ذكر الله الكتاب مع الولاية، وكأنها إشارة إلى أن ولاية الله لك على قدر صلتك بالقرآن .

﴿وَهُوَ تَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦]:
والفعل المضارع فيه دلالة على سريان قانون نُصرة الله للصالحين على مر العصور .

﴿وَتَرْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٨]:
كثيرا ما تبصر العين ويعمى القلب .

قيل لسفيان بن عيينة : قد استنبطت من القرآن كل شيء ؛ فأين المروءة فيه ؟ قال :
في قوله : ﴿حُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]:

﴿حُذِ الْعَفْوَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]:
وذلك مثل قبول الاعتذار والعفو والمساهلة وترك البحث عن الأشياء والتغافل .

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]:
﴿وَأَعْرِضْ﴾ عنهم بعينك فلا تنظر إليهم ، ﴿وَأَعْرِضْ﴾ عنهم بقلبك فلا يلقون فيه بالهموم .

كثير من الوقت الضائع في الجدل كان دواؤه ألا تتورط فيه منذ البداية .
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سيجذب نحوك دائما من يكابره ويجهل عليك .

إذا لم يعترض طريق المصلحين جاهلٌ ومعاند فإصلاحهم مشكوك فيه ؛ فإن الله تعالى قال لنبيه ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] .

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا﴾ [الأعراف: ٢٠١]:
حين تتعثر وتخطئ لم يسلبك الله صفة التقوى ، فسبحان من يمدحك ولو أخطأت .

﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾

[الأعراف: ٢٠٤]: رحمة الله حولك في كل مكان، وتُنال بأيسر الطرق، وماذا أيسر من الإنصات؟

رحمة الله قريبة من المستمع للقرآن فكيف بالعامل به؟!

المشتاق لسماع القرآن مرحوم؛ والذي ينفر من القرآن محروم!

كلما زاد حضور قلبك وحسن إنصاتك، زاد نصيبك من رحمة الله.

﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ [الأعراف: ٢٠٤]:

قال الحارث المحاسبي: «إذا كان كلام العالم أولى بالاستماع من كلام الجاهل، وكلام الوالدة الرؤوم أحق بالاستماع من كلام غيرها، فالله أعلم العلماء وأرحم الرحماء، فكلامه أولى كلام بالاستماع والتدبر والفهم».

أذكار الصباح والمساء كفيلة بأن تُخرج العبد من وصف (الغافلين): ﴿وَأَذْكُرَ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

سورة الأنفال

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢]:

من أعظم علامات الإيمان: التأثير بكلام الله تعالى.

﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢]:

نية جديدة احتسبها كلما قرأت القرآن: أن تكون سببا في زيادة إيمان غيرك.

﴿زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]:

كلما زاد إيمانك زاد توكلك!

﴿وَأِنْ قَرِيبًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ﴾ [الأنفال : ٥]:

عندما يقع لك ما لا تحب، فتفأل، فلعله الطريق إلى ما تحب كما حدث يوم بدر.

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال : ٩]:

حاجتك للإجابة هي كحاجة الغريق للغوث والحياة.

لو استغنى أحد عن الدعاء لكان جيش الصحابة الذين كان فيهم خاتم الأنبياء المؤيد بالوحي.

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾

[الأنفال : ١٠]: إياك أن تظن النصر بسبب الملائكة التي تنزلت، فهم مجرد سبب، ولو شاء الله لنصرهم دون ملائكة.

﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ﴾ [الأنفال : ١٢]:

ومنهم جبريل صاحب السمائة جناح، كل جناح منها يسد الأفق، يقاتل يوم بدر بشرًا مهازيل، ومع ذلك يحتاجون معية الله، وإلا انهزموا!

﴿فَقَاتِلُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الأنفال : ١٢]:

مهما بلغ إيمان العبد، فإنه يحتاج إلى تثبيت الرب، ووسيلة التثبيت هنا كانت الملائكة!

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ [الأنفال : ١٧]:

لا تنسب لنفسك أي خير، فلولا الله ما ركع رাকع ولا سجد ساجد.

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال : ١٧]:

ما رميت بنفسك لكن رميت بنا، فكان منك يا محمد قبض التراب وإرساله من يدك، وكان التبليغ والإصابة من الله.

رمى قبضة من التراب فأصاب جميع الوجوه، وقال له في موضع آخر: ﴿لَيْسَ

لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ وقال في الثالثة: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾،

فإذا كان الملك ملكه، والأمر أمره، والحكم حكمه، فكيف يغتر أحد بقوته أو

يأس من ضعفه؟!

قال صاحب الكشاف: «يعني أن الرمية التي رميتها- يا محمد- لم ترمها أنت على الحقيقة، لأنك لو رميتها ما بلغ أثرها إلا ما يبلغه أثر رمي البشر، ولكنها كانت رمية الله، حيث أثرت ذلك الأثر العظيم.. فأثبت الرمية لرسول الله ﷺ لأن صورتها وجدت منه، ونفاها عنه؛ لأن أثرها الذي لا تطيقه البشر هو فعل الله عز وجل».

﴿وَلِيَسَبِّلَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا﴾ [الأنفال: ١٧]:

البلاء الاختبار، فيختبرهم مرة بالنعم ليظهر شكرهم أو كفرانهم، ويختبرهم أخرى بالمحن ليظهر صبرهم أو جزعهم.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾ [الأنفال: ١٨]:

قال السعدي: «مضعف كل مكر وكيد يكيدون به الإسلام وأهله، وجاعل مكرهم محققاً بهم».

﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾ [الأنفال: ١٩]:

قال أبو جهل حين التقى القوم في بدر: اللهم أقطعنا للرحم، وآتانا بما لا نعرفه، فأحنه- أي فأهلكه- الغداة، فكان المستفتح.

عن الشدي أن المشركين حين خرجوا من مكة إلى بدر أخذوا بأستار الكعبة فاستنصروا الله وقالوا: اللهم انصر أهدي الجندين، وأكرم الفتتين، وخير القبيلتين. فقال تعالى: ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾ [الأنفال: ١٩].

﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال: ٢٣]:

أعظم العقوبات ألا تتفع بالعظات.

نصيبنا من الانتفاع بوحى السماء عظيم بقدر (الخير) الذي في قلوبنا.

﴿أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]:

تعريف الميت بموجب هذه الآية هو من لم يستجب لأمر الله ورسوله، وعلى قدر الاستجابة تكون الحياة.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ [الأنفال: ٢٤]:

أنت لا تملك قلبك، فاستعن بمن يملكه كي يثبتته على الحق.

في الحديث: «مثل القلب في سرعة قلبه كريشة ملقاه بأرض فلاة، تقلبها الرياح ظهراً البطن» صحيح الجامع رقم: ٢٣٦٥.

لا تأمن على قلبك أبداً.

سمع عمر رجلاً يقول: اللهم إنك تحول بين المرء وقلبه، فحل بيني وبين معاصيك أن أعمل بشيء منها.

تمثيل لغاية قرب الله من العبد، وتنبه على أن الله مطلع على مكنونات القلوب التي يغفل عنها صاحبها؛ ليجادر إلى إخلاص قلبه وتصفيته قبل أن يحول الله بينه وبين قلبه بالموت.

تصوير لامتلاك الله قلب عبده، وأنه يحول بينه وبين الكفر إن أراد سعادته، وبين الإيمان إن قضى شقاوته.

إشارة إلى علم الله بعزم المرء ونيتته قبل أن ينتقل هذا العزم إلى جوارحه، فشبه علم الله بذلك بالحائل بين شيئين في تعبير عن شدة الاتصال بالقلب، والمقصود: تحذير المؤمنين من كل خاطر سيئ يؤدي إلى التراخي في الاستجابة لأمر الله ورسوله.

قال ابن عطية: «المراد الحث على المبادرة بالامتنال وعدم إرجاء ذلك إلى وقت آخر، خشية أن تعترض المرء موانع من تنفيذ عزمه على الطاعة».

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥]:

من لعنة الظلم أنه وباء، يتعدى ضرره الظالم إلى من حوله.

في سنن ابن ماجه: «ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي، هم أعز منهم وأمنع، لا يُغَيَّرُونَ، إلا عَمَّهم الله بعقاب» سنن ابن ماجه رقم: ٤٠٠٩.

قال الإمام القسطلاني: «علامة الرضا بالمنكر عدم التألم من الخلل الذي يقع في الدين بفعل المعاصي، فلا يتحقق كون الإنسان كارهًا له، إلا إذا تألم للخلل الذي يقع في الدين، كما يتألم ويتوجع لفقد ماله أو ولده، فكل من لم يكن بهذه الحالة، فهو راضٍ بالمنكر، فتعمه العقوبة والمصيبة بهذا الاعتبار».

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ [الأنفال: ٢٧]:

خيانة شخص مؤلمة! فكيف بمن خان الله ورسوله؟! وخيانة الله بترك فرائضه وانتهاك محارمه، وخيانة الرسول بإهمال سننه وتعاليمه.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩]:

على قدر تقواك يرزقك الله البصيرة التي تفرق بين الحق والباطل.

﴿وَمَا كَانَتْ أَلَّهِ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَتْ أَلَّهِ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣]:

شعورك بالأمان من العذاب وأنت مع رسول الله ﷺ هو نفس شعورك بالأمان مع الاستغفار.

﴿وَمَا كَانَتْ أَلَّهِ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣]:

وجود بدنه فيهم دفع عنهم العذاب وهم أعداؤه، فكيف بوجود الإيمان به ومحبة في قلب عبده؟ أليس دفعه للعذاب أولى.

سئل الحسين بن الفضل عن المثل: (كرامة عين تكرم ألف عين).. هل يوجد في كتاب الله تعالى؟! فقال: قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَّهِ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾

﴿وَمَا كَانَتْ أَلَّهِ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣]:

قال الحسن: لا أظن أن الله يعذب رجلاً استغفر، فقليل: لماذا؟ قال: كيف يلهمه الاستغفار ويريد به أذى!

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨]:

هذا لطفه بالكافرين، فما لطفه بالمؤمنين؟! آية من أعظم آيات الرجاء.

قال عبد القاهر بن طاهر التميمي:

يا من عدائهم اعتدى ثم اعترف ثم انتهى ثم ارعوى ثم اعترف
أبشربقول الله في آياته إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف

من روائع المتدبرين

قال ابن ظفر المكي:

قرأ السري السقطي على مؤذبه قول الله تعالى:

﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِثًا﴾، فقال يا أستاذ.. ما الوِرد؟ فقال:

لا أدري، فقرأ: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ

عَهْدًا﴾ [مريم: ٨٧]، فقال: يا أستاذ.. ما العهد؟ قال: لا أدري! فقطع

السري القراءة وقال: إن كنت لا تدري فلم غررت بالناس؟ فضربه

المؤذّب، فقال السري: ألم يكفك الجهل والغرور حتى أضفت إليهما الظلم

والأذى فاستحله المؤذّب (أي طلب العفو منه)،

وتاب إلى الله، وأقبل على طلب العلم،

وكان يقول: إنما أعتقني من رقّ الجهل السري.

أنباء نجباء الأبناء ص ١٤٦-١٤٧

الجزء العاشر

من سورة الأنفال الآية ٤١
إلى سورة التوبة الآية ٩٢
عدد الفوائد ١٣٠

﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾ [الأنفال: ٤٢]:

لم يتواعدوا فغنموا، وهكذا فضل الله... يأتي من غير ميعاد.

﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾ [الأنفال: ٤٤]:

ما الغرض من تقليل المؤمنين في أعين الكفار؟

قللهم في أعينهم قبل اللقاء، ثم كثرهم فيما بعده، ليجتروا عليهم، ثم تفجؤهم
الكثرة، فيبهتوا وتنكسر شوكتهم، حين يرون ما لم يكن في حسابهم.

﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأنفال: ٤٥]:

من أعظم أسباب الثبات في الأزمات كثرة ذكر الله.

إذا كنت مأمورًا بالذكر الكثير في أشد الأحوال، فكيف ترى تفريطك في الذكر
عند أيسر الأحوال!

﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأنفال: ٤٥]:

ما أجمل قول الإمام ابن عجيبة: «ذكر اللسان نتائج الأجر، وذكر القلوب
نتائج الحضور».

﴿وَلَا تَنَزَعُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦]:

ما تنازع قوم إلا وحلَّ بهم الفشل واستخف بهم الجميع.

﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ﴾

٩٨٤

[الأنفال: ٤٩]: دائماً يتعجب المنافقون من ثقة المؤمنين بالله وحسن ظنهم بربهم، وتفاؤلهم مع قلة عددهم وعتادهم.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرَ نِعْمَةٍ أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُ أَمْرًا بِأَنْفُسِهِمْ﴾

٩٨٥

[الأنفال: ٥٣]:

كما قيل:

إذا كنت في نعمة فارعها فإن المعاصي تزيل النعم

قال ابن القيم: «فما حُفِظَت نعمة الله بشيء قط مثل طاعته، ولا حصلت فيها الزيادة بمثل شكره، ولا زالت عن العبد نعمة بمثل معصيته لربه».

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾

٩٨٧

[الأنفال: ٦٠]:

سيجبر الله كسرهم أيها المؤمنون مهما تكن قوتكم، ما دمتم قد بذلتم ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾.

تناول كل قوة علمية، وبدنية، ومهنية، وسياسية، وإدارية، وتشمل كل مسلم مهما يكن تخصصه.

﴿هُوَ الَّذِي آتَاكَ بَصِيرًا وَالْمُؤْمِنِينَ * وَالْفَافِيَّ قُلُوبِهِمْ﴾

٩٨٩

[الأنفال: ٦٢، ٦٣]:

أول شروط النصر الألفة بين المؤمنين، لا التنازع بينهم وتراشق الاتهامات.

﴿وَالْفَافِيَّ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾

٩٩١

[الأنفال: ٦٣]:

حبة القلوب لا تشتريها كل كنوز الأرض.

﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ﴾

٩٩١

[الأنفال: ٦٤]:

كل هذا العالم لن يكفيننا ما أهمنا وأغمنا، كفاية الله وحدها تشعرنا بالاكتماء.

﴿أَلَنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾

٩٩٢

[الأنفال: ٦٦]:

المشقة تجلب التيسير، وبقدر ما فيك من الضعف، يرسل الله إليك التخفيف.

١٥٨

﴿إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ﴾ [الأنفال: ٧٠]:

الخير مغناطيس في القلب يجذب إليه كل ألوان الخير!

تأكد أن ما فاتك أو أصابك سيعوّضك الله عنه وزيادة، ما دام الخير يملأ قلبك.

رزق العبد على قدر نيته.

إن فاتك شيء وحزنت عليه، فتدبر هذه الآية، وتفاءل بها.

﴿إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا﴾ [الأنفال: ٧٠]:

تفقد قلبك لتعلم من أين جاء الحرمان؟!

مصدر الخير القلب، فلو استطعنا أن نغرس فيه الخير لانهمرت علينا الخيرات من رب الأرض والسموات.

﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ﴾ [الأنفال: ٧١]:

من صيغ حق الله، فهو لغيره أضيع!

﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأنفال: ٧١]:

من خان ربه ودينه وأمته سيملك الله من رقبته ولو بعد حين.

﴿إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣]:

من أسباب الفتن عدم نصره المظلوم؛ ولذا أمر الله بنصره وموالاته.

سورة التوبة

﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١]:

براءة سورة بلا سملة: عبر بقوة عن براءتك من الكفر وأهله دون مجاملات على حساب العقيدة.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنكُمُ غَيْرُ مُعْجِرِي اللَّهِ﴾ [التوبة: ٢]:

أعلم الله الكافر أنه لا يعجزه، فكيف غاب هذا عن مؤمن يؤمن بالله؟

﴿فَإِنْ تَبَيَّنَ لَهُمْ فَهُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [التوبة: ٣]:

كل بوابات الخير تفتح مع التوبة.

﴿وَنَشَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابِ آلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣]:

أصل البشارة في الخير، ولكن ذكرت هنا من باب التهكم، أي أبشروا بما ينتظركم من العذاب الأليم.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْحَنِيفِ﴾ [التوبة: ٥]: ثم قال: ﴿فَإِنْ تَابُوا فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥]:

باب عظيم مهجور من أبواب الإيمان. في الحديث: «أوثق عرى الإيمان: الموالاة في الله والمعاداة في الله، والحب في الله والبغض في الله عز وجل» صحيح الجامع رقم: ٢٥٣٩.

﴿وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ﴾ [التوبة: ٥]:

ترصد أعداء الدين من أهم سمات المؤمنين.

﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا تَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [التوبة: ٨]:

آمن بها الصحابة غيباً، وعرفناها اليوم في مذابح المسلمين شهادة.. صدق الله.. صدق الله..

﴿يَرْضَوْنَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ [التوبة: ٨]:

بعض الكلمات تنزع فتيل القبلة وتعني انتهاء المعركة.

﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [التوبة: ١٠]:

قال ابن عباس: الإل: القرابة، والذمة: العهد.

﴿وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَبِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٢]:

الطعن في الدين يوصل صاحبه إلى إمامة الكفر، فليحذر الطاعنون في الدين اليوم!

﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَأَلَّهَ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ﴾ [التوبة: ١٣]:

تتصارع في كل قلب قوتان، كلما عظمت خشية الخالق قلَّت خشية المخلوق، والعكس صحيح.

قال سفيان الثوري لأصحابه يوماً: «لو كان معكم من يرفع الحديث إلى السلطان، أكنتم تتكلمون بشيء؟ قالوا: لا، قال: فإن معكم من يرفع الحديث إلى الله! ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَأَلَّهَ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ﴾ [التوبة: ١٣].»

﴿فَأَلَّهَ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٣]:

خشيتك لله على قدر إيمانك به.

﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٤]:

وشفاء صدور قوم مؤمنين يستلزم شفاء صدور كل المؤمنين؛ لأن المؤمنين جسد واحد، ويستلزم كذلك غيظ صدور أعداء الدين.

المراد بالقوم المؤمنين هنا خزاعة حيث عملاً عليهم الكفار وقتلوه في الحرم، فاستجدوا بالنبي ﷺ، فكان ذلك سبب فتح مكة.

غيظ القلوب مرض دفين يقتك بالقلب والجسد، وسبب غيظ المؤمنين هو بغى الكفار وقتلهم المسلمين، وشفاء هذا الغيظ لا يكون إلا بالتمكن من الأعداء، فينشرح الصدر، ويزول ما فيه من غضب.

﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة: ١٥]:

املاً قلبك اليوم غيظاً على الطغاة والمجرمين، فيوماً ما سيتحقق وعد الله لعباده:

﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة: ١٥].

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [التوبة: ١٨]:

ضعف البعض إسناد حديث: «إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان»، لكن معناه صحيح، وتشهد له هذه الآية.

﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [التوبة: ١٨]:

ليس المراد بقصر الخشية هنا على الله أنهم لا يخافون شيئاً غير الله، فإنهم قد يخافون الأسد ويخافون العدو، ولكن المعنى: إذا تردد الحال بين خشية الله وخشية غيره قدّموا خشية الله، فالقصر هنا عند تعارض خشيتين.

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهِدَ﴾ [التوبة: ١٩]:

مهما بلغ عملك الخيري والتطوعي، فلن يجاري أبداً الإيمان بالله والجهاد في سبيله.

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا﴾ [التوبة: ٢٥]:

هذان نص قانون التولي والتخلي! إذا قلت يارب تولاك، وإذا قلت: أنا أنا.. تخلى عنك!

﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا﴾ [التوبة: ٢٥]: أغلق شبابيك قلبك كي لا يتسلل إليه العجب بهال أو علم أو سلطان،

فكل ذلك لن يغني عنك بين يدي الله شيئاً!

نصرة الله للعبد موقوفة على عدم رؤية العبد لنفسه، فالمنصور من عصمه الله عن توهم قدرته، ولم يكله إلى تدبيره وسطوته، وأقامه مقام الافتقار إليه متبرئاً من حوله وقوته، فياخذ الله بيده، ويخرجه عن تدبيره، ويوقفه على حسن تدبيره.

﴿وَإِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا﴾ [التوبة: ٢٥]:

شيئاً!! إن أصغر شيء في هذا الكون لا ينجح في إنجاز شيء دون إرادة الحق سبحانه.

﴿وَصَافَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ [التوبة: ٢٥]:

قال الحسن البصري: «هكذا يقع ذنب المؤمن من قلبه»، فقيّم إيمانك!

﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا﴾

[التوبة: ٢٥]: عون الله للمؤمنين يكفي مع القلة، والعُجب يلغي أثر الكثرة.

﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٢٦]:

السكينة من أعظم القوات الذي يُنعم به (المقيت) على قلوب المؤمنين، وهو كفيل بترجيح كفتك في كل معارك الحياة.

من علامات المؤمن: السكينة عند البلاء.

﴿وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة: ٢٦]:

هناك رحمة خفية ومعونات غير مرئية تندفق عليك من الله دون أن تشعر، فقط إن تخلّيت عن حولك وقوتك إلى حوله وقوته.

﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ [التوبة: ٢٨]:

النهي وإن كان موجهاً للمشركين، إلا أن المقصود منه نهى المؤمنين عن تمكينهم من ذلك.

﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨]:

ارتبط وصفهم بالنجاسة بصفة الإشراك، فعلمنا أنها نجاسة معنوية نفسانية، وليست نجاسة ذاتية مادية.

﴿بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ [التوبة: ٢٨]:

العام الذي حصل فيه النداء بالبراءة من المشركين وعدم طوافهم بالمسجد الحرام، وهو العام التاسع من الهجرة.

﴿وَإِنْ حِقَّتْ عِيَلُهُمْ فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [التوبة: ٢٨]:

كيف نخاف فقراً، وقد وعدنا أكرم الأكرمين بالغنى!

غناك وفقرك بيد الله وحده، فكيف تُذل نفسك لغيره؟!

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ [التوبة: ٣٢]:

تصور سخيف أن يطفئوا أن أفواههم التي تنفخ كافية لإطفاء أعظم نور، ذهبت أنفاسهم، وما زاد النور إلا توهجًا.

قال الخطيب الإدريسي: «إن الإسلام إذا حاربوه اشتد، وإذا تركوه امتد، والله بالمرصاد لمن يضد، وهو غني عمن ارتد، وبأسه عن المجرمين لا يُرد، وإن كان العدو قد أعد، فإن الله لا يعجزه أحد، فجدد الإيمان جدد، ووحد الله وحد، وسدد الصفوف سدد».

﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [التوبة: ٣٣]:

ليس معنى الآية أن يصير الناس جميعًا مسلمين، لكن يظل كل على دينه أو كفره، ولا يجدون حلاً لمشكلاتهم إلا في الإسلام.

﴿وَأَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْآثَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآْكُلُوا أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾

[التوبة: ٣٤]: قال الله (كثيرا)، فالتعميم خطأ، والدقة مطلوبة، فكن دقيقاً في اختيار كلماتك وعبارتك.

﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ [التوبة: ٣٤]:

قال العلماء: كل مال - مهما كثر - تؤدى زكاته ليس بكنز، وأي مال - مهما صغر - لا تؤدى زكاته فهو كنز.

﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ﴾ [التوبة: ٣٦]:

ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب، وقد سُميت بذلك لعظم حرمتها وحرمة الذنب فيها.

﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦]:

أعظم الظلم ظلم النفس، ويقع بمعصية الله وترك طاعته.

قال قتادة: «إن الظلم في الشهر الحرام أعظم خطيئة ووزراً من الظلم فيما سواه، وإن كان الظلم على كل حال عظيماً، وكأن الله يُعظم من أمره ما شاء».

ظلمكم لأنفسكم هو إضرار منكم بأنفسكم، ولن تضروا الله شيئاً، فكل ما أمر الله به تحريماً وتحليلاً هو لصالحكم، وكل عصيان له يضركم.

﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٣٦]:

قال القشيري: «ولا سلاح أمضى على العدو من تبريك (تبرؤك) عن حولك وقوتك».

﴿إِنَّمَا النَّبِيُّ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [التوبة: ٣٧]:

استعمال الحيلة لفعل شيء محرم أو الفرار من واجب هو تلاعب بالدين، مثل تلاعب المشركين بتأخير الأشهر الحرم ليقترفوا الحرام.

﴿مَالِكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٣٨]:

لا يضعف القلب ويكبله عن بلوغ معالي الأمور إلا الانجذاب لسفولة الأرض.

النفير في القرآن نوعان: للجهاد ﴿أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٨]، وللعلم:

﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا﴾، فلا عزة بغير جهاد، ولا جهاد إلا بعلم.

﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٤٠]:

أنظنون أن جهادكم هو الذي ينصر محمداً ودينه؟ كلا؛ فالله ناصره بأيسر وسيلة وأهون سبب، كما نصره يوم الهجرة برجل واحد! هو أبو بكر على قريش كلها.

الصاحب بحق هو الذي يخفف عنك الأحزان، ويشعرك عند خوفك بالأمان: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]

لم يقل: لا تحزن، فأنا رسول الله وإني معك، بل تبرأ من حوله وقوته إلى حول الله وقوته.

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾ [التوبة: ٤٠]:

بعض الرحمات الإلهية مرهونة بكلمة واحدة ترددها بيقين، لتنهض بعدها السكينة بغزارة!

﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]

ولو فقدت كل شيء، يكفيك أن الله معك، وسيعوّذك.

ليست المعية العامة بالعلم والإحاطة، فهذه تشمل كل الخلق، بل معية التأيد والنصرة، وهذه لا تشمل إلا المؤمنين الذين استجابوها بطاعة الله وموافقة أمره.

منهج رباني في التخفيف عن المكروبين، لا يتضمن الاستغراق في تفاصيل المشكلات، بل يقوّي النفس على المشكلات بالاستعانة برب الأرض والسموات.

هل الحزن شعار الإيمان؟! كلا.. قال ابن القيم: «اعلم أن الحزن من عوارض الطريق، وليس من مقامات الإيمان ولا من منازل السائرين؛ ولهذا لم يأمر الله به في موضع قط، ولا أثنى عليه، ولا رتب عليه جزاء ولا ثواباً، بل نهى عنه في غير موضع».

﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]:

أعظم صفة هي التي تخفف عنك أعباء الحياة بتذكيرك دوماً بالله.

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَا تَبْغُوكَ﴾ [التوبة: ٤٢]:

المنافق قصير النفس، والصدق لا يُخْتَبَر إلا في الأعمال طويلة المدى.

حديث يشبه هذه الآية! قال رسول الله ﷺ في المتخلفين عن صلاة الجماعة: «لو يعلم أحدهم أنه يجد عظمًا سميتًا، أو مرماتين حستين لشهد العشاء».

وهذا توبيخ لمن زهد في صلاة الجماعة، ولو وجد في صلاة الجماعة شيئاً من الدنيا - ولو كان حقيراً - لحضرها.

﴿يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٢]:

هلاكنّا ليس بالجهاد، بل في ترك الجهاد، وليس بأن نموت في سبيل الله، بل بأن نحيا في خدمة الدنيا.

﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ﴾ [التوبة: ٤٣]:

المراد بالعفو ليس عن الذنب، فهو المعصوم، ولكن عدم مؤاخذته ﷺ في تركه الأول والأفضل، والأفضل كان ألا يأذن للمنافقين بالتخلف عن الجهاد.

﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنَتْ لَهْمُ﴾ [التوبة: ٤٣]:

ما أجل أن تستفتح العتاب بأجمل الكلمات؛ لتستميل قلب من ثعّاب!

﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾ [التوبة: ٤٦]:

من علامات التوفيق وأمارات السابقين الاستعداد للطاعة قبل دخول وقتها.

تشكو عدم القيام لصلاة الفجر، وأنت كل يوم تنام متأخراً، ولا تضبط منبهك ليوقظك!

ويحك! من عزم على شيء من الخير، فعلمة صدقه أن يبذل له أسبابه.

﴿لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾ [التوبة: ٤٦]:

عُدَّة هنا نكرة، لتفيد الإطلاق أي أي عُدَّة، فالذي لا يبذل أي نوع من الاستعداد ذئب الهمة، وليس في قلبه خير.

﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦]:

إذا أعاقك الصوارف عن زيارة بيت الله، فخف أن يكون الله قد كره لقاءك فثبّطك!

كثرة التكاثر عن الطاعات علامة مخيفة، توحى بأن العبد مطرود من رحاب الله، وعليه أن يعود فوراً.

﴿كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦]:

أسقط هذه الآية على صلاة الفجر، وعالج بها كسلك وتسويفك!

﴿وَفِيكُمْ سَمْعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٧]:

هم مؤمنون يصغون لأقوال المنافقين، أو مجموعة من المنافقين بين المؤمنين يسمعون لأصحابهم المنافقين ويؤيدون أقوالهم، إن مجرد سماعك للإشاعة هو جزء من خطة المنافق.

قلب الحقائق عن طريق بلاغة اللسان من أبرز صفات النفاق: ﴿لَقَدْ ابْتَغُوا
الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾ [التوبة: ٤٨].

﴿لَقَدْ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ﴾ [التوبة: ٤٨]:
لا تنس الماضي الأسود لأعداء دينك، ولا تحرق سجلاتهم المملوغة بالخيانة،
ستفيدك يوم القصاص.

﴿وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَعِزَّنِي وَلَا تَفْتِنِّي إِلَّا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾
[التوبة: ٤٩]: المنافق صاحب أعذار واهية! قال الجدُّ بن قيس: قد علمت
الأنصارُ أني مشتهرٌ بالنساء، فلا تفتني بينات الأصفر يعني نساء الروم، ولكن
أعينك بهالي فاتركني.

﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩]:
لا فرار مهما حاولوا، وكلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدها فيها.

من علامات المنافق أن يفرح بسلامة ديناه ولو خسر دينه: ﴿إِنْ تُصِيبَكَ
حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ
قَبْلُ وَيَسْتَوِلُوا وَهُمْ فَرِحُونَ﴾ [التوبة: ٥٠].

﴿قُلْ لَن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١]:
كلما نقص يقينك بهذه الآية، زاد منسوب الخوف في قلبك.

لنا لا علينا، فالمصيبة فيها خيرٌ لك!

﴿قُلْ هَلْ تَرَى صُوتَ بَنَاتٍ إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ﴾ [التوبة: ٥٢]:
قل لي برَبِّك: كيف تنكسر أمة يرى أبناؤها أنهم رابحون في جميع الأحوال؟!

﴿وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ﴾ [التوبة: ٥٦]:
ليس معنى يفرقون من الفرقة؛ بل من الفرق وهو الخوف.

﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ [التوبة: ٥٨]:

ما هو اللمز؟! اللمز: العيب والوقوع في الناس، وقيل: اللمز هو العيب في الوجه، والهمز: العيب بالعيب.

﴿يَلْمِزُكَ﴾ بصيغة المضارع؛ مما يدل على استمرارية هؤلاء المنافقين فيه، وأن اللمز أصبح ديدنهم و سلوكهم، وليس فعل مرة أو مرتين، فكأنهم يتلذذون به ويفرحون.

لدى المنافق قدرة عجيبة على تحويل أعظم إنجازات المؤمن إلى مادة للتندر والسخرية!

سبب نزولها:

قال مجاهد في سبب نزولها: «كان لعبد الرحمن بن عوف، ثمانية آلاف دينار، فجاء بأربعة آلاف دينار صدقة.

وجاء رجل من الأنصار بصاع تمر نزع عليه ليكف كُله، فلما أصبح جاء به إلى النبي ﷺ، فقال رجل من المنافقين: إن عبد الرحمن بن عوف لعظيم الرياء، وقال الآخر: إن الله لغني عن صاع هذا، فأنزل الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ [التوبة: ٧٩] عبد الرحمن ابن عوف، ﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جَهْدَهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩] صاحب الصاع».

المنافقون أعداء النجاح، ورواد السخرية من المؤمنين، ولن يجدوا أنسب من غزوة تبوك لإطلاق حملتهم هذه، فكيف سيواجه هؤلاء الفقراء الضعفاء جحافل أقوى دولة في الدنيا، ويقابلونها بجيش قائم في تجهيزه على التبرعات، ويحتاج لنصف صاع و حبة تمر!

لن يسلم من ذم المنافقين أحدٌ، فلا المتصدقون سلّموا، ولا المسكون، لا المكثرون ولا المقلّون.

منظار الشك واتهام التوايا فضلاً عن أنه غير موضوعي، فهو ضد ما أمر الله به من الحكم على الظاهر، والله يتولى السرائر.

اللمز داء يعبر عن نفوس المنافقين المريضة، فالمرء يطلب عيب غيره بمقدار تشرب قلبه بهذا العيب. قال عون بن عبد الله: «ما أحسب أحداً تفرغ لعيب الناس إلا من غفلة غفلها عن نفسه».

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ ۖ فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦٠]:

هاتوا لي نظاماً بشرياً بلغ من رحمته وحرصه على مصالح الناس أن يحاسب من لم يدفع من ماله للمحتاج.

﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أَذُنٌ﴾ [التوبة: ٦١]:

أي يقبل كل ما يقال له، ولا يميز بين صادق وكاذب، ويقصدون بذلك النبي ﷺ، وذب الله عن نبيه: ﴿قُلْ أَدُنُّ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [التوبة: ٦١]، فأعراضه وعدم تعنيفه لأصحاب الأعداء الكاذبة، بسبب حسن خلقه.

﴿تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة: ٦٤]:

من أسرار عظمة القرآن، إخباره عما يدور في القلوب!

﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ [التوبة: ٦٧]:

من أمر بالمنكر ونهى عن المعروف بقلمه أو لسانه فقد التحق بزمرة المنافقين.

لا جديد في الظلم ومعاداة الدين، لكن الجديد هو الزمان والمكان والأشخاص: ﴿فَاسْتَمِعُوا يَخْلَقُهُمْ فَاسْتَمِعْتُمْ يَخْلُقَكُمْ كَمَا اسْتَمَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ يَخْلُقُهُمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾ [التوبة: ٦٩].

﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢]:

نعيم فوق كل نعيم يناله أهل الجنة، فإن أعظم نعيمهم ليس النعيم الحسي بالحدود والقصور والأنهار والخمور، لكنه النعيم القلبي الذي ينبع من رضوان الله عن عباده المؤمنين.

أمر الله نبيه باللين عند الدعوة فقال: ﴿وَجَادِثُهُمْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ﴾، فلما أصروا- بعد بيان الحجة- قال: ﴿وَأَغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣]؛ لأن هذا في حال إصرارهم وزوال أَعذارهم.

﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهْدُ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [التوبة: ٧٣]:

فائدة الجمع بين الكفار والمنافقين في الجهاد: إلقاء الرعب في قلوب المنافقين، فإنهم يخشون افتضاح أمرهم فيعاملوا معاملة الكفار المحاربين، وجهاد المنافقين بالفعل متعذر؛ لأنهم لا يُظهرون كفرهم؛ ولذلك تأول أكثر المفسرين جهاد المنافقين بالمقارعة بالحجة، وإقامة الحدود عليهم إذا ظهر منهم ما يستوجب الحد.

﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾ [التوبة: ٧٤]:

سبب نزولها:

لما نزل القرآن وفيه ذكر المنافقين قال الجلاس بن سويد: والله لئن كان هذا الرجل صادقاً لنحن شر من الحمير، فسمعه عمير بن سعد فذكر ذلك للنبي ﷺ، فسأل النبي ﷺ الجلاس عما قاله عمير، فحلف بالله ما قال ذلك، وزعم أن عميراً كذب عليه، فنزلت الآية.

﴿فَاعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾ [التوبة: ٧٧]:

لا تحقر ذنباً، فبعض الذنوب تنسف الدين، وتبقى إلى يوم الدين.

الفرح بفوات الطاعة وكراهية فعلها مرحلة متقدمة من مراحل النفاق: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا﴾ [التوبة: ٨١].

كل مشقة تترك الطاعة من أجلها في الدنيا، تُعاقب بأضعاف أضعافها يوم القيامة: ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ [التوبة: ٨١].

﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا﴾ [التوبة: ٨٣]:

استحضار التاريخ وسوابق المرة ضرورة للتقديم والتأخير، وخاصة عند الترشح لعظام الأمور والمهام.

﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ [التوبة: ٨٧]:

قد تتخلف عن الخير يوماً ما رغماً عنك، فتجد نفسك بين غير المؤمنين، فأكبره هذه الحال بقلبك وإياك أن ترضاها .. خطر!!

يبدأ الشيطان خطة التدرج من كراهية الذنب، ثم اعتياده، ثم الرضا به .. كيد أبالسة!

﴿تَوَلَّوْا وَأَعْيَيْنَهُمْ تَفِيضٌ مِّنَ الدِّمَعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾

[التوبة: ٩٢]: ضاقت أيديهم عن بذل الأموال والنفقات، فتطوعت العيون بدلاً منها ببذل الدموع والحسرات.

من العبادات الغائبة: الحزن على عدم القدرة على القيام بالطاعات.

بكى قومٌ على فوات الطاعات، وبكى غيرهم على ارتكاب السيئات .. هم درجات عند الله.

﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ [التوبة: ٩١]:

ليس لأحد أن يسلك أي سبيل أو طريق لمؤاخذه أو عتاب هؤلاء المحسنين، بعد أن أقعدتهم الموانع الحقيقية عن الجهاد، والمعنى: لا سبيل يستطيع أي معاتب أن يمر به إليهم، ولا حتى أن يقترب منهم، فما أبعد العتاب عنهم! وهذا من أفصح البيان.

الجزء الحادي عشر

من سورة التوبة الآية ٩٣
إلى سورة هود الآية ٥
عدد الفوائد ٩٧

﴿يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٦]:

المنافق مستعد للحلف كاذبا ليُرضي الخلق، أما رأي الله فيه فأخرا اهتماماته.

﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٢]:

إذا لم تستطع التخلص من السيئات، فزاحمها بكثرة الحسنات، وستغلب الكثرة القيلة: ﴿إِنْ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾.

اجعل من نيّاتك عند الشروع في طاعاتك أن تمحو بها أثر سيئاتك.

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]:

شرع الله الصدقة من أجلك أنت قبل الفقير.

﴿صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ (التوبة: ١٠٣):

كان بعض المتصدقين يضع الصدقة في يده، ثم يدعو الفقير لتناولها من يده، لتكون يد الفقير هي العليا، ويد المنفق هي السفلى!

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ (التوبة: ١٠٣):

التوبة المالية!! إذا ابتليت بذنب وأردت أن تتطهر منه، فاستعن عليه بالصدقة.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾

(التوبة: ١٠٤): قال ابن كثير: «هذا تهيج إلى التوبة والصدقة اللتين كل منهما

يحط الذنوب ويمحقها».

﴿فَسِرِّيَ اللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ [التوبة: ١٠٥]:

كل طاعاتك يراها الله، فلا تشرك معه فيها غيره؟!

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا﴾ [التوبة: ١٠٧]:

اتخذ النفاق في العهد النبوي أشكالا لا يتصور أن يتسلل إليها النفاق، وهي بناء المسجد، فكيف بعهدنا اليوم؟! الحذر أولى.

﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا﴾ [التوبة: ١٠٨]:

إذا أردت أن تطهر قلبك وتركي روحك، فاعتكف في مسجد، واذكر الله تعالى فيه.

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾

[التوبة: ١١١]: ماذا تساوي نفوسنا المعية - وإن طهرت - حتى يشتريها الله منا بهذا الثمن؛ لذا قال الحسن البصري: «بايعهم والله فأغلى ثمنهم».

قال محمد بن الحنفية يحثك على تركية النفس بالعمل الصالح: «إن الله عز وجل جعل الجنة ثمنًا لأنفسكم فلا تتبعوها غيرها».

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ [التوبة: ١١١]:

أنت لا تملك نفسك، ولا يحق لك التصرف فيها دون إذن مالكيها، فإنما يتصرف في ما اشتراه منك وبعته له، وأعطاك في المقابل الجنة، أرجعت في بيعتك؟! أم أنك لم تبع وزهدت في الجنة من الأساس؟! وإذا بعته.. أحسن لمن باع شيئًا أن يغضب على المشتري إذا تصرف فيه حسب ما يراه؟ وماذا لنا فينا حتى نتكلم!!

كيف بعته النفس الثمينة بشهوة تنقضي في لحظة؟! وبلذة لا تبقى سوى ساعة؟! وهبها بقيت أيامًا أو أعوامًا فماذا تساوي بجوار لذة الخلد؟! وبعته لمن؟! لأعدى أعدائك؛ شيطانك!!

حكى عن مالك بن دينار أنه مرَّ بقصر يُبنى، فسأل العمال عن أجرتهم، فأجاب كل واحد منهم بأجرته، ولم يجبه واحد، فقال: ما أجرتك؟ فقال: لا أجر لي؛ لأنني عبد صاحب القصر، فقال مالك: إلهي.. ما أسخاك، الخلق كلهم عبيدك، كلّفهم العمل ووعدتهم الأجر.

البائع لا يستحق الثمن إذا امتنع عن تسليم ما باع، فكذلك لا يستحق عبد الجنة إلا بعد تسليم النفس والمال.

﴿فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [التوبة: ١١٤]:

تأمل هذا الوصف البليغ في الولاء والبراء، فافتقِر أثر خليل الرحمن، وتبرَّأ من كل عدو لك ولدينك ورسولك والمؤمنين.

﴿فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤]:

تأمل كيف اجتمعت صفة الحلم والغلظة في شخص واحد، فالحلم ليس معناه التهاون في أمر الدين.

﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ [التوبة: ١١٧]:

قال ابن القيم: «توبة العبد إلى الله محفوفة بتوبة من الله عليه قبلها، وتوبة منه بعدها، فإنه تاب عليه أولاً إذناً وتوفيقاً وإلهاماً، فتاب العبد، فتاب الله عليه ثانياً، قبولاً وإثابة».

قال ابن القيم: «التوبة نهاية كل عارف، وغاية كل سالك، وكما أنها بداية

فهي نهاية، والحاجة إليها في النهاية أشد من الحاجة إليها في البداية، بل هي

في النهاية في محل الضرورة؛ لذا كان ﷺ في آخر حياته أشد ما كان استغفاراً

وأكثره، وأنزل الله بعد غزوة تبوك، وهي آخر الغزوات التي غزاها ﷺ

بنفسه: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾.

﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ [التوبة: ١١٧]:

وصف الله العسر بأنه ساعة من نهار؛ كي لا تضجر من الأقدار!

﴿مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَرِيغُ قُلُوبُ قَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ [التوبة: ١١٧]:

صحابية، ومجاهدون، وفي معية النبي ﷺ، ومع هذا تكاد قلوب بعضهم أن تزيغ، وبعضنا واثق في قلبه، ومطمئن على إيمانه! على أي أساس؟!

﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١١٧]:

تحتاج لأن يتوب عليك أولاً لتتوب، فالتوبة ليست مجرد قرار شجاع، هي قبل ذلك هداية ورحمة وتوفيق من الرحمن.

﴿وَعُظِّنُوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾ [التوبة: ١١٨]:

أضيق ما يكون الأمر قبيل الفرج!

قال مجاهد: «ما كان من ظن في القرآن فهو يقين»، فلما أيقنوا ألا ملجأ إلا الله، صدق منهم اللجوء إليه، فتداركهم بالشفاء، وأسقط عنهم البلاء.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]:

كونوا معهم، ولا تتفردوا في السير من دونهم، كي لا يستفرد بكم الشيطان، فالجماعة بركة، والفرقة عذاب.

﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]:

لن تستطيع أن تكون تقياً إلا إن كنت في بيئة صالحة!

الصدق من أهم معايير اختيار الصحبة، فلا يصلح أن تصاحب كاذباً.

﴿وَلَا يَطْغُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ﴾ [التوبة: ١٢٠]:

الوطء في سبيل الله هو أن تدوس أرض العدو بما يغضبه، فإن العدو يأنف من وطء أرضه، وقد يكون الوطء استعارة لإذلال العدو وإغاضته، فكل عمل تغيط به أعداء الله، فلك به أجر، ولو كان خطوة واحدة.

﴿وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً﴾ [التوبة: ١٢١]:

لا تحقرن صغيرة من خير، فأصحاب الأعراف يوم القيامة يوقفون عن دخول الجنة، لنقصان حسنة واحدة!

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَرَّادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبِشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ

فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَرَّادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٤-١٢٥]:

تنزل الآية على القلوب، فتكون سبباً في زيادة إيمان قوم، وزيادة رجس -أي كفر وشك- قوم آخرين.

﴿ثُمَّ أَنْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ﴾ [التوبة: ١٢٧]:

• قصة حديث تشرح آية!

بينما رسول الله ﷺ جالس في المسجد إذ أقبل ثلاثة نفر، فأما الأول فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهباً، فقال ﷺ: «ألا أخبركم عن النفر الثلاثة: أما أحدهم فأوى إلى الله فأواه الله، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه».

﴿ثُمَّ أَنْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ﴾ [التوبة: ١٢٧]:

إعراض مديره عنه يُقلِّقه، فكيف بإعراض الله؟!

سين: لم صرف الله قلوبهم؟!

جيم: لأنهم انصرفوا، فصرف الله قلوبهم عن الهدى؛ عقوبة على انصرفهم أولاً.

﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرِيكُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾

[التوبة: ١٢٧]: المناقق تُقلِّقه سورة! فكيف بالقرآن كله؟!

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ [التوبة: ١٢٩]:

قل لكل شيء فقدته، ولكل غاي هجرتك، ولكل قريب تحلى عنك: حسبي الله.. يكفيني ويؤويني.

سورة يونس

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ [يونس: ٢]:

تبشير المؤمنين سُنَّة غفل عنها الكثيرون، وما أكثر ما قال رسول الله ﷺ لأصحابه كلمة (أبشِر)، وبها أمرنا: «بشِّروا ولا تنفِّروا».

﴿قَدَمَ صِدْقٍ﴾ [يونس: ٢]:

حقيقة القدم ما قَدَّمَ العبد، ويَقْدِّم عليه يوم القيامة، والمؤمنون قَدَّمُوا العمل الصالح، والإيمان بمحمد ﷺ، فيقدمون على الجنة التي هي جزاء ذلك، فهذه ثلاثة تفسيرات لقدم صدق.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [يونس: ٣]

قال السعدي: «مع أنه قادر على خلقها في لحظة واحدة، ولكن لما له في ذلك من الحكمة الإلهية، ولأنه رفيق في أفعاله».

﴿يُذَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ [يونس: ٣]

فرَّغ قلبك من همومك وتدبيرك، وفوض أمرك وأسلم قيادك لمن وعدك بتدبير الأمر لك ولغيرك.

قال سهل التستري: «يقضي القضاء وحده، فيختار للعبد ما هو خير له، فخير الله خير له من خيرته لنفسه».

تكررت في كتاب الله أربع مرات؛ لتتزع من قلبك أوهام أن أمرك بيد أحد غير الله.

﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا﴾ [يونس: ٧]

لا يأمرك بترك الدنيا، لكن يأمرك بعدم الاطمئنان بها والركون إليها، كي لا تقدّمها على آخرتك، أو تحصل شهواتها من أي طريق فتهلك!!

﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾ [يونس: ٩]

ليست الهداية درجة واحدة ولا الإيمان، بل درجات، وتناسب هدايتك طرديًا مع إيمانك، فكلما زاد الإيمان زادت الهداية.

الإيمان باقة نور يهدي بها المؤمنون في ظلمات الفتن ومتاهات الغربة، حتى يصلوا إلى الهدف المنشود: الجنة.

قال ابن جريج: يُمثّل له عمله في صورة حسنة وريح طيبة إذا قام من قبره، يعارض صاحبه ويشرّعه بكل خير، فيقول له: من أنت؟ فيقول: أنا عملك، فيجعل له نوره من بين يديه حتى يُدخله الجنة، فذلك قوله تعالى: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾.

﴿ دَعْوُهُمْ فِيهَا سُبْحَنَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَءَاخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [يونس: ١٠]:

الدعوى هنا الدعاء، ومعنى قولهم ﴿سُبْحَنَكَ اللَّهُمَّ﴾: نسبحك ونترفع عما لا يليق بك، فعبادة أهل الجنة التسييح والحمد، ليس على سبيل التكليف بل تلذذاً، وهو لهم بمنزلة النفس، من دون كلفة أو مشقة.

﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ ﴾ [يونس: ١٢]: قال الألوسي: «وفي الآية ذم لمن يترك الدعاء في الرخاء، ويهرع إليه في الشدة، واللائق بحال العاقل التضرع إلى مولاه في السراء والضراء، فإن ذلك أرجى للإجابة، ففي الحديث الشريف: «تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة».

قال أبو الدرداء: «ادعُ الله يوم سرائك، يستجب لك يوم ضرائك».

﴿ فَلَمَّا كَثَفْنَا عَنَّهُ ضَرَّهُ، مَرَّكَانَ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضَرِّ مَسَّهُ ﴾ [يونس: ١٢]: لا تحزن إن جحد الناس إحسانك، فمنهم من جحد فضل الخالق من قبل، فكيف لا يجحد فضل المخلوق؟!

﴿ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَنْتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ ﴾ [يونس: ١٥]: ما أشبه الليلة بالبارحة! بعض من ينادون بتخفيف لهجة الخطاب الديني أو تجديده!

﴿ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ﴾ [يونس: ١٥]: هذا سبب تعنت المنافقين والكافرين تجاه القضايا الإسلامية والأحكام الشرعية، وأما من آمن بقاء الله فلا بد أن يتقاد لأحكامه.

﴿ أَنْتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ ﴾ [يونس: ١٥]: قال الطبري: «والتبديل الذي سألوه أن يحول آية الوعيد آية وعد، وآية الوعد وعيداً، والحرام حلالاً، والحلال حراماً، فأمر الله نبيه ﷺ أن يخبرهم أن ذلك ليس إليه، وأن ذلك إلى من لا يرد حكمه، ولا يتعقب قضاؤه، وإنما هو رسول مبلّغ ومأمور مُتَّبِع».

﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ [يونس: ٢١]:

مهما أسرع الماكرون وتفننوا وتسترخوا، فقد سبق مكر الله مكرهم؛ لأنه أحاط علماً بمكرهم قبل أن يفعلوه، وقادر على إبطاله بعد أن فعلوه.

﴿وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ [يونس: ٢٢]:

مشركون.. دعوا الله حين أحاطت بهم الأمواج، فنجاهم الله، فكيف تباؤس وتنقطع عن الدعاء وأنت المؤمن؟!؟

﴿لَئِنْ أَنْجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنُكَوِّنَ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [يونس: ٢٢]:

قال القرطبي: «المضطر يجاب دعاؤه، وإن كان كافراً، لانقطاع الأسباب ورجوعه إلى الواحد رب الأرباب».

﴿إِنَّمَا بَغْيَكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [يونس: ٢٣]:

قال مكحول: «ثلاث من كن فيه كن عليه: المكر، والبغي، والنكث. قال تعالى: ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ [الفتح: ١٠]، وقال: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣]، وقال: ﴿إِنَّمَا بَغْيَكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [يونس: ٢٣].

أنفع موعظة ما كانت من أجل منفعتك أو صرف السوء عنك؛ ولذا كانت هذه الآية صيحة تحذير وصرخة نذير تقول لك: أنت لا تضر إلا نفسك!

سهم البغي سيرتد على صاحبه عاجلاً أو آجلاً!

﴿وَضَرَبَ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَىهَا أَمْرًا﴾ [يونس: ٢٤]:

الاغترار بالقوة أولى علامات الانهيار.

﴿وَإِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾

[يونس: ٢٤]: الدنيا أقصر ما تكون، وكأنها موسم زراعة واحد!!

﴿كَانَ لَكُمْ نَعْتٌ بِالْآمِسِ﴾ [يونس: ٢٤]: جملة كفيلة بأن ترهّدك في الدنيا

بأسرها لأنها زائلة ومنسية، وترغبك في الآخرة الخالدة.

﴿وَاللَّهُ يَدْعُوًا إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾ [يونس: ٢٥]:

قال ابن كثير: «لما ذكر الله الدنيا وسرعة زوالها، رَغِبَ في الجنة ودعا إليها، وسمّاها: دار السلام، أي من الآفات والنقائص والنكبات».

من أجاب النداء من الدنيا دخل الجنة، ومن أجاب من القبر فهو المحروم.

تجيب أمك وأباك إذا ناداك، ولا تحيب ربك إذا دعاك! مع أن دعوته لك إلى سعادة الأبد في جنة الخلد لتكون مثواك!

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]:

بقدر إحسانك في الدنيا تكون زيادة نعيمك في الآخرة.

﴿وَلَا يَرَهُ قَرُّ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ [يونس: ٢٦]:

قال السعدي: «لا ينالهم في الجنة أي مكروه بوجه من الوجوه، لأن المكروه إذا وقع بالإنسان تبين ذلك في وجهه، وتغير وتكدّر».

تغير وجه صاحبك علامة نزول مكروه به، فتفقّد أحوال صاحبك عند تغير وجهه.

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِعِلْمِهِ﴾ [يونس: ٣٩]:

الإنسان عدو ما جهل!

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ﴾ [يونس: ٤٣]:

النظرة واحدة لكن الأثر يختلف بحسب نوع القلب. قال ابن كثير: «المؤمنون ينظرون إليك بعين الوقار، والكافرون ينظرون إليك بعين الاحتقار: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾».

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [يونس: ٤٥]:

عشرات السنين ستصبح بعد معاينة الآخرة أقصر ما تكون، وكأنها لحظات تعارف!

﴿وَأَمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَّقَنَّكَ فَإِتِنَّا مَرْجِعُهُمْ﴾ [يونس: ٤٦]:

وعد الله بالنصر قائم، وقادم لا محالة، لكن لا يلزم أن يراه المستضعفون بأعينهم اليوم، والدليل: ما قاله الله لرسوله هنا.

﴿يَتَأْتِيَ النَّاسَ قَدْ جَاءَ تَكْمٌ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكَمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧]:

قال ابن عاشور: «وقد عبّر عنه بأربع صفات هي أصول كماله وخصائصه، وهي: أنه موعظة، وأنه شفاء لما في الصدور، وأنه هدى، وأنه رحمة للمؤمنين».

﴿وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧]:

وهذا الشفاء لن يتحصل عليه إلا من التزم شرطه، وشرطه: التدبر.

﴿وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧]:

جاءت كلمة (شفاء) قبل كلمة (هدى)؛ لتبيّن أن إخراج ما في القلب من أهواء وأمراض مطلوب أولاً لحصول هداية القلب.

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ [يونس: ٥٨]:

قال بعض العارفين: «ما فرح أحد بغير الله إلا بغفلته عن الله، فالغافل يفرح بلهوه وهواه، والعاقل يفرح بمولاه».

﴿وَمَا يَعْرِبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [يونس: ٦١]:

هذه الآية من أشد آيات المراقبة، فإذا كان هذا علمه بحركات الذرات، فكيف علمه بحركات العباد؟!.

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]:

أي لا خوف يخافه خائفٌ عليهم، فهم بمأمن من أن يصيبهم مكروه، وليس المعنى هنا أنهم لا يخافون، لكن إذا اعتراهم خوف انقشع عنهم بفضل اعتصامهم بالله وتوكلهم عليه.

﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]:

وإن كانوا يحزنون لما يصيبهم من أمور في الدنيا، فهذا حزنٌ عابر لا يستقر، بل يزول بالصبر وذكر الأجر، ولا يلحقهم الحزن الدائم المؤدي لانكسار النفس والاكتئاب.

﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]:

قال ابن عاشور: «فالكلام يفيد أن الله ضمن لأوليائه أن لا يحصل لهم ما يخافونه، وأن لا يحل بهم ما يحزنهم، ولما كان ما يُخاف منه من شأنه أن يُحزن من يصيبه، كان نفي الحزن عنهم مؤكداً لمعنى نفي خوف الخائف عليهم».

﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٤]:

قال السعدي: «أما البشارة في الدنيا، فهي: الثناء الحسن، والمودة في قلوب المؤمنين، والرؤيا الصالحة، وما يراه العبد من لطف الله به، وتيسيره لأحسن الأعمال والأخلاق، وصرفه عن مساوئ الأخلاق».

وأما في الآخرة، فأولها البشارة عند قبض أرواحهم، وفي القبر: ما يبشّر به من رضا الله تعالى والنعيم المقيم.

وفي الآخرة: تمام البشري بدخول جنات النعيم، والنجاة من العذاب الأليم».

﴿لَا يَبْدِيلُ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ [يونس: ٦٤]:

اطمئن واستبشّر!

كل ما وعد الله به فهو حق، ولا يمكن تغييره أو تبديله أو الرجوع عنه؛ لأنه الصادق في قوله، ولا يقدر أحد على مخالفه ما قدره وقضاه، ومن ذلك وعوده للمؤمنين؛ ولذا قال بعدها مبشّراً: ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿فَمَا سَأَلْتُمْ مِنَّ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ [يونس: ٧٢]:

الداعية لا يرجو بدعوته مالا ولا جاهاً، وكلما زهد داعية في دنيا الناس أقبل الناس عليه؛ ليفيدهم في أمر آخرتهم.

﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ [يونس: ٧٢]:

فلا تأبه إن شكرك الناس على صنع المعروف أو نسوك، ولا تحزن لبحود الناس؛ لأنك تستلم أجرتك من جهة واحدة: الله رب العالمين.

﴿وَتَكُونُ لَكُمْ أَلْكِرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس: ٧٨]:

يظن الظالم أن الناس كلهم مثله، فيرميهم بالداء الذي فيه، ولا يتصور أن أحداً يعمل لمهمة سامية وغاية نبيلة، أو رجاء ثواب الله والدار الآخرة.

﴿فَمَا أَمَّنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّنْ قَوْمِهِ﴾ [يونس: ٨٣]:

الذرية هم الشباب، وهم أمل المستقبل ومفتاح التغيير.

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ٨٥]:

أي يا رب لا تجعلهم من عذابنا، لئلا يقول الظالمون وأتباعهم: لو كان هؤلاء على الحق لنصرهم الله!

﴿قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا﴾ [يونس: ٨٩]:

شكر نعمة الإجابة! قال ابن عاشور: «وفرَّع على إجابة دعوتهما أمرهما بالاستقامة، فعُلِمَ أن الاستقامة شكر على الكرامة، فإن إجابة الله دعوة عبده إحسان للعبد وإكرام، وتلك نعمة عظيمة تستحق الشكر عليها، وأعظم الشكر طاعة المنعم».

﴿فَاسْتَقِيمَا﴾ [يونس: ٨٩]:

سين: ما فائدة أمر المستقيم بالاستقامة؟ فموسى وهارون حازا أعلى استقامة، وهي استقامة النبوة.

جيم: المعنى الأمر بالمداومة عليها.

﴿قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا﴾ [يونس: ٨٩]:

الاستقامة على فعل الطاعات، من أعظم أسباب إجابة الدعوات.

﴿وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٨٩]:

أول انحراف عن طريق الاستقامة سببه اتباع طريق المنحرفين، فحذر المؤمن وخوفه الدائم من الانحراف من أهم أسباب الاستقامة.

﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ قَسَمٌ الَّذِينَ يَقْرءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ [يونس: ٩٤]:

قال البيضاوي: «وفيه تنبيه على أن كل من خالجه شبهة في الدين ينبغي أن يسارع إلى حلها بالرجوع إلى أهل العلم».

﴿ كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنِجَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ١١٣]:

قال البقاعي: «في كل زمن وإن لم يكن بين ظهورانيهم رسول؛ لأن العلة الاتصاف بالإيمان الثابت».

﴿ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ﴾ [يونس: ١٠٧]:

لا راداً لفضله ولو كانت الدنيا بأسرها، فمن الذي يحرم من أراد الله عطاءه، ومن يُشقي من أراد الله إسعاده؟!

سورة هود

﴿ وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ﴾ [هود: ٣]:

الاستغفار جسر موصل إلى التوبة.

﴿ وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ﴾ [هود: ٣]:

أعظم متعة هي التي تجدها في قلوب المستغفرين التائبين.

﴿ وَتَقْوُوا أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴾

[هود: ٥٢]: خرج عمر بن الخطاب يومًا يستسقي، فما زاد على الاستغفار حتى رجع

قالوا: ما رأيناك استسقيت، قال: لقد طلبت المطر بمجاديح جمع مجدح وهو نجم كانت

العرب تزعم أنها تمطر به السماء التي يستنزل بها المطر، ثم قرأ: ﴿ وَتَقْوُوا أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴾ [هود: ٥٢].

﴿ وَتُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴾ [هود: ٥٢].

﴿ وَتُوبَ كُلُّ ذِي فَضْلٍ فَضْلُهُ ﴾ [هود: ٣]:

قال سعيد بن جبیر: «من عمل حسنة كتبت له عشر حسنات، ومن عمل سيئة كتبت عليه سيئة واحدة، فإن لم يعاقب بها في الدنيا، أخذ من العشرة واحدة، وبقيت له تسع حسنات، لذا قال ابن مسعود: «هلك من غلب آحاده أعشاره».

من روائع المتدبرين

عن عبد الله بن مسعود قال:

«إني لأعلم آيتين في كتاب الله عز وجل، لا يقرأهما عبد عند ذنب يصيبه ثم يستغفر الله منه إلا غفر له».

قلنا: أي شيء في كتاب الله؟ فلم يخبرنا، ففتحنا المصحف فقرأنا البقرة فلم نُصب شيئا، ثم قرأنا النساء فانتبهنا إلى هذه الآية: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠] قلت:

أمسك هذه، ثم انتبهنا إلى النساء إلى هذه الآية التي يذكر فيها:

﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾

[آل عمران: ١٣٥]، فأطبقتا المصحف،

فأخبرنا بها عبد الله، فقال: «هما هاتان».

شعب الإيمان للبيهقي ٩-٣٤٦- ط مكتبة الرشد

الجزء الثاني عشر

من سورة هود الآية ٦
إلى سورة يوسف الآية ٥٢
عدد الفوائد ١٠٦

﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]:

لم يقل: رزقها على الله، وتقديم ﴿عَلَى اللَّهِ﴾ قبل كلمة ﴿رِزْقُهَا﴾ لإفادة القصر، أي على الله لا على غيره، و﴿عَلَى﴾ تدل على اللزوم، ومعلوم أن الله لا يلزمه أحد بشيء، فأفاد معنى اللزوم ضمان الرزق لكل الخلق؛ لأن الله إذا وعد وجب وقوع ما وعده.

﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرُّهَا وَمُسْتَوْدَعُهَا﴾ [هود: ٦]:

قال ابن مسعود: «مُسْتَقَرُّهَا: الأرحام، وَمُسْتَوْدَعُهَا: الأرض التي يموت فيها».

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضُ مَا يُوحَىٰ إِيَّاكَ﴾ [هود: ١٢]:

وهو استفهام في معرض النهي، فإياك أن يضيق صدرك، فلا تُبلِّغهم شيئاً مما أنزل إليك.

﴿وَضَائِقُ بِهِ صَدْرُكَ﴾ [هود: ١٢]:

قال ابن جزي: وإنما قال ضائق، ولم يقل ضيق؛ ليدل على اتساع صدره عليه السلام وقلة ضيقه.

﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ [هود: ١٧]:

ليس معنى يتلوه هنا من التلاوة؛ بل المعنى: يتبعه.

﴿مَا تَرَبَّلْنَا إِلَّا بِبَشَرٍ مِّثْلَنَا﴾ [هود: ٢٧]:

عندما تغيب الموضوعية، ينصرف الناس عن الكلام إلى المتكلم، وعن القول إلى القائل، وعن الفكرة إلى صاحبها.

﴿وَمَا نَرْبُكَ أَتَّبِعُكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ يَنْجُوْا﴾ [هود: ٢٧]:

عندما تغدو الدنيا معيار التمايز؛ يتحول الأفضل إلى الأردل، والأتقى إلى الأغبي، والأقرب إلى الله إلى الأبعد عن الناس.

قال القرطبي: «الأراذل هنا هم الفقراء والضعفاء، كما قال هرقل لأبي سفيان: أشرف الناس اتبعوه أم ضعفائهم؟ فقال: بل ضعفائهم، فقال: هم أتباع الرسل. قال علماءنا: إنما كان ذلك لاستيلاء الرياسة على الأشراف، وصعوبة الانفكاك عنها، والأنفة من الانقياد للغير، والفقير خلي عن تلك الموانع، فهو سريع إلى الإجابة والانقياد».

﴿بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ [هود: ٢٧]:

اتهموا المؤمنين الذين اتبعوا نوحًا بالسطحية. قال ابن جزي: «أول الرأي من غير نظر ولا تدبير، والمعنى: اتبعك الأراذل من غير نظر ولا تثبت».

﴿وَأَنْتَ رَحْمَةٌ مِّنْ عِنْدِهِ، فَعُتِبْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [هود: ٢٨]:

العمى الحقيقي ألا يبصر قلبك رحمت ربك المترلة.

﴿وَيَنْقُورُ مَن يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَفْتُهُمْ﴾ [هود: ٣٠]:

مجرد طرد المؤمنين يستوجب عقوبة الله، فكيف بسجنهم وإيذائهم؟!

﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [هود: ٣١]:

صدق نوح عليه السلام: فلا يستطيع أحد أن يحكم على (نية) أحد إلا الله، ولا يعلم نوايا القلوب إلا علام الغيوب.

﴿فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [هود: ٣٦]:

ما أعظم ثسلية المحزون.. الله يتولاها بنفسه، فجزى الله خيرًا كل من اقتسم معنا كسرة حزن.

قال الرازي: «أي لا تحزن من ذلك، ولا تغتم، ولا تظن أن في ذلك مذلة، فإن الدين عزيز، وإن قلَّ عدد من يتمسك به، والباطل ذليل، وإن كثر عدد من يقول به».

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ﴾ [هود: ٤٠]:

طوفان يخرج من تنور (فرن) !! درس إلهي: أستطيع أن أنصرك بالسبب، وبلا سبب، وبعكس السبب.

﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠]:

لا تستطل طريق الدعوة، فنوح مكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا، ولا تضجر من قلة من استجاب لك، فما آمن مع نوح إلا قليل.

﴿يَسْمِ اللَّهَ بِحَبْرِنَهَا وَمَرَسَهَا﴾ [هود: ٤١]:

قال القرطبي: «وفي هذه الآية دليل على ذكر البسملة عند ابتداء كل فعل».

﴿يَبْنِيَّ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ [هود: ٤٢]:

ولم يقل: مع الغارقين لأن مصيبة الدين أعظم المصائب.

﴿قَالَ سَاوِيَ إِلَىٰ جِبَلٍ يَْعَصْنِي مِنَ الْمَاءِ﴾ [هود: ٤٣]:

إذا جاء أمر الله فلا ينجي إلا الله، ولو لجأت إلى أعظم جبل، ولو كان أبوك خير البشر.

﴿قَالَ يَنْفُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ [هود: ٤٦]:

صحح الله مفهوم الأهل لدى نوح عليه السلام، فالؤمنون هم أهله الحقيقيون.

قال القرطبي: «وقال الجمهور: ليس من أهل دينك ولا ولايتك، وهذا يدل على أن حكم الاتفاق في الدين أقوى من حكم النسب».

﴿قَالَ يَنْفُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ [هود: ٤٦]:

تعزية! قال القرطبي: «في هذه الآية تسلية للخلق في فساد أبنائهم وإن كانوا صالحين».

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩]:

لماذا الصبر؟! قال ابن عاشور: «لأن داعي الصبر قائم، وهو أن العاقبة الحسنة ستكون من نصيب المتقين، فستكون لك وللمؤمنين معك».

واللام في ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ للاختصاص والملك، فيقتضي امتلاك المتقين لجنس العاقبة الحسنة، فهي ثابتة لهم لا تفوتهم، ومتفية عن أضدادهم من غير المتقين».

﴿وَنَقُومُ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ [هود: ٥٢]:

ما أجمل هذا الحديث: «من استغفر للمؤمنين وللمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة» صحيح الجامع: ٦٠٢٦.

﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ﴾ * ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ﴾ [هود: ٥٥]:

هذه معجزة نبي الله هود، فقد تحدى أمة بأسرها أن يصبوا عليه كيدهم بلا تريث أو انتظار، وكان سر قوته ومصدر منعته: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ﴾.

﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: ٦١]:

يجيب دعوة عباده مهما كانوا، فيجيب دعوة المضطر ولو كان كافرًا، ودعوة المظلوم ولو كان فاجرًا، فكيف بالأبرار والأتقياء!

﴿فَعَقَرُوهَا﴾ [هود: ٦٥]:

قال القرطبي: «إنها عقرها بعضهم، وأضيف إلى الكل؛ لأنه كان برضا الباقين».

﴿قَالَ لَوْ أَنِّي بِيَكْمٍ قُوَّةٌ أَوْ أَوْىٰ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠]:

الحق الأعزل بلا قوة لا تأثير له ولو كان صاحبه نبياً، فلا بد للحق من قوة تحميه.

﴿مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٣]:

هذا هو قانون الثمائل، وهو تهديد للظالمين الحاليين، بأنهم ليسوا بعيدين عن عقوبة الظالمين السابقين؛ لأشراكهم معهم في نفس الجريمة.

﴿إِنِّي أُرْسِلُكُمْ بِخَيْرٍ﴾ [هود: ٨٤]:

قالها شعيب لأمة وثنية، لكنه مع ذلك أقر برحائهم ورغد عيشهم، فالإنصاف من سمات المصلحين، وهم أبعد ما يكونون عن تشويه الحقائق أو الكذب لينصروا قضيتهم.

﴿يَقِئْتُ اللَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [هود: ٨٦]:

مال قليل مبارك خير من مال كثير غير مبارك! قال القرطبي: «أي ما يقيه الله لكم بعد إيفاء الحقوق بالقسط أكثر بركة، وأحمد عاقبة مما تبقونه أنتم لأنفسكم من فضل التطفيف بالتجبر والظلم».

﴿قَالُوا يَسْعَيْبُ أَصْلُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشْتَوُ﴾ [هود: ٨٧]:

هذا القول الذي أخرجوه بصيغة التهكم حقيقي، فالصلاة تأمر صاحبها وتنهاه، وتنهى عن الفحشاء والمنكر، وإلا كانت مظهرًا بلا جوهر.

فصل الدين عن الحياة وعن واقع الناس ليس أمرًا جديدًا، بل له جذور قديمة، وهي سنة جاهلية.

﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [هود: ٨٨]:

قال ابن القيم: «وقد أجمع العارفون على أن كل خير، فأصله بتوفيق الله للعبد، وكل شر فأصله خذلانه لعبيده، وأجمعوا أن التوفيق أن لا يكلك الله إلى نفسك».

﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ [هود: ١٠٢]:

قانون التماثل مرة أخرى، فمن سلك نفس طريق الظالمين نال نفس عقوبتهم.

﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾

[هود: ١٠٢]: الظلم إعلان حرب مع الله، ولا بد أن ينتهي بانتقام الله.

﴿سُعِدُوا﴾ [هود: ١٠٨]:

لم ترد كلمة السعادة في القرآن إلا مرة واحدة ﴿سُعِدُوا﴾، وفي الجنة فقط؛ لأنه لا سعادة حقيقية إلا في الجنة.

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ [هود: ١١٢]:

قال ابن عباس رضي الله عنه: «ما نزل على النبي ﷺ آية كانت أشق ولا أشد من قوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾؛ ولذلك قال ﷺ لأصحابه حين قالوا:

أسرع إليك الشيب. قال: «شيتني هود وأخوانها».

ما معنى الاستقامة؟ قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهي، ولا تروغ روغان الثعالب».

أمر الله رسوله بالاستقامة وفق أمره، فنحن أحق بالنظر في استقامتنا منه، وهل هي وفق ما أراد الله أم لا.

﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا تَمْسِكُمُ النَّارُ﴾ [هود: ١١٣]:

قال القشيري: «لا تعملوا أعمالهم، ولا ترضوا بأعمالهم، ولا تمدحوهم على أعمالهم، ولا تتركوا الأمر بالمعروف لهم، ولا تأخذوا شيئاً من حرام أموالهم، ولا تسكنوهم بقلوبكم، ولا تخالطوهم، ولا تعاشرهم ... كل هذا يحتمله الأمر، ويدخل تحت الخطاب».

قال السعدي: «وإذا كان هذا الوعيد في الركون إلى الظلمة، فكيف حال الظلمة بأنفسهم؟! نسأل الله العافية».

﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤]:

إكثار المرء من الحسنات هو سبيل محاصرة السيئات، والتغلب على تغلبها في قلوب العباد.

قال الحسن البصري: «استعينوا على السيئات القديرات بالحسنات الحديثات، وإنكم لن تجدوا شيئاً أذهب بسيئة قديمة من حسنة حديثة، وأنا أجد تصديق ذلك في كتاب الله: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾».

قال ابن قدامة: «مثال ما ذكرنا: أن يكفر سماع الملاحي بسماع القرآن ومجالس الذكر، ويكفر مسح المصحف بغير طهارة بإكرامه وكثرة القراءة فيه، وإن أمكنه أن يكتب مصحفاً ويقفه فليفعل، ويكفر شرب الخمر بالتصدق بالشراب الحلال، وعلى هذا فاسلك سبيل المضادة، فإن الأمراض إنما تعالج بضدها».

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧]:

المصلحون صمام أمان للمجتمع لا الصالحون، فإن قل عدد المصلحين أو حوصروا فقل تأثيرهم، فهي نذر الهلاك.

لا يكفي أن تكون صالحاً سلبياً لتنقذ أمتك بل لا بد أن تكون مصلحاً إيجابياً.

عفوا! صلاحك وحده لا يكفي! إيجابيتك وإصلاح ما حولك هي وحدها ضمان نجاة مجتمعك من الهلاك.

﴿وَكَلَّا نَقْصُصْ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَشِئْتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠]:

من أهم أسباب الثبات مطالعة سير الصالحين والأنبياء، وليس أفضل من مطالعة ذلك في خير الكتب: كتاب الله تعالى.

﴿وَالَيْهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ [هود: ١٢٣]:

من إحياء وإماتة، وهداية وضلال، وصحة ومرض، ونصر وهزيمة، فكل هذا يرجع إلى الله، وإلى علمه وقدرته.

﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣]:

التوكل من العبادة، لكن الله خصّه بالذكر هنا اهتماماً به، فهو نعم العون على سائر أنواع العبادات، وهو سبحانه لا يُعْبَدُ إلا بمعاونته.

سورة يوسف

﴿قَالَ يَبْنَئِي لَا نَقْصُصُ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف: ٥]:

قال الألوسي: وفي الصحيح عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «إذا رأى أحدكم الرؤيا يجلبها فإنها من الله تعالى فليحمد الله تعالى، وليحدّث بها، وإذا رأى غير ذلك مما يكره فإنما هي من الشيطان، فليستعذ بالله تعالى من الشيطان الرجيم، ومن شرها، ولا يذكرها لأحد فإنها لن تضره».

صح عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: «إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها، فليصق عن يساره ثلاثاً، وليستعذ بالله تعالى من الشيطان الرجيم، وليتحول عن جنبه الذي كان عليه».

﴿قَالَ يَبْنَئِي لَا نَقْصُصُ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ﴾ [يوسف: ٥]:

رؤيا المؤمن تسرّه ولا تعرّهُ، أي يستبشر بها لكن لا تقعه عن العمل والأخذ بالأسباب.

من الحكمة كتمان الأخبار التي هي مظنة الغيرة أو الحسد.

﴿يَبْقَى لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف: ٥]:

قال ابن العربي: «هذا يدل على معرفة يعقوب بتأويل الرؤيا؛ لأن نبيه لابنه عن ذكرها، وخوفه على إخوته من الكيد له من أجلها علم بأنها تقتضي ظهوره عليهم وتقدمه فيهم، ولم يبال بذلك يعقوب؛ فإن الرجل يود أن يكون ولده خيراً منه، والأخ لا يود ذلك لأخيه».

﴿اقْنُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَيِّكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا

صَالِحِينَ﴾ [يوسف: ٩]: انظر كيف خدعهم الشيطان! قال السعدي: «فقدّموا العزم على التوبة قبل صدور الذنب منهم تسهلاً لفعله، وإزالة لشناعته، وتنشيطاً من بعضهم لبعض».

﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ [يوسف: ١٦]:

لا تتخدع بحيل المحتالين! قال الشعبي: كنت جالساً عند شريح إذ دخلت عليه امرأة تشتكي زوجها وهو غائب، وتبكي بكاء شديداً، فقلت: أصلحك الله، ما أراها إلا مظلومة. قال: وما علمك؟ قلت: لبكائها. قال: لا تفعل؛ فإن إخوة يوسف جاءوا أباهم عشاء يبكون، وهم له ظالمون.

﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ١٨]:

قال سفيان الثوري عن بعض أصحابه: «ثلاث من الصبر: ألا تحدث بوجعك، ولا بمصيبتك، ولا تزكي نفسك».

﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾ [يوسف: ٢١]:

الابتلاء أول درجة في سلم التمكين؛ لذا قال الله بعد ذكر إلقاء يوسف في الحب ويبيعه بثمان بخس: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾.

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ [يوسف: ٢١]:

جاءت الجملة بالسياق الاسمي، ولم ترد بالسياق الفعلي، فلم يقل الله: (ويغلب الله)؛ وذلك لأن هذا الحكم كالقانون الذي لا يتبدل مع يوسف عليه السلام أو مع غيره.

عجيب أن تأتي هذه الآية عقب ذكر بيع يوسف كعبد يخدم في قصور الملوك، ففي أشد اللحظات قسوة يأتي ذكر أعظم البشارات، وكأن الله يختصر القصة المطوّلة للابتلاء والتمكين في آية واحدة؛ لتغرس اليقين بموعود الله وسط الأعاصير ووقت الزلزلة.

الناس لا يرفعون ولا يضعون، ولا يقدمون ولا يؤخرون، ولا يقربون ولا يبعدون؛ لأن الأمر كله بيد الله.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١]:

قال أبو السعود: « لا يعلمون أن الأمر كذلك، فيأتون ويذرون زعمًا منهم أن لهم من الأمر شيئًا، وأنّى لهم ذلك! وإن الأمر كله لله عز وجل، أو لا يعلمون لطائف صنعه وخفايا لطفه».

تكرّر في سورة يوسف قول ربي: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ في ثلاث آيات رقم: ٢١، ٤٠، ٦٨، ولم يتكرر نفس هذا التكرار في أي سورة أخرى، تذكيرًا لنا بخفي لطف الله وعجيب أقداره.

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١]: قال ابن الجوزي:

«ومن عجائب الجزاء في الدنيا أنه لما امتدت أيدي الظلم من إخوة يوسف»، ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخِيسٍ﴾ [يوسف: ٢٠]، امتدت أكفهم بين يديه بالطلب يقولون: ﴿وَقَصَدَقَ عَلَيْهِنَا﴾ [يوسف: ٨٨].

﴿وَرَزَقْنَاهُ الْتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾ [يوسف: ٢٣]:

كانت محنة يوسف مع امرأة العزيز أشد من محنته مع إخوته، وصبره عليها أعظم أجرًا؛ لأنه صبر اختيار مع وجود دواعي السقوط الكثيرة، وأما محنته مع إخوته، فصبره فيها صبر اضطرار، وليس له إلا الصبر عليها، طائعًا أو كارهاً.

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا اَنْ رَّءَا بُرْهَانَ رَبِّهٖ﴾ [يوسف: ٢٤]:

قال ابن تيمية: «وهو برهان الايمان الذي حصل في قلبه، فصرف الله به ما كان هم به، وكتب له حسنة كاملة».

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ﴾ [يوسف: ٢٤]:

متى ينقلب الهم بالسيئة إلى حسنة؟! الإجابة في الحديث: «قالت الملائكة: يا رب ذلك عبدك يريد أن يعمل بسيئة وهو أبصر به، فقال: ارقبوه، فإن عملها فاكتبوها له بمثلها، وإن تركها فاكتبوها له حسنة، إنها تركها من جرّاء» صحيح الجامع رقم: ٤٣٥٦.

﴿كَذٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهٗ السُّوٓءَ وَالْفَحْشَآءَ﴾ [يوسف: ٢٤]:

إذا جاهدت نفسك بالانصراف عن السوء والفحشاء فترة من الزمن، كافأك الله وأمر السوء والفحشاء أن ينصرفا عنك.

قال ابن مفلح: «ولا يُتَبَلَّى بالعشق غالباً إلا من غفل قلبه عن الله وعن ذكره وعن أمره ونهيه، قال تعالى في حق يوسف: ﴿كَذٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهٗ السُّوٓءَ وَالْفَحْشَآءَ إِنَّهٗ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤]، يدل ذلك على أن الإخلاص سبب لدفع السوء والفحشاء، فالقلب إذا امتلأ من ذلك استحلاه على كل شيء، وتغذّى به، واستغنى به عما سواه».

داء العشق ودواؤه!

قال ابن عقيل: قال بعض الحكماء: «ليس العشق من أدواء الحكماء، إنما هو من أمراض الخلفاء الذين جعلوا دأبهم ولهجتهم متابعة النفس، وإرخاء عن الشهوة، وإفراط النظر في المستحسنات من الصور، فهناك تنقيد النفس ببعض الصور فتأنس، ثم تألف، ثم تتوق، ثم تشوق، ثم تلهج فيقال عشق، والحكيم من استطال رأيهم على هواه وتسلطت حكمته أو تقواه على شهوته، فرعونات نفسه مقيدة أبداً، كصبي بين يدي معلّمه، أو عبد بمرأى سيده، وما كان العشق إلا لأرعن بطال، وقل أن يكون في مشغول ولو بصناعة أو تجارة فكيف بعلوم شرعية أو حكمية؟ فإنها صارفة عن ذلك».

أمام أعاصير الفتن إياك أن تترك لسابق صلاحك أو شهرة عبادتك، فلا عاصم إلا الله، فاستغث به، وسله النجاة.

﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ﴾ [يوسف: ٢٥]:

إذا كنت خاليًا، وحاصرتك الشهوة، فاهرب على الفور، وابحث عن الباب.

مهما بلغت درجة صلاحك وعلمك، فاهرب من الفتن ومن كل ما أدى إليها، فهذا فرار الشجعان، وهو فرار محمود.

﴿وَالْفَيَّا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ﴾ [يوسف: ٢٥]:

قال البقاعي: «ولم يقل: سيدهما، لأن يوسف عليه الصلاة والسلام لم يدخل في رقٍّ (وإنما اشترى ظلمًا)، ولأن المسلم لا يملك وهو السيد (فلا سيادة لكافر على مسلم)».

﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ [يوسف: ٣٠]:

قيل لهند بنت الحُصَّ إحدى أميرات العرب -وقد زنت بعدها-: لم زنت وأنت سيدة قومك؟! فقالت: قُرب الوِساد وطول الشَّهاد، تريد قرب مضجعه منها، وطول مسارتها (حديثه معها في السر) إياها.

﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [يوسف: ٣١]:

رأى النسوة جمال يوسف، فلم يشعرن بألم تقطيع أيديهن، فكيف بك إذا رأيت غداً جمال خالق يوسف؟! ولذا كان من الدعاء النبوي: «وأسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك».

﴿وَلَكِنْ لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيَسَّجَنَ وَلْيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ﴾ [يوسف: ٣٢]:

(لَيَسَّجَنَ) بالنون المثقلة، (وَلْيَكُونَا) بالنون المخففة؛ لأن سجنه بيدها، أما جعله صاغراً فليس إليها، فقد رفع الله شأنه في العالمين، وجعل له سورة باسمه في كتابه إلى يوم الدين.

﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ [يوسف: ٣٣]:

يفضل الصالحون بذل حريتهم على أن يمَسَّ أحدُ دينهم.

﴿رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ﴾ [يوسف: ٣٣]:

هكذا تنقلب الموازين إذا نزل الإيمان في قلوب المؤمنين.

عندما تكون المساومة على الدين قد يكون السجن خيار المؤمنين.

﴿السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ [يوسف: ٣٣]:

ولم يقل: الزني، فالمؤمن كامل العفاف حتى في لسانه.

﴿رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾ [يوسف: ٣٣]:

هذا مقام الصبر.

﴿وَلَا أَتَصَرَّفُ عَنِّي كَيْدُهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ [يوسف: ٣٣]:

وهذا مقام الاستغانة.

الأعمال القلبية هي زاد الأعمال البدنية، ولولاها ما ثبت يوسف.

﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ [يوسف: ٣٣]:

قد يكون السجن ثمن إجرام، لكن أحياناً يكون ثمن ثبات على مبدأ وضريبة الإيمان.

﴿وَلَا أَتَصَرَّفُ عَنِّي كَيْدُهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ [يوسف: ٣٣]:

قد يخونك قلبك في مواجهة الفتن والمغريات، فسَل الذي يملك أمر القلوب أن يلهمك الثبات.

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾ [يوسف: ٣٤]:

لم يقل: فأدخله السجن! لا تنظر إلى ظلمة المحنة وما أصاب دنياك، بل انظر إلى الخير الذي وراءها وما أفاد دينك.

﴿إِنَّا نَرْزُقُكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٣٦]:

رياح المحسنين تفضحهم مهما استتروا، وصدق القائل: (ما أسرَّ عبدٌ سريرة إلا أظهرها الله على قسَمَات وجهه وقلَّتات لسانه).

﴿ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا﴾ [يوسف: ٣٨]:

قالها يوسف بعد أن سُجِنَ ظلمًا في ديار الغربة، فمهما تكن ألامك؛ فهناك دومًا من نعم الله ما يمكنك التسلي به والتحدث عنه.

﴿يَصْصِحِّي السِّجْنَ﴾ [يوسف: ٤١]:

يا كل داعية: حافظ على قواسم مشتركة مع الجميع، فهو ادعى لأن يُسَمَّع إليك.

﴿يَصْصِحِّي السِّجْنَ ۚ آرْيَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾

[يوسف: ٤١]: نفوس المصلحين لا تتوقف عن حل هم الدعوة حتى في ظلمات السجن ومن وراء القضبان!

﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢]:

هب أن الساقى ذكر يوسف عند الملك، كان يوسف سيرجع خادمًا في القصر، لكن تأخره بضع سنين أخرجه عزيزًا لمصر.. بعض التأخير فيه لطاف خفية.

﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ [يوسف: ٤٢]:

من سنن الله في خلقه: لما طلب آدم الخلود في الجنة من جانب الشجرة عوقب بالخروج منها، ولما طلب يوسف الخروج من السجن من جهة صاحب الرؤيا، لبث في السجن بضع سنين.. لا تعلق قلبك بغير الله.

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ [يوسف: ٤٦]:

الكريم لا يعلق لوحة بارزة فيها ذكر شهاداته وإنجازاته، بل يترك أفعاله تتكلم عنه.

﴿أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ﴾ [يوسف: ٤٦]:

نسيه في السجن بضع سنين، ثم عاد يستفتيه في رؤيا الملك، فأفتاه دون كلمة عتاب! أي نفوس هذه!

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ [يوسف: ٤٧]:

قدم يوسف -من داخل السجن- نصائحته بإشفاق إلى مجتمعه الذي سكت عن إلقائه في السجن ظلمًا.. انظر كيف عبرت أرواح العظماء أنهار الضغينة.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ﴾ [يوسف: ٤٩]:

الفرج يأتي بعد بلوغ الشدة متتهاها، فمهما اشتد إغلاق الأبواب ستسلل إليك رحمت الوهاب.

﴿قُلْتُ حَسَّ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾ [يوسف: ٥١]:

أفضل من يدافع عنك في غيابك هو سمعتك الطيبة.

﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْفَنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾ [يوسف: ٥١]:

لا بد لبراءة المظلوم أن تظهر يوماً، فالصبر الصبر!

﴿أَنَا رَوْدَتْهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [يوسف: ٥١]:

دليل على أن الصديق فيه النجاة وإن رأيت فيه الهلاك.

﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ [يوسف: ٥٢]:

هذا كلام يوسف عليه السلام يقول: ذلك ليعلم العزيز أني لم أخنه في زوجته بالغيب، وإنما رددت الرسول ليعلم كذلك الملك براءتي.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْخَائِبِينَ﴾ [يوسف: ٥٢]:

قال الشوكاني: «فيه تعريض بامرأة العزيز؛ حيث وقع منها الكيد له والخيانة لزوجها، وتعريض بالعزيز؛ حيث ساعدها على حبسه بعد أن علم براءته ونزاهته».

قال ابن عاشور: «لا ينفذه ولا يسدده، فأطلقت الهداية التي هي الإرشاد إلى

الطريق الموصلة على تيسير الوصول، وأطلق نفيها على نفي ذلك التيسير، أي إن سنة الله في الكون جرت على أن فنون الباطل وإن راجت أوائلها لا تلبث أن تنقشع».

فيه أن الخائن مفضوح ولو بعد حين، ويوسف يصرح هنا أنه لو كان خائناً

لما خلّصه الله من هذه الورطة، وحيث إنه خلّصه، فهو دليل على أنه بريء مما نسبوه إليه.

الجزء الثالث عشر

من سورة يوسف الآية ٥٣
إلى سورة إبراهيم الآية ٥٢
عدد الفوائد ١١٣

﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾ [يوسف: ٥٣]:

أعلى درجات الصدق، أن تبدأ بإلقاء اللائمة على نفسك قبل اتهام غيرك.

﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يوسف: ٥٤]:

الدعاة والمصلحون شخصيات مخلصة ومبهرة ومقنعة؛ لذا يحرص المفسدون في كل عصر على أن يحولوا بينهم وبين صنّاع القرار.

﴿فَأَرْسَلَ مَعَنَا أَخَانَا﴾ [يوسف: ٦٣]:

﴿إِنَّكَ ابْنُكَ سَرَقٌ﴾ [يوسف: ٨١]: عندما كانت لهم مصلحة قالوا: ﴿أَخَانَا﴾، وعندما انتهت قالوا: (ابنك)، فتغيرت لغة الخطاب مع تغير المصلحة!

﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾ [يوسف: ١١]:

قالها يعقوب، فغاب عنه ابنه، فلما قال: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا﴾ [يوسف: ٦٤]: عاد إليه.. احذر كلماتك وراقب ألفاظك!

﴿وَقَالَ يَبْنِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَأَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾: فيه دلالة

على جواز اتخاذ الأسباب الواقية من الحسد والعين.

﴿وَمَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ مَوْلَىٰ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [يوسف: ٦٧]:

أحياناً نحتاج لأن نعلن عجزك أمام أولادك حتى يتعلقوا بالله وحده، ولا يعتمدوا عليك في كل شيء.

﴿إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ [يوسف: ٦٩]:

وجود الأخ يُذهب البؤس ويعين على نوائب الدهر ويبرد حرارة الحزن .. من فوائد الأخوة.

﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ [يوسف: ٧٦]:

عندما يكيد لك الخلق بغير الحق ، فانتظر كيد الله بهم ، فالجزاء من جنس العمل. صبر على كيد إخوته، فكاد الله له.

﴿قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُونُسُ فِي نَفْسِهِ. وَلَمْ يَبْدِهَا لَهُمْ﴾ [يوسف: ٧٧]:

أحيانا يكون الصمت أبلغ من كثير الكلام.

﴿فَأَسْرَهَا يُونُسُ فِي نَفْسِهِ﴾ [يوسف: ٧٧]:

ما أجل ما قيل: صدور الأحرار قبور الأسرار.

﴿فَأَسْرَهَا يُونُسُ فِي نَفْسِهِ. وَلَمْ يَبْدِهَا لَهُمْ﴾ [يوسف: ٧٧]:

رحم الله امرءاً كتم سراً وتنازل عن حق؛ ليؤلف بين القلوب وينزع الأضغان.

﴿فَأَسْرَهَا يُونُسُ فِي نَفْسِهِ﴾ [يوسف: ٧٧]:

احمل الكلمات المراجعة، وضعها تحت ثرى الذاكرة، وادفنها في قبر النسيان.

﴿فَأَسْرَهَا يُونُسُ فِي نَفْسِهِ. وَلَمْ يَبْدِهَا لَهُمْ﴾ [يوسف: ٧٧]:

ليست الصراحة بمدوحة على الدوام، فالمداورة مطلوبة أحيانا تأليفاً للقلوب واثقاء للشرور.

التغافل من أخلاق العظماء.

﴿يَأْسُفَى عَلَى يُونُسَ﴾ [يوسف: ٨٤]:

قال ابن الجوزي: «فإن قيل: هذا لفظ الشكوى فأين الصبر؟ فالجواب من وجهين أحدهما: أنه شكاً إلى الله لا منه ، والثاني: أنه أراد به الدعاء، فالمعنى يا رب ارحم أسفي على يوسف».

﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾ [يوسف: ٨٤]:

ابيضت عينا يعقوب ولم تبيض عينا يوسف، هذا هو الفارق بين الآباء والأبناء!؟

﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]:

بعض أوجاعك لن يفهمها البشر، ولا بمقدورهم تخفيفها.

لا تبث شكواك إلا للقادر على كشف بلواك!!

﴿وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٧]:

الأولياء يلتمسون الفرج عند اشتداد الابتلاء، فشيخ كبير يوصي أبناءه بعد أن كف بصره من الحزن على أبنائه الثلاثة.

﴿فَأَوْفٍ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقَ عَلَيْنَا﴾ [يوسف: ٨٨]:

قال ابن الجوزي: من تأمل ذلَّ إخوة يوسف؛ عرف شؤم الزلل!

﴿وَتَصَدَّقَ عَلَيْنَا﴾ [يوسف: ٨٨]:

سبحان الله! الأيدي التي ألقت يوسف في الجب هي نفس الأيدي التي امتدت إليه تسأله.

﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ [يوسف: ٨٩]:

الكريم لا يُكثر عتاب من يجب بل يعذره، وانظر كيف نسب يوسف محاولة قتلهم له إلى الجهل!

﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠]:

هذه خلاصة (أحسن القصص: سورة يوسف)، وأهم دروسها في عشر كلمات.

﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾ تعليل لجملة ﴿مَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾، فبسبب التقوى

والصبر من الله عليهم.

على الداعية أن يغتنم الفرصة لإلقاء الموعدة، وهي عند تأثر السامع وانفعاله كما فعل ذلك يوسف حين قال: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجَرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠].

﴿قَالَ لَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ يَوْمَ يَكْفُرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [يوسف: ٩٢]:
من أذاك معتذراً، فلا تكثر عليه اللوم، يكفيه ما به من ندم.

النفوس الكبيرة تسامى فوق الجراح، وتتناسى الآلام، وتغفر زلات الكرام.

﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٩٤]:
لم يقل: أشم أو أحس دلالة على يقينه وثقته، فللفرج رائحة لا يجدها إلا المتفائلون.

﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ [يوسف: ١٠٠]:
قال الزركشي: «لم يذكر خروجه من الحب، مع أن النعمة فيه أعظم؛ لوجهين: أحدهما: لثلا يستحي إخوته، والكريم يغضي عن اللوم، ولا سيما في وقت الصفاء.

والثاني: لأن السجن كان باختياره، فكان الخروج منه أعظم، بخلاف الحب».

﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ [يوسف: ١٠٠]:
وصف محاولات قتلهم له بأنها نزغات شيطان نفوس كبيرة.

﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ﴾ [يوسف: ١٠٠]:
لا يلمح لطف الله إلا من نظر في حكيمته، وأيقن أن قضاءه كله خير.

﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]:

هذه أسمى أمنيات الأنبياء، ومع هذا فلا تخطر على بال كثير من الخلق!

رُوي في تفسير البغوي أن يعقوب قال للبشير حين جاءه بقميص يوسف:

كيف تركت يوسف؟

قال: إنه ملك مصر.

فقال يعقوب: ما أصنع بالملك؟! على أي دين تركته؟

قال: على دين الإسلام.

قال: الآن تمت النعمة.

دعوة يوسف- عليه السلام- بعد أن تربع عرش مصر وملك خزائنها، دلالة على زهده في الملك، وشوقه إلى لقاء الرب، وإيثار الدار الآخرة.

﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾
[يوسف: ١١٠]: لا يوجد أداة عطف بين ﴿كُذِبُوا﴾ و ﴿جَاءَهُمْ﴾ إشارة إلى نزول النصر فورًا، وبلا تروث أو تأخير.

سورة الرعد

﴿يَذِيرُ الْأَمْرَ﴾ [الرعد: ٢]:

أي أمر، مهما كان عظيمًا أو حقيرًا، سيدبره الله، ويسخر لك من خلقه من يقضي حاجتك، ويفتح لك الأبواب المغلقة.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرٍ لِلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ [الرعد: ٦]:

قال ابن عباس: هذه أرجى آية في القرآن.

علت المغفرة فوق الظلم، فالظلم يتطلب العقاب، لكن رحمة الله لم تُعامل الظالم بما يستحق؛ لأن رحمته سبقت غضبه.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرٍ لِلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

[الرعد: ٦]: قال ابن كثير: «قرن هذا الحكم بأنه شديد العقاب؛ ليعتدل الرجاء والخوف».

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨]:

خطوات حياتك مرسومة بأدق مما تتصور، ولحكمة بالغة لا يبصرها إلا أصحاب البصائر والإيمان.

﴿لَهُ، مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ﴾ [الرعد: ١١]:

أنت في موكب حفظ إلهي وحراسة ملائكية خاصة، فلا تقلق!

قال الألوسي: «فوائد الحفظه للأعمال أن العبد إذا علم أن الملائكة عليهم السلام يحضرونه ويحسون عليه أعماله، كان أقرب إلى الحذر من ارتكاب المعاصي، كمن يكون بين يدي أناس أجلاء من خدام الملك، مؤكِّلين عليه، فإنه لا يكاد يحاول معصية بينهم».

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا يَقُومُ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]:

كلنا يشكو حال الأمة، وينسى أنه من أسباب الغمة!

قال ابن الجوزي: «ومتى رأيت تكديراً في حال، فاذكر نعمة ما شُكِرَتْ، أو زلة قد فعلت، قد قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا يَقُومُ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾».

﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾ [الرعد: ١٣]:

نظام كوني بأكمله يسبح الله، والتسبيح هنا بصيغة المضارع ليفيد الاستمرار، فكن جزءاً من هذا النظام.

كان عبد الله بن الزبير إذا سمع صوت الرعد ترك الحديث، وقال: (سبحان من يسبح الرعد بحمده، والملائكة من خيفته).

﴿وَوَظَلَّاهُمْ بِالْعُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [الرعد: ١٥]:

سبحان الله! ظلال ساجدة، وأجساد جاحدة. قال مجاهد: «ظل المؤمن يسجد طوعاً وهو طائع، وظل الكافر يسجد طوعاً وهو كاره».

﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا﴾ [الرعد: ١٥]:

قال القرطبي: «ضرب مثلاً للحق والباطل، فشبه الكفر بالزبد الذي يعلو الماء، فإنه يضمحل ويعلق بجنبات الأودية، وتدفعه الرياح، فكذلك يذهب الكفر ويضمحل».

﴿فَأَمَّا الزُّبْدُ فَغَدَّاهُ جُفَاءً﴾ [الرعد: ١٥]:

ولو انخدعت به الجهاير، وانجرفت معه زمناً، سيبقى الزبد عند الله زبداً.

﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَنَكْتُهِ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٥]:

العمل الصالح هو الذي يبقى أثره في الأرض ما دام نفعه للناس باقياً.

اصنع في حياتك ما ينفع الناس بعد مماتك.

﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ

الْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٢١]:

قال جعفر بن محمد: «صلة الرحم تهوّن على المرء الحساب يوم القيامة، ثم

تلا: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ

الْحِسَابِ﴾.

﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا أَبْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ [الرعد: ٢٢]:

لا بد أن تكون الأعمال كلها خالصة لوجه الله حتى الصبر، فبعض الصبر يكون

لمجرد ألا يُشمت الأعداء، وبعض التجلّد حتى يُقال شجاع.

﴿وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ﴾ [الرعد: ٢٣]:

أبشروا! قال ابن كثير: «يجمع بينهم وبين أحبابهم فيها من الآباء والأهلين

والأبناء، ممن هو صالح لدخول الجنة من المؤمنين؛ لتقر أعينهم بهم، حتى إنه

تُرفع درجة الأدنى إلى درجة الأعلى، من غير تنقيص لذلك الأعلى عن درجته،

بل امتثاناً من الله وإحساناً».

هو اللقاء الذي لا فراق بعده، ونهر الحب الذي لا ارتواء منه، وإلقاء أوجاع

الفراق إلى غير رجعة.

تأمل هذه الإيلاء إلى شرط الصلاح عند اختيار الزوج، وكيف أن بركة هذا

الاختيار تمتد إلى جنات الخلود.

﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ [الرعد: ٢٣]:

كناية عن كثرة دخول الملائكة عليهم، بحيث لا يخلو باب من أبواب قصورهم لا تدخل منه ملائكة، فهو دخولٌ من أماكن كثيرة، ومتكرر كذلك في أزمان كثيرة، وكثرة الأبواب دليل على كثرة الملائكة، فما دخلوا من كل باب إلا لأن كل باب مشغول بطائفة من الملائكة، مما يضاعف سرور المؤمنين.

﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤]:

اذكروا أن هذا التكریم لم تكونوا لتنالوه لولا صبركم، فاعرفوا قيمة البلاء إن صاحبه الصبر.

﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]:

قلب بلا ذكر هو قلب خائف مضطرب حزين تائه.

وَالذِّكْرُ فِيهِ حَيَاةٌ لِلْقُلُوبِ كَمَا تَحْيَا الْبِلَادُ إِذَا مَا جَاءَهَا الْمَطَرُ

قال ابن عون: «ذَكَرُ النَّاسِ دَاءٌ، وَذَكَرُ اللَّهِ دَوَاءٌ». قال الذهبي معلقاً: «إي والله، فالعجبُ منا ومن جهلنا كيف ندعُ الدواء ونقتحمُ الداء؟!».

عندما يعترضك أمر يضطرب منه قلبك حتى ينخلع؛ فالتفت إلى السلاح الذي أمدك به خالقك، واستعمله في الحال كما قال هاشم الرفاعي: ويهْدِي أَلْمِي فَأُنْشِد رَاحَتِي .. فِي بَضْعِ آيَاتِ مِنَ الْقُرْآنِ!

﴿أَوْ تَحُلْ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ [الرعد: ٣١]:

حلول الكوارث قريباً من بلادنا هو إنذار رباني لإصلاح قلوبنا وأحوالنا.

﴿أَفَمَن هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣]:

قال ابن جزى: «أي حفيظ رقيب على عمل كل أحد، والخبر محذوف تقديره: أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت أحق أن يُعبد أم غيره؟».

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ [الرعد: ٤١]:

الخطاب لمشركي مكة، ومن كان على شاكلتهم في الكفر والضلال في كل زمان، والمراد بالأرض هنا: أرض الكفار والظالمين، سيُنقِصها الله بانتشار الإسلام، فالآية بشارة للمؤمنين، وإنذارٌ للكافرين.

سورة إبراهيم

﴿اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ٢]:

كيف تقف بباب غيره؟! وتلتمس النجدة من فقير مثلك!؟

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤]:

تعرفوا على لغة الشباب اليوم أيها الدعاة، فجيل اليوم غير جيلكم، وإلا لم يصل البيان، فوقع الشباب في حبال الشيطان.

﴿وَذَكَرَهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٥]:

ليس المقصود أيام الأسبوع، بل المقصود تذكيرهم بالنعم والنقم التي حلت بالأمم السابقة كي تكون عبرة لهم.

﴿وَذَكَرَهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥]:

قال ابن تيمية: «وهي تتناول أيام نعمه وأيام نقمه، ليشكروا ويعتبروا، فإن ذكر النعم يدعو إلى الشكر؛ وذكر النقم يقتضي الصبر على فعل المأمور وإن كرهته النفس، وعن المحظور وإن أحبته النفس؛ لئلا يصيبه ما أصاب غيره من النعمة».

﴿وَذَكَرَهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٥]:

التاريخ دورات مكرورة، فمن عرف الماضي فهم الحاضر وخطط للمستقبل.

﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَ كُمْ﴾ [إبراهيم: ٦]:

ليس من الحياء؛ بل من الحياة؛ أي يتركونهن على قيد الحياة، ولا يقتلونهن كقتلهم الصبيان.

﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]:

يشمل شكر النعم الدنيوية والأخروية، فيدخل فيه شكر الطاعات، فمن شكر الله على الطاعات زاده الله أعمالاً صالحة.

أي نعمة تخشى أن تفقدها أحدث لها شكراً، وأبشر بوعد الله: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

شكر النعمة بالإتفاق منها على الخلق، فأنفق من المال بالصدقة وسيزداد، ومن الصحة بمعاونة غيرك وستقوى، ومن الجاه بالشفاعة وستعلو.

ألا تعرف نعمة الله عليك إلا عند فقدها؟! وما أصدق ما قيل: الصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يراه إلا المرضى.

الشكر يسمى الجالب والحافظ؛ لأنه جالب للنعم المفقودة، وحافظ للنعم الموجودة.

﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ [إبراهيم: ٩]:

إما أنهم ردوا أيديهم في أفواه أنفسهم غيظاً من الرسل كعض الأنامل من الغيظ، أو استهزاء وضحكاً، كمن غلبه الضحك فوضع يده على فمه، وإما أنهم ردوا أيديهم في أفواه الأنبياء تسكيناً لهم، ورداً لقولهم، فصبراً أخي الداعية!

﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠]:

قال ابن عباس: «لم أكن أعرف معنى فاطر حتى تخاصم أعرابيان في بئر لأي منهما تعود، فقال أحدهما: أنا فطرتها أي بدأتها!».

﴿يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ [إبراهيم: ١٠]:

إذا أخطأت في حق بشر، فستحرص على ألا يراك أو يقابلك، أما مع الله فمع أنك كثير الخطأ في حقه إلا أنه يناديك ليغفر عنك.

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [إبراهيم: ١١]:

كلما زاد الإيمان كان التوكل أكمل.

أكمل أنواع التوكل؟! قال السعدي: «واعلم أن الرسل عليهم الصلاة والسلام توكلهم في أعلى المطالب وأشرف المراتب، وهو التوكل على الله في إقامة دينه ونصره وهداية عبيده وإزالة الضلال عنهم، وهذا أكمل ما يكون من التوكل».

﴿لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا﴾ [إبراهيم: ١٣]:

طرد الدعاة من بلادهم عادة قديمة جرت سابقًا على الأنبياء والمرسلين، وتسري على أتباعهم من المؤمنين إلى يوم الدين.

يرى الطغاة أن الأرض ملك لهم، وأنهم إنما يفضلون على غيرهم بأن سمحوا لهم بالإقامة فيها.

﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ [إبراهيم: ١٧]:

قال الضحاك: «يأتيه الموت من كل مكان وناحية، حتى من إبهام رجله»، وهو عذاب نفسي رهيب بالرعب يفوق العذاب الحسي بالنار.

﴿وَبَرِّزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [إبراهيم: ٢١]:

كانوا يخفون فواحشهم ويظنون أنها تخفى عن الله، فإذا بهم يوم القيامة ينكشفون، وإنما ذكر البروز بلفظ الماضي لتحقيق وقوعه.

﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُمْ مُّعْنُونَ عَلْنَا﴾ [إبراهيم: ٢١]:

أسوأ حماقة يمكن أن يرتكبها إنسان أن يتبع شخصًا لا فكرة، وفردًا لا منهجًا.

﴿قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ﴾ [إبراهيم: ٢١]:

الهداية كنز متوفر بين يديك اليوم، فاحرص عليه قبل أن يحال بينك وبينه غدا.

﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُ عَلْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ﴾ [إبراهيم: ٢١]:

الصبر اليوم على الطاعات أو عن المعاصي هو خيار من خياراتك، أما غدا فلن ينفعل صبر ولا جزع.

﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ ﴿٢٢﴾ ﴾ [إبراهيم: ٢٢]:

لم خطب إبليس في أهل النار! ليزيدهم حزنًا إلى حزنهم، وحسرة إلى حسرتهم، فهذه الخطبة جزء من عذاب أهل النار.

لم قصَّ الله علينا خبر هذه الخطبة!؟ قال الألوسي: «وحكى الله تعالى عنه ما سيقوله في ذلك الوقت ليكون تنبيهًا للسامعين، وحشًا لهم على النظر في عاقبتهم، والاستعداد لما لا بد منه، وأن يتصوروا ذلك المقام الذي يقول فيه الشيطان ما يقول، فيخافوا ويعملوا ما ينفعهم هناك».

﴿ تَوَقَّيْ أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ [إبراهيم: ٢٥]:

كلماتك الطيبة ثمرتها مؤكدة ولو بعد حين، فلا تستعجل ثمرة دعوتك وأثر كلمتك.

﴿ تَوَقَّيْ أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ [إبراهيم: ٢٥]:

لقد أسمعت لو ناديت حيا.. ولكن لا حياة لمن تنادي، أو (مفيش فايده)! وهذا خطأ يعارضه قول ربّي عن الكلمة الطيبة: ﴿ تَوَقَّيْ أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾.

﴿ يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧]:

الثبات على الحق في الدنيا علامة مبكّرة على ثبات صاحبه في الآخرة.

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ ﴾ [إبراهيم: ٣٢]، ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ ﴾ [إبراهيم: ٣٣]، ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ ﴾ [إبراهيم: ٣٣]:

كل شيء مسخر لك يا ابن آدم، فأبي كرامة هذه الكرامة، وهل يُقابل إكرام الرحمن بالعصيان والسير في ركب الشيطان!؟

﴿ وَءَاتَيْنَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾ [إبراهيم: ٣٤]:

إجابة دعائك أكيدة! قال ابن حجر: «كل داع يستجاب له، لكن تنوع الإجابة، فتارة تقع بعين ما دعا به، وتارة بعوضه».

﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ﴾ [إبراهيم: ٣٤]:

إن عجزت عن إحصاء نعم الله، فكيف تزعم أنك شكرتها!؟

سين: كيف نعدُّ نعمة واحدة!؟ جيم: النعمة الواحدة مشتملة على آلاف النعم.

قال ابن القيم: «ويكفي أن النفس من أدنى نعمه التي لا يكادون يعدونها، وهو أربعة وعشرون ألف نفس في كل يوم وليلة، فله على العبد في النفس خاصة أربعة وعشرون ألف نعمة كل يوم وليلة، دع ما عدا ذلك من أصناف نعمة على العبد».

﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]:

خاف خليل الرحمن من الكفر بعد الإسلام، فكيف لا يخاف غيره؟!

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩]:

ظل طيلة عمره يدعو ربه بهذا الدعاء، ولم يأس إلى أن نزل به العطاء.

﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ [إبراهيم: ٤٠]:

كم يداوي هذا الدعاء فينا من أدواء! تهاوننا وتناقلنا وتكاسلنا وتأخيرنا للصلاة، خاصة صلاة الفجر.

﴿رَبَّنَا آغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ﴾ [إبراهيم: ٤١]:

قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل لترفع درجته في الجنة فيقول: أنى لي هذا؟ فيقال: باستغفار ولدك لك». صحيح الجامع رقم: ١٦١٧.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ [إبراهيم: ٤٢]:

من الحقائق التي لا يعرفها كثير من الناس ما قرّره الإمام المناوي: «فأكثر ما يُدخل الموحدين النار مظالم العباد».

﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْنَدْتَهُمْ هَوَاءً﴾ [إبراهيم: ٤٣]:

قارن تجبر الظلمة اليوم وقسوتهم على المؤمنين وشخص أبصارهم يوم القيامة حتى لا تطرف لهم عين من الرعب، وخروج قلوبهم عن صدورهم حتى تبلغ الحناجر من شدة الهول والفرع.

﴿وَأَفْنَدْتَهُمْ هَوَاءً﴾ [إبراهيم: ٤٣]:

من باب التشبيه البليغ الذي حُذف فيه حرف التشبيه، والتقدير: وقلوبهم كالهواء في الخلو من الإدراك من شدة الهول.

﴿وَتَرَى الْمَجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ [إبراهيم: ٤٩]:

رؤية هؤلاء المجرمين مقصودة غذا لشفاء صدور المؤمنين.

﴿مُقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ [إبراهيم: ٤٩]:

جُمِعُوا مع غيرهم في قيد واحد، قد ضُمَّ كل قرين إلى من يشبهه في الكفر والفسوق والعصيان، فعابد الصنم مع عابد الصنم، وشارب الخمر مع شارب الخمر، والظالم مع الظالم، كما قال: ﴿أَخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾.

﴿مَرَابِطُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ﴾ [إبراهيم: ٥٠]:

جُعِلَت الملابس من قطران لأنه شديد الحرارة، فيحرق الجلد الواقع عليه، فيعذبون بهذا اللباس قبل دخول النار، كلون من العذاب المبكر.

﴿وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ [إبراهيم: ٥٠]:

وذكروا أن تخصيص الوجوه بالإحراق مع عمومته لسائر الجسد لأسباب:

كونها أعزَّ الأجزاء الظاهرة وأشرفها.

ولأنها مجمع المشاعر والحواس التي خلقت لإدراك الحق، وقد أعرضوا عن الحق، ولم يستعملوها في استقباله وتدبره، فعوقبوا فيها.

أو خلَّوْها عن القطران الذي يعذب الجسد، فذكر تعذيبها بالنار بدلا منه، ولعل تخلية الوجوه من القطران ليتعارفوا عند انكشاف ألسنة اللهب، ويتضاعف عذابهم بالحزي والفضيحة على رءوس الأشهاد.

﴿هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ﴾ [إبراهيم: ٥٢]:

سئل أبو الحسن الرماني: كل كتاب له ترجمة (أي عنوان يلخص محتواه) فما ترجمة كتاب الله؟ فقال: ﴿هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ﴾.

الجزء الرابع عشر
 من سورة الحجر الآية ١
 إلى سورة النحل الآية ١٢٨
 عدد الفوائد ٨٩

سورة الحجر

﴿وَرَبَّيْنَاهَا لِلنَّظِيرِ﴾ [الحجر: ١٦]

رَبَّيْنَاهَا لك لتنظر إليها، وتأمل جمالها وعظمة الله فيها، فتزداد إيماناً.. الله أعانك على عبادة التفكير.

﴿وَلَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾ [الحجر: ٢١]

خزائن الله لا تنفذ مهما أنفق منها، فلا تحرم نفسك ما فيها يامسك لسانك عن الطلب.

العطاء معلق بالدعاء، فلا يغفل عنه إلا الأغبياء!

﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ [الحجر: ١٩]

آية قرآنية وكونية معجزة، فالتوازن البيئي من أهم أسباب استمرار الحياة على وجه الأرض! ويشمل كل شيء في الأرض، فوجوده بنسب محددة مقدرة، بحسب حاجة الأرض وسكانها للحياة.

﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْفِحَ﴾ [الحجر: ٢٢]

كان عليه السلام إذا اشتدت الريح قال كما في حديث سلمة بن الأكوع: «اللهم لفتحا لا عقيماً».. أي ريحاً تلقح السحاب فيمتلئ بالماء.

﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿[الحجر: ٣٧: ٣٦]:

قال السعدي: «وليس إجابة الله لدعائه كرامة في حقه، وإنما ذلك امتحان وابتلاء من الله له وللعباد، ليتبين الصادق الذي يطيع مولاه دون عدوه ممن ليس كذلك».

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ ﴿[الحجر: ٣٩]:

بابان للشيطان! قال القرطبي: «وتزيينه هنا يكون بوجهين: إما بفعل المعاصي، وإما بشغلهم بزينه الدنيا عن فعل الطاعة».

﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْعَاوِينَ ﴾ ﴿[الحجر: ٤٢]:

قال ابن تيمية: «فأهل الإخلاص والإيمان لا سلطان له عليهم؛ ولهذا يهربون (الشياطين) من البيت الذي تُقرأ فيه سورة البقرة، ويهربون من قراءة آية الكرسي، وآخر سورة البقرة، وغير ذلك من قوارع القرآن».

﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ ﴿[الحجر: ٤٢]:

الاحتفاء بحصن العبودية هو أفضل وقاية من إبليس وجنوده؛ لأنه يضعف سلطانهم عليك، ويقوّي سلطانك، فتتصر.

سئل سهل التستري: متى يصح للعبد مقام العبودية؟ قال: «إذا ترك تدبيره ورضي بتدبير الله فيه».

﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ﴿[الحجر: ٤٣]:

اجتمعوا في الدنيا على الباطل وقضاء الشهوات المحرمة، فاجتمعوا غدًا لمقاساة العقاب على جرائمهم في جهنم.

﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ﴾ ﴿[الحجر: ٤٤]:

قال ابن عباس عن أسماء أبواب النار: لها سبعة أبواب: جهنم، والسعير، ولظى، والحطمة، وسقر، والجحيم، والهاوية، وهي أسفلها.

﴿ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴾ ﴿[الحجر: ٤٤]:

لكل دركة قوم يسكنونها بقدر ذنوبهم، وقال الألوسي: «عدد الحواس الخمس والقوتين الشهوية والغضبية، وهاتان القوتان بابان عظيمان للضلالة المفضية إلى النار».

﴿لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٤]:

قال هشام بن حسان: خرجنا حجاجاً، فترلنا منزلاً في بعض الطريق، فقرأ رجل كان معنا هذه الآية: ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٤]، فسمعت امرأة فقالت: أعد رحمك الله، فأعادها، فقالت: خلّفت لي في البيت سبعة عبيد، أشهدكم أنهم أحرار، لكل باب واحد منهم.

﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِينَ﴾ [الحجر: ٤٦]:

قال رسول الله ﷺ: «من سأل الله الجنة ثلاث مرات قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة» صحيح الجامع رقم: ٦٢٧٥.

اختفاء الخوف إلى الأبد مع دوام الأمن هو نعيم لا يستشعر قدره إلا من فقده؛ ولذا كان من عظيم نعيم أهل الجنة، فلا عذاب ولا موت ولا خروج ولا زوال.

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]:

قال ابن عباس: «أول ما يدخل أهل الجنة الجنة تعرض لهم عينان، فيشربون من إحدى العينين، فيذهب الله ما في قلوبهم من غلٍّ، ثم يدخلون العين الأخرى، فيغتسلون فيها، فتشرق ألوانهم، وتصفو وجوههم، وتجري عليهم نضرة النعيم».

﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرِجِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]:

أكثر ما يخيف المتنعمين اليوم في الدنيا هو زوال النعمة وسلبها، ولأن الجنة لا خوف فيها، فينزع الله الخوف من زوال النعيم في جنة النعيم.

زوال النعيم من أعظم أنواع العذاب، بل مجرد تصور زوال النعيم عذاب، لا يلد معه عيش؛ ولذا قيل:

إذا شئت أن تحيا حياة هنية فلا تتخذ شيئاً تخاف له فقدا

وهذا متبقي في الجنة.

﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾ [الحجر: ٤٨]:

حتى في قمة أحداثنا السعيدة يدركنا التعب، وأما الجنة فسعادة الأبد بلا أدنى تعب.

﴿ قَالَ أَبَسَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ يُبَشِّرُونُ * قَالُوا بِبَشَرَتِكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ ﴾ [الحجر: ٥٤: ٥٥]:

لا تيأس ولو كنت في سنّ اليأس..

﴿ قَالُوا بِبَشَرَتِكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ ﴾ [الحجر: ٥٥]:

أحبط نفسك بالمتفائلين المستبشرين، فإنهم مفاتيح السعادة وأسباب السرور، ومغاليق التعاسة وأقفال الشرور.

﴿ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾ [الحجر: ٥٦]:

اليأس ضلال عن طريق الله، وفيك من الهداية بقدر ثقتك في رحمة الله.

﴿ وَاتَّبِعْ أَدْبَرَهُمْ ﴾ [الحجر: ٦٥]:

القائد دومًا خلف الجند! قال ابن كثير: «وأن يكون لوط - عليه السلام - يمشي وراءهم ليكون أحفظ لهم، وهكذا كان رسول الله ﷺ يمشي في الغزو إنما يكون ساقية يزجي الضعيف، ويحمل المنقطع».

﴿ وَلَا يَلْنَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴾ [الحجر: ٦٥]:

الانشغال بالمعارك الجانبية يستهلك طاقتك، ويمنعك من بلوغ هدفك.

﴿ لَعَنَرُكْ ﴾ [الحجر: ٧٢]:

لم يقسم الله بحياة بشر إلا بحياة نبيه تكريماً له وتشريفاً.

﴿ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الحجر: ٧٢]:

للهموى سُكْرٌ أشد من سُكْرِ الخمر، وما أكثر خموري العقول اليوم بالأهواء والشهوات.

﴿ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآيَةٌ فَاصِّحَ الصَّفْحِ الْجَمِيلِ ﴾ [الحجر: ٨٥]:

عشاق الآخرة لا وقت لديهم للعداوات والضغائن وتوافه الأمور.

استحضر قرب الرحيل خير ما يُعين العبد على الصَّفْحِ والتسامح.

قيل لأبي الفضل يوسف بن مسرور: فلان يتكلم فيك، فقال: إنما مثلي ومثله كمثله رجل حُمل لضرب عنقه، فقذفه رجل في الطريق، فقال لنفسه: أنت مُحمَّل للقتل تسأل عمن يقع في؟! وأنا سائر إلى الموت لا أدري متى يأتيني!! أسأل عمن يتكلم في؟! في الموت ما يشغلني عن ذلك.

﴿فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥]:

قال علي بن أبي طالب: «الصفح الجميل صفح لا توبخ فيه، ولا حقد بعده».

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧]:

هي سورة الفاتحة لأنها تُتلى في كل صلاة أي تُكرَّر وتعاد في كل ركعة، وسميت سبْعًا لأنها سبع آيات وفي صحيح البخاري: «الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته» صحيح الجامع رقم: ٣١٨٥.

﴿لَا تَعْدَنَّ عَيْنُكَ إِلَى مَا مَتَعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾ [الحجر: ٨٨]:

قال ابن جزري: «أي لا تنظر إلى ما متعنناهم به في الدنيا، كأنه يقول: قد آتيناك السبع المثاني والقرآن العظيم، فلا تنظر إلى الدنيا، فإن الذي أعطيناك أعظم منها».

علام تحسّر الإمام أحمد؟! قال الإمام أحمد: «عزيز علي أن تذيب الدنيا أكباد رجال وعت صدورهم القرآن».

﴿لَا تَعْدَنَّ عَيْنُكَ﴾ [الحجر: ٨٨]:

قال القرطبي: «المعنى: قد أغنيك بالقرآن عما في أيدي الناس».

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «مَنْ أوتيَ القرآنَ فرأى أن أحداً أوتيَ أفضل مما أوتي، فقد صغّر عظيماً وعظّم صغيراً».

الخطاب له عليه الصلاة والسلام والمراد أمته؛ لأنه ﷺ كان أبعد ما يكون عن إطالة النظر إلى زينة الدنيا وزخارفها، وكيف وهو القائل: «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه، وعالمًا، أو متعلماً». صحيح الجامع رقم: ١٦٠٩.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ * لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾ [الحجر: ٨٧، ٨٨]:

قال سفيان بن عيينة: «من أعطي القرآن فمدَّ عينه إلى شيء منها، فقد صغر القرآن، ألم تسمع قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ * لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾، وقوله: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْثَنَّهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: ١٣١]: يعني القرآن».

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ [الحجر: ٨٨]:

كان حزنه عليهم لا منهم، رغم أنهم آذوه وأخرجوه من أرضه وحاولوا قتله!

﴿كَمَا أُنْزِلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ * الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ [الحجر: ٩٠، ٩١]:

أي أنزلنا عليك سبعا من المثاني والقرآن العظيم كما أنزلنا على اليهود والنصارى التوراة والإنجيل، لكنهم اقتسموا القرآن المنزل عليك، فصدَّقوا بعضه وهو ما وافق كتابيهما، وكفروا ببعضه المخالف لأهوائهم مثل نسخ شريعتهم وإبطال بنوة عيسى لله تعالى، والعضين: جمع عضو أي أجزاء.

﴿كَمَا أُنْزِلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾ [الحجر: ٩٠]:

القرآن دائما مستهدف! قال الفراء: «هم ستة عشر رجلا، بعثهم الوليد بن المغيرة أيام الموسم، فاقْتَسَمُوا أَنْقَابَ مَكَّةَ وَفَجَّاجَهَا يَقُولُونَ لِمَنْ دَخَلَهَا: لَا تَغْتَرَوْا بِهَذَا الْخَارِجِ فِينَا فَإِنَّهُ مَجْنُونٌ، وَرَبِّمَا قَالُوا سَاحِرٌ، وَرَبِّمَا قَالُوا شَاعِرٌ، وَرَبِّمَا قَالُوا كَاهِنٌ، فَقِيلَ لَهُمْ مُقْتَسِمِينَ؛ لِأَنَّهُمْ اقْتَسَمُوا هَذِهِ الطَّرِيقَ».

﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤]:

جاء في تفسير الألوسي أن أعريّا لما سمع هذه الآية، سجد وقال: سجدت لبلاغة هذا الكلام.

﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: ٩٥]:

لم يقل سنكفيك، بل جاء بصيغة الماضي للتحقيق والتوكيد، فبيننا مكفي بالله حتماً.

ذكر ابن القيم في كتاب (الصارم المسلول) أن المسلمين كانوا يحاصرون الحصن أو المدينة الشهر وهو ممتنع عليهم حتى يكادوا ييأسون، حتى إذا تعرض أهله لسب رسول الله ﷺ والوقعة في عرضه، فعجل فتحه وتيسر، ولم يكديتأخر.

مَزَّقَ كَسْرَى رسالة النبي ﷺ فمَزَّقَ الله مُلْكَهُ!

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ [الحجر: ٩٧]:

من الكلام ما هو أشد وقعاً من الحسام.. انتبه!

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿[الحجر: ٩٧، ٩٨]:

دواء ضيق الصدر بالوصفة القرآنية في أمرين: التسييح والسجود.

أن تبوح لله في سجودك وتدخل عليه في أي وقت، فيضمن لك الراحة، خير لك من أن تبوح لمن يتهرب منك أو تحتاج إلى ترتيب موعد سابقاً للقائه، ولا تضمن أن يريح لقاؤه صدرك.

سورة النحل

﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ﴾ [النحل: ٢]:

سمي الوحي روحاً، فكل من لم يتصل بالوحي من كتاب وسنة بمثابة الميت.

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ [النحل: ٤]:

لو كنت نطفة سقطت على الأرض لغُسِلَتْ! فلما مدَّ الله في عمرك، خاصمت ربك واعترضت عليه!

﴿وَالْخَيْلِ وَالْإِبَالِ وَالْحَمِيرِ لِيَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨]:

آية جمعت بين الماضي والحاضر في وسائل المواصلات.

﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل: ٢٣]:

مرَّ الحسن بن علي على مساكين يأكلون، فدعوه فأجابهم وأكل معهم، وتلا:

﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾.

﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ
بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [النحل: ٢٥]:

قال حبيب الفارسي: «إن من سعادة المرء إذا مات مات مع ذنوبه».

قال بعض الصالحين: «إنفاق درهم مزيف أشد من سرقة مائة درهم؛ لأن
السرقه معصية واحدة وقد تمت وانقطعت، وإنفاق المزيف قد يكون عليه وزرها
بعد موته إلى مائة سنة أو مائتي سنة إلى أن يفنى ذلك الدرهم، ويكون عليه ما
فسد من نقص أموال الناس».

﴿فَأَنَّى اللَّهُ بُلِّغَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ الْثَقْفُ﴾ [النحل: ٢٦]:
عاقبة المكر وخيمة وأكيدة، فيجثته الله من قواعده وجذوره.

﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فليشِئْ مَشِئُ الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [النحل: ٢٩]:
﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ [النحل: ٣٠]

خير من ماذا؟! خير من كل حسنات الدنيا ولذاتها، فالقادم أجل!

﴿الَّذِينَ نُوَفِّهِمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٢]:

قال ابن القيم: «فالجنة لا يدخلها خبيث، ولا من فيه شيء من الخبث، فمن
تطهر في الدنيا ولقي الله طاهراً من نجاساته دخلها بغير معوق، ومن لم يتطهر
في الدنيا فإن كانت نجاسته عينية، كالكافر، لم يدخلها بحال، وإن كانت نجاسته
كسبية عارضة دخلها بعد ما يتطهر في النار من تلك النجاسة، ثم يخرج منها».
﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٣٥]:
الاحتجاج بالأقدار وغيرها من الأعذار الواهية لتبرير الانحراف هي سنة قديمة
متكررة: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾.

﴿فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ [النحل: ٣٦]:
اتخذها البعض حجة لعدم اعتدائه، وأن الهداية بيد الله لا بيده، والحقيقة أن الهداية
هدايتان: هداية دلالة وإرشاد وهذه للجميع من مؤمن وكافر، وهداية اختيار
وهذه باختيار العبد (أنت مخير لا مسير).

﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [النحل: ٤٠]:

هو تقريب للأذهان؛ والحقيقة أن الله تعالى لو أراد شيئاً لكان؛ بغير حاجة إلى لفظ «كن».

﴿ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٤٣]:

لم يقل: من عنده ذكر، بل لا بد أن يكون من أهل التخصص والاحتراف.

﴿ وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ فَعِنَ اللَّهُ ﴾ [النحل: ٥٣]:

النعم بنوعها من الله وحده؛ نِعَم الطَّاعَاتِ، وَنِعَم اللَّدَاتِ، فالجأ إليه كي يعينك على شكرها.

قال ابن القيم: «وإذا كانت القلوب مجبولة على حب من أحسن إليها، وكل إحسان وصل إلى العبد فمن الله عز وجل، فلا ألام من شغل قلبه بحب غيره دونه».

لا خروج للعبد عن نعمة الله وفضله وإحسانه طرفة عين، لا في الدنيا ولا في الآخرة، ومع هذا فبعضهم يجادل ويقول: إنها أوتيته على علم!

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا ﴾ [النحل: ٥٨]:

هذا صنيع مشركي العرب أخبركم الله تعالى بخبثه، فأما المؤمن فحقيق أن يرضى بما قسم الله تعالى له، وقضاء الله تعالى خير من قضاء المرء لنفسه، ولا ندرى.. لرب جارية خير لأهلها من غلام، وإنما أخبركم الله عز وجل بصنيعهم لتجنبوه ولتنتهوا عنه.

﴿ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴾ [النحل: ٦٦]:

ومن العجائب قول القرطبي وغيره: «لم يغصَّ أحدٌ باللبن قط».

﴿ وَمِنْكُمْ مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمَرِ ﴾ [النحل: ٧٠]:

قال عكرمة: «من قرأ القرآن لم يرد إلى أَرْدَلِ العمر».

كان من دعائه ﷺ كما أخرجه البخاري. وابن مردويه عن أنس: «أعوذ بك من البخل والكسل، وأردل العمر وعذاب القبر وفتنة الدجال وفتنة المحيا والممات».

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا﴾ [النحل: ٧٥]:

قال ابن جزري: «مثل لله تعالى وللأصنام، فالأصنام كالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء، والله تعالى له الملك، ويبيده الرزق ويتصرف فيه كيف يشاء، فكيف يسوي بينه وبين الأصنام».

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا﴾ [النحل: ٨١]:

ظُلُّ الأشجار والأبنية من النعم المنسية، ولا يشعر بها إلا العامل المحترق تحت حر الشمس!

﴿كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [النحل: ٨١]:

قال قتادة: هذه السورة تسمى سورة النعم.

﴿يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [النحل: ٨١]:

خلق الله النعم لتستدل بها عليه لا لتشتغل بها عنه، ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ أي تتقادون لأمره.

﴿فَالْقُوا إِلَهُمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [النحل: ٨٦]:

أي ألفت إليهم الآلهة القول، فنطقت الأصنام بتكذيب من عبدها بأنها لم تكن آلهة، ولا أمرتهم بعبادتها، وفي إنطاق الله للأصنام ظهور فضيحة الكفار.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠]:

قال الفيروزآبادي: «فالإحسان فوق العدل، وذلك أن العدل هو أن يعطي ما عليه، ويأخذ ما له، والإحسان أن يعطي أكثر مما عليه، ويأخذ أقل مما له، فالإحسان زائد عليه، فتحري العدل واجب، وتحري الإحسان ندب وتطوع؛ ولذلك عظم الله ثواب أهل الإحسان».

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ

وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]:

قال ابن مسعود: «ما في القرآن آية أجمع للخير والشر من هذه الآية».

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا﴾ [النحل: ٩٢]:

قال ابن كثير: «هذه امرأة خرقاء كانت بمكة، كلما غزلت شيئاً نقضته بعد إبرامه».

والمعنى: كونوا أوفياء بعهودكم، ولا تنقضوها بعد إبرامها، فإن فعلتم كتم مثل تلك المرأة الحمقاء..

قال مجاهد: «كانوا يحالفون الحلفاء، فيجدون أكثر منهم وأعز، فينقضون حلف هؤلاء ويحالفون أولئك الذين هم أكثر وأعز، فنهوا عن ذلك».

﴿فَنَزَلَ قَدَمُ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ [النحل: ٩٤]:

قدم ثابتة ومع هذا زلت؟! فكيف بقدم مضطربة مهتزة؟!

﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْقَدُّ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦]:

بأي شيء بعنا ما عند الله من نعيم باقٍ بمتاع زائل.

قال الفضيل: «لو كانت الدنيا من ذهب يفتنى، والآخرة من خزف يبقى، لكان ينبغي لنا أن نختار خزفاً يبقى على ذهب يفتنى، فكيف وقد اخترنا خزفاً يفتنى على ذهب يبقى!»،

﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٩٩]:

قال الشوري: «ليس للشيطان عليهم سلطان أن يوقعهم في ذنب لا يتوبون منه».

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنُفَرِّقُوا

عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ [النحل: ١١٦]:

عن أبي نضرة قال: «قرأت هذه الآية في سورة النحل: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنُفَرِّقُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾، فلم

أزل أخاف الفتيا إلى يومي هذا».

﴿لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوْءَ بِجَهَلَةٍ﴾ [النحل: ١١٩]:

والمراد بالجهالة: الجهل والسفه اللذان يحملان صاحبهما على ارتكاب ما لا يليق بالعقلاء، وليس المراد بها عدم العلم.

قال ابن عطية: الجهالة هنا بمعنى تعدى الطور، وركوب الرأس: لا ضد العلم.

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: ١٢٠]:

حاز من الفضائل البشرية ما لا يكاد يوجد إلا متفرقاً في أمة.

قال مجاهد: «سُمِّي - عليه السلام - أمة لانفراده بالإيمان في وقته، ففي صحيح البخاري أنه قال لزوجته سارة: «ليس على الأرض اليوم مؤمن غيري وغيرك».

كيف تكون أمة؟!

قال ابن مسعود: إن معاذ بن جبل كان أمة قانتاً لله حنيفاً. فقيل: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٠]. فقال: ما نسيْتُ، هل تدري ما الأمة، وما القانت؟ فقلت. الله أعلم فقال: الأمة، الذي يعلم الخير، والقانت: المطيع لله عز وجل وللرسول. وكان معاذ بن جبل يعلم الناس الخير، وكان مطيعاً لله عز وجل ورسوله.

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ [النحل: ١٢٥]:

إلى سبيل ربك لا إلى تشييد مجدك وإبراز شخصك.. جدد نيتك.

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥]

قال ابن القيم:

«جعل الله سبحانه مراتب الدعوة بحسب مراتب الخلق، فلمستجيب القابل الذكي الذي لا يعاند الحق ولا يأباه: يدعى بطريق الحكمة.

والقابل الذي عنده نوع غفلة وتأخر: يدعى بالموعظة الحسنة، وهي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب.

والمعاند الجاحد: يجادل بالتي هي أحسن.

هذا هو الصحيح في معنى هذه الآية».

الجزء الخامس عشر

من سورة الإسراء الآية ١
إلى سورة الكهف الآية ٧٤
عدد الفوائد ١٦٣

سورة الإسراء

كان رسول الله ﷺ يقرأ سورة الإسراء كل ليلة! جاء في حديث عائشة: «كان لا

ينام حتى يقرأ بني إسرائيل والزمير» صحيح الجامع رقم: ٤٨٧٤

﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١]:

الليل.. موسم المنح الربانية والعطايا الإلهية.

﴿الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١]:

من طيبه بارك الله حوله، فهل بلغ من طيبك أن تنشر الخير حولك؟

عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: تذاكرنا ونحن عند رسول الله ﷺ: أيهما أفضل:

مسجد رسول الله ﷺ أو مسجد بيت المقدس؟ فقال رسول الله ﷺ:

«صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه، ولنعم المصلّي، وليوشكن

أن يكون للرجل مثل شطن (هو الجبل) فرسه من الأرض، حيث يرى منه بيت

المقدس خير له من الدنيا جميعًا أو قال: خير من الدنيا وما فيها».

﴿نُوحٌ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣]:

قال محمد القرظي: «كان نوح إذا أكل وإذا شرب وإذا لبس وإذا ركب قال: الحمد

لله، فسماه الله عبدًا شكورًا».

﴿أَكْثَرُ نَفِيرًا﴾ [الإسراء: ٦]:

والنفير يُطلق اليوم غالبًا على الإعلام، واليهود اليوم سيطرتهم على الوسائل

الإعلامية مشاهدة معلومة.

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ﴾ [الإسراء: ٧]:

ليس المقصود به وعد يوم القيامة؛ بل وعد الإفساد الثاني لبني إسرائيل.

﴿وَلِإِنْ عُدْتُمْ عَدْنَا﴾ [الإسراء: ٨]:

لا يزال العرض جارياً على بني إسرائيل: أي إن عدتم للإفساد في الأرض بعثنا عليكم عبادةً يؤدّبونكم.

قال (عُدْنَا) ولم يقل سيعود عبادنا، وهذا من عظيم تأييد الله للمؤمنين.

كلما ازداد اليهود علواً وإفساداً، اقتربت نهايتهم.

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي﴾ [الإسراء: ٩]:

القرآن مصدر الهداية، ومفتاح تقويم الفكر والأخلاق، وهو وحده مقياس معرفة الخطأ من الصواب، ومن دونه تغرق البشرية في الضلال.

﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ﴾ [الإسراء: ١١]:

قد تدعو وأنت لا تعلم أنك تدعو على نفسك، فلا يستجيب الله لك، رحمةً بك وشفقة عليك.

ربما كان تأخير الإجابة حمايةً للداعي من مُحِقِّ الدعاء؛ لأنه دعا بما يضره وهو يظن أنه ينفعه.

﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ [الإسراء: ١٣]:

عبر عن عمل الإنسان بطائره، وجعل عمله في عنقه إشارةً لشدة الارتباط بين الإنسان وعمله، وكأن عملك هو الذي يقودك، ويقودك إلى الجنة أو النار كما تُقاد الدابة بالحبيل من عنقها.

﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤]:

أنت اليوم كاتب، وغداً قارئ، فراجع ما كتبت.

ثملي اليوم على الملائكة ما يسطرونه في صحيفتك، وغداً ينشرون ما أملت من أعمال وأقوال ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرتُ﴾.

﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٦]:

فَشَقَّ أَهْلُ بَلَدَةٍ مَا إِذَا نَ بَقَرِبِ هَلَاكِهَا.

﴿ أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا ﴾ [الإسراء: ١٦]:

المأمور به هنا هو الإيمان والعمل الصالح، أي أمرناهم بالطاعة ففسقوا، وليس المعنى أمرناهم بالفسق ففسقوا؛ لأن الله لا يأمر بالفسق، وهو مثل أن تقول: أمرته فعصاني، أي أمرته بطاعتي فعصاني، وليس معناه: أمرته بالعصيان فعصاني.

﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ ﴾ [الإسراء: ١٩]:

من أراد يعني من الإرادة، فليس شراء الآخرة بالأمان والأحلام.

﴿ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا ﴾ [الإسراء: ١٩]:

أي السعي اللائق بالآخرة، وهو الإتيان بما أمر الله، والانتهاز عما نهى عنه، وفائدة (لَهَا): اعتبار النية والإخلاص، وفائدة ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾: أن الكافر إذا قَدَّمَ عملاً صالحاً في الدنيا، فلن ينفعه في الآخرة لفقده شرط الإيمان.

﴿ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ [الإسراء: ١٩]:

شرط الإيمان! روى الإمام مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة يُعطى بها في الدنيا، ويجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيُطعم بحسناته ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يُجزى بها» السلسلة الصحيحة رقم: ٢٧٧٠.

﴿ كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءَ وَهَؤُلَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ﴾ [الإسراء: ٢٠]:

هذه الآية تنبيه أن الله لم يترك خلقه من أثر رحمته حتى الكفرة منهم، فقد أعطاهم من نعمة الدنيا على حسب ما قدر لهم، وأعطى المؤمنين خيري الدنيا والآخرة.

معلوم أن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، لكنه لا يعطي الدين إلا من يحب.

فلو كانت الدنيا جزاءً لمحسن إذا لم يكن فيها معاش لظالم
لقد جاع فيها الأنبياء كرامة وقد شبع فيها بطون البهائم

﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: ٢٠]:

عطاء الله على قدره، وطلب العبد على قدره، وعطايا الله ليست عطاء ملك من ملوك الأرض، كمًا ولا نوعًا، وهي غير محظورة عن أحد، بل متاحة للجميع.

﴿أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٢١]:

الخطاب للنبي ﷺ، والمقصود إسحاق قومه، وهذا مشاهد في الدنيا، فطلاب الآخرة يتفاضلون في الإيمان والعمل الصالح، وطلاب الدنيا يتفاضلون في المال والثروات.

حضر جماعة من الناس باب عمرؓ وفيهم سهيل بن عمرو وأبو سفيان بن حرب، فأذن عمر لصهيب وبلال وأهل بدر وكان يحبهم، فقال أبو سفيان: ما رأيت كاليوم قط! إنه ليؤذن لهؤلاء العبيد ونحن جلوس لا يُلتفت إلينا، فقال سهيل - وكان أعقلهم -: أيها القوم .. إني والله قد أرى الذي في وجوهكم، فإن كنتم غضابًا فاغضبوا على أنفسكم، دُعي القوم ودعيتهم، فأسرعوا وأبطأتم، أما والله لما سبّوكم به من الفضل أشد عليكم فؤنًا من بابتكم هذا الذي تنافسون عليه!

﴿وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٢١]:

لا تظن الدنيا آخر المطاف! قال ابن كثير: «ولتفاوتهم في الدار الآخرة أكبر من الدنيا، فإن منهم من يكون في الدرجات في جهنم وسلاسلها وأغلالها، ومنهم من يكون في الدرجات العلا ونعيمها وسرورها،

ثم أهل الدرجات يتفاوتون فيما هم فيه، كما أن أهل الدرجات يتفاوتون، فإن في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض».

﴿وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ﴾ [الإسراء: ٢١]:

قال الضحاك: «الأعلى يرى فضله على من هو أسفل منه، والأسفل لا يرى أن فوقه أحدًا».

﴿وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣]:

ما هي آخر مرة أحسنت فيها إلى والديك؟

﴿إِنَّمَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ﴾ [الإسراء: ٢٣]:

(عندك) : وكأنه حث على أن (يسكن) والداك معك عند كبرهما.

﴿فَلَا تَقُلْ لَّهُمَا أُنْفِ﴾ [الإسراء: ٢٣]:

قال ابن عقيل: «من حسن ظني بربي أنه بلغ من لطفه أن وصّى ولدي إذا كبرت فقال: ﴿فَلَا تَقُلْ لَّهُمَا أُنْفِ﴾».

﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣]:

قيل لسعيد بن المسيب: كل ما في القرآن من بر الوالدين قد عرفته إلا قوله: ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾، فما القول الكريم؟ قال ابن المسيب: قول العبد المذنب للسيد الفظ الغليظ.

﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذِّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤]:

قال عروة: «إن أغضباك فلا تنظر إليهما شزراً، فإنه أول ما يُعرف غضب المرء بشدة نظره إلى من غضب عليه». يا هذا.. ليست المعاملة معها بالمثل!

قال زهير بن محمد: «إن سبّاك أو لعنك فقل: رحمك الله .. غفر الله لكما».

عن عبد الله بن عون أنه نادته أمه، فعلا صوته صوتها، فأعتق رقبتين.

ليس من البر! سأل رجل الإمام أحمد: إن أبي يأمرني أن أطلق زوجتي؟! قال له الإمام: لا تطلقها، فقال: أليس النبي ﷺ قد أمر ابن عمر أن يطلق زوجته حين أمره عمر بذلك؟ قال الإمام أحمد: وهل أبوك مثل عمر؟!

﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤]:

ومن رحمة الله لهما أن يهديهما للإيمان والعمل الصالح، فالدعاء بالرحمة لوالديك يشمل صلاح دينهما وعمران آخرتهما.

قال الألوسي: «والظاهر أن الأمر للوجوب، فيجب على الولد أن يدعو لوالديه بالرحمة». اجعل لنفسك ورْدًا ثابتًا للدعاء لوالديك.

﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّيْبِ عَفْورًا﴾ [الإسراء: ٢٥]:

قال سعيد بن المسيب: «الأواب الذي يذنب ثم يستغفر، ثم يذنب ثم يستغفر».

﴿وَعَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ [الإسراء: ٢٦]:

قدّم القرابة على المساكين؛ لأن عدم إحسان الغني إلى أقاربه يثير ضغائن قلوبهم وحزازات نفوسهم.

وصى الله في كتابه بآبِن السبيل ثمانى مرات، فأبِس وحشة الغريب، وأحسن إليه، ولا تجمع عليه مرارة الغربة مع مرارة الحرمان.

﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٧]:

قال ابن عاشور: «التبذير يدعو إليه الشيطان؛ لأنه إما إنفاق في الفساد، وإما إسراف يستنزف المال في السقاسف واللذات، فيعطّل الإنفاق في الخير، وكل ذلك يرضي الشيطان، فلا جرم أن كان المتصفون بالتبذير من جند الشيطان وإخوانه».

﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٨]:

وهذا متعلق بقوله: ﴿وَعَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾، فلا ترد المسكين إلا بإحدى ثلاث: بعتاء، أو وعد بعتاء، أو دعاء!

في هذا الأمر تأديب للمؤمن إن هو فقد المال، أن يرجو من الله تيسير أسبابه، وأن لا يحمله الشح على السرور بعدم امتلاك المال؛ كي يتخلص من الإنفاق على المحتاج، بل الأولى أن يدعو الله - إن كان فقيرًا وعُدِمَ المال - أن يرزقه به في المستقبل حرصًا على ثواب الصدقة.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ﴾ [الإسراء: ٣٢]:

لأن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه، ولأن مشوار الألف ميل في الحرام يبدأ بخطوة، ولأن الاستدراج أخفى حيل إبليس.

قال يونس بن عبيد: احفظوا عني ثلاثاً مت أو عشت: ومنها: ولا يخل رجل بامرأة شابة وإن أقرأها القرآن.

﴿فَلَا يُسْرِف فِي الْقَتْلِ﴾ [الإسراء: ٣٣]:

غَضِبَ أهل القاتل لا يسوّغ لهم انتهاك العدالة، وتحقيق القصاص لا يجب أن يجرّ إلى ظلم.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾ [الإسراء: ٣٤]:

النهى عن القرب منه هو مبالغة في النهي عن التعرض له؛ لأن العرب في الجاهلية كانوا يستحلون أموال اليتامى لضعفهم وقلة نصيرهم، فحذّر الله المسلمين من ذلك لإزالة ما عسى أن يكون بقي في نفوسهم من رواسب الجاهلية.

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]:

قال قتادة: «لا تقل: رأيت ولم تر، وسمعت ولم تسمع، وعلمت ولم تعلم، فإن الله سائلك عن ذلك كله».

في الحديث: (بَشَسَ مَطِيَّةُ الرَّجُلِ رَعَمُوا): أي يقولون؛ لأنها بداية الإشاعة وبوابة الكذب، وكان عبد الله بن عمر يقول: «(زعموا) مَطِيَّةُ الكَذِبِ».

يقال: قَفِيَّتْهُ إذا اتبعت أثره، ومنه جاء اسم (القافة) وهم الذين يتبعون آثار الأقدام، وقافية كل شي آخره، ومنه قافية الشعر، ومنه اسم النبي ﷺ المَقْفِيُّ، لأنه جاء آخر الأنبياء.

﴿وَإِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]:

قدّم السمع على البصر لأنه يحصل من ضروب المعرفة عن طريق السمع ما لا يحصل عن البصر، فبشار بن برد كان أعمى، ومع ذلك كان صاحب البيت المشهور الذي يمتلئ بالبصيرة والإحساس:

كَأَنَّ مَثَارَ النَّعْجِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا وَأَسْيَافُنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ

﴿وَلَنْ مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤]:

قال ابن عون المصري: «أما يستحي أحدكم أن تكون دابته التي يركب، وثوبه الذي يلبس، أكثر ذكراً لله منه».

١٥٦٥ الإنسان البليد! قال رسول الله ﷺ: «ليس شيء إلا وهو أطوع لله تعالى من ابن آدم» صحيح الجامع رقم: ٥٣٩٣.

١٥٦٦ تصريح بأن كل جماد وحيوان وطيور وحشرة في الوجود تسبّح الله تعالى، وهذا حريٌّ أن يدفع كل عاقل على طاعة ربه وكثرة ذكره كي لا يكون - بعد ما فضله على سائر خلقه - أقل طاعة لله منهم، فينحط قدره.

١٥٦٧ ﴿وَأِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]: تطبيقها العملي: «أحب الكلام إلى الله أن يقول العبد: سبحان الله وبحمده» صحيح الجامع رقم: ١٧٤، وقوله ﷺ: «من قال: سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياها وإن كانت مثل زبد البحر» صحيح الجامع رقم: ٦٤٣١.

١٥٦٨ ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الإسراء: ٥١]: عسى مع الله تحقيق وليست ظناً، فحطّم بهذه الآية أسوار يأسك، ودع نور الأمل يتشر في ربوع قلبك!

١٥٦٩ ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٥٢]: قال سعيد بن جبير: «ينفضون (أي الموتى) التراب عن رؤوسهم ويقولون: سبحانك اللهم وبحمدك».

١٥٧ ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٥٣]: إذا احتار عقلك بين قولين حسنين فأثر أحسنهما.

١٥٧١ من تمام العبودية لله: (حسن الكلام)، وإن (سوء اللسان) يقدر في العبودية.

١٥٧٢ في سنن السيهقي أن رسول الله ﷺ قال يوماً لأصحابه: «انطلقوا بنا إلى البصير الذي في بني واقف نعوذه»، وكان رجلاً أعمى! فانظر رِقته وحسن كلامه وعدم جرحه للرجل بكلمة ولو كان فيها صادقاً!

١٥٧٣ قال رجلٌ لرجلٍ أمام عمر بن عبد العزيز: تحت إبطك، فقال عمر: وما على أحدكم أن يتكلّم بأجل ما يقدر عليه؟ قالوا: وما ذاك؟ قال: لو قال: تحت يدك كان أجمل.

﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ﴾ [الإسراء: ٥٣]:
انتقاء كلماتك فيه إفضال ومؤامرة شيطانية.

﴿يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٥٣]:

كان الإمام البخاري مع أن صنعتة الكلام في الرجال بالجرح والتعديل، يتورع عن الألفاظ القاسية، مثل كذاب، أو وضاع، أو متروك، ويختار كلاماً أحسن مثل: فيه نظر، وإذا قال البخاري عن رجل: فيه نظر، فهو متروك لا يقبل حديثه.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْغُوتُ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أَلْوَسِيلَةً﴾ [الإسراء: ٥٧]:

يعني أولئك الذين تدعون من دون الله كعيسى والعزير والملائكة الذين زعمتم أنهم بنات الله، هؤلاء جميعاً يتوسلون إلى الله ويتقربون إليه.

﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ أَلْقِيَمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ [الإسراء: ٥٨]:

هل سيفني الله كل قرية قبل يوم القيامة؟ يجيب الطاهر بن عاشور بما مختصرة: «المراد: القرى الكافر أهلها؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧]، وليس المقصود شمول ذلك القرى المؤمنة؛ لأن ذلك معارض لآيات أخرى، ولأنه منافٍ لغرض تحذير المشركين من الاستمرار على الشر».

﴿وَمَا تُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء: ٥٩]:

ومن الآيات كسوف الشمس وخسوف القمر، فلا بد بعد مشاهدة هاتين الظاهرتين أن تكون أكثر خوفاً من الله وأحسن عملاً.

﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠]:

قال ابن عباس: هي رؤيا عين أريها النبي ﷺ ليلة أسري به إلى بيت المقدس، إذ رأى بيت المقدس ورأى غيرهم وحال رجالهم، فوصفه لهم، فكان الأمر كما وصف، وكان ما رآه ﷺ فتنة للناس، فارتد بعضهم عن الإسلام، وتردد آخرون في قبوله.

١٥٨١

﴿وَالشَّجَرَةُ الْمَعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ﴾ [الإسراء: ٦٠]:

والشجرة عطف على الرؤيا، فكلاهما كان فتنه للناس، والشجرة هي شجرة الزقوم، فروي أن أبا جهل قال: «زعم صاحبكم أن نار جهنم تحرق الحجر، ثم يقول بأن في النار شجرة لا تحرقها النار»، وروي أن بعضهم قال: إن الزقوم هو التمر بالزبد بلغة أهل اليمن، وأن أبا جهل أمر جارية فأحضرت تمرًا وزبدًا وقال لأصحابه: تمزقوا، فكانت شجرة الزقوم سبب فتنتهم وانصرافهم عن الإيمان.

١٥٨٢

﴿وَنُحِيقُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا﴾ [الإسراء: ٦٠]:

آيات الله الزاجرة إن لم تزد في إيمانك كانت وبالا عليك، وأدت إلى قسوة قلبك، وقادت لاجترائك على محارم الله.

١٥٨٣

﴿لَا حَنْكَنَكَ ذُرِّيَّتُهُ﴾ [الإسراء: ٦٢]:

قال ابن جزري: «معناه لأستولين عليهم ولأقودنهم، وهو مأخوذ من تحنيك الدابة، وهو أن يشد على حنكها بحبل فتتقاد معه».

١٥٨٤

﴿وَأَسْتَفْزِرُ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤]:

مِنَ الْفَرِّ، وهو «ولد البقرة الوحشية لما فيه من عدم الشكون والفرار»، وتستنهض ولدك الذي تكاسل، وتقول له: فزي يعني انهض، والمعنى: استنهض أيها الشيطان من استطعت (بصوتك) أي بوسوستك، سواء أكان هذا الصوت من جندك من الأبالسة مثلك، أو جندك من شياطين الإنس الذين يعاونونك.

١٥٨٥

يتحدى الله بها إبليس، بأن بعض عباد الله لا يستطيع الشيطان غلبته والانتصار عليه مهما فعل! اللهم اجعلنا منهم.

وكان الله يقول لعدوه إبليس:

افعل ما بدا لك .. كيد وامكر .. دبر وخطط .. فكل مكرك عليك .. وكل خططك ضدك .. وسيفك قاتلك .. وسهمك راميك .. ولن توقف دعوة الله مهما فعلت وحاولت، وهذه طمانة لكل مؤمن أنه لن يضره كيد إبليس ما دام بالله معتصمًا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَشْكُرَهُ لَوْلَا رَحْمَتُ اللَّهِ عَلَيْنَا لَكُنَّا مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢﴾

[38: 10] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ﴾

الاجرة فلا يمكن انكاره.

[illegible]

[۸۸: ۱۴۱] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا فِي مَتَاعِكُم مَّن تَتَّبِعُوا فِي مَتَاعِكُم مَّن تَتَّبِعُوا فِي مَتَاعِكُم مَّن تَتَّبِعُوا فِي مَتَاعِكُم﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

وَجَعَلْنَا فِيهَا قُلُوبًا لَا حَسَابَ لَهَا وَجَعَلْنَا فِيهَا قُلُوبًا لَا حَسَابَ لَهَا

٥٨ : [٥٨ : ٥٨] ﴿٥٨﴾

طريق التجانس من أجل السهل إلى الصعب: العنوانية والامتدادية

٥٤ : [١٠ : ١٨] ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

الوقوف بالنفس على الحقيقة في التمسك والتفكير والتفكير والتفكير.

مقدم وغير مقدم
البركة المرفوعة وغير المرفوعة
مثل: الدعاء -

يقع في الأسافل والبنابر الذي يلحقه بزمرة الشهابطين.

وَأَمَّا الْفِرْعَوْنِيُّونَ فَجَمَعَ طَرَفًا إِلَىٰ طَرَفٍ فَأَبْعَدَ النَّاسَ وَجِئَ لَدُومًا مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَفْتَىٰ لَهُمُ الْبُيُوتَ الْعُتُومَ

تجسس، سرکشی، و آزار رساندن به افراد و سازمان‌های دیگر -

عصبة او غش، او ريشوة، او بيع حرام كا جمع و نحوه.

[illegible]

အဘိုးအဘွားတို့ကလည်း ခုနကကဲ့သို့ပင် ခုနကကဲ့သို့ပင်

34: 10-12 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ﴾

و کتب و رسائل و کتب و رسائل و کتب و رسائل

[illegible]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْمَصْئَلِ إِذْ يَسْأَلُونَ

॥ [१३] ॥

[illegible]

والله اعلم
بما تنصرون.

وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ رَأْيُكَ إِلَّا خَلْقًا عَرَفَ مَا يَصِفُونَ وَأَمَّا الْخَالِفُ الْأَوَّلُ فَهُوَ غَيْرُ الْمَعْنِيِّ
وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ رَأْيُكَ إِلَّا خَلْقًا عَرَفَ مَا يَصِفُونَ وَأَمَّا الْخَالِفُ الْأَوَّلُ فَهُوَ غَيْرُ الْمَعْنِيِّ

[١٥: ٤٧] ﴿وَلَا يَخَافُ الْعَذَابَ﴾

وَقَدْ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ وَإِنْ كُنْتُمْ عَادِلِينَ

[illegible][illegible][illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

ॐ नमो भगवते वासुदेवाय [॥ १७ ॥]

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد يا أيها الذين آمنوا، على النبي ﷺ وعلى الرسل أن لا يكون لهم سلطان عليكم ولا على أنفسهم شيئا، قال الغوثي: «قسم بعد ما سلم، والله محمد لا يكون له إلا بعد النبوة، يقال: يخرج إذا

[٥٨: ١٥] ﴿وَلَا يَخَافُ الْعَذَابَ﴾

خاتمة كتابي في بيان حجة الأبطال، وإني أظن أن الله قد سمع مني.

عليه السلام في تاريخ بغداد، ج ١، ص ٥٨٠؛ [١]

﴿لَا يَخْشَى الْفِتْنَةَ سِوَاكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَلْحِقْ الْفِرْقَانَ﴾

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلِهِ﴾ [الإسراء: ٨٤]:

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «قرأت القرآن من أوله إلى آخره، فلم أر فيه آية أرجى وأحسن من قوله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلِهِ﴾، فإنه لا يشاكل بالعبد إلا العصيان، ولا يشاكل بالرب إلا الغفران».

الشاكلة تأتي بمعنى الأخلاق. قال ابن القيم:

«أي على ما يشاكله ويناسبه، فهو يعمل على طريقته التي تناسب أخلاقه وطبيعته، وكل إنسان يجري على طريقته ومذهبه وعادته التي ألفها وجبل عليها، فالفاجر يعمل بما يشبه طريقته من مقابلة النعم بالمعاصي والإعراض عن النعم، والمؤمن يعمل بما يشاكله من شكر النعم ومحبة والثناء عليه والتودد إليه والحياء منه والمراقبة له وتعظيمه وإجلاله».

قال ذو الأصبع العدواني:

كُلُّ امْرِئٍ صَائِرٌ يَوْمَ لِسِيمَتِهِ وَإِنْ تَخَلَّقَ أَخْلَاقًا إِلَى حِينٍ

﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُوا بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]:
هذا هنا أعظم تحدٍّ على وجه الكون!

﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾ [الإسراء: ٩٧]:

في حديث أنس أن رجلاً قال: يا رسول الله، الذين يحشرون على وجوههم، أيحشر الكافر على وجهه؟ قال رسول الله ﷺ: «أليس الذي أمشاه على الرجلين قادرًا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟» قال قتادة حين بلغه الحديث: بلى وعزة ربنا. أخرجه البخاري ومسلم.

﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عَمِيًّا وَبُكَيًا وَضَعًا﴾ [الإسراء: ٩٧]:

سين: إن قيل: كيف وصفهم بأنهم عمي وبكم وضعم وقد قال: ﴿وَرَاءَ الْمُجَرَّمُونَ

النَّارَ﴾ [الكهف-٥٣] وقال: ﴿دَعُوا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان-١٣] وقال:

﴿سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان-١٢] أثبت الرؤية والكلام والسمع؟

جيم: يحشرون عميًا، ثم تعاد إليهم حواسهم إذا دخلوا النار.

﴿فَاغْرَقْنَاهُ وَمِنْ مَعَهُ﴾ [الإسراء: ١٠٣]:

السادة والأتباع يسировن في طريق واحد، بدايته العمل، ونهايته الهلاك.

﴿لِنَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾ [الإسراء: ١٠٦]:

لا يكن همك آخر السورة! اقرأ قراءة مسترسلة بتدبير وتمهل، وإلا لم تجني ثمار الوحي، ولم تستخرج درر المعاني.

﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُسْأَلُ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ [الإسراء: ١٠٧]:

العالم ليس بكثرة العلم بل بوجود البكاء. سئل الإمام أحمد عن معروف الكرخي: هل كان معه علم؟ فقال: كان معه أصل العلم، خشية الله عز وجل.

قال عبد الأعلى التيمي: «من أوتي من العلم ما لا يبكيه، لخليق أن لا يكون أوتي علماً ينفعه، لأن الله تعالى نعت العلماء ثم قرأ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ﴾

[الإسراء: ١٠٧] إلى قوله ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَسْكُونُونَ﴾ [الإسراء: ١٠٩].»

قرأ عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يوماً هذه الآية، فسجد وقال: هذا السجود فأين البكاء؟!

سورة الكهف

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ [الكهف: ١]:

إنزال القرآن من أعظم النعم التي تستوجب حمد الله؛ لذا حمد الله ذاته العلية على هذه النعمة تذكيراً لعباده بالحمد وتعليماً لهم.

﴿لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾ [الكهف: ٢]:

من أهم حِكَم إنزال القرآن الإنذار، فلا تُلغ هذا الفصل من قاموسك بحجة ساحة الإسلام وعدم التشدد.

وصف الله القرآن بقوله: ﴿قِيَمًا﴾ أي مستقيماً لا ميل فيه ولا زيغ، وكل من

حمله بحق سيكون مستقيماً، لا ميل فيه ولا زيغ.

﴿فَلَعَلَّكَ بَنِيعٌ تَفْسَكَ عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا﴾ [الكهف: ٦]:

كاد الهم أن يقتل نبينا لأجل هدايتنا، وبعضنا لا يزال غير مهموم بأمر هدايته!

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّمَنَّا لِنَبْلُوهُمْ﴾ [الكهف: ٧]:

كل ما في الكون هو مجرد زينة غرضها الاختبار والابتلاء، وكلما زادت الزينة ازدادت صعوبة الاختبار، ونجاحك الحقيقي ألا تصرفك الزينة الفانية عن الآخرة الباقية.

﴿لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٧]:

لم يقل: (أكثر) لأن العبرة بالأحسن لا الأكثر!

نفس أعمالك .. تحدد إنجازاتك، واحرص كل يوم أن تكون (أحسن) من اليوم الذي قبله، فمن راقب أعماله بغرض التقويم والتحسين، ووفق للخير كله.

اجعل من دعواتك اليومية: «اللهم اهدي لأحسن الأعمال وأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت».

﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُثًا﴾ [الكهف: ٨]:

كل ما في هذه الحياة من جمال وطيب أحوال فهو إلى زوال، إما بالقيامة الصغرى بالموت، أو القيامة الكبرى.

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَاتِنَا عَجَبًا﴾ [الكهف: ٩]: ليس أمرهم عجيبيًا في قدرتنا. قال مجاهد: «قد كان في آياتنا ما هو أعجب من ذلك».

﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾ [الكهف: ١٠]:

ضيق الكهف أحب إليهم من سعة القصور وفاخر الدور إن كانت ستال من دينهم وطاعة لربهم.

﴿رَبَّنَا ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠]:

الدعاء من أعظم أسباب النجاة من الفتن، وتأمل دعاء أصحاب الكهف، ثم واظب عليه.

﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ [الكهف: ١٠]:

واستجاب الله لهم وآتاهم رحمته، فوصلتهم بلا تأخير على العنوان الجديد،
داخل الكهف: ﴿فَأَوَّأُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾.

﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣]:

ابداً أول خطوة في طريق الهداية، وسيأخذ الله بيدك، وسينعم عليك بالمزيد،
فالحركة بركة، والبركة زيادة، ولا أحلى ولا أعظم من زيادة الكريم الوهاب.

﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ [الكهف: ١٤]:

قد يخونك قلبك أثناء سيرك، فتعثر في طريق الحق، وقد يتسرب نور الإيمان من
قلبك فيظلم، وما لم يربط الله على قلبك برباط الثبوت، فلا أمل لك في الثبات.

لا تغتر كثيراً بصلاح قلبك، فما سُمِّي القلب قلباً إلا من تقلبه، واجعل خوفك
من الزلل أعظم حافز لك على الأخذ بأسباب الثبات.

الربط على القلوب تصوير لقوة الإيمان، وكان الله أودع الإيمان في قلوبهم وربط
عليه برباط محكم فلا سبيل لخروجه منها أو ترزله.

﴿وَإِذِ اعْتَرَّتْهُمُومٌ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [الكهف: ١٦]:

مفارقة الأبدان لأماكن المعصية لون من الإنكار، وراحة لقلوب الأبرار، وصيانة
لها من التعلق بالأوزار.

﴿فَأَوَّأُوا إِلَى الْكَهْفِ﴾ [الكهف: ١٦]:

سبحان من جعل السعادة في كهف، والشقاء في قصر.. سعادتك من داخلك لا من خارجك!
﴿وَكَلَّبُهُمْ بِسِطِّ ذِرَاعَيْهِ﴾ [الكهف: ١٨]:

كَلَّبَ حَرَسَ الصالحين وليس منهم، فحَلَّدَ الله ذكره في كتابه، والرسالة: سِرَّ مع
الصالحين وإن لم تكن منهم: (هم القوم لا يشقى جليسهم).

قال القشيري: «كَلَّبَ خطا مع أحبائه خطوات، فإلى يوم القيامة يقول الصبيان بل يقول
الحق سبحانه: ﴿وَكَلَّبُهُمْ بِسِطِّ ذِرَاعَيْهِ﴾»، فهل ترى أن مسلماً يصحب أولياء الله

من وقت شبابه إلى وقت مشييه، يرده الله يوم القيامة خائباً؟ إنه لا يفعل ذلك.

﴿وَكَلَبُهُمْ بِسِطِّ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ [الكهف: ١٨]:

الوصيد هو الباب. قال ابن كثير: «وكان جلوسه خارج الباب؛ لأن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب كما ورد في الصحيح».

﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ [الكهف: ١٨]:

قال ابن القيم: «الغفلة نوم القلب، ولهذا تجد كثيراً من الأيقاظ في الحس نياماً في الواقع».

﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ [الكهف: ١٨]:

إذا كنت مع الله، فستشملك رعايته في كل لحظة حتى في قلبك أثناء نومك.

﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١٩]:

في الحديث: «استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان، فإن كل ذي نعمة محسود» صحيح الجامع رقم: ٩٤٣.

﴿أَنبَاً أَرْكَى طِعَامًا﴾ [الكهف: ١٩]:

قال ابن عباس: أحل ذبيحة، وكانوا يذبحون للطواغيت أو يذبحون الخنازير.

مطاردون ومهذدون بالقتل، ومع هذا (أحرص) على (أزكى) طعام أي أكثره حلالاً، وليس أي طعام حلال.. ما أجمل أن تقتدي بهؤلاء!

﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكَ يَرْجُمُوكَ أَوْ يُعَذِّبُوكَ فِي مَلْتِهِمْ﴾ [الكهف: ٢٠]:

لا تتعجب: هناك في هذا العالم المتحضر من يرغب في قتلك وتمزيقك بأشع طريقة، فقط لأنك مسلم.

نتيجة ظهور أهل الكفر على أهل الإسلام إما القتل أو الردة، وهو ما حدث ويحدث وسيحدث في كل زمان.

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَأَيْتُهُمْ كَلْبَهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢]:

لا تهتم كثيراً بالشكليات، وركز على جوهر الموضوع وأصله.

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا * إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾

١٦٣٩

[الكهف: ٢٣-٢٤]: قال القرطبي: «عاتب الله نبيه ﷺ على قوله للكفار حين سأله عن الروح والفتية وذو القرنين: غدا أخبركم بجواب أسئلتكم، ولم يستثن في ذلك، فاحتبس الوحي عنه خمسة عشر يوما حتى شق ذلك عليه، وأرجف الكفار به، فنزلت عليه هذه السورة مفرجة، وأمر في هذه الآية ألا يقول في أمر من الأمور إنى أفعل غدا كذا وكذا، إلا أن يعلق ذلك بمشيئة الله».

﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤]:

١٦٤٠

أي: لا تقولن سأفعل غدا شيئا إلا مع قولك (إن شاء الله)، وإذا نسيت ذكر المشيئة، ثم تذكرتها، فقلها عند تذكرك واستدرك.

ذكر الله هنا ما يعينك على التذكر. كان ابن تيمية يقول كما يحدث عنه أحد تلامذته: «إنه ليقف خاطري في المسألة أو الشيء أو الحالة التي تشكل علي، فأستغفر الله تعالى ألف مرة أو أكثر أو أقل حتى ينشرح الصدر، وينحل إشكال ما أشكل».

١٦٤١

﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾ [الكهف: ٢٦]:

١٦٤٢

هذا تعجب من سعة علم الله ومدح لقدرته، فكأنه قال: ما أبصر الله وأسمعه!

قال قتادة: لا أحد أبصر من الله ولا أسمع!! فلا تقلق والله يراك ويسمعك ويبرأك.

١٦٤٣

﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ [الكهف: ٢٨]:

١٦٤٤

صحبة الصالحين تحتاج إلى صبر، ولا بد من عدم مفارقتهم ولو للحظة: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾، فالالتفات لغير الصالحين قد يؤدي بصلاحك.

﴿أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ [الكهف: ٢٨]:

١٦٤٥

أعظم علاج للغفلة: ذكر الله، لكنه ليس أي ذكر، إنما ذكر القلب؛ لأن الغفلة مصدرها القلب، وليس من الحكمة أن تعالج القنوات وتترك العين وأصل الداء.

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ [الكهف: ٢٨]:

١٦٤٦

قال أبو حامد الغزالي: «الفاسق المصير على الفسق، فلا فائدة في صحبته؛ لأن من يخاف الله لا يصبر على كبيرة، ومن لا يخاف الله لا تؤمن غائلته، ولا يوثق بصداقته، بل يتغير بتغير الأغراض».

﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٨]:

ضَيَّقَ الظالمون على المؤمنين في الدنيا، وحاصروهم في أرزاقهم وأوطانهم، وأحاطوهم بسرادقات الإيذاء والعناء، فعاملهم الله بالمثل، وضَيَّقَ عليهم في الآخرة، وأحاطهم بسرادقات النار.

﴿يُحَلِّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾ [الكهف: ٣١]:

من يحلّهم بالأساور؟ أهى الحور العين؟ أم الملائكة؟ أم الولدان المخلدون؟ أم هو الله جل جلاله؟ أطلق لها خيالك!

﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودَّتْ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾

[الكهف: ٣٦]: قال السعدي: «فأي تلازم بين عطاء الدنيا وعطاء الآخرة، حتى يظن بجهله أن من أعطي في الدنيا أعطي في الآخرة، بل الغالب أن الله تعالى يزوي الدنيا عن أوليائه وأصفيائه، ويوسعها على أعدائه الذين ليس لهم في الآخرة نصيب».

﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ [الكهف: ٤٤]:

(خَيْرٌ ثَوَابًا) لأن غير الله يثيب على العمل بمثله، ولكن الله يثيب عليه بعشرة أمثاله إلى سبعائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، (وَخَيْرٌ عُقْبًا) جلّ جلاله؛ لأن من تولاه الله فاز في الدنيا والآخرة.

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦]:

كلمة (زِينَةُ) أي: ليست من ضرورات الحياة، بل مجرد شكل وزخرف؛ فالؤمن يعيش سعيدًا راضيًا بما قسم الله له حتى لو كان بلا مال ولا ولد؛ بينما يشقى بعضهم بهاله أو ولده.

﴿وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦]:

لأن المال والبنون لن يدخلوا القبر معك، ولن يمنعوا عنك العذاب، ولن ينفعك إلا الباقيات الصالحات.

﴿وَالْبَقِيَّةُ الصَّلَاحُ خَيْرٌ﴾ [الكهف: ٤٦]:

معنى هذا أن ما قبلها لم يكن من الباقيات بل زائل بزوال الدنيا، ووصف الباقيات لا يستحقه إلا ما يتفع في الآخرة.

قال عبد الله بن مسعود عن الصدقة: «من استطاع منكم أن يضع كنزهُ حيث لا يأكله السوس، ولا يناله السرَق فليفعل».

﴿وَيَقُولُونَ نَوَيْتُنَا مَالٌ هَذَا الصَّكِّبُ لَا يَقَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ [الكهف: ٤٩]:

ويلنا من هذا الويل! قال التابعيُّ عون بن عبد الله: «ضجَّ والله القوم من الصغار قبل الكبار!».

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا﴾ [الكهف: ٥٢]:

والموبق هو المهلك، أي أن الله جعل بين المشركين ومن اتخذوهم شركاء توأماً في الدنيا كان سبب هلاكهم في الآخرة، وذكر الإمام الرازي أن بعض المشركين اتخذوا من عيسى عليه السلام والملائكة آلهة، فدعواهم يوم القيامة فلم يستجيبوا لهم، ثم حيل بينهم وبين عيسى والملائكة، وأدخل عيسى الجنة، وصارت الملائكة إلى حيث أراد الله من دار الكرامة، ثم حصل بين أولئك الكفار وبين الملائكة وعيسى عليه السلام هذا الموبق، وهو وادٍ في جهنم.

﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا﴾ [الكهف: ٥٣]:

تعرض عليهم النار ليرؤا ما فيها من العذاب والنكال قبل دخولها، فيكون في ذلك عذاب نفسي معجل بهم والرعب، قبل العذاب الحسي في النار. قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بجهنم تقاد يوم القيامة بسبعين ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك»

﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرُ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤]:

لا يجوز التعلل بالقدر لتبرير ذنب أو القعود عن طاعة، وفي الصحيح أن النبي ﷺ طرق علياً وفاطمة ليلاً فقال: ألا تصليان؟! فقال علي: يا رسول الله .. إنها

أنفسنا بيد الله إن شاء أن يبعثنا ببعثنا، قال: فانصرف رسول الله حين قلت له ذلك ولم يرجع إلي شيئاً، ثم سمعته يضرب فخذه ويقول: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾.

قال ابن عمر: «ولن يصيب رجل حقيقة الإيمان حتى يترك المراء وهو يعلم أنه صادق، ويترك الكذب في المزاخة».

في النفس رغبة جامحة في الجدال والخصام، لذا فقاومها بهذا الحديث: «أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محققاً» صحيح الجامع رقم: ١٤٦٤.

قال مهدي بن ميمون: سمعت محمداً -يعني ابن سيرين- وماراه رجل في شيء -فقال محمد: «إني أعلم ما تريد؛ وأنا أعلم بالمراء منك؛ ولكنني لا أماريك».

﴿وَيْلٌ لِّلْقَرْيَةِ أَهْلَكَنَّهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: ٥٩]: مسألة وقت!!

﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: ٥٩]: أصدر القرار، وأخفى موعد التنفيذ!!

﴿وَيْلٌ لِّلْقَرْيَةِ أَهْلَكَنَّهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: ٥٩]: في مسند أحمد والترمذي: «من فرّق بين والدته وولدها فرّق الله بينه وبين أحبه يوم القيامة» صحيح الجامع رقم: ٦٤١٢.

﴿ءَاٰنَا غَدَاآءَنَا﴾ [الكهف: ٦٢]:

فيه استحباب إطعام الإنسان خادمه من طعامه، وأكلهما سوياً؛ لأن هذا ظاهر قوله: ﴿ءَاٰنَا غَدَاآءَنَا﴾ بصيغة الجمع، مما يدل على أنها أكلًا جميعاً.

﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: ٦٢]:

قال القرطبي: «وفي هذا دليل على جواز الإخبار بما يجده الإنسان من الألم والأمراض، وأن ذلك لا يقدح في الرضا، ولا في التسليم للقضاء لكن إذا لم يصدر ذلك عن ضجر ولا سخط».

﴿إِنَّ اللَّهَ رَحِيمٌ مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥]:

قدّم الرحمة على العلم، فلو لا رحمتنا به ما علم شيئاً.
أو المراد أن كل علم لا تصحبه الرحمة بالخلق فهو عين الجهل.

﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ [الكهف: ٦٨]:

سبب قلة الصبر هو قلة العلم، ولو زاد علم العبد بحكمة الرب ولطفه به لصبر.
مظهر من مظاهر أدب المعلم مع تلميذه. حيث التمس له العذر مقدماً إن اعترض عليه.

﴿أَخْرَقْنَاهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ [الكهف: ٧١]:

كم خُرقت لنا في بحر الحياة سفن، فنجانا الرحمن بها من شر أكبر وضرر أعظم!
ولم نعرف ذلك إلا بعد حين.

فيه إشارة إلى أن قلوب المؤمنين مجبولة على إنكار المنكر، ولا تتحمل الصبر عليه،
فموسى مع أنه وعد الرجل الصالح بالصبر على ما يراه منه، إلا أنه لم يصبر على
المنكر حين رآه.

قال القاسمي: «ولم يقل (لتغرقنا) ففسي نفسه واشتغل بغيره، في الحالة التي كل أحد
فيها يقول (نفسى نفسى) لا يلوي على مال ولا ولد. وتلك حالة الغرق، فسبحان
من جبل أنبياءه وأصفياه على نصيح الخلق والشفقة عليهم والرافة بهم».

﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ [الكهف: ٧١]:

﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾ [الكهف: ٧٤]: في خرق السفينة استعمل كلمة
﴿إِمْرًا﴾، وهو الأمر العجب، وفي قتل الغلام استعمل شيئاً ﴿نُّكْرًا﴾، والذي
لا يستعمل إلا في المذموم الذي يخرج عن المعروف في العقل أو الدين، لأن خرق
السفينة التي لم يغرق فيها أحد أهون من قتل الغلام الذي هلك.

﴿أَقْلَتَ نَفْسًا رَّكِتًا بَغِيْرَ نَفْسٍ﴾ [الكهف: ٧٤]:

قال رسول الله ﷺ: «رحمة الله علينا وعلى موسى، لو صبر لرأى من صاحبه العجب»
صحيح الجامع رقم: ٣٥٠١.. الصبر مفتاح باب العلم، ومن أسباب مزیده.

الجزء السادس عشر

من سورة الكهف الآية ٧٥

إلى سورة طه الآية ١٣٥

عدد الفوائد ١٠٧

﴿أَسْتَطْعَمَ أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمْ﴾ [الكهف: ٧٧]:

لم يقل: فأبوا أن يطعموهم، بل قال: ﴿فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمْ﴾، وفرق بين الإطعام والضيافة، فقد أبى القوم الضيافة، وهي تعني كل ما يمكن أن يُقدَّم للضيف ولو كان مجرد الاستقبال والإيواء، وهذا يدل على شدة بخلهم ولؤم طباعهم

﴿فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمْ﴾ [الكهف: ٧٧]:

أبى القوم ضيافة نبي وولي، فلا تبتس إن لم يعرف الناس قدرك، وكيفيك معرفة الله لك، وصدق القائل:

فإن رُدِدْتَ فما في الرد منقصَةٌ عليك، قدرَّد موسى قبل والخضر

﴿فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا﴾ [الكهف: ٨٠]:

قال قتادة: «قد فرح به أبواه حين وُلِدَ، وحزنا عليه حين قُتِلَ، ولو بقي كان فيه هلاكهما، فليرض امرؤ بقضاء الله، فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب».

﴿فَارَدْنَا أَنْ يَبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ [الكهف: ٨١]:

حَقَّق صفات الابن الصالح:

﴿زَكَاةً﴾: صلاحاً وطهارة واستقامة.

﴿رُحْمًا﴾: رحمة بالديه.

﴿فَارَدْنَا أَنْ يَبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ﴾ [الكهف: ٨١]:

الفقد قد يفتح باباً أروع من أبواب العطاء!

﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا﴾ ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾

كل ما يجري حولك هو تنفيذ لإرادة الله، والواجب عليك أن تتعرف على حكمته في أقداره، ورحمته في أفعاله.

﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ [الكهف: ٨٢]:

قال عمر بن عبد العزيز: «ما من مؤمن يموت إلا حفظه الله في عقبه وعقب عقبه (أولاده وأحفاده)».

قال محمد بن المنكدر: «إن الله تعالى يحفظ المؤمن في ولده وولد ولده، ويحفظه في ذويرته وفي ذويرات حوله، فما يزالون في حفظ وعافية ما كان بين أظهرهم».

قال سعيد بن المسيب: «يا بني.. إني لأزید في صلاتي من أجلك، رجاء أن أحفظ فيك»، وتلا الآية: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾.. اجعل لصلاتك اليوم نيات عديدة!

تبلى عظامك، وتذروك الرياح، ولا يزال أثر صلاحك باقياً في دنيا الناس عن طريق ذريتك.. اللهم ارزقنا هذا النسل المبارك.

حين أتكاسل عن الطاعة أتذكر أبنائي ومصائب الدنيا، وأتأمل: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾، وكيف أن صلاحه كان سبب حفظ كنزهم وتأمين مستقبلهم، فأرحمهم واجتهد.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ [الكهف: ٨٣]:

قال البقاعي: «كانت قصة موسى مع الخضر مشتملة على الرحلات من أجل العلم، وكانت قصة ذي القرنين مشتملة على الرحلات من أجل الجهاد في سبيل الله، ولما كان العلم أساس الجهاد تقدمت قصة موسى والخضر على قصة ذي القرنين».

﴿قَالَ مَا مَكْنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ [الكهف: ٩٥]:

ما بسطه الله لي من النعم والمال خيرٌ من مالكم الذي تعرضون عليّ، فوفروا أموالكم.

﴿فَاعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ [الكهف: ٩٥]:

المصلح لا ينوب عن الأمة في الإصلاح، لكن يقودها ويتقدمها.

تلاحم القائد مع الجنود، ومشاركته لهم من أسباب بث الحماسة في صفوفهم
وتقديمهم أفضل ما لديهم.

لم يكن موقفه أن يدافع عنهم، بل أن يعلمهم كيف يدافعون عن أنفسهم،
ويورثهم أسباب القوة ليستعملوها إن غاب عنهم.

﴿تَجْعَلُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُم سَدًّا﴾ [الكهف: ٩٤]. ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف: ٩٥]:
الردم أكبر من السد وأوثق، فلمروءته وكرمه وعدهم بأكثر مما طلبوه، ووفى بوعده.

﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي﴾ [الكهف: ٩٨]:

نسب ذو القرنين هذا العمل العظيم الذي قام به إلى رحمة الله، فلم يأخذه غرور
وعُجب، بل تبرأ من حوله وقوته، ونسب الفضل كله لله.

﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [الكهف: ١٠١]:
قال ابن القيم: «وهذا يتضمن معنيين.

- أحدهما: أن أعينهم في غطاء عما تضمنه الذكر من آيات الله، وأدلة توحيده،
وعجائب قدرته.

- الثاني: أن أعين قلوبهم في غطاء عن فهم القرآن وتدبره، والاهتداء به».

﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٠٨]:

ساكن شقة سكنية يتمنى التحول إلى (فيلا)، فإذا تملكها تمنى (قصرًا)، فإذا
تملك القصر تمنى وتمنى.. أما ساكنو الجنة فهؤلاء ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٠٨]:

طبيعة الإنسان أنه ملول، فإذا يفعل مع الخلود؟! اطمئن فالجنة محصنة ضد
الملل والسأم والرغبة في التغيير أو التطلع إليه.

رغم التفاوت العظيم في درجات الجنة حتى تصل إلى مائة درجة، لكن لا أحد يتمنى غير منزلته. في صحيح مسلم: «آخر من يدخل الجنة رجل...»، إلى أن قال على لسان هذا الرجل: «لقد أعطاني الله شيئاً ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين».

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾
[الكهف: ١١٠]: عن مجاهد يقول: قال رجل: يا رسول الله.. رأيت الرجل يتصدق بالصدقة، يلتمس بها وجه الله، ويحب أن يقال له خيراً، قال: فنزلت هذه الآية. ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾.

قال الفضيل بن عياض: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً، الخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ﴾.

سورة مريم

﴿ذَكَرْ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ [مريم: ٢]:

كلما زادت عبودية العبد تدفقت رحمت الرب.

﴿إِذَا نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ [مريم: ٣]:

فيه فضل الدعاء الخفي، وأنه أفضل من الدعاء الجهوري، وهذا عام في جميع العبادات، كالقراءة والصدقة والقيام، فما كان سرّاً فهو أفضل، إلا إذا كان في الإعلان مصلحة.

قال ابن القيم: «وكم من صاحب قلب وحوال مع الله تعالى قد تحدث بها، وأخبر بها، فسلبه إياها الأغيار، ولهذا يوصي العارفون والشيخ بحفظ السر مع الله تعالى، وألا يطلع عليه أحد».

﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤]:

أي أنك عودتني إجابتك. قال القرطبي: «وهذه وسيلة حسنة، أن يتشفع إليه بنعمه، ويستدر فضله بفضله، يروى أن حاتم لقيه رجل فسأله، فقال له حاتم: من أنت؟ قال: أنا الذي أحسنت إليه عام أول (أي العام السابق)، فقال: مرحبًا بمن تشفع إلينا بنا».

لا يشقى مع الدعاء أحد! ولا يجتمع دعاء مع شقاء.

قال سفيان بن عيينة: «سعدت بدعائك وإن لم تعطني!».

﴿هُوَ عَلَى هَيْنٍ﴾ [مريم: ٩]:

لا يموت أمل في قلب وعى هذه الآية.

عند دعائك لا تطلب على قدر حاجتك، بل على قدر من تدعوه.

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا﴾ [مريم: ١١]:

مُنِعَ من الكلام، فدعا إلى الله بالإشارة! يا لها من همم!

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾ [مريم: ١٤]:

قال وهب بن منبه: «إن البر بالوالدين يزيد في العمر».

﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ [مريم: ٢٣]:

ما معنى ﴿فَأَجَاءَهَا﴾؟! قال ابن عباس: أي ألجأها.

﴿بَلَّغْتَنِي مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ [مريم: ٢٣]:

تمت الموت، ثم أصبحت بعد ذلك أم (نبي)، فرب محبوب في مكروه، ومنحة في قلب محنة.

﴿وَهَرَى إِلَيْكَ يَجِدُ النَّخْلَةَ السَّقِطَ عَلَيْكَ رُطْبًا حَنِئًا﴾ [مريم: ٢٥]:

لا تحقر جهدًا مهما قل، فالمهم أن تبذل ما تستطيع، لأن الله يحبر قصور العبد لا تقصيره.

﴿يَتَأَخَتِ هَارُونَ﴾ [مريم: ٢٨]:

قال ابن كثير: «أي يا شبيهة هارون في العبادة». انظر من تشبه اليوم، فسوف تحشر معه غداً!

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ [مريم: ٣٠]:

قال الشنقيطي: «إن أول كلمة نطق بها عيسى وهو صبي في مهده أنه عبد الله، وفي ذلك أعظم زجر للنصارى عن دعواهم أنه الله أو ابنه أو إله معه».

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْ﴾ [مريم: ٣٢]:

هل أنت بارٌّ بوالدتك؟! قال ابن عباس رضي الله عنهما: «إني لا أعلم عملاً أقرب إلى الله عز وجل من برِّ الوالدة».

﴿وَالسَّلَامُ عَلَى يَوْمٍ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣٣]:

أصعب ثلاثة أيام! قال سفيان بن عيينة: «أوحش ما يكون المرء في ثلاثة مواطن: يوم يولد فيرى نفسه خارجاً مما كان فيه، ويوم يموت فيرى قوماً لم يكن عاينهم، ويوم يعث فيرى نفسه في محشر عظيم».

﴿يَتَأَتَّى إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ [مريم: ٤٥]:

تعريف قرآني للحب! الحبُّ أن تخاف على من تُحب من عذاب الله، أن يستوجه بتفريط في واجب أو وقوع في ذنب.

﴿إِنَّهُ، كَأَن يَ حَفِيًّا﴾ [مريم: ٤٧]:

من الحفاوة وهي الرأفة والرحمة والتكريم، وإن من أسباب إجابة الدعاء حُسن الظن بالله عن طريق استشعار قلبك لهذه الحفاوة الربانية.

﴿قَالَ سَلِمْتُ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ، كَأَن يَ حَفِيًّا * وَأَعْتَزِلُكُمْ﴾

[مريم: ٤٧، ٤٨]: أقصى (عقوبة) - إن جاز التعبير - من الابن لأبيه ولو كان كافراً محارباً - هو الدعاء له (وليس عليه) واعتزاله.

﴿فَلَمَّا أَعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [مريم: ٤٩]:

من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه، ومن خير من لبيّن مرسلين؟

﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ﴾ [مريم: ٥٥]:

إذا أردت أن تفوز بنفس الشاء، فكرر نفس الفعل مع أهلِكَ! ونادهم مع كل أذان: قوموا إلى الصلاة!

﴿خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ﴾ [مريم: ٥٩]:

قال ابن تيمية: «قيل لابن مسعود وغيره: ما إضاعتها؟ فقال: تأخيرها عن وقتها، فقالوا: ما كنا نظن ذلك إلا تركها فقال: لو تركوها لكانوا كفارًا».

﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ٦٢]:

ليس في الجنة ليل ولا نهار، لكن المقصود مقدار البُكرة ومقدار العشي من أيام الدنيا، أو وقت الغداء ووقت العشاء.

﴿وَمَا نُنَزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ [مريم: ٦٤]:

سبب نزولها:

سبب نزولها أن رسول الله ﷺ قال لجبريل: «ألا تزورنا أكثر مما تزورنا؟»،

فتزلت: ﴿وَمَا نُنَزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾.

﴿وَأَصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ [مريم: ٦٥]:

زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، يعني: يصبر ثم يزيد فوق الصبر بالاصطبار، فالاصطبار للأشياء التي تتطلب استمرارًا ومداومة وقوة؛ لأن الهمم قد تتأقلم عن أداء النوافل مع مرور الأيام.

﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عَيْنًا﴾ [مريم: ٦٩]:

الجزء من جنس العمل! من كان قائدًا إلى الضلالة والإفساد اليوم، فهو قائد نفس الجمع إلى النار غدًا..

﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١]:

كان عبد الله بن رواحة واضعًا رأسه في حجر امرأته، فبكى، فبكت امرأته، قال: ما يبكيك؟ قالت: رأيتك تبكي فبكيت، قال: إني ذكرت قول الله: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾، فلا أدري أنجو منها، أم لا؟

﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾ [مريم: ٧٢]:

التقوى سبب النجاة من كرب النار، ومن باب أولى النجاة من كرب الدنيا.

﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾ [مريم: ٧٦]:

قال أبو الحسن المزني: «الدُّنْبُ بَعْدَ الدُّنْبِ عقوبة الذَّنْبِ، والحسنة بعد الحسنة ثواب الحسنة».

قال ابن القيم: «فالعبد إذا عمل حسنة قالت أخرى إلى جانبها: اعملني أيضاً، فإذا عملها قالت الثانية كذلك، وهلم جرّاً، فتضاعف الربح، وتزايدت الحسنات».

﴿ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا ﴾ [مريم: ٨٤]:

فقط .. راقب كيف ستكون نهاية الظالم!

﴿ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا ﴾ [مريم: ٨٤]:

قرأ المأمون هذه السورة، فمرَّ بهذه الآية وعنده جماعة من الفقهاء، فأشار برأسه إلى ابن السماك أن يعظه، فقال: «إذا كانت الأنفاس بالعدد، ولم يكن لها مدد، فما أسرع ما تنفذ!».

كان ابن عباس - رضي الله عنهما - إذا قرأ هذه الآية بكى وقال: «آخر العدد خروج نفسك. آخر العدد فراق أهلِكَ، آخر العدد دخول قبرك».

﴿ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِثًا ﴾ [مريم: ٨٦]:

قال السعدي: «يُسَاقُونَ إلى جهنم ورثاً، أي: عطاشاً، وهذا أبشع ما يكون من الحالات، سَوْقُهُمْ على وجه الذل والصغار إلى أعظم سجن وأفظع عقوبة، وهو جهنم، في حال ظمئهم ونصبهم».

﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًى * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴾ [مريم: ٩٠، ٩١]:

الجمادات أعقل من بعض البشر! قال ابن عباس: «إن الشُّرَكَ فزعت منه السماوات والأرض والجبال وجميع الخلائق، إلا الثقلين».

﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٥]:

في الحديث: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله يوم القيامة، ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة، ولو بكلمة طيبة».

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾

[مريم: ٩٦]: قال ابن المنكر لأبي حازم: يا أبا حازم .. ما أكثر من يلقيني فيدعولي بالخير ما أعرفهم، وما صنعت إليهم خيراً قط! قال له أبو حازم: لا تظن أن ذلك من عملك، ولكن انظر الذي ذلك من قِبله فاشكره، وقرأ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ .

سورة طه

﴿طه﴾ [طه: ١]:

من معاني كلمة (طه) ما ذكره القرطبي أن بعض العرب درجّت على مناداة من تحب بكلمة طه، ودرجت بعض القبائل كذلك على مناداة الرجل العظيم المحترم بالكلمة نفسها طه، وكان الله (في ضوء هذين المعنيين) ينادي رسوله الكريم محمداً ﷺ بأحب نداء وألطفه.

﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ [طه: ٢]:

الشقاء والقرآن لا يجتمعان.

﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ [طه: ١٣]:

قال سفيان بن عيينة: «أول العلم الصمت»، والثاني الاستماع له وحفظه، والثالث العمل به، والرابع نشره وتعليمه».

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمْوَسَىٰ﴾ [طه: ١٧]:

IVEI

ما فائدة هذا السؤال والله يعلم كل شيء؟

أجاب الرازي: «أن من أراد أن يُظهر من الشيء الحقير شيئاً شريفاً، فإنه يأخذه ويعرضه على الحاضرين ويقول لهم: هذا ما هو؟ فيقولون: هذا هو الشيء الفلاني، ثم إنه بعد إظهار صفته الفاتكة فيه يقول لهم: خذا منه كذا وكذا، فالله تعالى لما أراد أن يظهر من العصا تلك الآيات الشريفة كانقلابها حية، وكضربه البحر حتى انفلق، وفي الحجر حتى انفجر منه الماء، عرضه أولاً على موسى، فكأنه قال له: يا موسى .. هل تعرف حقيقة هذا الذي بيدك، وأنه خشبة لا تضر ولا تنفع، ثم إنه قلبه ثعباناً عظيماً، فيكون بهذا الطريق قد نبّه العقول على كمال قدرته ونهاية عظمته من حيث إنه أظهر هذه الآيات العظيمة من أهون الأشياء عنده».

﴿أَشْدُّ بِهِ أَزْرَى﴾ [طه: ٣١]:

IVEI

آزر الله موسى بأخيه هارون، وأعان عمر بن عبد العزيز بانه عبد الملك وغلामه مزاحم، وأمد صلاح الدين بالقاضي الفاضل .. حتى أتقى الأتقياء بحاجة لصحبة!

﴿هَٰزُونَ أَخِي * أَشْدُّ بِهِ أَزْرَى﴾ [طه: ٣٠، ٣١]:

IVEI

موسى وهو من أولي العزم من الرسل احتاج صاحباً يعينه، فكيف بك؟ هل لك صاحب يعينك؟

﴿كَىٰ نَسِٰحَكَ كَثِيرًا * وَنَذَرَكْكَ كَثِيرًا﴾ [طه: ٣٣، ٣٤]:

IVEI

هذه أسمى مقاصد الأخوة، وعلامات الحب في الله، أن تعين أخاك على طاعة الله وذكره.

﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾ [طه: ٣٩]:

IVEI

المحبة رزق رباني، وليس بحاجة لسبب، فموسى الطفل الرضيع لم يصدر منه ما يوجب المحبة، ومع ذلك أحبه كل من رآه. قال عكرمة: ما رآه أحد إلا أحبه.

﴿وَقُلْتَ نَفْسًا فَتَجِنَّكَ مِنَ الْغَمِّ﴾ [طه: ٤٠]:

القاتل مغموم لا يفارقه غمُّه حتى يموت!

﴿وَلَا نُنَبِّئُ فِي ذِكْرِي﴾ [طه: ٤٢]:

لا تترك الذكر في أي حال، وأحوج ما تكون إلى الذكر في مواجهة الشدائد، وعند مقابلة ما تخاف.

﴿فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لِّنَا﴾ [طه: ٤٤]:

قال يحيى بن معاذ في هذه الآية: «هذا رفيقك بمن يقول أنا الإله، فكيف رفيقك بمن يقول أنت الإله؟».

﴿فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لِّنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٤]:

دخل رجل من الزهاد على هارون الرشيد يوماً، فقال: يا هارون، اتق الله، فأخذه فخلأ به، وقال: يا هذا أنصفني، أنا شرُّ أم فرعون؟ قال: بل فرعون، قال: فأنت خير أم موسى؟ قال: بل موسى، قال: أفما تعلم أن الله تعالى لما بعثه وأخاه إليه قال: ﴿فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لِّنَا﴾ [طه: ٤٤]

﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا﴾ [طه: ٤٦]:

أعظم ما يطرد الخوف من قلبك استشعار معية الله ومعونته.

﴿وَقَدْ خَابَ مَن أَفْتَرَى﴾ [طه: ٦١]:

إعلان خيبة المفتري منشور على صفحات القرآن!

﴿إِنَّمَا نَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [طه: ٧٢]:

لم يمض على إيمانهم سوى دقائق، ومع ذلك عرفوا حقيقة الدنيا، وحقارتها بجوار نعيم الآخرة.

﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ [طه: ٧٤]:

حياة أهل النار: لا مع الأموات فيستريحون، ولا مع الأحياء فيسعدون!

﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ [طه: ٨٤]:

قال ابن القيم: «سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يذكر ذلك قال: إن رضا الرب في العجلة إلى أوامره».

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِنَّهٗ مُوسَى قَتَلَنِي﴾ [طه: ٨٨]:

لما رأى بنو إسرائيل العجل الذي صنعه لهم السامري قالوا: هذا إلهكم وإله موسى فاعبدوه، فإن موسى نسي إلهه هنا، وذهب يبحث عنه في مكان آخر! وهذا دليل فجور اليهود وبلادة فهمهم وسوء أدبهم مع ربهم ونبيلهم، فلم يكتفوا بعبادة العجل، بل زعموا أن نبيلهم كان يعبد، وأنه قد نسي مكانه، فذهب للبحث عنه!

﴿يَقُومُوا إِنَّمَا فَتَنَّاهُ وَإِنَّ رَبَّكُمْ الرَّحْمَنُ فَأَنبِئُونِي وَاطِيعُوا أَمْرِي﴾ [طه: ٩٠]:

قال الرازي:

«واعلم أن هارون عليه السلام سلك في هذا الوعظ أحسن الوجوه؛ لأنه زجرهم عن الباطل - أولاً - بقوله: ﴿يَقُومُوا إِنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾

ثم دعاهم إلى معرفة الله - ثانياً - بقوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمْ الرَّحْمَنُ﴾

ثم دعاهم - ثالثاً - إلى معرفة النبوة بقوله: ﴿فَأَنبِئُونِي﴾

ثم دعاهم - رابعاً - إلى الشرائع بقوله: ﴿وَاطِيعُوا أَمْرِي﴾.

وهذا هو الترتيب الجيد؛ لأنه لا بد قبل كل شيء من إماطه الأذى عن الطريق وهو إزالة الشبهات، ثم معرفة الله تعالى هي الأصل، ثم النبوة، ثم الشريعة، فثبت أن هذا الترتيب على أحسن الوجوه».

﴿قَالَ يَبْنَؤُمْ﴾ [طه: ٩٤]:

عدل هارون عن ندائه بـ (يا أخي) إلى ﴿يَبْنَؤُمْ﴾؛ لأن ذكر الأم فيه تذكير بأواصر الأخوة، وهذا من شأنه أن يهدي من غضب موسى.

﴿كَأَلْ فَاذْهَبَ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ [طه: ٩٧]:

الجزء من جنس العمل، فكما أن السامري مسّ ما لا يحل له من أثر الرسول جبريل عليه السلام، فقد عوقب بأن لا يمس أحدًا من الناس ولا يمسّه أحد، وكما أراد بالعجل الذي صنعه أن يجمع الناس حوله، فعاقبه الله بعكس مقصوده، فلا يتواصل معه أحد.

﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَيْتَنِي إِلَّا يَوْمًا﴾ [طه: ١٠٤]:

أي يقول أعلمهم بالأمور: إن لبثتم في الدنيا إلا يومًا.. ما أحقر الدنيا وأقصرها!

﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١]:

والعاني هو الأسير، والعناء هو الذل، وتخصيص الوجوه بالذكر لأنها أشرف الأعضاء الظاهرة، وآثار الذل أول ما تظهر فيها، وهو تمثيل لحال المجرمين يوم القيامة.

﴿فَلَا يَخَافُ ظُلُمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢]:

الفرق بين الظلم والمضم: أن الظلم يكون بمنع الحق كله، أما المضم فهو منع بعض الحق، والآية بشرت المؤمنين أن الله سيوفيهم أجورهم يوم القيامة دون أدنى نقص، فالتكثير في قوله ﴿ظُلُمًا وَلَا هَضْمًا﴾ للتقليل.

﴿وَصَرَفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ﴾ [طه: ١١٣]:

كرّرنا ونوعنا ألوان الوعيد، وهذا من رحمة الله بعباده، ليزجرهم عن التهادي في العصيان، وفيه ردٌّ على من يجتنب من الدعاة خطاب التهيب والوعيد.

قال السعدي: «أي: نوّعناها أنواعًا كثيرة، تارة بذكر أسمائه الدالة على العدل والانتقام، وتارة بذكر المثالات التي أحلها بالأمم السابقة، وأمر أن تعتبر بها الأمم اللاحقة، وتارة بذكر آثار الذنوب، وما تكسبه من العيوب، وتارة بذكر أهوال القيامة، وما فيها من المزعجات والمقلقات، وتارة بذكر جهنم وما فيها من أنواع العقاب وأصناف العذاب».

﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ﴾ [طه: ١١٤]:

تمهل في قراءتك، وعلى رسلك، فلربما تجد في طيات حروفه رسالة ربانية خاصة بك، تشفي صدرك، وتمحو قلقك.

كان ﷺ إذا ألقى عليه جبريل عليه السلام القرآن يتبعه عند تلفظ كل حرف وكل كلمة خوفاً أن يصعد عليه السلام ولم يحفظه صلى الله عليه وسلم، فنهى عليه الصلاة والسلام عن ذلك؛ إذ ربما يشغل التلفظ بكلمة عن سماع ما بعدها، ونزل عليه أيضاً ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ﴾ [القيامة: ١٦].

﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]:

من شرف العلم أن النبي ﷺ ما أمر بطلب الزيادة من شيء سوى العلم، وكان ﷺ يقول: «اللهم انفعني بما علمتني، وعلمني ما ينفعني، وزدني علماً».

كان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية قال: «اللهم زدني إيماناً و يقيناً».

﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۖ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَىٰ﴾

[طه: ١١٨، ١١٩]: لم قابل الجوع بالعري، والظمأ بالضحى؟! قال ابن القيم: «لأن الجوع ألم الباطن والعري ألم الظاهر، فهما متناسبان في المعنى، وكذلك الظمأ مع الضحى؛ لأن الظمأ موجب لحرارة الباطن، والضحى موجب لحرارة الظاهر، فاقضت الآية نفى جميع الآفات ظاهراً وباطناً».

﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١]:

ترك المأمور أشد خطراً من فعل المحذور؛ وفعل المأمور أحب إلى الله من ترك المحذور، وذنب آدم عليه السلام كان بفعل المحذور، فكان عاقبته أن اجتبه ربه، فتأب عليه وهدي، وذنب إبليس كان بترك المأمور، فكان عاقبته ما ذكر الله سبحانه من معاقبته.

﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣]:

قال ابن عباس: «فضمن الله لمن اتبع القرآن ألا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة».

﴿فَإِنْ لَهُ مَعِيشَةٌ ضَنْكَاً﴾ [طه: ١٢٤]:

قال الإمام ابن كثير: «أي في الدنيا، فلاطمأنينة له، ولا انشراح لصدره، بل صدره ضيق لضلاله، وإن تنعم ظاهره وليس ما شاء، وأكل ما شاء، وسكن حيث شاء، فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى، فهو في قلق وحيرة وشك، فلا يزال في ريبة يتردد، فهذا من ضنك المعيشة».

﴿كَذَلِكَ أَنْتَ إِنْ تَنَبَّأْتَ فَتَنْبَأُهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْشَى﴾ [طه: ١٢٦]:

النسيان في الآية هو الترك، أي ترك في العذاب وكأنك منسى.

﴿وَسَيَحِبُّ مُحَمَّدٌ رَّبَّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠]:

أرشد الله نبيه إلى ما يشرح صدره، ويجلو همته، ويفرّج كربته.

﴿وَسَيَحِبُّ مُحَمَّدٌ رَّبَّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ أَنَايِ اللَّيْلِ فَسَيَحِبُّ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ [طه: ١٣٠]:

ارتباط (التسبيح) و (الرضا) ارتباط وثيق، فالتسبيح سائر اليوم من أسباب الرضا النفسي، ويؤكدده قول الله في آخر سورة الحجر: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ * فَسَيَحِبُّ مُحَمَّدٌ رَّبَّكَ، ولم يبق إلا أن تجرب ١٩

﴿وَلَا تَعْمَدَنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [طه: ١٣١]:

تشبيه الحياة الدنيا بالزهرة إشارة إلى قصر الدنيا، فكم تعيش الزهرة قبل أن تذبل وتموت ١٩

﴿وَلَا تَعْمَدَنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِيَفْتَنَهُمْ فِيهِ وَرَزَقُ رَّبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: ١٣١]:

مدُّ النظر هو تطويله فلا يكاد صاحبه يرده استحسنًا للمنظور إليه، وإعجابًا به، وتمنيًا أن يكون له، فلا تمد نظرك لنعيم الدنيا، وانظر إلى ما زادك الله في الدين.

كان عروة بن الزبير إذا رأى شيئاً من أخبار السلاطين وأحوالهم يادر إلى منزله فدخله، وهو يقرأ الآية: ﴿وَلَا تَعْمَدَنَّ عَيْنَيْكَ...﴾، ثم ينادي بالصلاة: الصلاة يرحمكم الله، ويصلي.

﴿وَلَا تَعْدَنَّ عَيْنُكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [طه: ١٣١]

قال ابن رجب:

«مجالسة المساكين توجب رضى من يجالسهم برزق الله عز وجل، وتُعظم عنده نعمة الله عز وجل عليه بنظره في الدنيا إلى من دونه، ومجالسة الأغنياء توجب السخط بالرزق، ومد العين إلى زينتهم وما هم فيه، وقد نهى الله عز وجل نبيه عن ذلك فقال تعالى: ﴿وَلَا تَعْدَنَّ عَيْنُكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: ١٣١].»

﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: ١٣١]:

قال القشيري: «القليل من الحلال - وفيه رضاء الرحمن - خير من الكثير من الحرام والخطام، ومعه سخطه، ويُقال: قليلٌ يُشهدك ربك خيرٌ من كثيرٍ يُنسيك ربك.»

سين: لم قال رزق ربك مع أن الرزق كله رزق الله؟! جيم: إضافة الرزق لله إضافة تشريف، وإلا فالرزق كله من الله، لكن رزق الكافرين والفاسقين لما صاحبه غضب الله ومخالفة أمره، فجعل كالمنكور انتسابه إلى الله، وجعل رزق الله هو السالم من ملابسة الكفران والعصيان.

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢]:

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يصلي من الليل ما شاء الله أن يصلي حتى إذا كان آخر الليل أيقظ أهله للصلاة ويقول لهم: الصلاة، الصلاة، ويتلو هذه الآية: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾.

﴿لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا﴾ [طه: ١٣٢]:

قال ابن جزى: «أي لا نسألك أن ترزق نفسك ولا أهلك، فتفرغ أنت وأهلك للصلاة فنحن نرزقك، وكان بعض السلف إذا أصاب أهله خصاصة (فقر) قال: قوموا فصلوا... بهذا أمركم الله، ويتلو هذه الآية.»

الجزء السابع عشر

من سورة الأنبياء الآية ١
إلى سورة الحج الآية ٧٨
عدد الفوائد ١٠٤

سورة الأنبياء

﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ ﴾ [الأنبياء: ١]:

احذر .. الموت يقترب والغفلة كما هي.

﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ ﴾ [الأنبياء: ٢]:

أتاك الذكر دون أن تتعب في الوصول إليه، وصلك وأنت متكئ على سريرك، أو مستريح على أريكتك، مع أنه الذي ينبغي أن يؤتى، وتقطع إليه المسافات، فأي تدليل هذا؟ وأي عناية؟!

﴿ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرِيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء: ٦]:

طلبوا منك آية كونية كالتي جاء بها الأنبياء الذين سبقوك، ولما لم يؤمن بها أقوامهم أهلكناهم، ولو أعطيناك نفس الآيات ولم يؤمنوا بها لأهلكناهم كما أهلكنا السابقين؛ لذا كان من رحمتنا أن نمنع عنهم ما طلبوه، وإلا هلكوا.

﴿ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء: ٦]:

أي أن الكافرين من أمتك - يا محمد - لن يؤمنوا بالخوارق التي طلبوها متى جاءتهم؛ لأنهم لا يقلون عتواً وعناداً عن من سبقهم، فأهلكهم الله.

﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ﴾ [الأنبياء: ١٠]:

أي شرفكم وعزكم، يعلمنا الله أن العز الحقيقي بالقرآن والإيمان لا بالأموال والتطاول في البيان والعمران.

بقدر عنايتك بالقرآن تزداد عزاً وشرفاً عند الله وعند الناس.

﴿بَلْ تَقْدِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨]:

الحق قذيفة تمزق الباطل وتجهز عليه، بشرط أن يكون الحق حقاً كاملاً، والباطل باطلاً كاملاً.

الباطل يحمل بذور فثائه! قال الألوسي: «وفي (إذا) الفجائية، والجملة الاسمية: ﴿هُوَ زَاهِقٌ﴾ من الدلالة على كمال المسارعة في الذهاب والبطلان ما لا يخفى، فكأنه زاهق من الأصل».

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَ اللَّهِ لَفَسَدَتَا فَسَبَّحَنَّا اللَّهَ رَبَّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾

[الأنبياء: ٢٢]: ﴿إِلَّا﴾ هنا صفة بمعنى غير، وليست إلا الاستثنائية كما يتبادر إلى الذهن.

﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾

[الأنبياء: ٣٠]: الفتق هو الفصل بين الشئين، والرتق: عكس الفتق وهو الالتئام، فإن قيل: لم ير الكافرون السماوات والأرض حين كانتا رتقاً؟ فالجواب: أن القرآن - وهو المعجزة الخالدة - قام إخباره بذلك مقام المرئي المشاهد، وهذه الآية من آيات الإعجاز العلمي التي قررت مسألة لم تكن معروفة يومئذ.

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]:

قال القرطبي: «نزلت حين قالوا: نتربص بمحمد ريب المنون، وذلك أن المشركين كانوا يدفعون نبوته ويقولون: شاعر نتربص به ريب المنون، ولعله يموت كما مات شاعر بني فلان، فقال الله تعالى: قد مات الأنبياء قبلك يا محمد، وتولى الله دينه بالنصر والحياة، فهكذا نحفظ دينك وشرعك».

﴿أَفَايُنْ مِتَ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]:

للإنكار والنفي، ورحم الله الإمام الشافعي حيث قال:

تمنى أناس أن أموت، وإن أمْتُ فتلك سبيلٌ لستُ فيها بأوحدٍ
فقل للذي يبغى خلاف الذي مضى تهباً لأخرى مثلها، وكأن قد

﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]:

قال سيد قطب: «إن الابتلاء بالخير أشد وطأة، فكثيرون يصمدون أمام الابتلاء بالشر، ولكن القلة القليلة هي التي تصمد للابتلاء بالخير.

كثيرون يصبرون على الابتلاء بالمرض والضعف، وقليلون هم الذين يصبرون على الابتلاء بالصحة والقدرة.

كثيرون يصبرون على الفقر والحرمان، فلا تنهاوى نفوسهم ولا تذلل. وقليلون هم الذين يصبرون على الثراء ومغرياته وما يثيره من أطماع.

كثيرون يصبرون على الكفاح والجراح، وقليلون هم الذين يصبرون على الدعة، ولا يصابون بالحرص الذي يذل أعناق الرجال».

قال ابن زيد: «بلوهم بما يحبون وبما يكرهون، نختبرهم بذلك لننظر كيف شكرهم فيما يحبون، وكيف صبرهم فيما يكرهون».

البلاء ليس بالضرورة أن يكون شراً، فالبلاء امتحان، فإن نجحت فيه كان خيراً، وإن لم تنجح كان شراً، ولما نجح إبراهيم في الامتحان كافأه الله بالإمامة فقال:

﴿وَإِذْ بَتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّتْهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤].

﴿سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ [الأنبياء: ٣٧]:

لما ذكر الله المستهزئين برسوله ﷺ وقّع في نفوس الصحابة سرعة انتقام الله من المستهزئين، فأخبرهم بسنته في الإمهال، وأنه سيرهم آيات انتقامه وعلامات اقتداره على من خالف أمره وعصاه.

﴿قُلْ مَنْ يَكْلُوْكُمْ بِالْأَيْدِي وَاللِّسَانِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٢]:

ذكر الله هو الذي يحفظك، ومن أعرض عن الذكر فقد نزع حماية الله عنه.

﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ [الأنبياء: ٤٤]:

أخرج مسلم عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيلغ ملكها ما زوى لي منها».

﴿وَلَا يَسْمَعُ الصَّمُ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٥]:

قال قتادة: «إن الكافر قد صم عن كتاب الله لا يسمعه، ولا يتفع به، ولا يعقله، كما يسمعه المؤمن وأهل الإيمان».

﴿وَلَيْنِ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يُوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾

[الأنبياء: ٤٦]: هذا ألم نفحة، فكيف بألم من غمس في النار غمسا؟!

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧]:

قال القرطبي: «يدل بظاهره على أن لكل مكلف ميزانًا توزن به أعماله، فتوضع الحسنات في كفة، والسيئات في كفة».

وقيل: يجوز أن يكون هناك موازين للعامل الواحد، يوزن بكل ميزان منها صنف من أعماله.

﴿قُلْنَا يَنْتَارُ كُوفِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩]:

عناية الله حين تطال عبدًا! قال كعب: «ما أحرقت النار من إبراهيم إلا وثاقه».

أتى جبريل - عليه السلام - إلى إبراهيم، فقال له: ألك حاجة؟ فقال إبراهيم: أما إليك فلا، وأما إلى الله فنعم!!

قال ابن عطاء: «وكن أيها الأخ إبراهيميًا إذ رجَّ به في المنجنيق، فتعرض له جبريل فقال: ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا، وأما إلى ربي، فبلى».

فانظر كيف رفع همته عن الخلق، ووجهها إلى الملك الحق، فلم يستغث بجبريل، ولا احتال على السؤال، بل رأى ربَّه تعالى أقرب إليه من جبريل ومن سؤاله، فلذلك سلمه من نمرود ونكاله، وأنعم عليه بنواله وأفضاله.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ [الأنبياء: ٧٢]:

قال القرطبي: «أي زيادة، لأنه دعا في إسحاق، وزيد يعقوب من غير دعاء، فكان ذلك نافلة، أي زيادة على ما سأل»، فاصدق مع الله في الطلب، وسيعطيك فوق ما تمنيت.

﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾ [الأنبياء: ٧٨]:

ذكر المفسرون رجلين دخلا على داود، أحدهما صاحب زرع، والآخر صاحب غنم، فقال صاحب الزرع لداود: إن غنم هذا قد نفشت في حرثي، فلم تُبق منه شيئاً، فحكم داود لصاحب الزرع أن يأخذ غنم خصمه في مقابل إتلافها لزرعه، ثم التقيا بسليمان - عليه السلام - فأخبراه بحكم أبيه، فدخل سليمان على أبيه فقال له: يا نبي الله، إن القضاء غير ما قضيت، ادفع الغنم إلى صاحب الزرع ليتفجع بها، وادفع الزرع إلى صاحب الغنم ليقوم عليها حتى يعود كما كان، ثم يعيد كل منهما إلى صاحبه ما تحت يده، فآخذ صاحب الزرع زرع، وصاحب الغنم غنمه، فقال داود: القضاء ما قضيت يا سليمان.

﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ [الأنبياء: ٧٩]:

هو صاحب الحكم الأنسب في هذه القضية؛ لأن داود اتجه في حكمه إلى مجرد التعويض لصاحب الحرث، وهذا عدل فحسب. أما حكم سليمان فقد تضمن مع العدل البناء والتعمير، وهذا هو العدل الإيجابي في صورته الهادفة البانية.

الله هو سبب كل خير! كان بعض الصالحين يدعو: يا مُعَلِّمَ إبراهيمَ عَلَّمني، ويا مُفَهِّمَ سليمانَ فَهِّمني.

﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرُ﴾ [الأنبياء: ٨٠]:

مرَّ النبي ﷺ على أبي موسى الأشعري، وهو يتلو القرآن من الليل، فوقف واستمع إليه وقال: «لقد أوتيت مزمراً من مزامير آل داود»، وفي رواية: «أما إني لو عَلِمْتُ بِمَكَانِكَ لَحَبَّرْتُكَ لَكَ تَحِيَّراً».

والتجبير: التحسين والتزيين، وفي هذا جواز تحسين الصوت وتجويد التلاوة لأجل انتفاع السامعين.

قال صاحب الكشاف: «فإن قلت: لم قدم الجبال على الطير؟ قلت: لأن تسخيرها وتسييحها أعجب، وأدل على القدرة، وأدخل في الإعجاز؛ لأنها جماد، والطير حيوان، إلا أنه غير ناطق، رُوي أنه كان يمر بالجبال مسبحاً وهي تجاوبه، وقيل: كانت تسير معه حيث سار».

﴿مَسَنَى الضُّرُّ﴾ [الأنبياء: ٨٣]:

تعلم أدب الطلب وفن الخطاب، وكأنه قال لربه: علمه بحالي يغنيه عن سؤالي.

نسب الضر والمرض للمجهول تأديباً مع الله، ولما أراد الخير نسبه إلى رحمة الله: ﴿وَأَنْتَ أَزْهَمُ الرَّحِمَاتِ﴾

﴿أَنْتَ مَسَنَى الضُّرِّ وَأَنْتَ أَزْهَمُ الرَّحِمَاتِ﴾ [الأنبياء: ٨٣]:

قال صاحب الكشاف: «ألطف - أيوب - في السؤال، حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة، وذكر ربه بغاية الرحمة، ولم يصرح بالمطلوب. ويحكي أن عجوزاً تعرضت لسليمان بن عبد الملك فقالت: يا أمير المؤمنين، مشيت جردان - أي فئران - بيتي على العصي!! فقال لها: ألطفت في السؤال، لا جرم لأجعلها تثب وثب الفهود، وملاً بيتها حباً».

قال ابن القيم: «جمع في هذا الدعاء بين حقيقة التوحيد وإظهار الفقر والفاقة إلى ربه، ووجود طعم المحبة في المتملق له، والإقرار له بصفة الرحمة، وأنه أرحم الراحمين، والتوسل إليه بصفاته سبحانه، وشدة حاجته وهو فقره، ومتى وجد المبلى هذا كشف عنه بلواه، وقد جرب أنه من قالها سبع مرات ولا سيما مع هذه المعرفة كشف الله ضره».

﴿وَذِكْرَى لِّلْعَبِيدِ﴾ [الأنبياء: ٨٤]:

لم خص العابدين بالذكر؟! قال ابن كثير: «وجعلناه في ذلك قدوة، لئلا يظن أهل البلاء أننا فعلنا بهم ذلك هوأنهم علينا، وليتأسوا به في الصبر على مقدرات الله وابتلائه لعباده بما يشاء، وله الحكمة البالغة في ذلك».

قال القرطبي: «ابتليناه ليعظم ثوابه غداً» ﴿وَذَكِّرْ لِلْعٰدِيْنَ﴾ أي وتذكيراً للعباد، لأنهم إذا ذكروا بلاء أيوب وصبره عليه ومحتته له - وهو أفضل أهل زمانه - وطنوا أنفسهم على الصبر على شدائد الدنيا نحو ما فعل أيوب، فيكون هذا تنبيهاً لهم على إدامة العبادة، واحتمال الضرر».

وخص - سبحانه - العابدين بالذكر؛ لأنهم أكثر الناس بلاء وامتحاناً. ففي الحديث الشريف: «أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل».

﴿فَكَادَى فِي الظُّلُمَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِيْنَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]: قال النبي ﷺ: «ألا أخبركم بشيء إذا نزل برجل منكم كرب أو بلاء من أمر الدنيا دعا به ففرج عنه؟ دعاء ذي النون: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين» صحيح الجامع رقم: ٢٦٠٥.

﴿فَكَادَى فِي الظُّلُمَةِ﴾ [الأنبياء: ٨٧]: في ظلمة بطن الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل، ومع هذا: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ لا مستحيل مع الله!

﴿وَكَذٰلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِيْنَ﴾ [الأنبياء: ٨٨]: ليست ليونس وحده، بل لكل مؤمن دعا بدعاء يونس، وافترق افتقار يونس، ليس الدعاء كلاماً باللسان بل حالاً بالجنان.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِيْنَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]: صحَّ عن حذيفة - رضي الله عنه - موقوفاً عليه: «يأتي عليكم زمان لا ينجو فيه إلا من دعا دعاء الغريق».

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ بِالرَّحْمٰنِ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَا رَعْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]:

جاءت هذه الآية بعد ذكر دعاء الأنبياء واستجابة الله لهم، إرشاداً لنا إلى طريق إجابة الدعاء الذي سلكوه: المسارعة إلى الخيرات، مع الدعاء وخشوع القلب.

﴿وَكَرَّامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٥]:

الكل سيرجع إلى الله تعالى ليجازيه بما يستحق يوم القيامة، وقد نفت الآية عن الأذهان ما قد يتبادر من أن هلاك الكافرين بالعذاب في الدنيا، قد ينجيهم من عقاب يوم القيامة.

﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]:

قال السعدي: «والحكمة في دخول الأصنام النار، وهي جهاد لا تعقل، وليس عليها ذنب، بيان كذب من اتخذها آلهة، ويزداد عذابهم».

﴿وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]:

وفي إلقاء أصنامهم معهم في النار مع أنها لا تعقل، زيادة في حسرتهم وتبكيتهم؛ حيث رأوا بأعينهم مصير ما كانوا يتوهمون من ورائه المنفعة، فهو عذاب نفسي مع العذاب البدني الحسي.

﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٠]:

أي وهم في جهنم لا يسمعون ما يريحهم، وإنما يسمعون ما فيه توبيخهم وعذابهم، فحتى السماع في النار لون من ألوان العذاب!

﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ [الأنبياء: ١٠٢]:

وفي المقابل.. لا كدر للمؤمن في الجنة ولو بأدنى صوت، فالجنة انتهاء الألم وانتهاء الحزن وانتهاء الهم وانتهاء كل ما ينال من راحتك.

﴿لَا يَخْزِيهِمُ الْقَرْعُ الْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]:

المؤمنون غداً في أمان وبلا أحزان! قال ابن عباس: الفرع الأكبر أهوال يوم القيامة والبعث، وقال الحسن: هو وقت يؤمر بالعباد إلى النار، وقال سعيد بن جبير والضحاك: هو إذا أطبقت النار على أهلها، وذبح الموت بين الجنة والنار.

تنمحي كلمة الحزن من قاموس أهل الجنة ابتداء من يوم القيامة ووصولاً إلى حياة الأبد في الجنة.

﴿وَنَلَقَّهُمُ الْمَلَكُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]:

هذا حفل استقبال ملائكي يليق بأهل الجنة، جاري الإعداد له من الآن!

﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ، وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]:

عن ابن عباس قال: قام فينا رسول الله ﷺ خطيباً بموعظة،

فقال: «يا أيها الناس.. إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلاً، ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ

خَلْقٍ نُعِيدُهُ، وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾».

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ

الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]:

وعدٌ إلهي لا يتخلف، لكن المهم ألا تتخلف أنت عن ركب الصالحين.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]:

قال: «تمت الرحمة لمن آمن به في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن به عوفي مما أصاب

الأمم قبله».

قال ابن القيم:

«عموم العالمين حصل لهم النفع برسالته.

أما أتباعه: فنالوا بها كرامة الدنيا والآخرة.

وأما أعداؤه المحاربون له: فالذين عجل قتلهم وموتهم خير لهم لأن حياتهم

زيادة لهم في تغليظ العذاب عليهم في الدار الآخرة.

وأما المعاهدون له: فعاشوا في الدنيا تحت ظله وعهده وذمته.

وأما المنافقون فحصل لهم بإظهار الإيـان به حقن دمائهم وأموالهم وأهليهم

واحترامها وجريان أحكام المسلمين عليهم.

وأما الأمم النائية عنه: فإن الله سبحانه رفع برسالته العذاب العام عن أهل

الأرض، فأصاب كل العالمين النفع برسالته».

سورة الحج

﴿رَبَّنَا إِنَّا أَتَيْنَاكَ تَوَاقُّعًا مُّخْتَلِفًا ذَلَّ جَنَابُكَ رَبَّنَا فَهَضَمْتَ غَلَاظَتَهُمْ إِنَّكَ زَلْزَلَهُ السَّاعَةَ شَتَّى عَظِيمٍ﴾ [الحج: ١]:

بدأت سورة الحج بذكر يوم القيامة؛ لأن الحج هو أشبه مشاهد الدنيا بيوم الحشر.

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ [الحج: ٢]:

قال صاحب الكشاف: «فإن قلت: لم قيل مُرْضِعَةٍ دون مَرَضِعٍ؟ قلت: المَرْضَعَةُ التي هي في حال الإرضاع ملقمة ثديها الصبي، والمَرَضِعُ: التي من شأنها أن ترضع وإن لم تباشر الإرضاع في حال وصفها به، فقيل: مَرْضَعَةٌ؛ ليدل على أن ذلك الهول إذا فوجئت به هذه، وقد ألقمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة عن إرضاعها».

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الحج: ٣]:

هناك ارتباط عكسي بين العلم والجدال، كلما قلَّ (العلم) زاد (الجدال).

﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ، وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [الحج: ٤]:

سئل الحسين بن الفضل: إنك تُخْرِجُ أمثال العرب والعجم من القرآن، فهل تجد في كتاب الله: (أعان ظالمًا سُلط عليه)؟ فقال: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ، وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾.

﴿ثَانِي عِطْفِهِ يُضِلُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الحج: ٩]:

ثَانِي من الشئ بمعنى الثاني، والميل عن الاستقامة، والعطف - بكسر العين - الجانب، وهذا التعبير كناية عن غروره وصلفه مع جهله.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ... خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [الحج: ١١]:

حرف: أي على حال واحدة، فإذا تَغَيَّرَتْ ترك ما كان عليه من عبادة ربه.

﴿مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ [الحج: ١١]:

قال ابن جزي: «نزلت في قوم من الأعراب، كان أحدهم إذا أسلم فاتفق له ما يعجبه في ماله وولده قال: هذا دين حسن، وإن اتفق له خلاف ذلك تشاءم به، وارتدَّ عن الإسلام».

﴿يَدْعُوا لِمَنْ ضَرَّهُمْ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾ [الحج: ١٢]:

قال ابن القيم: «إذا تعلق بغير الله وكله الله إلى ما تعلق به، وخذله من جهة ما تعلق به، وفاته تحصيل مقصوده من الله عز وجل بتعلقه بغيره والتفاتة إلى سواء، فلا على نصيبه من الله حصل، ولا إلى ما أمّله ممن تعلق به وصل».

قال ابن جزى: «فيها إشكالان: الأول كونه وصف الأصنام بأنها لا تضر ولا تنفع، ثم وصفها بأن ضرّها أقرب من نفعها، فنفي الضرّ ثم أثبتة، فالجواب: أن الضر المنفي أولاً يراد به ما يكون من فعلها وهي لا تفعل شيئاً، والضر الثاني: يراد به ما يكون بسببها من العذاب وغيره».

﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾ [الحج: ١٥]:

المعنى: إن الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة، فمن كان يظن من أعدائه أن الله لا يفعل، فليستفرغ جهده في إزالة غيظه، بأن يفعل فعل من بلغ به الغيظ متناه، حتى مد حبلاً إلى سماء بيته فشنق به نفسه، فلينظر إن فعل ذلك هل يذهب غيظ قلبه؟ كلا، فإن ما فعله بنفسه من الاختناق والغيظ، لن يغير شيئاً من نصر الله تعالى لنبيه، فليمت بغيظه وكمده.

﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ﴾ [الحج: ١٨]:

لم ذكر هذه الثلاثة؟ قال ابن كثير: «إنما ذكر هذه على التنصيص؛ لأنها قد عبدت من دون الله، فينّ أنها تسجد لخالقها، وأنها مربوبة مسخرة».

﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ﴾ [الحج: ١٨]:

كل هذه الجمادات والحيوانات بلا استثناء تسجد لله، وهي بلا عقل، فكيف لعقل أن يسلب عقله، فلا يسجد لمن خلقه؟ ولذا وُصف هؤلاء أنهم أضل من الأنعام.

﴿قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ﴾ [الحج: ١٩]:

قال الألوسي: «وكانه شبه إعداد النار المحيطة بهم بتقطيع ثياب وتفصيلها لهم على قدر جثثهم، ففي الكلام استعارة تمثيلية تهكمية، وليس هناك تقطيع ثياب ولا ثياب حقيقة، وكأن جمع الثياب للإيذان بتراكم النار المحيطة بهم، وكون بعضها فوق بعض، وعبر بالماضي ﴿قُطِعَتْ﴾؛ لأن الإعداد قد وقع».

﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [الحج: ٢٢]:

قرأها الفضيل بن عياض فبكى، وقال: «والله ما طمعوأ في الخروج، وإن الأيدي لموثوقة، والأرجل لمقيدة، وكلما رفعهم ليهيأ يصيرون في أعلاها، فرددهم الزبانية بمقامع من حديد إلى أسفلها».

﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الحج: ٢٢]:

جواب لقول محذوف تقديره: (وقيل لهم) على لسان خزنة النار: ذوقوا العذاب الحارق لأبدانكم.

﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: ٢٣]:

لبس الحرير في الجنة له شرط! قال رسول الله ﷺ: «من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة» صحيح الجامع رقم: ٦٥٢٥.

﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَامٍ يُظْلَمِ نَذْقُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥]:

تفيد أن من أراد سيئة في مكة ولم يعملها بحاسب على مجرد الإرادة، وهو قول ابن مسعود وعكرمة. سئل ابن عمر وكان منزله في الحِلِّ ومسجده في الحرم: لم تفعل هذا؟ فقال: لأن العمل في الحرم أفضل، والخطيئة فيه أعظم.

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ [الحج: ٢٧]:

رجالاً أي على أقدامهم، بمعنى مشاة، وليس المراد الذكور.

قال ابن عباس: «ما آسى على شيء فاتني إلا أن لا أكون حججت ماشياً، فإني سمعت الله يقول: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾».

﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ [الحج: ٢٨]:

جاء لفظ «منافع» بصيغة التذكير، للتعميم والتعظيم والتكثير، أي منافع عظيمة شاملة لأموال الدين والدنيا، فمن مظاهر منافعهم الدينية: غفران ذنوبهم، وإجابة دعائهم، ورضا الله عنهم.

ومن مظاهر منافعهم الدنيوية: اجتماعهم في هذا المكان الطاهر، وتعارفهم وتعاونهم على البر والتقوى، وتبادلهم المنافع فيما بينهم عن طريق البيع والشراء.

﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ [الحج: ٢٨]:

والأمر هنا للإباحة بناء على أن الأكل كان منهيًا عنه شرعًا؛ لقوله ﷺ: «إني نهيتكم عن أكل لحوم الأضاحي بعد ثلاث، فكلوا وادخروا»، وقيل: لأن أهل الجاهلية كانوا يتخرجون عن الأكل منها، أو للحث على مواساة الفقراء ومساواتهم في الأكل منها.

﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩]:

قال ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وقتادة: «سُمِّيَ عتيقًا لأن الله أعتقه من أيدي الجبابرة أن يصلوا إلى تخريبه، فلم يظهر عليه جبار قط».

﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠]:

لم يعطف قول الزور على الرجس، بل أعاد النهي: ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ لمزيد العناية والتحذير من قول الزور.

﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقَوَّى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]:

ومن شعائر الله: المصحف، فلا تضعه على الأرض، ولا خلف ظهرك، ولا تضع فوقه كتابًا، ولا تضع فيه ورقة مهمة، فليس هناك ما هو أهم منه.

﴿ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٣٣]:

المعنى: أن شعائر الحج كلها من الوقوف بعرفة ورمي الجمار والسعي ينتهي إلى طواف الإفاضة بالبيت العتيق، فقوله: ﴿مَحِلُّهَا﴾ مأخوذ من تحلل المحرم من إحرامه.

﴿وَيَشِرَ الْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج: ٣٤]:

قال ابن عاشور: «وقد أتبع صفة المخبتين بأربع صفات وهي: وجل القلوب عند ذكر الله، والصبر على الأذى في سبيله، وإقامة الصلاة، والإنفاق، وكل هذه الصفات الأربع مظاهر للتواضع، فليس المقصود من جمع تلك الصفات؛ لأن بعض المؤمنين لا يجد ما يتفق منه، وإنما المقصود من لم يُحَلَّ بواحدة منها عند إمكانها».

﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ﴾ [الحج: ٣٦]:

أي: قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن استعداداً للذبح! أي: إذا ما هيأتم هذه الإبل للذبح، فاذكروا اسم الله عليها عند نحرها.

﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ [الحج: ٣٦]:

ليس الوجوب الذي بمعنى الإلزام؛ بل المعنى: سقطت جنوبها بعد نحرها أي الإبل.

﴿وَأَطِيعُوا أَلْفَاقَهُ﴾ [الحج: ٣٦]:

وهو الفقير المتعفف الذي لا يُعَلِّمُ حاله، فمن مهام الاتقياء في الحياة البحث عن الفقراء.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الحج: ٣٨]:

الله معك بقدر إيمانك، فإيمانك صمام أمانك.

عندما يدافع الله عنك، ما مصير من يعاديك؟!

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ [الحج: ٥٢]:

قال الألوسي: «ألقي الشيطان الشبه والتخيلات فيما يقرؤه على أوليائه، ليجادلوه بالباطل، وهذا كقولهم عند سماع قراءة الرسول ﷺ: ﴿حَرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ﴾: إن محمداً يحل ذبيحة نفسه ويحرم ما ذبحه الله. وكقولهم عند سماع قراءته؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾: إن عيسى قد عبد من دون الله، وكذلك الملائكة قد عُبدوا من دون الله».

﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾

[الحج: ٥٣]: الحكمة من إلقاء الشيطان لهذه الشبهات هو امتحان الناس.

يلقي الشيطان من تلك الشبهات في القلوب ما يعدُّ فتنة واختبارًا وامتحانًا للذين في قلوبهم مرض، وهم المنافقون، وللذين قست قلوبهم، وهم الكافرون المجاهرون بالجحود والعناد.

﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرَهُ اللَّهُ﴾

[الحج: ٦١]:

سبب نزولها:

سبب النزول! قال مقاتل: نزلت هذه الآية في قوم من مشركي مكة. لقوا قوما من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم: فقالوا: إن أصحاب محمد يكرهون القتال في الشهر الحرام، فاحملوا عليهم، فناشدهم المسلمون أن لا يقاتلوهم في الشهر الحرام، فأبى المشركون إلا القتال، فحملوا عليهم، فثبت المسلمون ونصرهم الله على المشركين، وحصل في أنفس المسلمين شيء من القتال في الشهر الحرام، فأنزل الله هذه الآية.

﴿وَيُنْصِرُكَ السَّمَاءُ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [الحج: ٦٥]:

جمع بين الرجاء في قوله ﴿وَيُنْصِرُكَ السَّمَاءُ أَنْ تَقَعَ﴾، والخوف في قوله: ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾.

﴿وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحج: ٦٨]:

قال القرطبي: «في هذه الآية أدب حسن، علّمه الله عباده في الرد على من جادل تعسًا ومراء، ألا يجاب، ولا يُناظر، ويُدفع بهذا القول الذي علمه الله لنبيه ﷺ».

﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ [الحج: ٧٣]:

في الحديث القدسي كما في البخاري ومسلم: «ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقًا كخالقي فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة».

﴿وَأِنْ يَسْأَلُوكُمُ الدِّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِذُوهُ مِنْهُ﴾ [الحج: ٧٣]

قال القرطبي: «وخصّ الدِّبَابُ لأربعة أمور تخصه: لمهنته، وضعفه، ولاستفادته، وكثرته، فإذا كان هذا الذي هو أضعف الحيوان وأحقره، لا يقدر من عبده من دون الله - تعالى - على خلق مثله، ودفع أذيته، فكيف يجوز أن يكونوا آلهة معبودين، وأرباباً مطاعين، وهذا من أقوى حجة وأوضح برهان».

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج: ٧٨]

الجهاد هو استفراغ الوسع في مدافعة العدو، ولا يجب أن يخلو منه مسلم، وهو على ثلاثة وجوه: مجاهدة العدو الظاهر كالكفار، ومجاهدة المنافقين بالحجة والبيان، ومجاهدة النفس والشيطان.

قال الحسن البصري: «إن الرجل ليجاهد في الله حق جهاده وما ضرب بسيف». ويعني بها جهاد الحجة والبيان.

﴿هُوَ سَمَنَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا﴾ [الحج: ٧٨]

فهم الكثيرون خطأ أن إبراهيم عليه السلام هو الذي سمانا المسلمين، والصحيح أن الله هو سمانا المسلمين من قبل نزول هذا القرآن في ملأ الأنبياء المتقدمين والكتب السابقة: الزبور والتوراة والإنجيل، وسمانا كذلك مسلمين في هذا القرآن.

﴿هُوَ أَجْتَبَنَكُمْ﴾ [الحج: ٧٨]

اصطفانا نحن أمة محمد، فكنّا خير الأمم، ونبينا خير الأنبياء، وديننا أتم الأديان وآخرها، وفي مقابل هذا التشريف كان التكليف، والتكليف هو دعوة الناس وأن نكون شهداء عليهم.

﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]

هذه الآية أصل قاعدة فقهية مهمة وهي: (المشقة تجلب التيسير).

رحم الله الإمام القرطبي حين قال: «رفع الحرج إنما هو لمن استقام على منهاج الشرع، وأما السُّرَّاق وأصحاب الحدود فعليهم الحرج، وهم جاعلوه على أنفسهم بمفارقتهم الدين».

الجزء الثامن عشر

من سورة المؤمنون الآية ١
إلى سورة الفرقان الآية ٢٠
عدد الفوائد ١٠٣

سورة المؤمنون

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ *
وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٢-٤]:

أدرج الله الإعراض عن اللغو بين ركتين من أركان الإسلام، وهما الصلاة والزكاة، وهذا دليل على أهمية الإعراض عن اللغو.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٣]:

قال ابن الجوزي: «وفي المراد باللغو هنا خمسة أقوال: أحدها: الشُّرك، والثاني: الباطل، والثالث: المعاصي، والرابع: الكذب، والخامس: الشتم والأذى، واللغو: كل لعب وهوى، وكل معصية فهي مطرحة مُلغاة، فالمعنى شغلهم الجدُّ فيما أمرهم الله به عن اللغو».

ومن اللغو: تكلم الرجل في ما لا يعنيه، ومنه الخوض في ذكر أخبار الفجار والفجور، ومنه التوسع في الحديث لغير حاجة.

﴿..... فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ﴾ [المؤمنون: ٧]:

ذكرها الله بعد ذكر الزوجة وملك اليمين لتشمل هذه الآية كل صور الانحرافات الأخلاقية والشهوانية.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لَا مَنَّاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المؤمنون: ٨]:

قال القرطبي: «والأمانة والعهد يجمع كل ما يحمله الإنسان من أمر دينه ودنياه، قولاً وفعلًا»، وهذا يشمل معاملة الخالق ومعاملة الخلق، وحق الله وحق العباد.

﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ [المؤمنون: ١٧]:

ما كنا غافلين عن القيام بمصالحكم وحفظكم ولو مقدار لحظة، وإلا سقطت السماء عليكم فأهلكتكم، أو انقطع الهواء عنكم فاختنقتم، فما أشمل هذه العناية الإلهية التي تحفظ الكون من الزوال أو الاختلال.

﴿وَلِنَا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَدْ رُؤِنَ﴾ [المؤمنون: ١٨]:

هل شكرت نعمة الماء! قال الزمخشري: «فعلى العباد أن يستعظموا النعمة في الماء، ويقيّدوها بالشكر الدائم، ويخافوا نفاها، إذا لم تشكر».

﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٩]:

قال القرطبي: «فالأية تعليم من الله عز وجل لعباده إذا ركبوا وإذا نزلوا أن يقولوا هذا، بل وإذا دخلوا بيوتهم وسلموا قالوا. روي عن علي - رضي الله عنه أنه كان إذا دخل المسجد قال: اللهم أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين».

﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [المؤمنون: ٥١]:

قدواتنا هم الأنبياء، وهم أساتذة الأجيال في مدرسة أكل الحلال.

﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾

[المؤمنون: ٥١]: قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً،

وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ

وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾، وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

كُلُّوْا مِنَ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]، ثم ذكر الرجل يطيل السفر

أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء .. يا رب يا رب، ومطعمه حرام ومشربه حرام

وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك».

﴿كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١]:

قال ابن كثير: «يأمر الله تعالى عباده المرسلين بالأكل من الحلال، والقيام بالصالح

من الأعمال، فدلّ هذا على أن الحلال عون على العمل الصالح».

﴿يَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنَ * تُسَارِعَ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾

[المؤمنون: ٥٥-٥٦]: كل نعمة تباعد عن ربك ليست خيراً، بل هي شر! الخير هو ما قربك من الله.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَاوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠]

قال الحسن: «كانوا يعملون ما يعملون من أعمال البر وهم مشفقون ألا ينجيهم ذلك من عذاب الله».

قال الحسن: «لقد أدر كنا أقواماً كانوا من حسناتهم أن تُردَّ عليهم أشفق منكم على سيئاتكم أن تعذبوا عليها».

﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠]:

قال القشيري: «يُخْلِصُونَ فِي الطَّاعَاتِ مِنْ غَيْرِ الْمَامِ بِتَقْصِيرٍ، أَوْ تَعْرِيجٍ فِي أَوْطَانِ الْكَسَلِ، أَوْ جُنُوحٍ إِلَى الْأَسْتِرَاحِ بِالرُّخْصِ، ثُمَّ يَخَافُونَ كَأَنَّهُمْ أَلْمُوا بِالْفَوَاحِشِ، وَيَلَا حَظُّونَ أَحْوَالِهِمْ بَعِينَ الْأَسْتِصْغَارِ، وَالْأَسْتِحْقَارِ، وَيَخَافُونَ بَغْتَاتِ التَّقْدِيرِ، وَقَضَايَا السَّخَطِ».

﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾

[المؤمنون: ٦٠-٦١]: هناك ارتباط وثيق بين الخوف والمسارة إلى الخيرات، فالخوف سوط دافع إلى كثرة العمل.

﴿أَمْرٌ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ * مُنْكَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٩]:

قال ابن عباس: «أليس قد عرفوا محمداً ﷺ صغيراً وكبيراً، وعرفوا نسبه وصدقه وأمانته ووفاء بالعهود، وهذا على سبيل التوبيخ لهم».

إشارة إلى أن الناس تستنكر دعوة الغريب ومن لا يعرفونه، وأن هذا أمرٌ فطري، مما يستدعي من كل داعية أن يزيل الحواجز بينه وبين الناس قبل دعوتهم.

﴿بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٠]:

قال ابن عاشور: «وإنما أُسْنِدَتْ كراهية الحق إلى أكثرهم دون جميعهم إنصافاً لمن كان منهم من أهل الأحلام الراححة الذين علموا بطلان الشرك وكانوا ينجحون إلى الحق، ولكنهم يشايعون طغاة قومهم مصانعة لهم، واستبقاء على حرمة أنفسهم». ما أجمل إنصاف القرآن!

﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ [المؤمنون: ٨٨]:

يؤمن الله مَنْ شاء من عباده، ولا يستطيع أحد أن يؤمن مَنْ أخافه الله.. أمانك بيد الله وحده!

﴿مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَتْ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾

[المؤمنون: ٩١]: مناقشة عقلية وبرهان منطقي، فلو كان هناك إلهان في هذا الكون لتنازعا واختلفا، واضطرب الكون.

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [المؤمنون: ٩٦]:

قال ابن عباس: «الصبر عند الغضب، والحلم عند الجهل، والعفو عند الإساءة».

قال ابن القيم: «كان بعض أصحاب ابن تيمية يقول: وددت أني لأصحابي مثله لأعدائه وخصومه، وما رأيته يدعو على أحد منهم قط، وكان يدعو لهم. وجئت يوماً بمشراً له بموت أكبر أعدائه، وأشدّهم عداوة وأذى له، فنهروني وتنكر لي واسترجع. ثم قام من فوره إلى بيت أهله فعزاهم، وقال: إني لكم مكانه، ولا يكون لكم أمر تحتاجون فيه إلى مساعدة إلا وساعدتكم فيه!».

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٦]:

فن التفويض لله والتوكل! قال ابن عاشور: «والتخلق بهذه الآية هو أن المؤمن الكامل ينبغي له أن يفوض أمر المعتدين عليه إلى الله، فهو يتولى الانتصار لمن توكل عليه، وأنه إن قابل السيئة بالحسنة كان انتصار الله أشفى لصدره وأرسخ في نصره».

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ﴾ [المؤمنون: ٩٦]:

قال ابن عقيل: «ومن أظهر الجميل والحسن في مقابلة القبيح ليزول الشر، فليس بمنافق لكنه يستصلح ألا تسمع إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

فهذا اكتساب استمالة، ودفع عداوة، وإطفاء لنيران الحقائد، واستثناء الود، وإصلاح العقائد، فهذا طب المودات واكتساب الرجال».

قال أنس بن مالك: «يقول الرجل لأخيه ما ليس فيه، فيقول له: إن كنت كاذبًا، فإني أسأل الله أن يغفر لك، وإن كنت صادقًا فإني أسأل الله أن يغفر لي».

﴿حَقَّ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٩]:

قال القرطبي: «ودلت الآية على أن أحدا لا يموت حتى يعرف اضطرارا أهو من أولياء الله أم من أعداء الله، ولولا ذلك لما سأل الرجعة».

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْفَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾

[المؤمنون: ١٠١]: قال رجل لزهير بن نعيم: ممن أنت؟ قال: من المسلمين. قال:

أسألك عن النسب. قال: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْفَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾

﴿فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢]:

قال ابن عباس: «أي من رجحت حسناته على سيئاته ولو بواحدة». بعض الناس سيدخل النار بسبب نقصان حسنة!

﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِحْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾

[المؤمنون: ١١٠]: صفة متكررة في القرآن لأهل النار، فالويل للمستهزئ بالدين وأهله!

﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [المؤمنون: ١١١]:

لم يقل بما صلوا أو صاموا أو أنفقوا؛ لأن الصبر عبادة تؤديها متألماً، وغيره من العبادات تؤديها متلذذاً.

﴿قُلْ كَمْ لِيَشْرَ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ * قَالُوا لَيْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾

[المؤمنون: ١١٢، ١١٣]: سُئلوا عن السنين فأجابوا بالأيام! لأن فزع يوم

القيامة أطار عقولهم، وأراهم عشرات السنين أقل من يوم في جوار الخلود.

سورة النور

﴿سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾ [النور: ١]:

كتب عمر رضي الله عنه إلى أهل الكوفة: «علّموا نساءكم سورة النور»؛ لأن مقصود هذه السورة ذكر أحكام العفاف والستر وصون العرض..

﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾ [النور: ١]:

فرضنا ما فيها من الأحكام، وشدّدها ابن كثير وأبو عمر رضي الله عنهما **﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾** لكثرة فرائضها أو المفروض عليهم، أو للمبالغة في إلجائها.

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا﴾ [النور: ٢]:

بدأ الله سورة النور بذكر عقوبة الزنى، فمن زنى محي الله نور الإيمان من وجهه وقلبه وعمله، فيسير متخبطاً في ظلمات الذنب.

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: ٢]:

بدأ بالمرأة لأنها الداعي الأول إلى جريمة الزنا، فلو تعففت لتعفف الرجل، ولو ضعفت واجترأت لتجرأ، بعكس السرقة التي فيها ذكر الرجل أولاً **﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾**.. إذ الرجل مكلف بالإنفاق والحصول على المال.

﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ [النور: ٢]:

ليس في إقامة الحدود شدة أو غلظة، بل فيها الخير الكثير لأنها تردع من تسوّل له نفسه بالعدوان، ففي الحديث: «حدّ يقام في الأرض أركبى فيها من مطر أربعين يوماً».

﴿وَلَيَسْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢]:

مشاهدة تنفيذ أحكام الله مقصود شرعي يحدث أثر الردع في قلوب من شاهده.

﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾

[النور: ٣]: هذا يماثل المثل القائل: (الطيور على أشكالها تقع).

﴿وَحَرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢١]:

طلب مرثد ابن أبي مرثد من النبي ﷺ أن يتزوج امرأة اسمها عناق، فهو ما يزال يحبها، وهي بغية كان يأتيها في الجاهلية، وما زالت على فجورها وجاهليتها، فزلت هذه الآية.

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ [النور: ٤]:

عاقب الله من قذف محصنة بثلاث عقوبات: حسية ومعنوية ودينية، فالحسية جلد ثمانين جلدة، والمعنوية: عدم قبول شهادته ليكون في المجتمع كالمنبوذ، والدينية: وصف الله له بالفسق، وسر تغليظ عقوبة القذف: حماية أعراض المسلمين من أسنة السوء.

﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [النور: ١١]:

حزنك أو فرحك، وتشاؤمك أو تفاؤلك هو قرارك الشخصي واختيارك المبدئي.

قال الزمخشري: «ومعنى كونه خيراً لهم أنهم اكتسبوا فيه الثواب العظيم، لأنه كان بلاء ومحنة ظاهرة، وأنه نزلت فيه ثماني عشرة آية، كل واحدة منها مستقلة، بما هو تعظيم لشأن رسول الله ﷺ وتسلية له، وتنزيه لأم المؤمنين رضوان الله عليها، وتطهير لأهل البيت، وتهويل لمن تكلم في ذلك، أو سمع به فلم تمجّه أذناه، وعدة ألطاف للسامعين والتالين إلى يوم القيامة، وفوائد دينية وأحكام وآداب لا تحفى على متأملها».

﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ١٢]:

بقدر إيمانك يكون حسن ظنك في المؤمنين!

روي أن أبا أيوب الأنصاري لما بلغه خبر الإفك قال لزوجته: ألا ترين ما يقال؟ فقالت له: لو كنت بدل صفوان أكنت تظن بحرمة رسول الله سوءاً؟ قال: لا. قالت: ولو كنت أنا بدل عائشة ما خنت رسول الله، فعائشة خير مني وصفوان خير منك. قال: نعم.

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ [النور: ١٥]:

وقت الإشاعات والتربص يكون مصدر التلقي هو اللسان لا السمع ولا العقل، فلا تثبت من الأخبار، ولا رواية في نشرها.

﴿وَقُولُوا بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ [النور: ١٥]:

قال المتنبي:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونُه وصدق ما يعتاده من توهم
وعادى محبيه بقول عداته وأصبح في ليل من الشك مظلم

﴿وَتَحْسِبُونَهُ هَيِّئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥]:

كلمة واحدة قد تهوي بصاحبها في قعر جهنم، فإياك ومحقرات الذنوب، فإنهم يجتمعون على الرجل فيهلكونه.

كلما عظم الذنب في عينك صغر عند الله، وكلما صغر في عينك عظم عند الله.

في حديث أبي هريرة مرفوعاً: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب»، ومعنى «ما يتبين فيها»: أي لا يتأملها آخر هي أم شر، ولا يحسب تبعاتها.

جاء في حديث بلال بن الحارث عن خطورة الكلمة: «ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت». فالاستخفاف باللسان موردٌ من موارد الهلاك!

ما آخر ذنب لم تتألم لحدوثه؟! أو استهنت به؟! احذر أن يتعاضم ذنبك عند الله وأنت لا تشعر!

﴿يُحِبُّونَ أَنْ قَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾

[النور: ١٩]: مجرد حب إشاعة الفاحشة يستحق صاحبه العذاب الأليم، فكيف بمن نشرها وحصّ الناس عليها؟!

﴿يُحِبُّونَ أَنْ قَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [النور: ١٩]:

استدل العلماء بهذه الآية على أن الله يؤاخذ ببعض أعمال القلوب؛ حيث رتب الله العذاب على فعل القلب وهو (حب) (إشاعة الفاحشة).

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: ٢١]:

هذه الآية فيها أربع تأكيدات على أن الفضل لله في طاعة العبد، فقوله (ولولا) للامتناع، وقوله (ما) للنفي التام، وقوله (منكم) معناه أي أحد، وقوله (أبدًا): لإطلاق النفي.

﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢]:

بشارة للمذنبين! الجزء من جنس العمل، فكما تعفو عن الناس سيعفو الله عنك، وكما تغفر زلاتهم سيغفر الله زلتك.

أذنب خادم لعبد الله بن عمر، فأراد ابن عمر أن يعاقبه على ذنبه فقال: يا سيدي .. أما لك ذنب تخاف من الله فيه؟ قال: بلى، قال بالذي أمهلك لما أمهلتني!

﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ﴾ [النور: ٢٦]:

قال أبو السائب القاضي: «كنت يومًا بحضرة الحسن بن زيد الداعي بطبرستان، وكان بحضرته رجل ذكر عائشة بذكر قبيح من الفاحشة، فقال: يا غلام .. اضرب عنقه، فقال له العلويون: هذا رجل من شيعتنا فقال: معاذ الله هذا رجل طعن على النبي ﷺ. قال الله تعالى: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾، فإن كانت عائشة خبيثة فالنبي خبيث فهو كافر، فاضربوا عنقه، فضرِبوا عنقه وأنا حاضر».

﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾ [النور: ٢٦]:

قال ابن عباس: «والطيبات من الأقوال للطيبين من الرجال»، فمقياس طيب العبد بحسب ألفاظ لسانه وكلماته.

﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ [النور: ٢٦]:

لن يرتاح زوجان إلا حين يكونان متوافقين أخلاقياً ودينياً، وإلا انقلبت الحياة الزوجية ساحة قتال بدلاً من السكن والمودة والرحمة.

﴿وَأَن قِيلَ لَكُمْ أَرْجِعُوا فَأَرْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ﴾ [النور: ٢٨]:

قال قتادة: قال رجل من المهاجرين: «لقد طلبتُ عمري كله هذه الآية، فما أدركتها: أن أستاذن على بعض إخواني، فيقول لي: ارجع، فأرجع وأنا مغتبط، لقوله: ﴿وَأَن قِيلَ لَكُمْ أَرْجِعُوا فَأَرْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ﴾».

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ [النور: ٣٠]:

قدّم غض البصر على حفظ الفرج لأن النظر يريد الزنى، ومفتاح الفواحش.

قال الإمام القرطبي: «البصر هو الباب الأكبر إلى القلب، وأمر طرق الحواس إليه، وبحسب ذلك كثر السقوط من جهته. ووجب التحذير منه، وغضه واجب عن جميع المحرمات، وكل ما يخشى الفتنة من أجله».

﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]:

نستبطن منها قاعدة سد الذرائع، فالضرب بالأرجل مباح للنساء، لكنه قد يفضي إلى الحرام، وهو لفت الأنظار إلى زينة المرأة؛ ولذا نهى الله عنه.

﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]:

قال الضحاك: «البرُّ والفاجر»، فالتوبة تلزم الجميع.

قال ابن القيم: «وهذه الآية في سورة مدنية، خاطب الله بها أهل الإيمان وخيار خلقه أن يتوبوا إليه، بعد إيمانهم وصبرهم، وهجرتهم وجهادهم، ثم علّق الفلاح بالتوبة تعليق المسبب بسببه، وأتى بأداة لعل المشعرة بالترجي، إيذاناً بأنكم إذا تبتّم كنتم على رجاء الفلاح، فلا يرجو الفلاح إلا التائبون، جعلنا الله منهم».

﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا﴾ [النور: ٣١]:

التوبة درجات!! قال عبد الله بن علي بن محمد التميمي: «شتان بين تائب يتوب من الزلات، وتائب يتوب من الغفلات، وتائب يتوب من رؤية الحسنات».

قال ابن الجوزي في حقيقة التوبة: «أعتقد أن التوبة قول باللسان، إنما التوبة نار تحرق الإنسان، جرد قلبك من الأقدار، ثم ألبسه الاعتذار، ثم حله حلة الانكسار، ثم أقمه على باب الدار».

لماذا أتوب؟! قال ابن جزري: «والبواعث على التوبة سبعة: خوف العقاب، ورجاء الثواب، والخجل من الحساب، ومحبة الحبيب، ومراقبة الرقيب القريب، وتعظيم المقام، وشكر الإنعام».

﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]:

ملاحظة دقيقة! قال ابن تيمية: «أمره لجميع المؤمنين بالتوبة في هذا السياق تنبيه على أنه لا يخلو مؤمن من بعض هذه الذنوب التي هي: ترك غض البصر وحفظ الفرج وترك إبداء الزينة، وما يتبع ذلك، فمُسْتَقِلٌّ وَمُسْتَكْتَرٍ».

﴿رِجَالٌ لَا لِّلِهِمْ بَحْرَةٌ وَلَا بَيْعٌ﴾ [النور: ٣٧]:

سبب نزولها:

عن ابن عمر أنه كان في السوق فأقيمت الصلاة، فأغلقوا حوانيتهم فدخلوا المسجد، فقال ابن عمر: فيهم نزلت: **﴿رِجَالٌ لَا لِّلِهِمْ بَحْرَةٌ وَلَا بَيْعٌ﴾**.

ما الفرق بين التجارة والبيع؟ التجارة هي العمل برؤوس الأموال بحثاً عن الأرباح، أما البيع فهو أخص من التجارة، فلا يلزم أن يكون فيه ربح، فقد تضطر لبيع شيء غالي لا تحتاجك إلى المال، فتبيعه بأقل من قيمته.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ يَفِيغُهُ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ [النور: ٣٩]:

مثل ضربه الله لرجل عطش، فأشتد عطشه، فرأى سراباً، فحسبه ماءً، فظن أنه قدر عليه، فلما أتاه لم يجده شيئاً، وكذلك الكافر لا يكون على شيء، حتى يأتيه الموت، فيكتشف ذلك.

﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لَّيْجٍ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ [النور: ٤٠]:

ذكر الله ثلاث ظلمات: ظلمة البحر، وظلمة الأمواج، وظلمة السحاب؛ وكذلك الكافر له ظلمات ثلاثة. قال ابن عباس: شبه قلبه وسمعه وبصره بهذه الظلمات الثلاث، وقال غيره: الكافر لا يدري، ولا يدري أنه لا يدري، ويعتقد أنه يدري، فهذه المراتب الثلاث شبه تلك الظلمات الثلاث.

﴿وَيَقُولُونَ ءَأَمَنَا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾

[النور: ٤٧]:

سبب نزولها:

قال الطبري: إن رجلاً من المنافقين اسمه بشر كانت بينه وبين رجل من اليهود خصومة في أرض، فدعاه اليهودي إلى التحاكم عند رسول الله ﷺ، وكان المنافق مبطلاً، فأبى ذلك وقال: إن محمداً يخيف علينا، فلنحكم كعب بن الأشرف، فنزلت الآية فيه.

وكان كعب يأخذ الرشوة، فإذا أعطاه الرشوة حكم له، والنبي ﷺ يحكم بالحق، وهو مبطل.

﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ [النور: ٤٩]:

المنافقون أصحاب إيمان مصلحي، وتدين نفعي، فلا يستفتون العلماء إلا إذا عرفوا أن الحكم في صالحهم، ولا يسترشدون بأحكام الشرع إلا إن حكم لهم. قيّم عبوديتك! قال السعدي: «فليسوا ممدوحين في هذه الحال، ولو أتوا إليه مذعنين؛ لأن العبد حقيقة، من يتبع الحق فيما يحب ويكره، وفيما يسره ويحزنه، وأما الذي يتبع الشرع عند موافقة هواه، وينبذه عند مخالفته، ويقدم الهوى على الشرع، فليس بعبد على الحقيقة».

بعض الناس يأتي إلى العالم ليستفتيه، ويتغني منه جواباً محدداً قد بيّنه قبل أن يعرض سؤاله، فإن لم يحصل على هذه الفتوى انطلق في طلب عالم آخر، ولا يزال كذلك حتى يسمع ما يريد!

من طريف ما يروى: خاصمت امرأة جميلة زوجها إلى الإمام الشعبي، فحكم الإمام للمرأة دون الرجل، فلما وجد الرجل أن الشعبي لم يحكم له اتهمه بالجور قائلاً:

فَتِنَ الشَّعْبِي لَمَّا رَفَعَ الطَّرْفَ إِلَيْهَا
سَحَرْتَهُ بَيْنَانُ وَخِ ضَابَ فِي يَدَيْهَا
كَيْفَ لَوْ أَبْصَرَ مِنْهَا نَحْرَهَا أَوْ سَاعِدَيْهَا
لَصَبَا حَتَّى تَرَاهُ سَاجِداً بَيْنَ يَدَيْهَا

فولع الناس بهذه الآيات وتناشدوها، حتى اضطر الشعبي إلى الاستعفاء من القضاء، وقال: أوجعت ظهره (بالعدل) حين جورني في شعره.

فما أقبح هذه الصفة المتأصلة في نفوس المنافقين: ﴿وَلَا يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾.

﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ﴾ [النور: ٥٠].

فهذه الثلاث مجتمعة فيهم، وليس المقصود التساؤل: هل فيهم مرض أم ارتياب أم خوف من الجور؟ بل المقصود التدرج في وصف أخلاق المنافقين، فهذه الصفات الثلاثة موجودة فيهم، ففي قلوبهم مرض النفاق والكفر؛ ولذا فهم مرتابون شاكون في نبوة النبي ﷺ وعدله؛ ولذا يخافون أن يجور عليهم، وصيغة الاستفهام هنا أشد في التوبيخ.

﴿بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [النور: ٥٠].

﴿بَلْ﴾ هنا للإضراب الانتقالي أي للانتقال من الاستفهام إلى خبر آخر مهم، وليست ﴿بَلْ﴾ للإبطال لأنه لا يستقيم إبطال المرض أو الارتياب أم الخوف من الجور، فهذا ثابت في حق المنافقين، وفائدة ﴿بَلْ﴾ ترقب ماذا سيؤول إليه تحقيق حالهم، فكان قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ بياناً لما يترقبه المستمعون، وإفادة اتصافهم بالظلم دون غيرهم.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ﴾ [النور: ٥٣].

أقسم المنافقون بالأيمان المؤكدة أنه متى أمرهم رسول الله ﷺ بالجهاد ليخرجن، فأمر الله نبيه أن يردّ عليهم في تهكم: ﴿قُلْ لَا تَقْسِمُوا طَاعَةً مَعْرُوفَةً﴾: أي معروف أن طاعتكم طاعةً باللسان فحسب، وتكذبها الأفعال والأحوال.

﴿تِلْكَ عَوْرَتُ لَكُمْ﴾ [النور: ٥٨].

منع الأولاد من الدخول على الوالدين في بعض الأوقات حفظاً للأبصار، فكيف تركنا أولادنا سائر الأوقات فريسة لما هو أخطر من الشاشات والصفحات والمجلات؟!

﴿أَوْ صَدِيقَكُمْ﴾ [النور: ٦١]:

اعرف قدر الصديق! قال ابن عباس: «الصديق أوكد من القرابة، ألا ترى استغاثة الجهنميين: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ».

قال معمر: «دخلت بيت قتادة فأبصرت فيه رطباً فجعلت آكله، فقال: ما هذا؟ فقلت: أبصرت رطباً في بيتك فأكلت، قال: أحسنت. قال الله تعالى: ﴿أَوْ صَدِيقَكُمْ﴾».

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ [النور: ٦١]:

سبب نزولها:

نزلت في بني ليث بن بكر، وكان الرجل منهم لا يأكل وحده، ويمكث أياماً جائعاً حتى يجد من يؤكله! وكانت هذه السيرة موروثة عندهم عن إبراهيم عليه السلام، فإنه كان لا يأكل وحده، فكونوا مثل أبي الضيفان إبراهيم.

﴿وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾ [النور: ٦٢]:

العمل الجماعي والقيادة الموحدة هدي نبوي وأمر رباني.

﴿فَأَذِنَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ﴾ [النور: ٦٢]:

أذن لهم، ومع هذا استغفر لهم؛ لأن الإذن في التخلف لا يبرؤك من التقصير، بل يفرض عليك مراجعة نفسك لتعرف سبب حرمانك من الثواب الجزيل.

﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣]:

قال ابن عباس: «لا تعرضوا للدعاء الرسول عليكم بإسقاطه، فإن دعوته موجبة»، وقد لعن النبي ﷺ (أي دعا بالطرد من رحمة الله) أكل الربا وشارب الخمر والراشي والمرثي والمتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء.

المراد بالدعاء هنا: النداء، أي لا تقيسوا نداء النبي ﷺ إياكم بنداء بعضكم على بعض، بل عليكم إذا دعاكم لأمر أن تلبوا فوراً بلا تقاعس أو تباطؤ.

﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

[النور: ٦٣]: مخالفة واحدة قد تؤدي لانتكاستك وانهيار إيمانك، وقد تكون عقوبتها معجلة أو مؤجلة.

﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]:

قال الطاهر بن عاشور: «وهذه الآية أصل من نظام الجماعات في مصالح الأمة؛ لأن من السنة أن يكون لكل اجتماع إمام ورئيس يدير أمر ذلك الاجتماع. وقد أشارت مشروعية الإمامة إلى ذلك النظام.

ومن السنة أن لا يجتمع جماعة إلا أمروا عليهم أميراً، فالذي يترأس الجمع هو قائم مقام ولي أمر المسلمين، فهو في مقام النبي ﷺ، فلا ينصرف أحد عن اجتماعه إلا بعد أن يستأذنه، لأنه لو جعل أمر الانسلاخ لشهوة الحاضر لكان ذريعة لانفصاض الاجتماعات دون حصول الفائدة التي جمعت لأجلها، وكذلك الأدب أيضاً في التخلف عن الاجتماع عند الدعوة إليه كاجتماع المجالس النيابية والقضائية والدينية أو التخلف عن ميقات الاجتماع المتفق عليه إلا لعذر واستئذان».

سورة الفرقان

﴿لَيْكُونَنَّ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]:

الرسول العالمي! أي لعالم الإنس وعالم الجن، فكل الخلق مخاطبون برسالته، ومطالبون بالإيمان به.

﴿إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْطًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان: ١٢]:

النار كائن حي يرى ويسمع ويتكلم وله شهيق وزفير، وقد قال الله عن كلام النار: ﴿وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾، وقال ﷺ: «شكت النار إلى ربها، فقالت: رب.. أكل بعضي بعضاً..».

﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا﴾ [الفرقان: ١٣]:

المكان الذي يلقيون فيه ضيق، ليزداد كربهم وعذابهم، ولا يكون لهم أدنى مهرب، وشبهوا ضيق النار بالتد حين يُدْخَل في الحائط بقوة.

﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ﴾ [الفرقان: ١٥]:

لا مجال للمقارنة بين الجنة والنار، وإنما يغزو الشيطان قلوبنا حين تغيب هذه المقارنة عن الأذهان، فتؤثر لذة حقيرة تورث عذاباً طويلاً، ونزهد في طاعة يسيرة تورث نعيماً مقيماً.

وأخبرني: أي لقاء هنا لم يعقبه فراق؟! أي لذة ليس بعدها ألم؟! أي زيادة لم يلحقها نقصان؟! أهذه دار تُشْتَرَى على حساب الجنة؟!

﴿لَمَنْ فِيهَا مَا يَشَاءُ وَتُخَلَّدِينَ عَلَى رَبِّكَ وَعَدًا نَسْوَلًا﴾ [الفرقان: ١٥]:

المسؤول هو الذي يسأله من له حق عنده ويطلب به، فمن الذي له حق عند الله حتى يسأل ويطلب بحقه؟ الحقيقة أن هذه مبالغة في تحقيق وعد الله، كما يشكر شاكراً على إحسانك، فتقول له: لا شكر على واجب، وإلا فلا حق لأحد على الله.

﴿حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ [الفرقان: ١٨]:

نسيان الذكر بوار! قال قتادة: «والله ما نسي قوم ذكر الله عز وجل إلا باروا وفسدوا».

﴿وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠]:

هذا حال الأنبياء، فأين الدعاة من هذه الآية؟! وكيف وصولهم وانتشارهم إلى الشرائع التي لا تغشى المساجد، اهدم صومعتك أيها الداعية.

﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ [الفرقان: ٢٠]:

قال البيهقي: «أي بلية، فالغني فتنة للفقير، يقول الفقير: مالي لم أكن مثله؟ والصحيح فتنة للمريض، والشريف فتنة للوضيع».

الجزء التاسع عشر

من سورة الفرقان الآية ٢٢ إلى سورة النمل الآية ٥٥ عدد الفوائد ٩٥

﴿حَجَرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان: ٢٢]:

أي حرامًا محرّمًا، والقائلون هم الملائكة، فيكون المعنى: تقول الملائكة للكفار حَجَرًا مَّحْجُورًا. أي: حرامًا محرّمًا أن تكون لكم اليوم بشرى، أو يغفر الله لكم، أو يدخلكم جنته.

أو القائل الكفار: ﴿حَجَرًا مَّحْجُورًا﴾ أي: حرامًا محرّمًا عليكم أن تُتَرَلَوْا بنا العذاب، فنحن لم نرتكب ما نستحق بسببه العذاب.

﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]:

ما صفة هذا العمل؟! قال ابن المبارك: «كل عمل صالح لا يراد به وجه الله».

﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ ذَلِكَ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤]:

استنبط بعض العلماء من هذه الآية أن حساب أهل الجنة يسير، وينتهي في وقت قصير، وهو نصف نهار، ووجه ذلك أن ﴿مَقِيلًا﴾ أي مكان قيلولة، وهي الاستراحة في منتصف النهار.

﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠]:

كل من هجر القرآن بأي لون من ألوان الهجر: سواء بتلاوته، أم بتدبره، أم بالعمل به، أم بتحكيمة والتحاكم إليه.

﴿يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠]:

هذا قول نبينا يشتكي إلى ربنا، فما ردُّنا على هذه الشكوى؟!

﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ سَرُّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٤]:

في الصحيح عن أنس: أن رجلاً قال: يا رسول الله، كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ فقال: «إن الذي أمشاه على رجليه قادر أن يمشيه على وجهه يوم القيامة».

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا عَلَىٰ الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمِطِرَتْ مَطَرَ النَّوَاءِ﴾ [الفرقان: ٤٠]:

المراد بالقرية هنا قرية سدوم، وهي أكبر قرى قوم لوط، والتي جعل الله عليها سافلها، والمراد بها أمطرت به الحجارة التي أنزلها الله عليها.

﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ إِلَهِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ [الفرقان: ٤٢]:

عجيبٌ تواصي الكفار بالصبر على الباطل وجلدهم في الذود عنه، مع ما نرى من جزع بعض أهل الحق وتخاذلهم عن نصرة الحق.

﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حَيْثُ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٢]:

بعض الناس لن يكتشف حقيقة ضلاله وفساد سعيه إلا على عتبة جهنم.

﴿فَلَا تَطِعِ الْكَافِرِينَ﴾ [الفرقان: ٥٢]:

قال الألوسي: «السورة مكية ولم يشرع في مكة الجهاد بالسيف، ومع هذا لا يخفى ما فيه، ويستدل بالآية على الوجه المأثور على عظم جهاد العلماء لأعداء الدين بما يوردون عليهم من الأدلة، وأوفرهم حظاً المجاهدون بالقرآن منهم».

﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٥]:

قال ابن القيم: «هذا من ألطف خطاب القرآن وأشرف معانيه، فال مؤمن دائماً مع الله على نفسه وهواه وشيطانه، وهذا المعنى كونه من حزب الله وجنده وأوليائه، والكافر مع شيطانه ونفسه وهواه على ربه، وعبارات السلف على هذا تدور».

﴿وَهُوَ جَلَّلَهَا لَيْلٌ وَالنَّهَارُ خَلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾

[الفرقان: ٦٢]: قال عمر بن الخطاب والحسن وابن عباس: معناه لمن أراد أن يذكّر ما فاتته من الخير والصلاة ونحوه في أحدهما (أي الليل أو النهار)، فيستدركه في الذي يليه.

أطال عمر بن الخطاب صلاة الضحى فقليل له: صنعت اليوم شيئاً لم تكن تصنعه! فقال: إنه بقي عليّ من وردي شيء، وأحييت أن أمّه -أو قال أقضيّه- وتلا هذه الآية: ﴿وَهُوَ جَلَّلَهَا لَيْلٌ وَالنَّهَارُ خَلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾.

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣]:

أي يمشون بتواضع وسكينة. قال الإمام الشافعي: «أرفع الناس قدراً من لا يرى قدره، وأكثرهم فضلاً من لا يرى فضله».

﴿وَالَّذِينَ يَسِيرُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا﴾ [الفرقان: ٦٤]:

قدّم السجود على القيام مع أن القيام يقع قبله إشارة إلى الاهتمام بالسجود؛ لأن العبد أقرب ما يكون من ربه وهو ساجد، وقال ﴿سُجَّدًا﴾ ولم يقل ساجدين للمبالغة في كثرة السجود.

﴿فَأُولَٰئِكَ يَدُلُّ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠]:

التائبون الصادقون موعودون من الله بأن يدُلَّ سيئات أعمالهم بمحاسن الأعمال، فبدلاً من الزنى تكون العفة والإحصان، وبدلاً من السرقة وأكل حقوق الناس يبدل الصدقات والزكوات، وبدلاً من الغيبة وفحش القول يتلو القرآن والذكر والطيب من القول.

تقلب السيئات الماضية بالثوبة النصوح إلى حسنات، فكلما تذكر ما مضى ندم واسترجع واستغفر، فانقلبت السيئة إلى حسنة بهذا الاعتبار.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ [الفرقان: ٧٢]:

هؤلاء ليس فقط لا يقتربون شهادة الزور، بل لا يحضرون مجالسه، ولا يجالسون أهله، فالشهادة تشمل هنا القول والمخالطة.

﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢]:

قال الرازي: «الأصح أن اللغو كل ما يجب أن يُلغى ويترك، ومنهم من فسر اللغو بكل ما ليس بطاعة، وهو ضعيف لأن المباحات لا تعد لغوًا، فقلوه: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ﴾ أي بأهل اللغو».

﴿وَأَجْعَلْنَا الْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]:

(إِمَامًا) وهو مفرد مع أن الأولى من حيث الظاهر أن يكون واجعلنا للمتقين أئمة؛ وفي هذا إشارة أن يكون كل واحد منهم إمامًا يقتدى به.

سورة الشعراء

﴿لَعَلَّنَا تَبِيعُ السَّحَرَةَ إِن كَانُوا هُمْ أَغْلَبِينَ﴾ [الشعراء: ٤٠]:

أكثر الناس يتبعون الغالب ولو كان على باطل، ويخذلون صاحب الحق ولو كان ضعيفًا، وهذا طبع في النفس البشرية، ولا يختص بشعب دون شعب، ولكن الإسلام هذب.

﴿وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ أَغْلَبُونَ﴾ [الشعراء: ٤٤]:

القسم تعظيم، والتعظيم فيه تسوية بين المقسم به والله رب العالمين. قال البقاعي: «فكل من حلف بغير الله، كأن يقول: وحياء فلان، وحق رأسه، ونحو ذلك، فهو تابع لهذه الجاهلية».

﴿وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ﴾ [الشعراء: ٤٤]:

من الشرك الحلف بغير الله سبحانه كما رواه أحمد وأبو داود عنه ﷺ أنه قال: «من حلف بشيء دون الله فقد أشرك».

ومن ذلك قول القائل للمخلوق: ما شاء الله وشئت، كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال له رجل: ما شاء الله وشئت. قال: أجعلتني لله ندا؟ قل: ما شاء الله وحده».

﴿إِنَّهُمْ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ [الشعراء: ٤٩]:

قال ابن كثير: «وهذه مكابرة يعلم كل أحد بطلانها، فإنهم لم يجتمعوا بموسى قبل ذلك اليوم، فكيف يكون كبيرهم الذي أفادهم صناعة السحر؟ هذا لا يقوله عاقل». لكنه نهج الطغاة في كل عصر.

﴿لَا ضَيْرَ لَنَا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٥٠]:

لا يضرنا إذاؤكم لأن مرجعنا إلى الله، وهو سيجزينا على إيماننا أتم الجزاء وأوسع العطاء.. لاحظوا أن هذا ثمرة إيمان ساعة!

﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠]:

قال البغوي: «أضاف المرض إلى نفسه وإن كان المرض والشفاء كله من الله، استعمالاً لحسن الأدب كما قال الخضر: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩]، وقال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢]».

﴿وَالَّذِي يُبَيِّنُ ثَمَرُ الْيَحْيَىٰ﴾ [الشعراء: ٨١]:

وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ [الشعراء: ٧٩]:

سين: لماذا جاء بكلمة هو في الثانية ولم يأت بها في الأولى؟

جيم: لتأكيد الفعل الإلهي وصرف ادعاء المدعين أنهم سبب الإطعام، بينما في الأولى لمن يدعي أحد أنه سبب خلق الإنسان وإماتته وإحيائه، فلم تكن ضرورة للتأكيد.

﴿وَأَجْعَلْ لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤]:

قال ابن عطية: «ولسان الصديق في الآخرين هو الثناء وخلد المكانة بإجماع من المفسرين».

﴿إِلَّا مَنْ أَتَىٰ اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٩]:

لم خص الله القلب بالذكر؟ لأنه الملك الذي إذا سلم سلمت الجوارح، وإذا فسد فسدت سائر الجوارح.

قال ابن القيم: «وقد اختلفت عبارات الناس في معنى القلب السليم».

والأمر الجامع لذلك: أنه الذي قد سلم من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه، ومن كل شبهة

تعارض خبره، فسلم من عبودية ما سواه، وسلم من تحكيم غير رسوله».

﴿فَكُنْ بِكُورٍ فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾ [الشعراء: ٩٤]:

قال الزمخشري: «الكبكية تكرير الكبِّ، وجعل التكرير في اللفظ دليلاً على التكرير في المعنى، كأنه: إذا ألقى في جهنم ينكبُّ مرة بعد مرة حتى يستقرَّ في قعرها».

﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * إِذْ سَأَوْنَكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٩٧، ٩٨]:

دخلوا النار حين سؤوا بالله غيره، فالمطلوب منك حتى تدخل الجنة أن يكون الله أكبر وأعظم في صدرك من كل شيء.

﴿وَمَا أَصْلَنَا إِلَّا الْمَجْرُمُونَ﴾ [الشعراء: ٩٩]:

وظيفة المجرمين في الدنيا هي أن يوهنوا تعظيم أمر الله في قلب العبد؛ حتى يكون لتعظيم الخلق الغلبة عليه!

﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٠٠، ١٠١]:

قال قتادة: «يعلمون - والله - أن الصديق إذا كان صالحاً نفع، وأن الحميم إذا كان صالحاً شفع». من أعظم الآيات التي تحت على الصحبة الصالحة!

ما أقل الأصدقاء! ال زمخشري: «وجمع الشافع لكثرة الشافعين، ووحد الصديق لقلته».

قال الحسن البصري: «استكثروا من الأصدقاء المؤمنين، فإن لهم شفاعاة يوم القيامة».

﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٠١]:

كان علي عليه السلام يقول: «عليكم بالإخوان، فإنهم عدة الدنيا وعدة الآخرة، ألا تسمع إلى قول أهل النار: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾».

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٩]:

الداعية لا يطلب مقابلاً لجهده المبذول في دعوته، وهذا سر إخلاصه، وسبب وضع القبول له بين الخلق.

الدعوة إلى الله عمل عظيم ثمين لا يستطيع دفع مقابله إلا الله رب العالمين، وكيف لا تكون غالية ثمينة، وكلمة واحدة قد تنقذ عبداً من الخلود في النار.

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [الشعراء: ١٤٥]:

لو أن داعية طلب من الناس أجراً لكان هذا سبباً لنفور الناس منه؛ وقبول بعض كلامهم وردَّ بعضه؛ ولذا كان لكل نبي حرفة يأكل بها، ففي صحيح البخاري: «ما أكل أحد طعاماً قط، خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده».

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [الشعراء: ١٤٥]: كل الأنبياء في سورة الشعراء قالوا لقومهم: موسى وإبراهيم عليهما السلام .. لماذا؟ لأن موسى تربى في قصر فرعون، وإبراهيم لم يقلها لقومه لأن فيهم أباه الذي رياه، فاستحيا أن يقول ذلك له.

﴿إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْفَالِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٨]:

قال ابن تيمية: «والقلي بغضه وهجره، والأنبياء أولياء الله يحبون ما يحب الله، ويغضون ما يغض».

﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥]:

قال السعدي: «وتأمل كيف اجتمعت هذه الفضائل الفاخرة في هذا الكتاب الكريم، فإنه أفضل الكتب، نزل به أفضل الملائكة، على أفضل الخلق، على أفضل بضعة فيه وهي قلبه، على أفضل أمة أخرجت للناس، بأفضل الألسنة وأفصحها، وأوسعها، وهو: اللسان العربي المبين».

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٣]:

كيف خطب النبي ﷺ بهذا وهذا مستحيل في حقه؟! قال الألوسي: «تهيباً وحشاً لازدياد الإخلاص، فهو كناية عن: أخْلِص في التوحيد حتى لا ترى معه عز وجل سواه».

﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]:

القرب في الأنساب لا ينفع مع العد في الأسباب.

﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [الشعراء: ٢١٦]:

لم يقل: إني بريء منكم، فتبرأ من الفعل ولم يتبرأ من الفاعل، وكبره المعصية لا العاصي، فتعلم يا كل داعية.

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾ [الشعراء: ٢١٧]:

قال القشيري: «انقطع إلينا، واعتصم بنا، وتوسّل إلينا بنا، وكن على الدوام بنا، فإذا قلت فقل بنا، وإذا صُلتَ فُصل بنا، واشهد بقلبك - وهو في قبضتنا - تتحقق بأنك بنا ولنا».

لكن لماذا العزيز والرحيم؟! قال الألوسي: «فهو سبحانه يقهر من يعصيك منهم ومن غيرهم بعزته، وينصرك برحمته. وفيه لطف لسائر المكلفين ببيان أن الإشراك من القبح والسوء بحيث يُتهى عنه من لم يمكن صدوره عنه، فكيف بمن عداه؟!».

اقتَرَن اسم (الْعَزِيزِ) باسم (الرَّحِيمِ) ٩ مرات في سورة الشعراء؛ لأن الله بعزته قادرٌ على أن ينصرك على عدوك الأقوى منك، وأنه برحمته يعصمك منهم.

﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٤]:

قال عبد الرحمن بن زيد: قال رجل لأبي: يا أبا أسامة، أرايت قول الله جلّ ثناؤه: ﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾، فقال له أبي: إنما هذا لشعراء المشركين، وليس شعراء المؤمنين، ألا ترى أنه يقول: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾، فقال: فرّجت عني يا أبا أسامة، فرّج الله عنك.

من هم شعراء الرسول ﷺ؟! قال ابن كثير: «لما نزل قوله تعالى: ﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾ جاء حسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك إلى رسول الله ﷺ وهم يكون وقالوا: قد علم الله تعالى أنا شعراء، فتلا عليهم النبي ﷺ: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾، قال: أنتم. ﴿ وَذَكِّرُوا أَنَّهُ كَثِيرًا ﴾. قال: أنتم. ﴿ وَأَنصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ﴾، قال: أنتم».

﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]:

وأبهم المنقلب لتذهل نفوس الظالمين، وتذهب كل مذهب ممكن من هول ما يتظرها، وكان السلف يتواعظون بهذه الآية، وختم بها أبو بكر رضي الله عنه وصيته حين عهد لعمر رضي الله عنهما.

لما ظلم أحمد بن طولون قبل أن يعدل استغاث الناس من ظلمه، وتوجهوا إلى السيدة نفيسة يشكونه إليها فقالت لهم: متى يركب؟ قالوا: في غد، فكتبت رقعة ووقفت بها في طريقه وقالت: يا أحمد يا ابن طولون، فلما رآها عرفها، فترجّل عن فرسه، وأخذ منها الرقعة وقرأها، فإذا فيها: ملكتم فأسرتم، وقدرتم فقهرتم، وخولتم فعسفتم، ورذّدت إليكم الأرزاق فقطعتم، هذا وقد علمتم أن سهام الأسحار نافذة غير مخطئة، لا سيما من قلوب أوجعتموها، وأكباد جوعتموها، وأجساد عريتموها، فمحال أن يموت المظلوم ويبقى الظالم، اعملوا ما شئتم فإننا صابرون، وجوروا فإننا بالله مستجيرون، واطلموا فإننا إلى الله متظلمون،

﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾، فعدل لوقته.

سورة النمل

﴿إِنِّي لَا خَافُ لَدَى الْمَرْسُولِ * إِلَّا مَنْ ظَلَمْتُ بِدَلِّ حَسَنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

[النمل: ١٠، ١١]: ما معنى الخوف بعد التوبة والمغفرة؟ قال القرطبي: «هذه سبيل العلماء بالله عز وجل أن يكونوا خائفين من معاصيهم وجلين، وهم أيضًا لا يأمنون أن يكون قد بقي من أشرط التوبة شيء لم يأتوا به، فهم يخافون من المطالبة به».

﴿وَحَدِّثُوا بِهَا وَأَسْتَقِنْتَهَا أَنْفُسَهُمْ﴾ [النمل: ١٤]:

كم من نفوس تعرف الحق، لكن عنادها وكبرها منعها من الانقياد إليه.

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ﴾ [النمل: ١٦]:

ورثه في النبوة لا في المال، فإن الأنبياء لا تورث أموالهم، فاحرص على توريث دينك لأولادك، فهو وحده ما ينفعهم في الآخرة.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [النمل: ١٥]:

إذا زادك الله علمًا، فازدد له شكرًا، فلا تتضاعف النعم إلا بالشكر.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾ [النمل: ١٥]:

أوسع عطاء هو عطاء العلم، فإذا آتاك الله إياه، فأنفق منه على غيرك، فتكون متعلمًا ومعلمًا.

﴿وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: ١٥]:

قال السعدي: «عنوان سعادة العبد أن يكون شاكرًا لله على نعمه الدنيوية والأخروية، وأن يرى جميع النعم من ربه، فلا يفخر بها ولا يعجب بها بل يرى أنها تستحق عليه شكرًا كثيرًا».

﴿يَتَأْتِيهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمُ﴾ [النمل: ١٨]:

قال عنها السيوطي: «جمعت أحد عشر جنسًا من الكلام: النداء، والكناية، والتنبيه، والتسمية، والأمر، والقصص، والتحذير، والتخصيص، والتعميم، والإشارة، والعذر، فأدّت خمسة حقوق: حق الله، وحق رسوله، وحقها، وحق رعيّتها، وحق نبيها، ورعيّته».

﴿لَا يَحْطُمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨]:

اعتذرت هذه النملة عن الخطأ قبل وقوعه، فليتنا نتعلم منها حسن الظن والتماس الأعذار.

يقول أهل البلاغة أن هذه النملة جمعت ثلاثة عشر أمرًا:

أَحَسَّتْ: أحست بوجود الخطر.

وبادرت: بادرت بإبلاغ النمل بها سيأتي.

ونادت: يا.

ونبهت: أيها.

وأمرت: ادخلوا.

ونبت: لا يحطمنكم.

وأكدت: نون التوكيد في يحطمنكم.

ونصحت: بنوع الفعل الواجب عمله.

وبالغت: يحطمنكم كلكم.

وبيئت: من الذي أتى بالخطر.

وأنذرت: أنذرت النمل.

وأعذرت: وهم لا يشعرون.

ونفت: لا يشعرون.

﴿فَتَبَسَّ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ [النمل: ١٩]:

قال الزجاج: «أكثر ضحك الأنبياء التبسم». اقتد بالأنبياء فأكثر من التبسم.

التبسم ضحك أهل الوقار.

﴿وَتَقَعَّدَ الطَّيْرَ﴾ [النمل: ٢٠]:

قال القرطبي: «في هذه الآية دليل على تفقد الإمام لأحوال رعيته، والمحافظة عليهم، ويرحم الله عمر فإنه كان على سيرته، قال: لو أن بغلة على شاطئ الفرات أخذها الذئب لیسأل عنها عمر، فما ظنك بوال تذهب على يديه البلدان، وتضيع الرعية ويضيع الرعيان».

﴿لَأَعَذِّبَنَّ، عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَا أَذْبَحْنَهُ أَوْ لِيَأْتِيَنَّ بِسُلْطَنٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل: ٢١]:

لم يقسم على تعذيبه أو قتله إلا إذا لم يقدم عذراً مقبولاً لتخلفه، فهذا مقتضى العدل.

﴿أَحَطُّتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ [النمل: ٢٢]:

في حضرة الأنبياء وهم أعظم العظماء تمتلك الطيور الجرأة على إبداء الرأي وقول الحق.. إنها الحرية!

أفادت أنه قد يوجد من العلم عند الأصاغر ما لا يوجد عند الأكابر، وعند

المتأخرين ما لم يكن عند المتقدمين!

تعلموا الشجاعة في النطق بكلمة الحق من الهدهد.

عجيب أمرك أيها الداعية أو الأمير أو صاحب المنصب الكبير.. تأنف من نصح الآخرين لك، وتراه انتقاصاً من مقامك وسيئاً لإحراجك!

﴿وَجَدْتَهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [النمل: ٢٤]:

غار الهدهد على محارم الله، فمتى نغار إذا انتهكت محارم الله!

﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ [النمل: ٢٥]:

طائر غير مكلف ينكر المنكر، ويتعجب بفطرته السليمة من عدم القيام بأمر الله، فبعض الحيوانات أعقل من بعض البشر.. اللهم اجعل أفئدتنا كأفئدة الطير.

كيف كافأ الله الهدهد! قال القرطبي: نهى عن قتل الهدهد، لأنه كان دليل سليمان على الماء ورسوله إلى بلقيس. عن ابن عباس أن النبي ﷺ «نهى عن قتل أربع من الدواب: النملة، والنحلة، والهدهد، والصَّرد».

﴿أَفْتُونِي فِي أَمْرِي﴾ [النمل: ٣٢]:

قيل: إن بلقيس هي أول من سنَّ سُنَّةَ طلب المشورة.

قال القشيري: «أخذت في المشاورة كما تقتضيه الحال في الأمور العظام، فإن الملك لا ينبغي أن يكون مستبداً برأيه، ويجب أن يكون له قوم من أهل الرأي والبصيرة».

﴿قَالَتْ يَتَأْتِيَ الْأَعْلَمَاءُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾

[النمل: ٣٢]: تعلموا السياسة ولباقة الحديث من بلقيس؛ حيث جمعت القادة واستشارتهم، وأعلمتهم أن هذه عاداتها الراسخة، فطابت نفوسهم، وازدادت بها ثقتهم.

﴿مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ [النمل: ٣٢]:

هذا فن الحوار واستمالة القلوب لئلا يخالفوها في الرأي والتدبير.

﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلَى قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَيِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٣٣]:

القوة مغرية والسلاح باطش! أحسَّت بلقيس من قادة الجيش الطيش والميل إلى الحرب والاستقواء بالسلاح، والميل عن الصواب، فشرعت في رد مقالتهم.

﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلَىٰ قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَيِّ شَيْءٍ لَّا تُرَىٰ إِلَيْكَ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ [النمل: ٣٣]

أرادوا نحن من أبناء الحرب لا من أبناء الرأي والمشورة، فميداننا ساحات القتال لا قاعات السياسة.

﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٣]

تصديق لرأي بلقيس من جهة الله تبارك وتعالى، وهو كذلك إبراز لقيمة هذه المرأة ونضج رأيها.

﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ٣٥]

قال قتادة: «رحمها الله ورضي عنها، ما كان أعقلها في إسلامها وفي شركها!! علمت أن الهدية تقع موقعًا من الناس». تهادوا تحابوا!

﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ﴾ [النمل: ٣٥]

قد تمنع الهدية حربًا! قال ابن عباس: «قالت لقومها: إن قبل الهدية فهو ملك فقاتلوه، وإن لم يقبلها فهو نبي فاتبعوه».

﴿قَالَ يَتَاتِيهَا الْمَلَأُوا أَتِكُمْ يَأْتِيَنِ بِعَرْشِهَا﴾ [النمل: ٣٨]

لم خصَّ العرش بالذكر؟!

قال أبو جعفر الطبري: «وأولى الأقوال بالصواب في السبب الذي من أجله خصَّ سليمان بسؤاله الملأ من جنده بإحضاره عرش هذه المرأة دون سائر ملكها عندنا، ليجعل ذلك حجة عليها في نبوته، ويُعرفها بذلك قدرة الله وعظيم شأنه، أنها خلّفته في بيت في جوف آيات، بعضها في جوف بعض، مغلق مقفل عليها، فأخرجه الله من ذلك كله، بغير فتح أغلاق وأقفال، حتى أوصله إلى وليّه من خلقه، وسلمه إليه، فكان لها في ذلك أعظم حجة، على حقيقة ما دعاها إليه سليمان، وعلى صدق سليمان فيما أعلمها من نبوته».

﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا إِلَيْكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: ٤٠]

لقله: ﴿عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾، وأن الحكمة طريق امتلاك القوة.

﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ؕ أَشْكُرْ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل: ٤٠]:

الفارق بين الملوك الجاهلين والملوك الشاكرين! قال السَّعْدِي: «أي ليختبرني بذلك، فلم يغتر عليه السلام بملكه وسلطانه وقدرته كما هو دأب الملوك الجاهلين، بل عليم أن ذلك اختبار من ربه، فخاف أن لا يقوم بشكر هذه النعمة».

﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ [النمل: ٤٠]:

لأن نفع الشكر يعود إليه دنيويًا بدوام العافية، وأخرويًا بالأجر العظيم، وقد قيل: الشكر قيد النعم الموجودة، وصيد النعم المفقودة.

﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النمل: ٤٦]:

استنزلوا رحمت الله بالاستغفار، وإذا كان الخطاب هنا للكافر ليستغفر ويرجو الرحمة، فكيف بالمؤمن؟!

﴿قَالُوا أَطِيرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ﴾ [النمل: ٤٧]:

أي تشاء منا، والشؤم: النحس. قال القرطبي: «ولا شيء أضرَّ بالرأي ولا أفسد للتدبير من اعتقاد الطيرة، ومن ظنَّ أن خوار بقرة أو نعيق غراب يرُدُّ قضاء، أو يدفع مقدورًا فقد جهل».

في الحديث النبوي: «الطيرة شرك».

﴿قَالَ طَبِيرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [النمل: ٤٧]:

استعير اسم الطائر للتعبير عما حل بهم من مصائب للمشاكلة في قولهم (اطيرنا)، ومخاطبة لهم بما يفهمون لإصلاح ما يعتقدون،

﴿قَالَ طَبِيرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ [النمل: ٤٧]:

لما جاءهم صالح عارضوه، فأصابهم قحط شديد، وضئت السماء بالمطر، فقالوا: إن صالح سبب القحط لا الذنب، فكانت هذه فتنتهم.

﴿وَمَكْرُؤًا مَكْرًا﴾ [النمل: ٥٠]:

قال ابن عاشور: «سَمَّى الله تَأْمَرَهُمْ مَكْرًا لَأَنَّهُ كَانَ تَدْبِيرٌ ضَرٌّ فِي خِفَاءٍ، وَأَكَّدَ مَكْرَهُمْ بِالْمَفْعُولِ الْمَطْلُوقِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى قُوَّتِهِ فِي جَنْسِ الْمَكْرِ، وَتَنْوِينِهِ لِلتَّعْظِيمِ».

﴿وَمَكْرَنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ٥٠]:

قال سيد قطب: «وَأَيْنَ مَكْرٌ مِنْ مَكْرٍ؟ وَأَيْنَ تَدْبِيرٌ مِنْ تَدْبِيرٍ؟ وَأَيْنَ قُوَّةٌ مِنْ قُوَّةٍ؟ وَكَمْ ذَا يَخْطِئُ الْجَبَّارُونَ وَيَنْخَدِعُونَ بِمَا يَمْلِكُونَ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ حِيلَةٍ، وَيَغْفِلُونَ عَنِ الْعَيْنِ الَّتِي تَرَى وَلَا تَغْفُلُ، وَالْقُوَّةُ الَّتِي تَمْلِكُ الْأَمْرَ كُلَّهُ، وَتَبَاغَتْهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ».

﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا﴾ [النمل: ٥٢]:

قال الألوسي: «وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الظُّلْمَ يَكُونُ سَبَبًا لْخَرَابِ الدُّوَرِ، وَرَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: أَجَدُ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّ الظُّلْمَ يُخْرِبُ الْبُيُوتَ وَتِلْكَ هَذِهِ الْآيَةُ، وَفِي التَّوْرَةِ: ابْنُ آدَمَ.. لَا تَظْلِمُ بُيُوتَكَ، قِيلَ: وَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى هَلَاكِ الظَّالِمِ إِذَا خَرَابَ بَيْتَهُ عَقِبَ هَلَاكِهِ».

من روائع المتدبرين



خرج عمر رضي الله عنه (يطوف بالليل) بالمدينة ذات ليلة، فمرَّ بدار رجل من المسلمين، فوافقه قائماً يصلي، فوقف يستمع قراءته فقرأ: ﴿وَالطُّورِ...﴾ حتى بلغ: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ (٧) مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴿[الطور: ٧-٨]. قال: قَسَمَ وَرَبُّ الكعبة حق، فنزل عن حماره، واستند إلى حائط، فمكث ملياً، ثم رجع إلى منزله، فمكث شهراً يعودُه الناس لا يدرون ما مرضه، رضي الله عنه (١).

وعلق سيد قطب على هذه الحادثة بقوله:

«وعمر رضي الله عنه سمع السورة قبل ذلك، وقرأها، وصلى بها، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بها المغرب، وعمر يعلم ويتأسى، ولكنها في تلك الليلة صادفت منه قلباً مكشوقاً، وحسّاً مفتوحاً، فنفذت إليه وفعلت به هذا الذي فعلت، حين وصلت إليه بثقلها وعنفاها وحقيقتها اللدنية المباشرة: التي تصل إلى القلوب في لحظات خاصة، فتخللها وتنعمقها، في لمسة مباشرة كهذه اللمسة، تلقى فيها القلب الآية من مصدرها الأول كما تلقاها قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأطاقها لأنه تهيأ لتلقيها، فأما غيره فيقع لهم شيء مما وقع لعمر رضي الله عنه حين تنفذ إليهم بقوة حقيقتها الأولى» (٢).

(١) تفسير ابن كثير ٧-٤٠٠- ط دار الكتب العلمية

(٢) في ظلال القرآن ٦ / ٣٣٩٤



الجزء العشرون

من سورة النمل الآية ٥٣
إلى سورة العنكبوت الآية ٤٥
عدد الفوائد ١٢٠

﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ ﴾ [النمل: ٥٧]:

الهداية توفيق إلهي قد تُحرم منه زوجة نبي، وتهدي إليه قبل موتها امرأة بغي!

﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ [النمل: ٥٩]:

في الحديث: «أفضل الذكر: لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء: الحمد لله» صحيح الجامع رقم: ١١٠٤.

﴿ أَمِنْ يُحِبُّ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ الشُّوْءَ ﴾ [النمل: ٦٢]:

جاءت امرأة إلى الإمام الجنيد تشتكي أن ابنها ضاع، فقال لها: اذهبي واصبري، فعادت إليه ففعلت مثل ذلك مرات إلى أن قالت: عيل صبري (أي نفذ صبري)، ولم يبق لي طاقة، فادعُ لي، فقال الجنيد: إن كان كما قلت، فاذهبي، فقد رجع ابنك، فمضت ثم عادت تشكره، فقبل للجنيد: كيف عرفت ذلك؟ فقال: قال الله تعالى: ﴿ أَمِنْ يُحِبُّ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ الشُّوْءَ ﴾ [النمل: ٦٢].

قال عبد الله بن أبي صالح المكي: دخل طاووس يعودني (أي في مرض)، فقلت: يا أبا عبد الرحمن .. ادعُ الله لي، فقال: ادع لنفسك، فإنه يحب المضطر إذا دعاه.

قال ابن الجوزي:

«فإياك أن تستطيل مدة الإجابة، وكن ناظرًا إلى أنه المالك..

وإلى أنه الحكيم في التدبير، والعالم بالمصالح..

وإلى أنه يريد اختبارك، ليلو أسرارك..

وإلى أنه يريد أن يرى تضرعك..

وإلى أنه يريد أن يأجرك بصبرك إلى غير ذلك.

وإلى أنه يتليك بالتأخير، لتحارب وسوسة إبليس.

وكل واحدة من هذه الأشياء تقوّي الظن في فضله، وتوجب الشكر له، إذ أهلك بالبلاء لتلتفت إلى سؤاله، وإن فقر المضطر إلى اللجوء إليه غنى كله.

﴿وَأَنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تَكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [النمل: ٧٤]:

أنت أمام الله كتاب مفتوح، فمهما تزينت أمام الخلق لتخفي عنهم سيئاتك، فأنت عند الله مكشوف بحسناتك وسيئاتك.

﴿فَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ [النمل: ٧٩]:

لماذا التوكل؟ لأنك على الحق، والله هو الحق، وناصر الحق، وخاذل كل من خذل الحق.

﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾

[النمل: ٨٢]: مرض آخر الزمان هو ضعف اليقين؛ ولذا قال ﷺ: «صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين، ويهلك آخرها بالبخل والأمل» صحيح الجامع رقم: ٣٨٤٥

تنزل الدابة ناطقة كعلامة من علامات الساعة، ولا يقبل عندها الإيمان. قال رسول الله ﷺ: «ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض».

﴿وَأَن تَتْلُوا الْقُرْآنَ مِّنْ أِهْتَدَى﴾ [النمل: ٩٢]:

تلاوة القرآن على الناس من أعظم أسباب الهداية، وكم من مهتد في ليلة من ليالي رمضان، بعد أن سمع القرآن في خشوع بصلاة التهجد أو التراويح.

﴿وَأَن تَتْلُوا الْقُرْآنَ﴾ [النمل: ٩٢]:

فيه المواظبة على قراءته على الناس للدعوة والإرشاد، أو المواظبة على قراءته لزيادة الإيمان والاسترشاد، وليكون نعم الزاد.

في كم تحتم القرآن؟! في الحديث: «اقرأ القرآن في كل شهر، اقرأه في خمس وعشرين، اقرأه في خمس عشرة، اقرأه في عشر، اقرأه في سبع، لا يفقهه من يقرؤه في أقل من ثلاث» صحيح الجامع رقم: ١١٥٧.



سورة القصص

﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ [القصص: ٤]:

تكريس الفرقة وتقسيم الناس إلى طوائف منهج فرعوني قديم.

﴿يَسْتَضِعُّ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾ [القصص: ٤]:

لا بد لكل طاغية أن يتخذ جماعة أو طائفة من الناس يُعْمَلُ فيهم سيف بطشه وانتقامه؛ ليردع بهم بقية الشعب، ويضمن إسكاتهم وخضوعهم.

﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً

وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ٥]:

وإذا أراد الله أمراً، فمن الذي يقف أمام إرادة الله؟! ولاحظ استخدام نون العظمة أربع مرات في آية واحدة!

﴿وَنُرِيدُ﴾ [القصص: ٥]:

كن فيكون، فمن العبودية إلى السيادة، ومن الخدمة إلى الرفعة، ومن الرعية إلى الملكية.

أرى الله فرعون وقومه ما كانوا يخافون منه، وهو ما رآه فرعون في رؤياه أن هلاكه سيكون على يد رجل من بني إسرائيل.. بعض الرؤى تتحقق، ولو كانت من كافر!

لا يُغني حذر من قدر، ولا يوقف إرادة الله بشر، فلا رادَّ لقضائه، ولا معارض لسلطانه.

دوام الحال من المحال، والأيام دُول، فلا ييأس المستضعفون، ولا يغترَّ المستكبرون.

﴿إِنَّا رَأَوُوهُ إِلَٰهًا﴾ [القصص: ٧]:

تنتهي مخاوف العبد على عتبة الثقة في وعد الله.

﴿فَالْقَطْعُ رَأَىٰ لِفِرْعَوْنَ﴾

سبحان الله! التقطوه من البحر الذي أغرقهم الله فيه.

﴿لَيَكُونَنَّ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨]:

السلام للتعليل، أي أن الله ألهم آل فرعون ليلتقطوه ليكون لهم عدوًّا وعقوبة على ظلمهم، أو هي لام العاقبة والصيرورة، أي أن الوليد الذي التقطوه سيكون سبب القضاء على ملكهم وسلطانهم.

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَنَّ وَجُنُودُهَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ [القصص: ٨]:

الثلاثة في الخطأ سواء، فرعون الملك، وهامان الوزير، وسائر الجند، لعنة الظلم حين تحل على الجميع!

قال أبو حيان في البحر المحيط: «أضيف الجند إلى فرعون وهامان، وإن كان هامان لا جنود له؛ لأن أمر الجنود لا يستقيم إلا بالملك والوزير، إذ بالوزير تحصل الأموال، ولا يكون قوام الجند إلا بالأموال».

﴿فَرَّتْ عَيْنِي لِي وَلَكَ﴾ [القصص: ٩]:

قال الآلوسي: «وعدلت عن قولها (لنا) إلى قولها: ﴿لِي وَلَكَ﴾ لتفخيم شأن القُرَّة، وقَدَّمت نفسها عليه لما تعلم من مزيد حب فرعون إياها، وأن مصلحتها أهم عنده من مصلحة نفسه، فيكون ذلك أبلغ في ترغيبه بترك قتله».

مغاليق القلوب لا تنفتح إلا لمن أذن الله له، فيُلقي الله محبتك في قلوب الخلق إن أحبك وقربك.

﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾ [القصص: ٩]:

كم سترن هذه الكلمة يوم القيامة في ميزان آسيا بنت مزاحم! لا تستهين أبدًا بكلمة حق!

﴿لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾ [القصص: ١٠]:

لولا أن الله ربط على قلبها لذهب عقلها، ولا سلطان لأحد على قلب أحد إلا الله.

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أَمِّ مُوسَىٰ فَرَجًا﴾ [القصص: ١٠]:

أصبح الآراء أي فارغًا من كل شيء إلا من موسى.. إنها عاطفة الأمومة.

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴾ [القصص: ١٧]:

النعمة التي ترفل فيها ستزول إذا نصرت ظالمًا أو مجرمًا!!

أَيكون شكر نعمة الله عليك أن توالي مجرمًا وتؤيد طاغية؟! لا تكن ممن بدّلوا

نعمة الله كفرًا!

﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَمُوسَى إِنَّكَ الْأَمَلَاءُ يَاتِمِرُونَ بِكَ لَيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِلَيَّ لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ [القصص: ٢٠]:

لم يمنعه بعد المسافة ومشقة الطريق من السعي في الخير، فهنئًا لمن غيّر قدمه ساعة في طريق الخير.

﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى ﴾ [القصص: ٢٠]:

الناصح يسعى .. يبادر .. لا يتأخر .. لا يتكاسل .. ينتهز الفرص .. يشب إلى مواطن الأجر .. يبحث عن طرق الخير.

﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَمُوسَى إِنَّكَ الْأَمَلَاءُ يَاتِمِرُونَ بِكَ لَيَقْتُلُوكَ ﴾ [القصص: ٢٠]:

فيه دليل على جواز النسيئة لمصلحة دينية.

﴿ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ [القصص: ٢٢]:

موسى وحيدًا طريدًا فقيرًا ضعيفًا ولا يعلم الطريق إلى مدين، فاستغاث بالله فأغاثه، واستجاب دعاءه، فكلما ازداد فقر العبد، غمره غنى الرب.

﴿ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ ﴾ [القصص: ٢٣]:

العفيفات المؤمنات لا يزاحن الرجال في الطرقات!

﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ﴾ [القصص: ٢٣]:

أصحاب الهمم العالية وحدهم من يسعون في قضاء حوائج الآخرين.

﴿ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ [القصص: ٢٣]:

إجابة مختصرة في ثنائي كلمتي دون كلمة زائدة! فحشمة المرأة في كلامها كما في ثيابها.

﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ﴾ [القصص: ٢٤]:

لم ينتظر كلمة ثناء، فالصادق لا يبحث عن الأضواء، بل يؤثر الظل والخفاء!
قالوا في تعريف الجواد: إنه الذي يعطي قبل السؤال صيانة للأخذ من ذل الطلب،
فإن تصدقت فأسرع بالانصراف قبل أن ترى ذل الطلب على وجه السائل.

﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤]:

دعاء عظيم يفيض بالافتقار، علّمنا الله أن ندعوه به كما دعا به موسى عليه السلام.
تعلموا فنّ الدعاء، لم يقل: أنا جائع فأطعمني، وعطشان فاسقني، بل قال: أنا
فقير إلى الخير الذي عوّدتني إياه، فتوسّل إلى الله بأمرين: فقره وحاجته، وفضل
الله عليه وكرمه.

قال ابن عباس: «لقد قال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ
خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ وهو أكرم خلقه عليه، ولقد افتقر إلى شق ثمرة، ولقد لصق بطنه
بظهره من شدة الجوع». ليس الفقر إذن علامة هوان، ولا الغنى علامة إكرام.

﴿فَجَاءَتْهُ﴾ [القصص: ٢٥]:

الفاء تفيد الترتيب والتعقيب، أي: فأجاب الله دعاءه في الحال، فما أسرع لطف الله
بمن افتقر إليه ورجاه.

﴿تَمْشِي عَلَى أَسْتَحْيَاءٍ﴾ [القصص: ٢٥]:

الأنوثة حياء لا عرض أزياء!!

﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى أَسْتَحْيَاءٍ﴾ [القصص: ٢٥]:

رغم ازدحام القصة بالأحداث إلا أن الله ذكر الحياء، ليدلنا على عظيم مكانته،
وأنه أجل زينة للمرأة.

﴿تَمْشِي عَلَى أَسْتَحْيَاءٍ﴾ [القصص: ٢٥]:

مشيتك أيتها الفتاة كلام يجبر عن كثير من خصالك وأحوالك.

﴿قَالَتْ إِنَّكَ أَنَّى يَدْعُوكَ لِتَجْزِيَنَا أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص: ٢٥]:

قال ابن كثير: «وهذا تأدب في العبارة، لم تطلبه طلباً مطلقاً لئلا يوهم ريبة».

﴿إِنَّكَ خَيْرٌ مِّنْ أَسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]:

قال ابن جزي: «روى أن أباهما قال لها: من أين عرفت قوته وأمانته؟! قالت: أما قوته ففي رفعه الحجر عن فم البئر، وأما أمانته فإنه لم ينظر إلي».

أصغ لأصوات الناصحين، فرب نصيحة أورثت خيراً كثيراً، والدليل في هذه الآية!

﴿وَمَا أَرِيدُ أَنْ أُشُقَّ عَلَيْكَ﴾ [القصص: ٢٧]:

انظر حسن معاملة الرجل الصالح، وهو عكس سلوك غير الصالح، ففي الحديث: «ومن شاقَّ شَقَّ الله عليه يوم القيامة» صحيح الجامع رقم: ٦٣٠٤

﴿وَأَنَّ أَلْقَى عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمُوسَى أَقْبَلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِينَ﴾ [القصص: ٣١]:

هذه آية أراها الله لموسى قبل لقاء فرعون ليكون يقينه أقوى، ويصبح أجراً في مواجهته وأقوى وأصلب، ثم وعده بالأمن، فاندفع موسى غير خائف ولا وجل، مطمئناً واثقاً بوعد ربه.

﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ [القصص: ٣٤]:

ما أجهل التجرد، والاعتراف بفضل الآخرين، والتكامل بين الإخوان، وغياب الحسد بين الأقران.

﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضْذَكَ بِأَخِيكَ﴾ [القصص: ٣٤]:

هذه وظيفة الأخ الصالح: أن يشدَّ عضدك، و(إذا سألته أعطاك، وإن سكَّت ابتدأك، وإن نزلت بك نازلة واساك).

﴿فَاجْعَلْ لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ [القصص: ٣٨]:

يبلغ الغرور بالمجبرين أن يفقدوا عقولهم، ويطلبوا المحال، أعراض ما قبل النهاية!

﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ﴾ [القصص: ٤٠]:

(أنا عبدٌ مأمور) .. كم أضاعت هذه الكلمة من رجال، وأهلكت من أجيال، وجلبت لأصحابها النار والوبال،

﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص: ٤٠]:

هي عاقبة كل ظالم في كل زمان، وما فرعون إلا مثال، فبشر بها المظلوم، وأنذر بها كل ظالم.

﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يُدْعَوْنَ إِلَى التَّكْوِينِ ﴾ [القصص: ٤٠]:

فرعون وجنوده هم قدوة كل ظالم، وفي الآخرة سيرتفع لهم لواء ينضوي تحته كل المتجبرين الذين ساروا في ركبهم.

كم من مشهور كانت شهرته من متطلبات هذه الوظيفة غدا: إمامة أهل النار.

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [القصص: ٤٣]:

قال ابن تيمية: «إن الله كانت سنته قبل إنزال التوراة، إذا كُذِّبَ نبي من الأنبياء ينتقم الله من أعدائه بعذاب من عنده، كما أهلك قوم نوح بالغرق، وقوم هود بالريح الصرصر، وقوم صالح بالصيحة، وقوم شعيب بالظلة، وقوم لوط بالخاصب، وقوم فرعون بالغرق».

﴿ وَلَوْلَا أَن نُّصِيبَهُمْ مُّصِيبَةً بِمَا قَدَّمَتْ آيَاتِهِمْ ﴾ [القصص: ٤٧]:

ما وقع بلاء إلا بذنب، ولا كُشِفَ إلا بتوبة.

قال ﷺ: «ما اختلج عرقٌ ولا عين إلا بذنب، وما يدفع الله عنه أكثر» صحيح الجامع رقم: ٥٥٢١.

﴿ فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ [القصص: ٥٠]:

إما الاستجابة للوحي أو اتباع الهوى، ولا احتمال ثالث.

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص: ٥٠]:

أشد عقوبات الظالم على الإطلاق هي حرمانه من الهداية، واستدراجه إلى الغواية، حتى يهلكه الله، وهو عقاب مستحق له على ظلمه وعدوانه.

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: ٥١].

وصَّلَ الله لنا القرآن، وعَهِدَ إلينا أن نوصله للعالم، فهل نفذنا وصيته؟ وهل وصَّلنا القرآن لدنيا الناس؟! هل وصَّلنا دنياهم بآخرتهم؟!.

﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾ [القصص: ٥٤].

تمدح الآية قومًا من أهل الكتاب أسلموا، وذكروا أكثر من سبب في أنهم أوتوا أجرهم مرتين: الأول: أنهم صبروا على الإيمان بمحمد ﷺ قبل أن يبعث، ثم على اتباعه حين بُعِث. الثاني: مرة بإيمانهم بأنبيائهم قبل محمد ﷺ، ومرة أخرى بإيمانهم به ﷺ.

الثالث: أن هؤلاء لما آمنوا بمحمد ﷺ شتمهم المشركون، فصفحوا عنهم، فلهم أجران: أجر الصّبح، وأجر الإيمان.

في الحديث الصحيح: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدركني فأمن بي واتبعتني وصدَّقني فله أجران، وعبدُ مملوك أدى حق الله تعالى وحق سيده فله أجران، ورجل كانت له أمة فغذاها فأحسن غذاها، ثم أدبها فأحسن تأديبها، ثم أعتقها وتزوجها، فله أجران» صحيح الجامع رقم: ٣٠٧٣.

﴿وَيَذَرُوهَا بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ﴾ [القصص: ٥٤].

اغمر ذنبك بكثير الحسنات، فهذا أفضل طريق لمكافحة السيئات.

ومعناه على قولين: الأول: يدفعون بالاحتفال والكلام الحسن الأذى، والثاني: يدفعون بالتوبة والاستغفار الذنوب.

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦].

حتى نفسك التي بين جنبيك لا تملك هدايتها إلا أن يشاء الله، فأكثر من سؤال الله الهداية لك ولغيرك.

﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ [القصص: ٥٩].

سبب هلاك المجتمعات الظلم، والظلم فقط، وطالعوا القرآن يا سادة قبل كتب

علم الاجتماع: ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾

﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [القصص: ٦٠]:

قال سعيد بن المسيب: «كنا عند سعد بن أبي وقاص فسكت سكتة، فقال: إنه قد قلت في سكتتي هذه خيراً مما يسقي الفرات والنيل، ف قيل له: وما هو؟ قال: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر».

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]:

يخلق من خلقه خلقاً كثيراً، ويختار منهم لدينه وحمل رسالته خيار خلقه ومن يحب، فاللهم اجعلنا من هذه الصفوة.

﴿مَا كَانَتْ لَهُمْ الْخَيْرَةُ﴾ [القصص: ٦٨]:

قال القرطبي: «لا ينبغي لأحد أن يقدر على أمر من أمور الدنيا حتى يسأل الله الخيرة في ذلك، بأن يصلي ركعتين صلاة الاستخارة».

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الَّتِلَّ سَرْمِداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مِنَ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِضِيَآءٍ أَوْ لَّا تَسْمَعُونَ﴾ [القصص: ٧١]:

قال الزركشي: «اقتضت البلاغة أن يقول: (أَفَلَا تَسْمَعُونَ) لمناسبة ما بين السماع والظرف الليلي الذي يصلح للاستماع، ولا يصلح للإبصار».

﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦]:

قال مجاهد في معنى عدم الفرح: «لا تبغ» من البغي، وأما الفرح مع العدل والطاعة فلا شيء فيه.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ﴾ [القصص: ٨٠]:

الفتنة إذا أقبلت لم يعرفها إلا العلماء، فإذا أدبرت عرفها كل الناس.

﴿لَوْ لَا أَنْ مِّنَ اللَّهِ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنَّا﴾ [القصص: ٨٢]:

لو كان الله قد أجاب دعاءهم بإعطائهم مثل ما أوتي قارون، لكانوا قد هلكوا معه، لكن عدم إجابتهم لما يحبون كان سبب نجاتهم مما يكرهون.

﴿وَالْعَقِيبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣]:

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: ما دخل قلبي رعبٌ بعد ليلة الغار، فإن النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى حزني قال لي: «لا عليك.. فإن الله تكفل لهذا الأمر بالتسام».

﴿لَرَأَدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥]:

أي إلى مكة، وسمّيت معادًا لأن العرب كانت تعود إليها كل عام لتزور البيت الحرام، وهذا وعدٌ من الله لنبيه وهو بمكة، أنه صلى الله عليه وسلم يهاجر منها مطارداً ويعود متصراً، ووجه تنكير لفظ ﴿معاد﴾ أنه ذلك اليوم له شأن عظيم، وهذا من دلائل نبوته؛ أنه أخبر عن الغيب، فوقع كما أخبر به تماماً.

سورة العنكبوت

﴿أَحِبِّ النَّاسَ أَنْ يَبْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢]:

سُئل الشافعي: يا أبا عبد الله.. أيها أفضل للرجل: أن يُمكن أو يُبتلى؟ فقال: لا يُمكن حتى يُبتلى.

قال ابن القيم: «فلا يظن أحد أنه يخلص من الألم البتة، وإنما يتفاوت أهل الآلام في العقول، فأعقلهم من باع ألماً مستمراً عظيماً بألم منقطع يسير، وأشقاهم من باع الألم المنقطع اليسير بالألم العظيم المستمر».

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٣]:

من دلائل نسبة الفتنة إلى الله أنه سبحانه وتعالى القادر وحده على صرف الفتن عنهم؛ مما يستلزم منهم اللجوء إلى الله ودعاءه أن يقيهم شر الفتن.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾

[العنكبوت: ٣]: قال الحسن البصري: «كانوا يتساوون في وقت النعم، فإذا نزل

البلاء، تباينوا».

﴿فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٣]:

قال البغوي: «والله أعلم بهم قبل الاختبار. ومعنى الآية: فليظهرن الله الصادقين من الكاذبين حتى يوجد معلومته، وقال مقاتل: فليرين الله».

قال ابن عطاء: «يتبين صدق العبد من كذبه في أوقات الرخاء والبلاء، فمن شكر في أيام الرخاء وصبر في أيام البلاء فهو من الصادقين، ومن برّ في أيام الرخاء، وجزع في أيام البلاء فهو من الكاذبين».

﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتٍ﴾ [العنكبوت: ٥]:

قال ابن جزي: «ومعنى الآية: من كان يرجو ثواب الله فليصبر في الدنيا على المجاهدة في طاعة الله حتى يلقي الله، فيجازيه، فإن لقاء الله قريب الإتيان، وكل ما هو آت قريب».

﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ [العنكبوت: ٦]:

قال السعدي: «لأن نفعه راجع إليه، وثمرته عائدة إليه، والله غني عن العالمين، لم يأمرهم بها أمرهم به لينتفع به، ولا نهاهم عما نهاهم عنه بخلاً عليهم».

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت: ٨]:

ولم يقل إحساناً كما في سورة الأحقاف؟ الإحسان أكرم من الحُسن، فتعاملك بشكل حسن درجة، لكن الإحسان درجة أعلى، بل هو أعلى مراتب حسن التعامل واللين واللطف وخفض الجناح، فالحسن كان مع الوالدين الكافرين، والإحسان في سورة الأحقاف مع الوالدين المؤمنين.

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ [العنكبوت: ٨]:

فتنة الوالدين شديدة، وأمر الله المؤمن أن يواجهها بشيئين: الإحسان إليهما مع عدم الطاعة في المعصية.

﴿فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنِيبُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: ٨]:

إن الله عز وجل لم يجعل الابن نداً لوالده ولو كان كافراً، فقال: ﴿إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنِيبُكُمْ﴾، ولم يقل: فأحكم بينكم؛ لأن التحاكم يقتضي الندية والمساواة، وهذه لا تجوز بين الابن ووالده.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠]:

أي يقول بلسانه دون أن يواطىء هذا القول قلبه. سأل رجل الحسن: يا أبا سعيد، أمؤمن أنت؟! فقال له: «الإيمان إيمانان، فإن كنت تسألني عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والجنة والنار والبعث والحساب فأنا به مؤمن. وإن كنت تسألني عن قول الله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ...﴾ إلى قوله: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾، فوالله ما أدري أنا منهم أم لا».

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠]:

قال مجاهد: «نزلت في ناس من المنافقين بمكة، كانوا يؤمنون، فإذا أُوذوا رجعوا إلى الشرك».

﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ [العنكبوت: ١١]:

لا ذكر هنا للكفار، فليس أخطر على المسلمين من المنافقين.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ﴾ [العنكبوت: ١٢]:

قال الزمخشري: «ورى في المتسمين بالإسلام من يستن بأولئك فيقول لصاحبه - إذا أراد أن يشجعه على ارتكاب بعض العظائم - افعل هذا وإثمه في عتقي، وكم من مغرور بمثل هذا الضمان من ضعفه العامة وجهلهم».

﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَاهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣]:

القاعدة المطردة ألا تزر وزر أخرى إلا هنا، فتضاف إليهم أثقال أخرى، ربما لم يعرفوا شيئاً عنها، وكأنهم نسوا أو تناسوا ما خاطبوا به غيرهم: ﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطِيئَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [العنكبوت: ١٢].

﴿ فَلَيْتَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ [العنكبوت: ١٤]:

العام يطلق على الخصب والخير، والسنة تُطلق على الشدة والقحط... ٩٥٠ سنة قضاها نوح في شدة وقحط.

﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ [العنكبوت: ٢٢]:

أي ما أنتم بقادرين على أن تفلتوا من لقاء الله وحسابه، سواء كنتم في الأرض أو في السماء، وقال الفراء: ولا من في السماء بمعجزين الله فيها.

﴿ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ ﴾ [العنكبوت: ٢٤]:

متى يلجأ الظلمة إلى استعمال القوة؟! قال ابن كثير: «قام عليهم البرهان، وتوجهت عليهم الحجة، فعدلوا إلى استعمال جاههم وقوة ملكهم».

﴿ فَمَنْ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي ﴾ [العنكبوت: ٢٦]:

هذه أول هجرة في الدين، ويُستفاد منها أن الإنسان إذا لم يجد في بلده سبيلاً لإقامة دين الله وعبادته، فالأولى له أن يهاجر.

﴿ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [العنكبوت: ٢٧]:

قال القرطبي: «الصالح في الآخرة هو الفائز».

قال معاوية بن قرة: «اللهم إن الصالحين أنت أصليحتهم ورزقتهم أن عملوا بطاعتك فرضيت عنهم، اللهم كما أصليحتهم فأصليحنا، وكما رزقتهم أن عملوا بطاعتك فرضيت عنهم، فارزقنا أن نعمل بطاعتك، وارض عنا».

﴿ أَيْنَكُمْ لَتَأْتُواكَ الرِّجَالُ وَتَقَطُّعُونَ السَّبِيلَ ﴾ [العنكبوت: ٢٩]:

مع فداحة جريمة قوم لوط ذكر قطع الطريق معها، لأن إيذاء الناس كبيرة من الكبائر.

﴿ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ ﴾ [العنكبوت: ٤٠]:

الذنوب سبب الإهلاك، ولا عقوبة بغير سبب.

لن يؤاخذك الله بذنب غيرك، فاشتغل بذنوبك عن ذنوب غيرك.

قال ابن تيمية: «ومن ظن أن الذنوب لا تضره - لكون الله يحبه - مع إصراره عليها كان بمنزلة من زعم أن تناول السم لا يضره مع مداومته عليه!»

ولو تدبر الأحق ما قصَّ الله في كتابه من قصص أنبيائه، وما جرى لهم من التوبة والاستغفار، وما أصيبوا به من أنواع البلاء الذي فيه تمحيص لهم، وتطهير؛ علم بعض ضرر الذنوب بأصحابها، ولو كان أرفع الناس مقامًا.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ [العنكبوت: ٤١]:

قال صاحب الكشاف: «الغرض تشبيه ما اتخذوه متكلاً ومعتمداً في دينهم، بما هو مثلٌ عند الناس في الوهن وضعف القوة، وهو نسج العنكبوت، فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾، وكلُّ أحد يعلم وهن بيت العنكبوت؟ قلت: معناه: لو كانوا يعلمون أن هذا مثلهم، وأن أمر دينهم بالغ هذه الغاية من الوهن».

﴿كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ [العنكبوت: ٤١]:

علاقة هذا المثل بموضوع السورة أن الإنسان عند الفتن عليه ألا يلجأ إلى القوى الضعيفة الواهنة كاللجوء العنكبوت لبيت العنكبوت، بل يلجأ إلى الله القوي المتين، وكما تشابك خيوط العنكبوت وتعدد، فكذلك فتن الحياة متشابكة ومتعددة، لكن استعانة العبد بربه تبعد هذه الفتن، فتصبح واهية كبيت العنكبوت.

﴿وَذَلِكَ الْأَمْثَلُ نَصْرُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾

[العنكبوت: ٤٣]: في القرآن ثلاثة وأربعون مثلاً، لا يتدبرها إلا العالم، فمن العالم؟! تلا جابر بن عبد الله هذه الآية، ثم قال: «العالم الذي عقل عن الله أمره، فعمل بطاعة الله، واجتنب سخطه».

قال عمرو بن مَرْة: «أكره أن أمرَّ بمثل في القرآن فلا أعرفه؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَذَلِكَ الْأَمْثَلُ نَصْرُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾».

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]:

لو صلينا بحق، لا خفت كثير من المنكرات من حياتنا.

قال الحسن: «يا ابن آدم .. إنما الصَّلَاةُ التي تنهى عن الفحشاء والمنكر، فإن لم تنهك صَلَاتُكَ عَنِ الفحشاء والمنكر، فَإِنَّكَ لست تُصلي».

عن أبي هريرة قال: قيل: يا رسول الله .. إن فلانًا يصلي الليل كله، فإذا أصبح سرق! قال: «سينهاه ما تقول» السلسلة الصحيحة رقم: ٣٤٨٢.

﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]:

يقول ابن القيم: «إن أفضل أهل كل عمل أكثرهم فيه ذكراً لله عز وجل، فأفضل الصَّوَامِ أكثرهم ذكراً لله عز وجل في صومهم، وأفضل المتصدقين أكثرهم ذكراً لله عز وجل، وأفضل الحجاج أكثرهم ذكراً لله عز وجل، وهكذا في سائر الأعمال».

قال ابن عباس وابن مسعود: «ذكر الله لكم أكبر من ذكركم له في عبادتكم وصلواتكم، وهو ذاكر من ذكره».

قيل لسلمان الفارسي: أي الأعمال أفضل؟ فقال: ألا تقرأ القرآن؟! ألم تقرأ:

﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]:

قال ابن تيمية: «الصحيح في معنى الآية أن الصلاة فيها مقصودان عظيمان، أحدهما أعظم من الآخر، فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، وهي مشتملة على ذكر الله تعالى، ولما فيها من ذكر الله أعظم من نهىها عن الفحشاء والمنكر».

﴿أَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]:

في هذه الآية بيان زاد الاتقياء في طريق المحن والبلاء، وهي تلاوة القرآن والصلاة وذكر الله.

الجزء الحادى العشرون

من سورة العنكبوت الآية ٤٦

إلى سورة الأحزاب الآية ٣٠

عدد الفوائد ٧٩

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦]:

إذا كان الله قد أمرك ألا تجادل أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن، فما بالك بأخيك المسلم؟ أليس أولى بإحسانك؟!

﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]:

حفظ القرآن! قال الحسن: «أعطيت هذه الأمة الحفظ، وكان من قبلها لا يقرؤون كتابهم إلا نظراً، فإذا أطبقوه لم يحفظوا ما فيه إلا النيون».

﴿أُولَئِكَ يَكْفِيهِمْ أَنَّا نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥١]:

القرآن كنز! قال ابن تيمية: «كل علم دين لا يطلب من القرآن فهو ضلال».

القرآن كفاية كل محتاج، ولا يكفيك ويروي روحك إلا القرآن!

﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٥]:

آية جمعت بين العذاب الحسى والعذاب المعنوي، فالحسى أن النار تغشاهم من جميع الجهات، والمعنوي هو التقرير والتهديد والتوبيخ في قوله: ﴿ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٩]:

جاء الفعل (صبروا) ماضياً من باب البشارة للمؤمنين، كأن العذاب والشدة أمر قد مضى، وأن المستقبل مشرق وآمن، بينما جاء الفعل (يَتَوَكَّلُونَ) مضارعاً؛ لأن التوكل في حياة المسلم أمر متجدد كل يوم، فلا يعمل المسلم عملاً مهادقاً أو عظم إلا متوكلاً على الله سبحانه.

قال الشيخ السعدى فى تفسير هذه الآية:

«وبذلك تنجح أمورهم وتستقيم أحوالهم، فإن الصبر والتوكل ملاك الأمور كلها، فما فات أحداً شيء من الخير إلا لعدم صبره وبذل جهده فيما أريد منه، أو لعدم توكله واعتماده على الله».

﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٩]:

قدم الجار والمجرور ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ﴾؛ لقصر التوكل على الله، فهم لا يتوكلون إلا على الله سبحانه، وجاء التعبير بـ ﴿رَبِّهِمْ﴾؛ لأن الرب هو الراعى والخالق والرازق، فناسب الأمر سياق التوكل.

قال سعيد بن جبیر: «التوكل على الله جماع الإيمان، وكان يدعو: اللهم إني أسألك صدق التوكل عليك، وحسن الظن بك».

قال بعض الحكماء: «التوكل على ثلاث درجات، أولاها: ترك الشكاية، والثانية: الرضى، والثالثة: المحبة، فترك الشكاية درجة الصبر، والرضى سكون القلب بما قسم الله له، وهي أرفع من الأولى، والمحبة أن يكون حبه لما يصنع الله به، فالأولى للزاهدين، والثانية للصادقين، والثالثة للمرسلين».

﴿وَكَايْنٍ مِّن دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ [العنكبوت: ٦٠]:
وكأين: للتكثير، فإن أكثر الحيوانات لا تحمل رزقها، ولا تقوم بتخزينه كما يفعل الإنسان، ومع هذا فقد ضمن الله لها رزقها طوال عمرها، فاهداً أيها الإنسان ولا تضطرب.

قال ابن جزى: «والقصد بالآية: تقوية لقلوب المؤمنين، إذ خافوا الفقر والجوع فى الهجرة إلى بلاد الناس: أي كما يرزق الله الحيوانات الضعيفة، كذلك يرزقكم إذا هاجرتكم من بلدكم».

﴿وَلَيْتَ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤]:

قال مجاهد فى تفسيرها: «لا موت فيها».

الدنيا حلم، والموت انتباه من هذا النوم، ومع الموت بدء الحياة الحقيقية، والعيش بكماله ودوامه.

﴿وَيَخْطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧]:

كان الرجل من السلف الصالح يبلغه موت أخ من إخوانه فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون.. كَذْتُ والله أن أكون أنا السواد المَخْطَفُ، فيزيده الله بذلك جدًّا واجتهادًا.

جاء رجل إلى الفضيل بن عياض فقال له: أوصني. قال: هل مات والداك؟ قال: نعم، فقال: فَقُمْ عَنِّي، فإن من يحتاج إلى من يعظه بعد موت والديه لا تنفعه موعظة.

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]:
قال أبو سليمان الداراني: «ليس الجهاد في الآية قتال الكفار فقط بل هو نصر الدين، والرد على المبطلين، وقمع الظالمين، وعظمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنه مجاهدة النفوس في طاعة الله، وهو الجهاد الأكبر».

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]:

قال سفيان بن عيينة لابن المبارك: «إذا رأيت الناس قد اختلفوا فعليك بالمجاهدين وأهل الثغور، فإن الله تعالى يقول: ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ﴾».

أبشروا! قال السعدي: «كل من اجتهد في الخير هداه الله الطريق الموصلة إليه، سواء أكمل ذلك العمل، أو حصل له عائق عنه».

قال ابن القيم: «كثرة المزاوالت تُعطي الملكات، فتبقى للنفس هيئة راسخة وملكة ثابتة».

سورة الروم

﴿ غَلِبَتِ الرُّومُ ﴾ فِي آدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿١﴾
يُضَعِّعُ سِنِينَ ﴿٢﴾ [الروم: ٢، ٣]:

عن نيار بن مكرم الأسلمي: لما نزلت: ألم غلبت الروم خرج بها أبو بكر إلى المشركين، فقالوا: هذا كلام صاحبك، قال: الله أنزل هذا وكانت فارس قد غلبت الروم، فاتخذوهم شبه العبيد، وكان المشركون يحبون أن لا تغلب الروم فارس؛ لأنهم أهل جحود وتكذيب بالبعث، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس؛ لأنهم أهل كتاب وتصديق بالبعث، فقالوا لأبي بكر: نراهنك على أن الروم لا تغلب فارس، قال أبو بكر: البضع ما بين الثلاث إلى التسع، قالوا: الوسط في ذلك ستة لا أقل ولا أكثر، قال: فوضعوا الرهان، وذلك قبل أن يحرم الرهان، فرجع أبو بكر إلى أصحابه فأخبرهم الخبر، فقالوا: بشئ ما صنعت، ألا أقررتها كما قال الله: لو شاء الله أن يقول سنّا لقال، فلما كانت سنة ست لم تظهر الروم على فارس، فأخذوا الرهان، فلما كان سنة سبع ظهرت الروم على فارس، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَقَرِّحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ * يَنْصُرُ اللَّهُ ﴿١﴾

﴿ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ﴾ [الروم: ٤]:

وعى أبو بكر الدرس، وجاء يوم الحديبية، ويُعلن النبي ﷺ وعده بالاعتبار، ويستبشر المسلمون، لكن جاء المنع من أئمة الكفر، ثم كان صلح الحديبية، ولا عمرة إذن هذا العام! فصاح الفاروق: أليس كان يُحَدِّثُنَا أَنَا سنأتي البيت ونطوف به؟! فيجيبه أبو بكر بعد أن وعى الدرس: أفأخبرك أنك تأتيه العام؟! فأجاب عمر نافيًا التحديد، وهنا يصدع بها أبو بكر ﷺ: «إِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَوِّفٌ بِهِ»، وهكذا يجب أن يكون التصديق بالوعد واليقين بوقوعه ولو بعد حين، دون تحديد ما لم يُحَدِّدْ الله، وعدم التآلي على الغيب، أو تضيق واسع، أو القطع بما لا تعلم.

لم أورد الله هذه الآية بعد ذكر المعركة بين فارس والروم؟! قال السعدي: «فليس الغلبة والنصر لمجرد وجود الأسباب، وإنما لا بد أن يقرن بها القضاء والقدر».

﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ﴾ [الروم: ٧].

قال الحسن: «إن أحدهم لينقر الدرهم بطرف ظفره فيذكر وزنه ولا يخطئ، وهو لا يحسن أن يصلي».

ليس الذم هنا للإحاطة بعلوم الدنيا، وإنما لسهوهم عن الآخرة، وجهلهم بها، وعدم تفكرهم فيها، أو العمل لها.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [الروم: ٢١].

ترى الدكتورة عائشة بنت الساطي أن كلمة زوج تأتي حيث تكون الزوجية هي مناط الموقف: حكمة وآية، أو تشريعاً وحكماً، كما في هذه الآية، فإذا تعطلت آيتها من السكن والمودة والرحمة، بخيانة أو تباين في العقدية، فامرأة لا زوج، كما في حالة امرأة العزيز لأنها خاتنه، وامرأة نوح وامرأة لوط لخيانتهما، وامرأة فرعون، وقد تعطلت آية الزوجية بينهما بإيمانها وكفره.

وتوالي الدكتورة عائشة عبد الرحمن استقراء مواطن اختلاف الدلالة بين لفظتي الزوج والمرأة، مينة أن عنصر الإنجاب عامل آخر لاستخدام لفظ الزوج دون لفظ المرأة، كما تضرع زكريا لربه قائلاً: ﴿وَكَانَتْ أُمْرَاتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٥]، فلما استجاب الله له، وحققت الزوجية حكمته كانت الآية: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ، يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ، زَوْجَهُ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، فحتى تحظى المرأة بلقب الزوجة، لا بد أن تكون هذه العلاقة قد توطدت بالتآلف الفكري والنفسي والحسي، وذلك بأن تكون قد أنجبت له، وعلى دينه، وذات وفاء له، فإن اختل عنصر واحد من هذه العناصر كانت (امرأة) لا (زوج).

﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

قال ابن القيم في روضة المحبين: «وأما الود فهو خالص الحب والطفه وأرقه، وهو من الحب بمنزلة الرأفة من الرحمة».

﴿وَأَخْلَفَ لِسَانَكُمْ وَأَلْوَنَكُمْ﴾ [الروم: ٢٢]:

قال القرطبي: «اللسان في الفم، وفيه اختلاف اللغات: من العربية والعجمية والتركية والرومية. واختلاف الألوان في الصور: من البياض والسواد والحمرة، فلا تكاد ترى أحدا إلا وأنت تفرق بينه وبين الآخر. وليس هذه الأشياء من فعل النطفة ولا من فعل الأبوين، فلا بد من فاعل، فعلم أن الفاعل هو الله تعالى، فهذا من أدل دليل على المدبر الباري».

﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْتَكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم: ٢٨]:

قال الإمام القرطبي: «قال سبحانه: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ فيجب أن يقولوا: ليس عبيدنا شركاءنا فيما رزقنا، فيقال لهم: فكيف يتصور أن تزهوا أنفسكم عن مشاركة عبيدكم، وتجعلوا عبيدي شركائي في خلقي، فهذا حكم فاسد، وقلة نظر وعمى قلب!! فإذا أبطلت الشراكة بين العبيد وساداتهم فيما يملكه السادة، والخلق كلهم عبيد الله تعالى، فيبطل أن يكون شيء من العالم شريكا لله تعالى في شيء من أفعاله».

﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ [الروم: ٣٠]:

من الحنيف، وهو الميل من الباطل إلى الحق، وضده الجَنَفُ، أي اثبت على ما أنت عليه من الحق، ولا تلتفت عنه إلى غيره.

قال صاحب الكشف: «أي فقوِّم وجهك له وعدِّله، غير ملتفت عنه يمينا أو شمالا، وهو تمثيل لإقباله على الدين واستقامته عليه وثباته، واهتمامه بأسبابه، فإن من اهتم بالشيء عقد عليه طرفه، وسدَّ إليه نظره، وقوِّم له وجهه، مقبلا به عليه»، فهل هذا اهتمامك بدينك؟!

﴿وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الروم: ٣٦]:

تنبه مهم إلى أن ما يصيبنا من مصائب سببه أفعالنا، فما علينا إلا محاسبة أنفسنا على السيئات، واستدراك ما فات، لكي يرفع الله عنا ما نزل من بلاء، وينجيننا من القنوط والإحباط.

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي
عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]:

(بعض) الذي عملوا؛ لو أذاقهم الله جميع ما عملوا ما ترك على ظهرها من دابة!

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]:

هدف الابتلاءات ردُّ الشاردين إلى رحاب الله، وجذب الغافلين إلى روضة الطاعة.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ [الروم: ٤٢]:

تستطيع أن تسير في الأرض وأنت واقف! فالسير في الأرض سيران: سيرٌ بالأقدام
لمشاهدة آثار السابقين، وسير القلوب بالتفكير في أحوال الظلمة والمعاندين.

﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ [الروم: ٤٤]:

الكفار لا يضررون إلا أنفسهم، وذلك بأعظم الضرر! قال صاحب الكشاف:
«قوله فعليه كُفْرُهُ كلمة جامعة لما لا غاية وراءه من المضار؛ لأن من كان ضاره
كفره، فقد أحاطت به كل مضرة».

﴿فَلَا أَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ [الروم: ٤٤]:

والمهاد: الفراش، ومنه مهاد الصبى أي فراشه، والجملة تصوير رائع للشار
الطيبة للعمل الصالح في الدنيا، فصاحبه قد مهّد لنفسه مكانًا مريحًا في كل منازل
الآخرة، بدءًا من القبر ووصولًا لساحة الحشر، حتى يبلغ الجنة.

﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [الروم: ٤٥]:

قال ابن كثير: «ومع هذا فهو العادل فيهم الذي لا يجوز».. كم دفعنا كراهية
البعض إلى ظلمهم!

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعِفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعِفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ

بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم: ٥٤]:

الطفل = ضعف، والوالدان عند الكبر = ضعف + شيبه، فوالداك عند الكبر أشد
ضعفًا من الأطفال؛ لذا يحتاجان رعايتك أكثر من أولادك.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لِيُثْبِتُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الروم: ٥٥]:

الدنيا كلها في جوار الآخرة ساعة، فكيف بعثم خلود الآخرة بتعيم ساعة، وليته كان نعيمًا خالصًا، بل معه تنغيص وهموم وأحزان وغموم!

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ [الروم: ٦٠]:

لماذا الصبر؟ لأن وعد الله لك بالنصرة وإظهار الدين وإعلاء كلمة الحق محقق، ولا بد من إنجاز الوفاء به لا محالة! وهذا هو زاد الصبر إن أوشك صبرنا على النفاد!

سورة الروم سورة مكية، والجهاد لم يؤذن به في مكة، فما هو إلا الصبر، يأمر الله به رسوله، ويأمر به رسوله الناس!

خُتِمَتِ السورة بالوعد بالنصر، كما افتُتِحَت بالوعد به، فسورة الروم هي مبشرة المؤمنين، ونازعة القلق من قلوب المصلحين، وهي من أهم جرعات اليقين!

﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ [الروم: ٦٠]:

قال السعدي: «أي لا شك فيه، وهذا مما يعين على الصبر، فإن العبد إذا علم أن عمله غير ضائع، بل سيجده كاملاً هان عليه ما يلقاه من المكاره، ويسر عليه كل عسير، واستقل من عمله كل كثير».

﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠]:

أي لا تضطرب لكلامهم، ولا تقلق، ولا يذهب عقلك بسبب ما يصنع هؤلاء المجرمون، ولا تتسرع في قرارك، ولا تخرج عن طبعك وهدوئك ولا عن إيمانك، بل ثق في وعدنا، واطمئن لقضائنا!

سورة لقمان

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾ [لقمان: ٦]:

خطورة عمل القلب! قال قتادة: «والله لعله أن لا ينفق فيه مالا، ولكن اشتراؤه استحبابه، بحسب المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحق، وما يضر على ما ينفع».

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ [لقمان: ١٢]:

الحكمة منحة ربانية وهدية إلهية، وليست بالضرورة عن كبر سن، ولكن عطاء الله يعطيه من يشاء من عباده، فادع الله بالحكمة.

﴿يَبْنِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]:

من وسائل التربية أنك إذا أمرت أحدا بأمر أن تبين له سببه، فهذا أدعى لقبول الأمر منك!

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] شق ذلك على المسلمين، فقالوا: يا رسول الله، أين لا يظلم نفسه؟ قال: «ليس ذلك إنما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه: يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم» صحيح البخاري رقم: ٣٤٢٩.

قال رسول الله ﷺ: «الظلم ثلاثة: فظلم لا يغفره الله، وظلم يغفره، وظلم لا يتركه، فأما الظلم الذي لا يغفره الله، فالشرك. قال الله: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، وأما الظلم الذي يغفره، فظلم العباد أنفسهم فيما بينهم وبين ربهم عز وجل، وأما الظلم الذي لا يتركه، فظلم العباد بعضهم بعضا حتى يقص بعضهم من بعض» صحيح الجامع رقم: ٣٩٦١ والصحيحة رقم: ١٩٢٧.

﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَا ذِكُّكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤]:

قال سفيان بن عيينة عن هذه الآية: «من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله، ومن دعا للوالدين في أدبار الصلوات الخمس فقد شكر الوالدين».

﴿يَسْتَفِي أَقْدِرَ الصَّلَاةِ وَأَمْرًا بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ [لقمان: ١٧]: لا بد مع الدعوة إلى الله من أذى ينال الداعي، ولا يُدفع الأذى إلا بالصبر!

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ [لقمان: ١٨]:

قال ابن عباس: «ولا تكبر؛ فتحقر عباد الله، وتعرض عنهم بوجهك إذا كلموك»، ولو مع عامل النظافة أو المتسول في الطرقات.

﴿وَأَسْبَغْ عَلَيْكُمْ نِعْمَةً ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠]:

النعم دنيوية وأخروية:

فالدنيوية الظاهرة: الصحة والمال والعيال والأموال وحسن الخلقة، والدنيوية الباطنة: ستر عيوبك وقبيح أحوالك التي تكره أن يطلع عليها الناس. والأخروية الظاهرة: الإسلام والقرآن، والأخروية الباطنة: ما ستر من عيوبك وأخفى من ذنوبك

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [لقمان: ٢٠]:

كلما قل (العلم) زاد (الجدال).

﴿قَالُوا بَلْ نَنْبَغُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ [لقمان: ٢١]:

كم أضاع التقليد الأعمى وتعطيل العقل أجيالاً من المسلمين!

قال علي عزت بيجوفيتش: «حين نعلم الإنسان التفكير، فإننا نحزّره، وحين نلقّنه فإننا نضمّمه للقطيع».

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧]:

لو اجتمعت مواهب أهل العلم والبلاغة والفصاحة أولهم وآخرهم على قلب رجل واحد لَيُوفُوا هذه الآية حقّها من بيان وبلاغة لما استطاعوا!

أَيُّ لَوْ أَنَّ أَشْجَارَ الْأَرْضِ كَلِمَاتٌ بِلُغَتِكُمْ، وَصَارَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَهَا، وَبُيِّنَتْ سَبْعَةُ أَبْحَرٍ أُخْرَى، وَكُتِبَ بِتِلْكَ الْأَقْلَامِ ذَلِكَ الْمَدَادُ كَلِمَاتُ اللَّهِ مِنْ عِلْمِهِ وَحُكْمِهِ، لَتَكَسَّرَتْ تِلْكَ الْأَقْلَامُ، وَلَنَفِدَ ذَلِكَ الْمَدَادُ، وَلَمْ تُنْفَذْ كَلِمَاتُ اللَّهِ التَّامَّةُ الَّتِي لَا تُحِيطُ بِهَا أَحَدٌ.

﴿وَلَا يَغُرُّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣]:

والغُرور بفتح الغين: هو ما غرَّ الإنسان من شيء كائنًا ما كان، شيطانًا كان أو إنسانًا، أو دنيا. قال الضحاك ومجاهد: ﴿الْغُرُورُ﴾: الشيطان. قال سعيد بن جبير: «أن تعمل بالمعصية وتتمنى المغفرة».

﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤]: هذه الخمسة هي مفاتيح الغيب، ففي صحيح البخاري: «مفاتيح الغيب خمسة، ثم قرأ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾».

سورة السجدة

﴿إِذَا الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ [السجدة: ١٢]: سمعوا وأبصروا، لكن للأسف! في الوقت الضائع، وبعد فوات الأوان!

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]:

قال الحسن: «أخفى قوم عملهم، فأخفى الله لهم ما لم تر عين، ولم يخطر على قلب بشر».

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ آيَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ [السجدة: ٢٤]:

مثل سفيان عن قول علي رضي الله عنه: الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فقال: ألم تسمع قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ آيَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾، فقال:

لما أخذوا برأس الأمر صاروا رؤوسًا.

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾

[السجدة: ٢٤]: ضَرَبَ أَبُو الدرداء مثلاً للصبر واليقين فقال: «مَثَلُ الْيَقِينِ وَالصَّبْرِ مَثَلُ قَدَّائِسَ يَخْفِرَانِ الْأَرْضَ، فَإِذَا جَلَسَ وَاحِدٌ جَلَسَ الْآخَرُ».

﴿وَقُولُوا مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [السجدة: ٢٨]:

يستعجل المجرمون العذاب، ويتعاملون معه باستخفاف، وهذا واضح من ذكر اسم الإشارة (هذا) قبل ذكر الفتح.

﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ [السجدة: ٢٩]:

في الآية توجيهان من الله إلى طريقة التعامل مع المستخفين بالنصر الإلهي الذي وعده الله للمؤمنين:

الأول: عدم تعيين يوم الفتح في الدنيا، فأنا واثق في الوعد الإلهي، ولا أشغل نفسي بالموعد الزماني.

الثاني: ترك الحديث عن الفتح الدنيوي، والعدول عنه إلى بيان الفتح الحقيقي وهو يوم القيامة.

سورة الأحزاب

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ١]:

يغضب أحدنا إذا قيل له اتقِ الله؛ وكأنها انتقاص أو اتهام، وقد قالها الله تعالى لسيد الخلق ﷺ.

﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤]:

الأدعياء جمع دعِيٍّ، وهو الذي يدعى أن فلاناً ولده وليس بولده، وسيبها هو أمر زيد بن حارثة، وذلك أنه كان فتى سباه بعض العرب، وباعه لخديجة، فوهبته للنبي ﷺ فتبناه، فكان يُقال له زيد بن محمد حتى نزلت هذه الآية، والتي أبطل الله بها التبني.

﴿وَأَرْوِّجُهُمْ فِي الْأَحْزَابِ﴾ [الأحزاب: ٦]

قال القرطبي: «أي في وجوب التعظيم والمبرة والإجلال، وحرمة النكاح على الرجال».

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: ٩]

جنود لا نراها، تدفع عنا ما نكره، دون أن نعلم عنها شيئاً، وهذا من أجل معاني اللطف الإلهي.

﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾ [الأحزاب: ١٣]

قائمة أعداء المنافق لا تنتهي، وكلما زاد اعتذار المرء عن أعمال الخير ومواطن الأجر، اقترب من أرض النفاق!

﴿أُولَئِكَ لَمْ يَزُمُوا فَاحْبِطْ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ﴾ [الأحزاب: ١٩]

قال صاحب الكشاف: «وهل يثبت للمنافقين عمل حتى يُردَّ عليه بالإحباط؟

قلت: لا، لكنه تعليم لمن عسى يظن أن الإيمان باللسان إيمان، وإن لم يواطئه القلب، وأن ما يعمل المنافق من الأعمال مجدي، فبيّن أن إيمانه ليس بإيمان، وأن كل عمل يوجد منه باطل، وفيه حثٌّ على إتقان المكلف أساس أمره وهو الإيمان الصحيح، وتنبية على أن الأعمال الكثيرة من غير تصحيح المعرفة كالبناء من غير أساس، وأنها مما يذهب عند الله هباءً منثوراً».

﴿سَلَفُوكُمْ بِالْأَيِّنِ جِدَادٍ﴾ [الأحزاب: ١٩]

عملية (السلق) هي وصف الله لعمل السنة المنافقين في المؤمنين، فلا تتعجبوا إذا قابلتم سلاطة السنة المنافقين وجدة كلماتهم.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]

جاءت ﴿أُسْوَةٌ﴾ نكرة لتفيد الاقتداء به في عموم أفعاله وأحواله وأخلاقه وعباداته ومعاملاته ﷺ! من هو مثلك الأعلى؟

هل لي أن أسألك في ضوء هذه الآية: من هو قدوتك ومثلك الأعلى؟ في الحديث: «انتسب رجلان على عهد موسى فقال أحدهما: أنا فلان ابن فلان حتى عد تسعة فممن أنت لا أم لك؟ قال: أنا فلان ابن فلان ابن الإسلام، فأوحى الله إلى موسى أن قل لهذين المتسبين: أما أنت أيها المتسبب إلى تسعة في النار فأنت عاشرهم في النار، وأما أنت أيها المتسبب إلى اثنين في الجنة فأنت ثالثهما في الجنة» صحيح الجامع رقم: ١٤٩٢.

﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣]:

سبب نزولها:

نزلت في أنس بن النضر حيث لم يشهد مع رسول الله ﷺ يوم بدر، فشق ذلك عليه وقال: لئن أراي الله مشهداً فيما بعد مع رسول الله ﷺ ليرين الله ما أصنع، فاستقبل سعد بن معاذ يوم أحد قائلاً: وأما لريح الجنة، أجدها دون أحد، فقاتلهم حتى قُتل، فمن شدة جراحاته قالت أخته الربييع ابنة النضر: فما عرفتُ أخي إلا بينانه! فنزلت هذه الآية.

﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣]:

من علامات صدق العبد الثبات وعدم التبديل، فالزلل بعد الثبات من قلة الصدق.

﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [الأحزاب: ٢٣]:

باب التوبة مفتوح لكل حتى المنافقين، فلا تغلقه في وجه أحد، ولتكن هداية المجرمين أحب إليك من عذابهم، وتوبتهم أحب إليك من عقابهم.

الجزء الثاني والعشرون

من سورة الأحزاب الآية ٣١ إلى سورة يس الآية ٢٧ عدد الفوائد ٩٩

﴿إِنْ أَتَقَيْنَ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾ [الأحزاب: ٣٢]:

كلما زادت التقوى اختفى خضوع النساء بالقول، وما رقت امرأة صوتها لرجل إلا لقلّة تقواها.

﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢]:

والمرض هنا هو شهوة الزنى والفجور، فإن صاحبها مستعد متربص، ينتظر أدنى إشارة ليتحرك، فأدنى سبب يدعوّه إلى الحرام يحببه، ومن ذلك خضوع المرأة بالقول.

﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: ٣٢]:

قال السعدي: ولما نهاهن عن الخضوع في القول، فربما توهم أنهن مأمورات بإغلاظ القول، دفع هذا بقوله: ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ أي: غير غليظ ولا جاف كما أنه ليس بليّن خاضع.

﴿وَلَا تَبْرَحْنَ تَبْرِجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣]:

تبرج المرأة ارتداد ورجعية إلى عصور الجاهلية، قبل أن تعرف البشرية ستر العورات، واليوم انقلبت الموازين، فصار العري تحضراً، والحجاب تحلقاً!

﴿وَالذَّكِرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّكِرَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]:

لم يأت الأمر بالذكر إلا بالكثرة، فهذه الكثرة هي علامة الإيمان، وإلا فإن المنافق أيضاً يذكر الله لكن قليلاً.

سئل الإمام أبو عمرو ابن الصّلاح عن القَدْر الذي يصير به العبد من **﴿وَالذَّكِرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾**، فقال: «إذا واطب على الأذكار الماثورة المثبتة صباحًا ومساءً، وفي الأوقات والأحوال المختلفة، ليلاً ونهاراً، وهي مُبَيَّنَةٌ في كتاب: عمل اليوم والليلة، كان من **﴿وَالذَّكِرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾**».

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]:

كلما زاد إيمانك زادت ثقتك بحسن اختيار الله ورسوله، ورأيت أنه الأفضل والأصلح لك دنيا وآخرة.

والخير أجمعُ فيما اختار خالقنا وفي اختيار سواه اللؤم والشؤم

الاعتراض على حكم الله وعدم الانقياد لأمره هو قرع لباب الشّرك، فمن لم يتب منه في الحال وقع في ما هو أخطر.

روى أبو نُعيم في الحلية عن الشافعي أنه أتاه رجل، فسأله عن مسألة فقال: قضى رسول الله ﷺ بكذا وكذا، فقال الرجل للشافعي: ما تقول أنت؟ فقال الشافعي: سبحان الله! أتراني في كنيسة؟ تراني في بيعة؟ تراني على وسطي زناراً؟ أقول: قضى رسول الله ﷺ كذا وكذا وأنت تقول لي: ما تقول أنت؟!

﴿وَتَخَشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧]:

نخاف من الناس أكثر من خوفنا من الله. وفي الحديث: «أوصيك أن تستحي من الله تعالى كما تستحي من الرجل الصالح من قومك». صحيح الجامع رقم: ٢٥٤١.

﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾ [الأحزاب: ٣٧]:

إن الله عز وجل لما منع زيدا من ذلك الشرف الذي شَرّفه الله به بكونه كان يُدعى زيد بن محمد، فعوّضه عن هذا بأن ذكر اسمه صراحة في القرآن، قال الله: **﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾** [الأحزاب: ٣٧]، وكذلك ريك إذا سلب عبداً نعمة فصبر، عوّضه الله عز وجل بأحسن منها.

﴿زَوْجَتُكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧]:

كانت زينب بنت جحش تفتخر على أمهات المؤمنين أن أهاليهن زوجوهن، وأن الله جل وعلا زوجها من فوق سبع سموات.

﴿لَيْكُنْ لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾

[الأحزاب: ٣٧]: أي: السبب في ذلك لكي يزول هذا الحكم الباطل، وهذه البثوة الباطلة، وهذا الأثر الذي لا يكفي فيه القول، بل لا بد من التمثيل بمثال عملي.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١]:

قال كعب: «من أكثر ذكر الله برئ من النفاق».

كُلَّمَا زَادَ الْإِيمَانَ، زَادَ ذَكَرَ اللَّهَ، وَكُلَّمَا ضَعُفَ الْإِيمَانُ قَلَّ الذِّكْرُ، وَاقْتَرَبَ الْعَبْدُ مِنْ سَاحَةِ النِّفَاقِ.

قال مجاهد: «لا يكون الرجل من الذاكرين الله كثيرًا حتى يذكر الله قائمًا وقاعدًا ومضطجعًا».

الذكر الكثير أن تقوم الليل مصليًا مع زوجتك تعينها وتعينك. قال رسول الله ﷺ: «من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته، فصلًا ركعتين كُتِبَا مِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ» صحيح الجامع رقم: ٦٠٣٠

قال أبو عثمان الحيري: «الذكر الكثير أن تذكر في ذكرك له أنك لا تصل إلى ذكره إلا به وبفضله».

﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٦]:

وصف الله القمر فقال: ﴿وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١]، ووصف الشمس فقال: ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾، لكنه حين وصف الحبيب ﷺ جمع بين الوصفين فقال: ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٦].

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب: ٤٧]:

سيروا على خطى الحبيب، بشِّروا ولا تنفِّروا، يسِّروا ولا تعسِّروا، نفاءلوا ولا تشاءموا، وكونوا مفاتيح خير مغاليق شر.

﴿وَيُبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٧]:

قال ابن عطية: «قال لنا أبي رضي الله عنه: هذه من أرجى آية عندي في كتاب الله تعالى؛ لأن الله تعالى أمر نبيه أن يبشر المؤمنين بأنَّ لَهُمْ عنده فَضْلًا كَبِيرًا، وقد بين تعالى الفضل الكبير ما هو في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [الشورى: ٢٢]، فالآية التي في هذه السورة خير، والتي في حم عسق تفسير لها».

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا﴾ [الأحزاب: ٤٩]:
هذا دليل على أن ليس للمطلقة قبل الدخول بها عِدَّة.

﴿وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤٩]:

حسن الخلق عملة نادرة لا تظهر إلا وقت الخلاف. قال القشيري: «لا تذكروهن بعد الفراق إلا بخير، ولا تستردوا منهن شيئا تخلفتم به معهن، فلا تجمعوا عليهن الفراق بالخال والإضرار من جهة المال».

﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَتِكَ﴾ [الأحزاب: ٥٠]:
قوله: ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ﴾ ذكره مفردًا، وقال: ﴿وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ﴾ فذكرهن جمعًا، وكذلك قال: وبنات خالك فردًا وبنات خالاتك جمعًا، فما الحكمة؟! قال ابن العربي: «والحكمة في ذلك أن العم والخال في الإطلاق اسم جنس كالشاعر والراجز، وليس كذلك في العمة والخالة، وهذا عرف لُغوي».

﴿ذَلِكَ كُمُ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣]:

يقول سيد قطب: «فلا يقل أحد غير ما قال الله!

لا يقل أحد إن الاختلاط وإزالة الحجب، والترخص في الحديث والمشاركة بين الجنسيتين أعوان على تصريف الغريزة المكبوتة.. إلى آخر مقولات الضعاف المهازيل

الجهال الحجوبين، لا يقل أحد هذا والله يقول ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَلُّوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣] يقول هذا عن نساء النبي الطاهرات، وعن رجال الصدر الأول من لا تتناول إليهن وإليهم الأعناق.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦]:

شاركتهم نفس الصلاة، وأطلق لسانك، وثقل ميزانك، ورسم إيمانك.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]:

في الحديث: «من صلى علي من أمتي صلاة مخلصاً من قلبه؛ صلى الله عليه بها عشر صلوات، ورفعه بها عشر درجات، وكتب له بها عشر حسنات، ومحاه عنه عشر سيئات» صحيح الجامع رقم: ٣٣٦٠

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦]:

يصلون فعل مضارع يفيد الاستمرار وعدم التوقف، فلماذا توقفتكم؟! صلوا عليه.

قال الرازي: «إذا صلى الله وملائكته عليه، فأى حاجة إلى صلاتنا؟

نقول: الصلاة عليه ليس لحاجته إليها، وإنما هو لإظهار تعظيمه كما أن الله تعالى أوجب علينا ذكر نفسه، ولا حاجة له إليه، وإنما هو لإظهار تعظيمه منا، رحمة بنا، ليحبنا عليه، ولهذا جاء في الحديث: «من صلى علي مرة، صلى الله عليه بها عشر».

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [الأحزاب: ٥٧]:

قال ابن جزي: «وليس معنى إذايته أنه يضره الأذى؛ لأنه تعالى لا يضره شيء ولا ينفعه شيء».

وقيل: إنها على حذف مضاف تقديره: يؤذون أولياء الله، والأول أرجح، لأنه ورد في الحديث يقول الله تعالى: «يشتمني ابن آدم وليس له أن يشتمني، ويكذبني وليس له أن يكذبني، أما شتمه إياي فقلوله: إن لي صاحبة وولداً، وأما تكذيبه إياي فقلوله: لا يعبدني كما بدائي» وأما إذاية رسول الله ﷺ، فهي التعرض له بما يكره من الأقوال أو الأفعال.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [الأحزاب: ٥٨]:

في الحديث: «من ضار أضر الله به، ومن شاق شق الله عليه»، وفي المقابل قال عمر ابن عبدالعزيز: ما رفق أحد بأحد في الدنيا إلا رفق الله به يوم القيامة.

﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلُوبُ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهِنَّ﴾

[الأحزاب: ٥٩]: هذه آية الحجاب، وأمر الله نبيه أن يبدأ بنسائه أولاً؛ لأن الأمر لغيره يجب أن يبدأ بنفسه.

﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُتَنَفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٠]:

قال الإمام القرطبي: «في الآية دليل على جواز ترك إنفاذ الوعيد، والدليل على ذلك بقاء المنافقين معه ﷺ حتى مات، والمعروف من أهل الفضل إتمام وعدهم وتأخير وعيدهم».

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٧]:

النفوس مجبولة على اتباع القوي.. الغني.. المشهور.. فإن كان صالحاً، وإلا فالملتقى جهنم!

﴿أَتَقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١]:

من طاب قوله حسن عمله.

قال يونس بن عبيد: «ما من الناس أحد يكون لسانه منه على بال إلا رأيت صلاح ذلك في سائر عمله».

سورة سبأ

﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾ [سبأ: ١]:

يظهر من حمد الله في الآخرة ما لا يظهر في الدنيا، بعد أن يرى كل الخلق كمال عدله وحكمته، فيحمدونه على ذلك.

﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ﴾ [سبأ: ٦]:

وعبر الله بكلمة يرى بدلاً من يعلم للإشارة للعلم اليقيني لا الظني، فكأنهم يرونه بأعينهم.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ [سبأ: ١٠]:

قال ابن عاشور: «وتنكير ﴿فَضْلًا﴾ لتعظيمه، وهو فضل النبوة، وفضل الملك، وفضل العناية بإصلاح الأمة، وفضل القضاء بالعدل، وفضل الشجاعة في الحرب، وفضل سعة النعمة عليه، وفضل إغنائه عن الناس بما ألهمه من صنع دروع الحديد، وفضل إيثائه الزبور، وإيثائه حسن الصوت، وطول العمر في الصلاح، وغير ذلك».

﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ [سبأ: ١٣]:

كيف أشكره؟! الشكر ثلاثة أركان: بالجوارح باستعمالها في مرضاة الله، واللسان بالشكر والحمد، والقلب بالمحبة والامتنان. قال الشاعر:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا

روي أن داود عليه السلام قال: يا رب.. كيف أطيق شكرك على نعمك، وإلهامي وقدرتي على شكرك نعمة لك، فقال: يا داود.. الآن عرفتني.

﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: ٢٠]:

لما توعد إبليس بني آدم بالغواية، لم يكن متيقنا أنه يقدر على ذلك، وإنما قال ذلك ظنا، فلما اتبعوه صدق عليهم ظنه فيهم. قال الحسن: إنه لم يسأل عليهم سيفا، ولا ضربهم بسوط، وإنما وعدهم ومناهم فاغتروا.

﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ﴾ [سبأ: ٢٣]:

هؤلاء الملائكة، وهذا يكون عند الوحي الإلهي إلى جبريل عليه السلام، فإن الملائكة إذا سمعوا الوحي إلى جبريل فزعوا فزعاً عظيماً، فإذا زال الفزع قال بعضهم لبعض: ماذا قال ربكم؟! فيقولون: قال الحق.

ومتى هذا؟! في كل وقت يقضي الله به أمراً كما في سنن الترمذي من حديث أبي هريرة وهو صحيح، قال: «إذا قضى الله في السماء أمراً».

﴿وَإِنَّا أَوْفِيَٰكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤]:

يساوي النبي ﷺ بين نفسه وبينهم في احتمالات الهداية والضلال.. تعلموا أدب الحوار وفن الدعوة وكيفية اكتساب القلوب.

قال الزركشي: «هنا نكتة هو أنه خولف في هذا الخطاب بين (على) و(في) بدخول (على) على الحق، و(في) على الباطل؛ لأن صاحب الحق كأنه على فرس جواد يركض به حيث أراد، وصاحب الباطل كأنه منغمس في ظلام لا يدري أين يتوجه».

﴿قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أُجْرَمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [سبأ: ٢٥]:

ما هذا اللطف في الدعوة؟! من الذي أجرم؟! إنهم المشركون، لكن النبي ﷺ يتسبب هذا لنفسه تطلقاً وتودداً!

﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ﴾ [سبأ: ٣٣]:

أَسْرَ من ألفاظ الأضداد، فيكون معناها الجهر ويكون معناها السر، أي: جهروا بالندامة، فأخذ بعضهم يوبخ بعضاً، وكفر الأتباع بالزعامات والسيادات وتبرأ الكبراء من الصغراء، ولن يفيدهم ذلك هيهات!

﴿قُلْ إِن رَّبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَيَقْدِرُ﴾ [سبأ: ٣٩]:

قال ابن جزري: «إخبار يتضمن الرد عليهم، بأن بسط الرزق وقبضه في الدنيا معلّق بمشيئة الله، فقد يوسع الله على الكافر وعلى العاصي، ويضيّق على المؤمن والمطيع، وبالعكس، فليس في ذلك دليل على أمر الآخرة».

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ [سبأ: ٣٩]:

قال ابن كثير: «يخلفه عليكم بالبدل، وفي الآخرة بالجزاء والثواب».

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَأَخَذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [سبأ: ٥١]:

وهذا الفرع للكافرين يكون عند خروجهم من قبورهم للبعث والحساب، أو عند قبض أرواحهم، وقوله ﴿فَلَا قُوَّةَ﴾ أي: فلا مهرب لهم ولا نجاة.

﴿وَقَالُوا ءَامَنَّا بِهِ. وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاقُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [سبأ: ٥٢]:

أنى لهم تناول الإيمان وتعاطيه، وقد صاروا في مكان بعيد عن الدنيا، فبالموت انتهى كل شيء، ورأوا ما كانوا يكفرون به رأي العين، فلم يعد هناك فرصة للإيمان، هيهات هيهات.

﴿وَجِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ: ٥٤]:

إذا تحسرت يوماً على أرباح ضائعة أو تجارة خاسرة؛ فاذاكر أشد الخسرات: حسرة أهل النار على ما فات من حسنات، وضاع من فرص النجاة، ثم اغتنم ما فات!

سورة فاطر

﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر: ٢]:

لو هربت من هذه الرحمة إلى جو السماء أو باطن الأرض لأدركتك!

من الأذكار الماثورة التي نقولها بعد كل صلاة: «اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد».

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦]:

التنبيه الإلهي على الخطر قبل وقوعه يُرَبِّي في النفس المناعة المطلوبة، ويحصنها ضد الأمراض لتأخذ نصيبها من المناعة اللازمة.

﴿فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦]:

فلا يحفز النفس على بذل غاية الجهد مثل الإحساس بالعداوة والصراع، ولا يستخرج منها أقصى ما تستطيع مثل الحرب، فهي آية تأمرنا برد العداوة بمثلها، وابتداء العدو بالهجوم قبل أن يفتربنا.

أمرٌ مُحِيف أن نتعامل مع عدوٍّ يَكُنُّ لنا أقصى مشاعر الحقد والعداوة والبغضاء، ولا يرضى لنا بأقل من النار؛ يرانا ولا نراه، تغفل عنه ولا يغفل عنا، ما هذا الطيش!

قال ابن القيم: «والأمر باتخاذ عدو أنتبه على استفراغ الوسع في محاربه ومجاهدته كأنه عدو لا يفتر [ولا يقصر] عن محاربة العبد على عدد الأنفاس».

﴿أَفَمِنْ زَيْنٍ لَهُ سَوْءٌ عَمَلِهِ فَرَّاهُ حَسَنًا﴾ [فاطر: ٨]:

كان من دعاء أبي بكر الصديق رضي الله عنه: «اللهم أرنا الحق حقاً فتبعه، والباطل باطلاً فنجتبه، ولا تجعل ذلك علينا متشابهاً فتبغ الهوى».

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]:

قال الحسن البصري: «العمل الصالح يرفع الكلام الطيب إلى الله تعالى، ويعرض القول على العمل، فإن وافقه رُفِعَ وإلا رُدَّ».

قال وهب بن مُنبه: «مثل الذي يدعو بغير عمل كمثل الذي يرمي بغير وتر»
وعنه قال: العمل الصالح يبلغ الدعاء. ثم تلا هذه الآية: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾.

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ [فاطر: ١٥]:

الفقير إلى الله هو من استغنى بالله عن الناس، فصار أغنى الناس.

كتب الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز: «يا أخي، من استغنى بالله اكتفى، ومن انقطع إلى غيره تعنى (تعيب)».

﴿أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ [فاطر: ١٥]:

قال أبو الحسن المزني: «من لم يستغن بالله أحوجه الله إلى الخلق، ومن استغنى بالله أحوج الله إليه الخلق».

﴿وَإِنْ تَدْعُ ثِقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يَحْمِلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ [فاطر: ١٨]:

من مشاهد يوم القيامة! قال ابن عباس: «يلقى الأب والأم ابنه فيقول: يا بني احمل عني بعض ذنوبي، فيقول: لا أستطيع حمل شيء، حسبي ما علي».

﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهَا﴾ [فاطر: ٢٧]:

جُدَدٌ: جمع جُدَّة، والجُدَّة هي الطريق، أي خلق الله من الجبال طرقاً، وهذه الطرق تارة بيضاء، وتارة حمراء، وليس معناها جُدَدٌ جديدة أو حديثة.

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر: ٢٨]:

قال عبد الله بن مسعود: «ليس العلم عن كثرة الحديث، إنما العلم خشية الله»،
وعنه رضي الله عنه قال: «كونوا للعلم رعاة، ولا تكونوا له رواة؛ فإنه قد يرعوي
ولا يروي، وقد يروي ولا يرعوي».

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: «لا تكون تقيًا حتى تكون عالمًا، ولا تكون بالعلم
جميلًا حتى تكون به عاملاً».

قال الحسن: «العالم: الذي وافق علمه عمله، ومن خالف علمه عمله فذلك
راويّة حديث، سمع شيئًا فقال له»، وقال رحمه الله: «الذي يفوق الناس في العلم
جدير أن يفوقهم في العمل».

﴿ يَرْجُونَ تَحْرُكَةً لَّانْ تَكْبُورَ ﴾ [فاطر: ٢٩]:

من هؤلاء؟! الذين يتلون كتاب الله حق تلاوته، ويقىمون الصلاة، وينفقون في
سبيل الله سرًا وجهرًا، فاعرف رأس مالك، وقدر الجواهر التي أعطاك الله،
ولا تضعها فترد الآخرة صفر اليدين ومن المفاليس.

﴿ لِيُؤْفِقَهُمْ أَجْرَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ [فاطر: ٣٠]:

وليسرّح خيالك في قوله: ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾، ففضله على قدر عظمته، وعقلك
لن يحيط بعظمته؛ ولذا لن يحيط أبدًا بفضل الله!

﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ﴾

[فاطر: ٣٠]: قال سهل التستري: «السابق العالم، والمقتصد المتعلم، والظالم الجاهل».

قال جعفر الصادق: «بدأ بالظالمين إخبارًا بأنه لا يُتَقَرَّبُ إليه إلا بكرمه، وأن
الظلم لا يؤثّر في الاصطفاء، ثم ثنى بالمقتصدين لأنهم بين الخوف والرجاء، ثم
ختم بالسابقين لئلا يأمن أحدٌ مكره».

﴿ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ﴾ [فاطر: ٣٠]:

لئلا يغتر السابق بالخيرات بعمله، فلو لا الله ما سبق إلى الخيرات هو ولا غيره.

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ [فاطر: ٣٤]:

قال إبراهيم التيمي: «ينبغي لمن لا يحزن أن يخاف أن يكون من أهل النار؛ لأن أهل الجنة قالوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾».

من أعظم دواعي فرح أهل الجنة أن الله عز وجل أذهب عنهم الحزن إلى الأبد!

اعتبر ابن قيم الجوزية الحزن مرضاً من أمراض القلب (التي تمنعه من نهوضه وسيره وتشميره، والثواب عليه ثواب المصائب التي يُبتلى العبد بها بغير اختياره، كالمرض والألم ونحوهما).

ما هو الحزن المحمود؟! قال ابن القيم: «يحمد في الحزن سببه ومصدره ولازمه لا ذاته، فإن المؤمن إما أن يحزن على تفريطه وتقصيره في خدمة ربه وعبوديته، وإما أن يحزن على تورطه في مخالفته ومعصيته وضياع أيامه وأوقاته، وهذا يدل على صحة الإيمان في قلبه وعلى حياته؛ حيث شغل قلبه بمثل هذا الألم، فحزن عليه».

﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فاطر: ٣٥]:

قال السعدي: «أي: لا تعب في الأبدان ولا في القلب والقوى، ولا في كثرة التمتع، وهذا يدل على أن الله تعالى يجعل أبدانهم في نشأة كاملة، ويهيئ لهم من أسباب الراحة على الدوام، ما يكونون بهذه الصفة، بحيث لا يمسهم نصب ولا لغوب، ولا هم ولا حزن. ويدل ذلك على أنهم لا ينامون في الجنة؛ لأن النوم فائدته زوال التعب، وحصول الراحة به، وأهل الجنة بخلاف ذلك، ولأنه موت أصغر، وأهل الجنة لا يموتون، جعلنا الله منهم، بمنه وكرمه».

﴿أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾ [فاطر: ٣٧]:

ما أوضح حجة الله علينا! قال قتادة: «اعلموا أن طول العمر حجة».

﴿أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ﴾ [فاطر: ٣٧]:

وفي صحيح ابن حبان: «مَنْ عَمَّرَهُ اللهُ سِتِينَ سَنَةً، فَقَدْ أَعْذَرَ إِلَيْهِ فِي الْعَمْرِ». قال ابن حجر: «الإعذار: إزالة العذر، والمعنى: أنه لم يُبق له اعتذاراً كأن يقول: لو مدّلي في الأجل لفعلت ما أمرت به».

﴿وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧]:

قالوا: النذير: النبي، وقالوا: القرآن، وقيل: موت الأحياء، وقيل: الشيب، ففي بعض الآثار: قالت شعرة وقد ابيضت لجارتها: استعدي للموت، فقد جاءك النذير.

﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣]:

قال الألوسي: «والآية عامة على الصحيح، والأمور بعواقبها، والله تعالى يُمهّل ولا يُمهّل، ووراء الدنيا الآخرة، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، وبالجملة: من مكر به غيره، ونفذ فيه المكر عاجلاً في الظاهر، ففي الحقيقة هو الفائز، والمآكر هو الهالك».

في الحديث: «من غشنا فليس منا، والمكر والخداع في النار» صحيح الجامع رقم: ٦٤٠٨، فالذي يمكر ويدبّر الحيل والمكايد ليغش الناس يستحق النار.

﴿وَلَوْ تَوَخَّذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكُوا عَلَى ظُهُرِهِمْ دَابَنُ﴾

[فاطر: ٤٥]: قال يحيى بن أبي كثير: «أمر رجل بالمعروف ونهى عن المنكر، فقال له رجل: عليك بنفسك فإن الظالم لا يضر إلا نفسه، فقال أبو هريرة: كذبت؟ والله الذي لا إله إلا هو، ثم قال: والذي نفسي بيده.. إن الجباري لتموت هزلاً في وكرها بظلم الظالم».

﴿وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ [فاطر: ٤٥]:

ولم يقل إذا جاء أجلهم أهلكهم؛ لأنه بصير بأعمال عباده، فيغفر للمؤمن المستغفر، أو يجاسبه فيعذبه، وإن كان كافراً خلّد في النار، وهكذا تختلف مصائر العباد بحسب أحوالهم.

سورة يس

﴿ إِنَّمَا نُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبِ فَوَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾ [يس: ١١]:

قال ابن عاشور: «والتعير بوصف الرحمن دون اسم الجلالة لوجهين: أحدهما: أن المشركين كانوا ينكرون اسم الرحمن، كما قال تعالى: ﴿قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ﴾ [الفرقان: ٦٠]. والثاني: الإشارة إلى أن رحمته لا تقتضي عدم خشيته، فالمؤمن يخشى الله مع علمه برحمته فهو يرجو الرحمة».

﴿ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ ﴾ [يس: ١٢]:

الآثار هي ما يبقى من أثر أعمالك الصالحة أو السيئة بعد موتك؛ ليظل نهر أجرك أو وزرك جاريًا عليك وأنت في القبر وحتى يوم الحشر! نكتب! معناها أنك مراقبٌ على مدار اللحظة!

ما هي آثار الأعمال الصالحة؟ في الحديث: «سبع يجري للعبد أجرهن وهو في قبره بعد موته: من علم علمًا أو أجرى نهرًا أو حفر بئرًا أو غرس نخلاً أو بنى مسجدًا أو ورث مصحفًا أو ترك ولدًا يستغفر له بعد موته». صحيح الجامع رقم: ٣٦٠٢.

﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْقُومِ الرُّسُلُ ﴾

[يس: ٢٠]: رجل لم نعرف اسمه ولا لقبه، إنما عرفه الله، وشرفه بذكر خبره في القرآن، وكفاه فخراً وشرفاً أن تتحدث عنه الأجيال على مر الأزمان!

لم يُلَقَ بمسؤولية الدعوة على الأنبياء والمرسلين، بل شاركهم لما علم عدم حصول الكفاية في تبليغ أمر الدين، ولا يزال الأمر قائماً إلى اليوم.

﴿ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ ﴾ [يس: ٢٠]:

أقصى: لفظ مقصود لتنبية الدعاة على المضي في الخير، واستصغار أي جهد مبذول فيه، فمن عرف شرف الأجر هان عليه جهد التكلف.

﴿ **ءَاتَّخِذْ مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً** ﴾ [يس: ٢٣]:

التلميح وعدم التصريح أسلوب دعوي راقٍ، فمؤمن آل يس نسب سيئة قومه لنفسه ﴿ **ءَاتَّخِذْ مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً** ﴾، تلطفاً وتألّيقاً لقلوبهم.

﴿ **إِنْ يُرِذِنِ الرَّحْمَنُ يَضُرِّ** ﴾ [يس: ٢٣]:

حتى ما نزل بك من مصائب فهو من رحمة الله، فسيحان من يرحم ببلائه، ويتلى بنعمائه.

﴿ **إِنِّي ءَامَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ** * **قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ** قَالَ **يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ** ﴾ [يس: ٢٥، ٢٦]:

آذوه واحتقروه وقتلوه، ومع هذا يتمنى لو علموا بمقعده في الجنة.. إنها رحمة الداعية بقومه مهما آذوه!

﴿ **قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ** ﴾ [يس: ٢٦]:

دعا قومه بعد موته! قال ابن عباس: «نصح قومه حياً وميتاً».

﴿ **قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ** قَالَ **يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ** * **بِمَا غَفَر لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ** ﴾ [يس: ٢٦، ٢٧]:

قال القرطبي: «وفي هذه الآية تنبيه عظيم، ودلالة على وجوب كظم الغيظ، والجلم عن أهل الجهل، والترؤف على من أدخل نفسه في غمار الأشرار وأهل البغي، والتشمر في تخليصه، والتلطف في افتدائه، والاشتغال بذلك عن الشكاة به والدعاء عليه.. ألا ترى كيف تمنى الخير لقتلته، والباغين له الغوائل وهم كفرة عبدة أصنام!».

من روائع المتدبرين



عن جعفر بن محمد رضي الله تعالى عنهما قال:

«عجبتُ ممن يُبتلى بأربع، كيف يغفل عن أربع..»

عجبتُ لمن يُبتلى باللهم كيف لا يقول: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، لأن الله تعالى يقول: ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ، وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ، وَكَذَلِكَ نُشَجِّي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨].

وعجبتُ لمن خاف شيئاً من السوء، كيف لا يقول: حسبي الله ونعم الوكيل، لأن الله تعالى يقول: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ آلِهِمْ وَفَضَّلَ اللَّهُ لَهم يَمَسُّهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَهُ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٤].

وعجبتُ لمن يخاف مكر الناس، كيف لا يقول: ﴿وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾، لأن الله تعالى يقول: ﴿فَوَقَّهَ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِقَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥].

وعجبتُ لمن يرغب في الجنة كيف لا يقول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، لأن الله تعالى يقول: ﴿فَقَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ﴾ [الكهف: ٤٠].

تنبيه الغافلين للسمرقندي ٥٤٨-٥٤٩ - ط دار ابن كثير



الجزء الثالث والعشرون

من سورة يس الآية ٢٨

إلى سورة الزمر الآية ٣١

عدد الفوائد ٧٩

﴿ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّصُونَ ﴾ [يس: ٤٩]:

أي وهم لا همون عنها حال خصومتهم وتشاجرهم بينهم، أو عند اختصاصهم في أمور الدنيا من بيع وشراء في المجالس والأسواق، وهذا لا يكون إلا في أشد أوقات الغفلة.

﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [يس: ٥٠]:

الموت يأتي بغتة، وملك الموت لن يُمكن أحداً من فعل أي شيء حتى الوصية؛ ولذا كان التدب إلى كتابة الوصية فوراً (ما حق امرئ مسلم بيت ليلتين وله شيء يريد أن يوصي فيه إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه)

﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكِهِونَ ﴾ [يس: ٥٥]:

من كان مشغولاً في الخير هنا كان مشغولاً مع الحور هناك، شغل في مقابل شغل، لكن مع الفارق!

﴿ لَهُمْ فِيهَا فَكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴾ [يس: ٥٧]:

أي يتمنون. عن كثير بن مرة قال: «إن من المزيّد أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول: ما تشاءون أن أمطرَكم؟ فلا يسألون شيئاً إلا مطرتهم، فقال كثير بن مرة: لئن أشهدنا الله ذلك المشهد لأقولن أمطرينا جَوَارِي مَرْيَاتٍ».

﴿ وَامْتَنَزُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴾ [يس: ٥٩]:

من وقف على الحياد بين الحق والباطل، فلن يكون في مقدوره القيام بنفس الدور يوم القيامة.

انفصلوا عن المؤمنين.. لا تسيروا في ركابهم، فارقتموهم في الدنيا في الأعمال، فلتفارقوهم اليوم في الأحوال: هم في النعيم، وأنتم في الجحيم.

قال مقاتل: اعتزلوا اليوم من الصالحين. قال أبو العالية: تميزوا... مضى عهد الاندساس في صفوف المؤمنين!

قال الضحاك: «إن لكل كافر في النار بيتًا يدخل ذلك البيت، ويُردَم بابه بالنار، فيكون فيه أبد الأبدین لا يرى ولا يُرى».

﴿الَّذِينَ أَعَاهَدَ إِلَيْكُمْ يَنْبِئُكُمْ أَنَّ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾
[يس: ٦٠]: ما أقسى هذه العبارة مع ما فيها من تفریع ولوم وتبكيت بعد أن أمرهم بالتمايز، ثم أمرهم بمقاساة النار، فدائمًا ما يرتبط العذاب البدني في النار بالعذاب النفسي.

﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾
[يس: ٦٥]: يجادل العبد يوم القيامة ربه، فيقول: يا رب.. ألم تُجِرني من الظلم، فيقول بلى، فيقول: فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهدًا مني، فيقول الله: كفى بنفسك اليوم عليك شهيدًا، وبالكرام الكاتبين شهودًا، فيختم على فيه (فيه)، فيقال لأركانه: انطقي، فتتطق بأعماله!

﴿وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥]:
ظننت نفسك في الدنيا خاليًا، وما علمت أن جوارحك كانت معك! شهدت عليك، وستؤدي الشهادة غدًا بين يدي الله!

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ﴾
[يس: ٦٥]: ولو نشاء طمس أعينهم لتمحو عنها الرؤية والإبصار لفعلنا، ولكننا لم نفعل رحمة بهم، وكان الواجب أن يقابلوا النعمة بالشكر لا بالكفر، وقوله:
﴿فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ﴾ أي لو أرادوا بعد الطمس على العيون المبادرة إلى الطريق الذي اعتادوا سلوكه، لا يقدرّون لأنهم لا يبصرون، وهذا تهديد شديد حال استمرارهم في الكفر.

﴿لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَمْحَقَ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [يس: ٧٠]:

الكافر ميت لأنه فقد القرآن، وأنت حي فقط بالقرآن!

﴿لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ [يس: ٧٠]:

الحياة حياة القلب، والموت موت القلب، والأكل والشرب علامة حياة الظاهر، والقرآن علامة حياة الباطن!

﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَنُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ [يس: ٧٧]:

لا يخاصم ربه إلا من نسي أصله!

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]:

أبعد المستحيلات تحدث لو أرادها الله وفي لمح البصر، فلا تيأس من انكشاف غمة أو نصر أمة!

سورة الصافات

﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾ [الصافات: ١٩]:

والمراد بهذه الزجرة: النفخة الثانية التي يقوم بها إسرافيل، والتعبير عن الصيحة بالزجرة للدلالة على شدتها وعنفها على الكافرين.

﴿أَخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢]:

قال قتادة والكلبي: «كل من عمل مثل عملهم، فأهل الخمر مع أهل الخمر، وأهل الزنى مع أهل الزنى».. اختر صحبتك غذا!

﴿وَقَفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤]:

هذا إيقاف على الصراط للمساءلة عن جميع الأقوال والأفعال، وهو حبسٌ يُجمعون فيه مع أقرانهم قبل أن يُساقوا إلى الجحيم.

﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ [الصافات: ٤٧]:

لا فيها غول أي لا تغتال عقولهم وتذهب بها، وإنما صرف الله السكر عن أهل الجنة كما صرف عنهم النوم - لئلا ينقطعوا عن التلذذ بالنعيم لحظة!

﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾ [الصافات: ٤٧]:

قال الضحاك: «في الخمر أربع خصال: السكر والصداع والقيء والبول، فذكر الله خمر الجنة فنزهها عن هذه الخصال».

﴿قَصُرَتْ الطَّرْفُ عَيْنٌ﴾ [الصافات: ٤٨]:

قال السعدي: «إما أنها قصرت طرفها على زوجها؛ لعفتها وعدم مجاوزته لغيره، ولجمال زوجها وكماله، بحيث لا تطلب في الجنة سواه».

وإما لأنها قصرت طرف زوجها عليها، وذلك يدل على كمالها وجمالها الفائق، الذي أوجب لزوجها أن يقصر طرفه عليها».

﴿فَاطْلَعَ قَرَأَهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٥٥]:

لولا أن الله عرفه بصاحبه ما عرفه، فقد تغير لونه وهيئته من أثر العذاب والسنة النار.

قال الألوسي: «واطلاع أهل الجنة على أهل النار، ومعرفة من فيها، مع ما بينهما من التباعد غير بعيد بأن يخلق الله - تعالى - فيهم حدة النظر، ويُعرفهم من أرادوا الاطلاع عليه».

وقيل: إن لهم طاقات (فتحات) في الجنة ينظرون منها من علو إلى أهل النار».

﴿أَذَلَّكَ خَيْرٌ نَزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ [الصافات: ٦٢]:

في الحديث: «لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معاشهم، فكيف بمن تكون طعامه؟!» صحيح الجامع رقم: ٥٢٥٠.

﴿طَلَعَهَا كَأَنَّ رُءُوسَ الشَّيَاطِينِ﴾ [الصافات: ٦٥]:

ومع أنه لم ير أحد الشيطان حتى يخاف منه، لكن كفى بصورته الغائبة المجهولة رعباً، فليس الطعام المريع ما ينتظر المعبذب فحسب، بل معه المنظر الفظيع والشكل المخيف، وهذا من العذاب النفسي الذي يضاعف أثر العذاب الحسي.

﴿إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصافات: ٨٤]:

سئل محمد بن سيرين: ما القلب السليم؟ فقال: «الناصح لله عز وجل في خلقه».

﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩]:

أي سقيم القلب بسبب ما هم فيه من كفر وضلال، فإن العاقل يقلقه ويزعجه ما هم فيه من الكفر، وقال لهم ذلك ليتركوه حتى ينقذ ما أقسم عليه من تحطيم الأصنام، فكلام إبراهيم حق، وقد ترك لقومه أن يفهموه بحسب ما يعتقدون.

فيه دليل على أن تعاطي الخيل الشرعية من أجل إزالة المنكر أمر مشروع، فإن إبراهيم اعتذر لقومه عن خروجه معهم في يوم عيدهم، وقال لهم: إني سقيم؛ ليختلي بالأصنام فيحطمها، ويثبت لقومه أنها لا تصلح للعبادة.

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَّهْدِينِ﴾ [الصافات: ٩٩]:

قال مقاتل: «هو أول من هاجر من الخلق مع لوط وسارة إلى الأرض المقدسة، وهي أرض الشام...».

﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١]:

قال صاحب الكشاف: «وقد انطوت البشارة على ثلاثة: على أن الولد غلام ذكر، وأنه يبلغ أوان الحلم، وأنه يكون حلماً».

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَئُ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ قَالَ يَتَّبِعُ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿

[الصافات: ١٠٢]: قال ابن جزي: «إن قيل: لم شاوره في أمر هو حتم من الله؟ فالجواب: أنه لم يشاوره ليرجع إلى رأيه، ولكن ليعلم ما عنده فيثبت قلبه، ويوطن نفسه على الصبر».

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ السِّنُّ﴾ [الصافات: ١٠٦]:

قال السعدي: «وهو خليل الرحمن، والخلة أعلى أنواع المحبة، وهو منصب لا يقبل المشاركة، ويقتضي أن تكون جميع أجزاء القلب متعلقة بالمحبوب، فلما تعلقت شعبة من شعب قلبه بابنه إسماعيل، أراد تعالى أن يصفى وده ويختبر خلته، فأمره أن يذبح من زاحم حبه حبه، فلما قدم حب الله، وأثره على هواه، وعزم على ذبحه، وزال ما في القلب من المزاحم، بقي الذبح لا فائدة فيه، فلهذا قال: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ السِّنُّ﴾ * وَقَدَيْتَهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿».

﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ [الصافات: ١٤٠]:

عبر عن هروب يونس من قومه، بهروب العبد الأبق من مولاه؛ لأن يونس ترك قومه دون إذن ربه، فاشترك مع العبد الأبق في نفس الفعل.

﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ [الصافات: ١٤٣]:

قال الحسن: «ما كان له صلاة في بطن الحوت، ولكنه قدم عملاً صالحاً في حال الرخاء، فذكره الله به في حال البلاء».

اجتهد أن يكون لك خصلة من عمل صالح، وأخلص فيها بينك وبين ربك، وادخرها ليوم بلائك وفقرتك، واسترها عن عيون الخلق، يصل إليك نفعها أخرج ما تكون إليه.

﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ، مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصافات: ١٦٤]:

ما من ملك إلا له مكان معلوم في السموات. قال ابن عباس: «ما في السموات موضع شبر إلا وعليه ملك يصلي أو يسبح».

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ [الصافات: ١٦٥، ١٦٦]:

كان عمر بن الخطاب إذا أقيمت الصلاة أقبل على الناس بوجهه، فقال: «يا أيها الناس استووا، إن الله إنما يريد بكم هدي الملائكة» ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ [الصافات: ١٦٦] «استووا، تقدم أنت يا فلان، تأخر أنت يا هذا، فإذا استووا تقدم فكبر».

في صحيح مسلم عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم؟ قلنا: وكيف تصف الملائكة عند ربهم؟ قال: «يتمون الصفوف المتقدمة، ويتراصون في الصف».

سورة ص

﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُّ﴾ [ص: ٦]:

«اتهم نيات المصلحين مسلك قديم! قال السعدي: «أي له قصد ونية غير صالحة في ذلك، وهذه شبهة لا تروج إلا على السفهاء، فإن من دعا إلى قول حق أو غير حق، لا يرد قوله بالقدح في نيته، فنيته وعمله له، وإنما يرد بمقابله بما يطله ويفسده من الحجج والبراهين».

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَمِلْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [ص: ١٦]:

والقَطُّ: النصيب والقطعة من الشيء، مأخوذ من قَطَّ الشيء إذا قطعه وفصله عن غيره، فأطلقوا على عذابهم وصف القطعة من العذاب، باعتبار أنها مقتطعة من العذاب الكلي المعد لهم.

واستفتاح دعائهم ببدء الله بصفة الربوبية، هو استهزاء منهم بعذاب الله، واستخفافهم به.

﴿أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ [ص: ١٧]:

بعض الكلام مثل وقع الحسام!

﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ﴾ [ص: ١٧]:

يحب الله القوة ويمدحها في عباده، والقوة المدوحة هي هنا قوة الإيمان وقوة الأبدان، فلا بد للعبد أن يسعى في امتلاك أسباب القوتين، ولا يتكاسل عن طلب واحدة منهما.

﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ [ص: ٢١]:

ملخص القصة أن خصومة قامت بين اثنين من البشر، فجاءوا إلى داود ليقضي بينهما، لكنه ظن أنهم جاءوا لاغتياله وإيذائه، ثم تبين له أنهم ما جاءوا للاعتداء عليه، فاستغفر ربه من ذلك الظن السيئ، فغفر الله له.

﴿وَطَنَ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤]:

السجود طريق المغفرة! قال ﷺ: «ما من عبد يذنب ذنباً فيتوضأ فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلّي ركعتين ثم يستغفر الله بذلك الذنب إلا غفر الله له» صحيح الجامع رقم: ٥٧٣٨.

﴿فَأَحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ﴾ [ص: ٢٦]:

ليس أمامك إلا طريقان: إما اتباع الحق أو اتباع الهوى.

﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالْسُوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ [ص: ٣٣]:

لم يرتضِ الإمام الرازي التفسير الذي عليه أكثر المفسرين من أن سليمان ذبح الخيل لأنها ألهته عن الصلاة، فالمسح ليس الذبح، بل المسح عليها بيده حقيقي حباً لها وإعجاباً بها، وذكر سليمان أنه أحبها لأجل الدنيا وإنما أحبها لأمر الله، وطلب نصرة الدين. ما الغرض من هذا المسح؟! قال الرازي: «الغرض من المسح: التشريف لها لكونها من أعظم الأعوان في دفع العدو... وإظهار أنه خير بأحوال الخيل وأمراضها وعبوبها، فكان يمتحنها، ويمسح سوقها وأعناقها، حتى يعلم هل فيها ما يدل على المرض».

قال ابن حزم: «تأويل الآية على أنه قتل الخيل إذ اشتغل بها عن الصلاة، خرافة موضوعة.. قد جمعت أفانين من القول لأن فيها معاقبة خيل لا ذنب لها والتمثيل بها، وإتلاف مال متفع به بلا معنى، وتنسب تضييع الصلاة إلى نبي مرسل! ثم يعاقب الخيل على ذنبه لا على ذنبها!».

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص: ٣٤]:

أصح ما قيل في فتنة سليمان عليه السلام أنه قال: لأطوفن الليلة على أربعين امرأة، تأتي كل واحدة بفارس يجاهد في سبيل الله، ولم يقل إن شاء الله، فطاف عليهن فلم تحمل إلا امرأة وجاءت بشق رجل، جاء هذا في صحيح البخاري، وقال ﷺ: «فوالذي نفسي محمد بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا فرساناً»، وفيه أن الملك قال له: قل إن شاء الله، فلم يقل على سبيل النسيان، والمراد بالجسد الملقى على الكرسي ذلك الشق الذي وُلِدَ له.

استنبط العلماء من هذا الحديث أن فتنة سليمان، هي تركه تعليق ما طلبه على مشيئة الله، وأن عقابه على ذلك كان عدم تحقق ما طلبه.
فلا تنس أن تقيد أي شيء تنوي فعله بمشيئة الله.

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا﴾ [ص: ٣٥]:

قال ابن جزري: «قدم الاستغفار على طلب الملك؛ لأن أمور الدين كانت عندهم أهم من الدنيا، فقدم الأولى والأهم».

لا يمنعك اقرار الذنب من الدعاء، فانقباضك بسبب الذنب يسطه رجاؤك في كرم الرب، واذكر دعوة نبي الله سليمان: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا﴾.

﴿جَنَّتْ عَدْنٍ مَّفْصَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ [ص: ٥٠]:

لو أغلقت أبواب الجنة لكانت سجناء فالحرية من نعيم أهل الجنة!

﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ [ص: ٥٤]:

قال الطبري: «كلما أخذوا ثمرة من ثمار شجرة من أشجارها، فأكلوها، عادت مكانها أخرى مثلها، فذلك لهم دائم أبداً، لا ينقطع».

﴿قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾ [ص: ٦١]:

حذار حذار أن تكون سبباً في عصيان غيرك!

سورة الزمر

﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]:

قال ابن العربي: «هذه الآية تدل على وجوب النية الخالصة في كل عمل».

﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]:

قال علي رضي الله عنه: «كل مطيع يكال له كيلاً ويوزن له وزناً إلا الصابرون، فإنه يُحْتَسَى لهم حشياً».

عن الحسن أنه ذكر الوجد فقال: أما والله ما هو بِشَرِّ أيام المسلم.. أيام ذكر فيها ما نسي من معاده. وكُفِّر بها عنه خطاياها.

﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [الزمر: ١٥]:

لا لقاء لأهل النار غدا مع أهلهم، وسواء ذهب أهلهم إلى الجنة وذهبوا هم إلى النار، أو سكن الجميع النار، فلا سرور لهم في اللقاء ولا في الفراق!

﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزمر: ١٥]:

الظلل من فوق لكن كيف تكون من تحت؟ قال الطاهر بن عاشور: «أما إطلاق الظلال على الطبقات التي تحتهم فهو من باب المشاكلة، ولأن الطبقات التي تحتهم من النار تكون ظللاً لكفار آخرين؛ لأن جهنم دركات كثيرة».

﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [الزمر: ١٧]:

كلمة مدح من المدير تحفزك، ومدح رب العالمين لا يحرك فيك ساكناً! ويحك!!

﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر: ١٨]:

قال ابن عباس: «هو الرجل يسمع الحسن والقيح، فيتحدث بالحسن ويكف عن القبيح فلا يتحدث به».

وقيل: يستمعون القرآن وأقوال الرسول، فيتبعون أحسنه أي محكمه فيعملون به.

قال وهب بن منبه: «من أدب الاستماع سكون الجوارح وغيض البصر، والإصغاء بالسمع، وحضور العقل، والعزم على العمل، وذلك هو الاستماع كما يحب الله تعالى».

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ [الزمر: ١٩]:

في الكلام حذف تقديره: أفمن حق عليه كلمة العذاب ينجو منه؟! كلا، ونزلت في قوم كان النبي ﷺ يحرص على إسلامهم وقد سبقت لهم من الله الشقاوة. قال ابن عباس: «يريد أبا لهب وولده ومن تخلف من عشيرة النبي ﷺ عن الإيمان».

﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٢]:

ما هي أعظم العقوبات؟! قال مالك بن دينار: «ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة قلب، وما غضب الله على قوم إلا نزع الرحمة من قلوبهم».

﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ [الزمر: ٢٣]:

أي يشبه بعضه بعضاً في البلاغة والفصاحة والحقائق والإعجاز، ويشبه بعضه بعضاً في أن الجميع وحي من الله، وحق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. ﴿مَثَانِي﴾ [الزمر: ٢٣]:

ما فائدة التكرار؟! قال السعدي: ﴿مَثَانِي﴾ أي: تُثْنَى فيه القصص والأحكام، والوعد والوعيد، وصفات أهل الخير، وصفات أهل الشر، وتثنى فيه أسماء الله وصفاته، وهذا من جلالته، وحسنه، فإنه تعالى، لما علم احتياج الخلق إلى معانيه المزيّة للقلوب، المكملة للأخلاق، وأن تلك المعاني للقلوب، بمنزلة الماء لسقي الأشجار، فكما أن الأشجار كلما بعد عهدا بسقي الماء نقصت، بل ربما تلفت، وكلما تكرر سقيها حسنت وأثمرت أنواع الثمار النافعة، فكذلك القلب يحتاج دائماً إلى تكرر معاني كلام الله تعالى عليه، وأنه لو تكرر عليه معنى مرة واحدة في جميع القرآن، لم يقع منه موقعاً، ولم تحصل النتيجة منه؛ ولهذا سلك في هذا التفسير هذا المسلك الكريم، اقتداء بما هو تفسير له، فلا تجد فيه الحوالة على موضع من المواضع، بل كل موضع تجد تفسيره كامل المعنى، غير مراعى لما مضى مما يشبهه، وإن كان بعض المواضع يكون أبسط من بعض وأكثر فائدة، وهكذا ينبغي للقارئ للقرآن، المتدبر لمعانيه، أن لا يدع التدبر في جميع المواضع منه، فإنه يحصل له بسبب ذلك خير كثير، ونفع غزير.

﴿نَقْشُورُهُمْ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [الزمر: ٢٣]:

عن ثابت البناني قال: قال فلان: «إني لأعلم متى يستجاب لي. قالوا: ومن أين تعلم ذلك؟ قال: إذا اقشعر جلدي، ووجل قلبي، وفاضت عياني، فذلك حين يستجاب لي».

﴿أَفَمَنْ يَتَّقِ بِوَجْهِهِ سُوَاءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [الزمر: ٢٤]:

لماذا يتقي العذاب بوجهه لا بيده؟! لأن يديه مغلولتان بالسلاسل!

﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ [الزمر: ٢٨]:

قال ابن عباس: «غير مختلف»، فلا اختلاف فيه، لا في ألفاظه ولا في معانيه، ولا تناقض ولا اضطراب، ولا كلام يلغي كلاماً آخر أو يخالفه أو ينازعه، وهذا من

تمام الإعجاز.

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ﴾ [الزمر: ٢٩]:

ضرب الله مثلاً للكافر والمؤمن، فالكافر كعبد تملكه جماعة: ﴿شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ﴾ أي: متنازعون ومختلفون، فكل واحد يأمره بأمر غير الآخر، فهو في عذاب أليم بين هؤلاء السادة المتشاكسين.

والمؤمن كعبد لا يملكه إلا رجل واحد: ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ﴾، فلا يحمله فوق طاقته، وهو مستريح معه، ويعيش في سلام وأمان.

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]:

قال قتادة: «نُعِيَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ نَفْسُهُ، وَنُعِيَتْ إِلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ»، وهذا تذكير بهذه الحقيقة إن غابت عن الأذهان بالغفلة والعصيان.

قال القرطبي: «خطاب للنبي ﷺ أخبره بموته وموتهم، فاحتمل وجوها خمسة: أحدها: أن يكون ذلك تحذيراً من الآخرة.

الثاني: أن يذكره حثاً على العمل.

الثالث: أن يذكره توطئة (تهيئة) للموت.

الرابع: لئلا يختلفوا في موته كما اختلفت الأمم في غيره.

الخامس: ليُعَلِّمَهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ سَوَّى فِيهِ بَيْنَ خَلْقِهِ مَعَ تَفَاضُلِهِمْ فِي غَيْرِهِ، لَتَكْثُرَ فِيهِ السَّلَوةُ، وَتَقِلَّ فِيهِ الْحَسْرَةُ».

يقال: مَيِّتٌ بِالتَّشْدِيدِ لِمَنْ لَا يَزَالُ حَيًّا وَسَيَمُوتُ يَوْمًا، وَيُقَالُ: مَيِّتٌ بِالْفَتْحِ لِمَنْ هُوَ مَيِّتٌ فَعَلًا؛ وَلِذَلِكَ كَانَ الْخُطَابُ ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾ [الزمر: ٣٠] فَهُوَ لَا يَزَالُ حَيًّا وَيَخَاطَبُ بِهَذَا، وَمَعْنَاهُ: إِنَّكَ صَائِرٌ إِلَى الْمَوْتِ لَا مُحَالَةَ.

الجزء الرابع والعشرون

من سورة الزمر الآية ٣٢

إلى سورة فصلت الآية ٤٦

عدد الفوائد ٨٧

﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ [الزمر: ٣٦]:

قال ابن القيم: «الكفاية التامة مع العبودية التامة والناقصة، فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه».

سبب نزولها:

قال قتادة في سبب نزولها: مشى خالد بن الوليد إلى العزى ليكرها بالفأس، فقال له سادنها: أحذرَكها يا خالد، فإن لها شدة لا يقوم لها شيء، فعمد خالد إلى العزى فهشم أنفها حتى كسرهما بالفأس، وتخويفهم لخالد تخويف للنبي ﷺ؛ لأنه الذي وجه خالدًا.

تقوية لقلب كل مؤمن عند الشدائد، وإزالة للخوف الذي في قلبه تجاه أي خطر.

قال الألوسي: «إنكار ونفي لعدم كفايته تعالى على أبلغ وجه، كأن الكفاية من التحقق والظهور بحيث لا يقدر أحد على أن يتفوه بعدمها، أو يتلعضم في الجواب بوجودها».

﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ [الزمر: ٤٢]:

أي نومها، فجَهَزَ نفسك عند كل نومة أنك قد لا تقوم منها إلا على صيحة يوم القيامة.

عن البراء بن عازب قال: كان النبي ﷺ إذا أراد أن ينام وضع يده تحت خذه الأيمن، ويقول: «اللهم قني عذابك، يوم تبعث عبادك» صحيح الجامع رقم: ٤٧٩٠.

﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزمر: ٤٦]:

كان النبي ﷺ إذا قام من الليل افتتح صلاته: «اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدي لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم».

قال سعيد بن جبير: إني لأعرف آية ما قرأها أحد قط، فسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه، قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزمر: ٤٦].

﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧]:
قال مجاهد والسدي: «عملوا أعمالاً توهمو أنها حسنات، فإذا هي سيئات»، وقال سفيان الثوري في هذه الآية: «ويل لأهل الرياء.. ويل لأهل الرياء.. هذه آيتهم وقصتهم».

﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾ [الزمر: ٤٩]:
أي لا يعلم هؤلاء الزاعمون أن ما هم فيه من الخير نتيجة علمهم وسعيهم، لا يعلمون أن عطاء المال فتنه واختبار، ينجحون فيه بالشكر أو يفشلون بالعصيان، فالتبس عليهم تمييز الخير من الشر.

﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٤٩]:
أكثر الناس لا يعلمون أن ما أوتوه من نعمة في الدنيا هو شرٌّ إن لم يقوموا بشكرها، فيرون المال خيراً كله، وهذا خطأ.

﴿قُلِ يَبْعَادَى الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣]:
قال القشيري: «التسمية بـ ﴿يَبْعَادَى﴾، والوصف بأنهم ﴿اسْرَفُوا﴾ ذم. فلما قال: ﴿يَبْعَادَى﴾ طمع المطيعون في أن يكونوا هم المقصودين بالآية، فرفعوا رؤوسهم، ونكس العصاة رؤوسهم وقالوا: من نحن.. حتى يقول لنا هذا؟! فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْرَفُوا﴾ فانقلب الحال، فهؤلاء الذين نكسوا رؤوسهم انتعشوا وزالت ذلتهم، والذين رفعوا رؤوسهم أظروا وزالت صولتهم».

قال عبد الله بن مسعود وغيره: «هذه أرجى آية في كتاب الله تعالى».

الإسراف على النفس بالعصيان لا يُخرج العبد من دائرة العفو والغفران.

﴿تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: ٦٠]:

قال القرطبي: «هؤلاء الذين ادّعوا أحوالا ولم يصدقوا فيها، وأظهروا المحبة لله ولم يتحققوا بها، وكفاهم افتضاحا بذلك! وأنشدوا:

ولما ادّعت الحبّ قالت كذبتني فما لي أرى الأعضاء منك كواسيا؟!

فما الحبّ حتى تنزف العين بالبكا وتحرس حتى لا تحيب المناديا».

قال ابن عاشور: «ويدخل في الذين كذبوا على الله كل من نسب إلى الله صفة لا دليل له فيها، ومن شرع شيئا فزعم أن الله شرعه متعمدا قاصدا ترويجه للمقبول بدون دليل، فيدخل أهل الضلال الذين اختلقوا صفات لله أو نسبوا إليه تشريعا، ولا يدخل أهل الاجتهاد المخطئون في الأدلة، سواء في الفروع بالاتفاق، وفي الأصول - على ما نختاره - إذا استقرغوا الجهود».

﴿بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٦]:

قال السعدي: «فكما أنه تعالى يُشكر على النعم الدنيوية، كصحة الجسم وعافيته، وحصول الرزق وغير ذلك، كذلك يُشكر ويُثنى عليه بالنعم الدنيوية، كالتوفيق للإخلاص، والتقوى، بل نعم الدين، هي النعم على الحقيقة».

في الشكر وقاية من العُجب، فلو عرف العبد حقيقة أن ما به من نعمة من الله لم يعجب بنفسه، ولم ينسب لنفسه ما ليس له.

﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]:

من أطال القيام في الصلاة هان عليه طول القيام يوم القيامة.

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ﴾ [الزمر: ٧٣]:

قال القرطبي: «قال في حق الفريقين ﴿وَسِيقَ﴾ بلفظ واحد، فسوق أهل النار طردهم إليها بالخزي والهوان، كما يفعل بالأسارى والخارجين على السلطان إذا سيقوا إلى حبس أو قتل».

وسوق أهل الجنان سوق مراكبهم إلى دار الكرامة والرضوان، لأنه لا يُنْزَعُ بهم إلا راكبين كما يفعل بمن يُشَرَّفُ ويكرَّم من الوافدين على بعض الملوك، فستان ما بين السَّوقَيْنِ».

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾

[الزمر: ٧٣]: زيادة الواو دليل على أن الأبواب فتحت لهم قبل أن يأتوا لكرامتهم على الله تعالى، والتقدير حتى إذا جاءوها وأبوابها مفتحة، لكنه حذف الواو في قصة أهل النار؛ لأنهم وقفوا على النار، وفتحت أبوابها بعد وقوفهم عليها ترويعاً لهم وتخويفاً.

﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥]:

قال ابن كثير: «أي ونطق الكون أجمعه ناطقه وبهيمه الله رب العالمين بالحمد في حكمه وعدله؛ ولهذا لم يسند القول إلى قائل، بل أطلقه، فدل على أن جميع المخلوقات شهدت له بالحمد».

سورة غافر

﴿حَم﴾ [غافر: ١]:

قال ابن عباس: إن لكل شيء لباباً، ولباب القرآن الحواميم، وقال مسعر بن كدام: كان يُقال لمن: العرائس.

﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ [غافر: ٣]:

صفتان إلهيتان متلازمان ليبقى كل عبد متوازناً دائماً بين الخوف والرجاء. هذه الآية بعثها عمر بن الخطاب إلى رجل من أهل الشام كان يفد إلى عمر، ثم انتكس وتتابع في الشراب، ثم قال عمر لأصحابه: ادعوا الله لأخيكم أن يُقبل بقلبه وأن يتوب الله عليه، فلما بلغ الرجل كتاب عمر - رضي الله عنه - جعل يقرؤه ويردده ويقول: غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب، قد حذّرني عقوبته، ووعدني أن يغفر لي، فلم يزل يرددّها على نفسه حتى تاب.

﴿ذِي الطُّوْلِ﴾ [غافر: ٣]:

والطُّول يطلق على مطلق القدرة، فكل ما عجزت عنه قدرتك، فاطلبه من ﴿ذِي الطُّوْلِ﴾.

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [غافر: ٧]:

ما استطاعت الملائكة حمل العرش إلا بالتسبيح، فكل ما صعب عليك، فاستعن عليه بالتسبيح.

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [غافر: ٧]:

قال السخاوي: «في هذه الآية دليل على أن صفة الإيمان إذا جمعت بين شخصين يجب أن تكون داعية للنصيحة، وأن يستغفر له بظهر الغيب، وإن تباعدت أماكنهم وتفاوتت أجناسهم، فإنه لا اشتراك بين سماوي وأرضي، ولا بين ملك وبشر، ومع ذلك لما جمعتهم صفة الإيمان استغفر أهل السماوات العلى لأهل الأرضين السفلى».

﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [غافر: ٧]:

قرأ رجل على سليم بن عيسى، فلما بلغ قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، بكى بكاءً شديداً، ثم قال: «ألا ترى ما أعظم حق المؤمن! تراه نائماً على فراشه والملائكة يستغفرون له».

بشارة! هذا دليل محبة الملائكة للمؤمنين! قال السعدي: «الدعاء للشخص من أدل الدلائل على محبته، لأنه لا يدعو أحد إلا لمن يحبه».

﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتُمْ﴾ [غافر: ٩]:

قال ابن القيم: «فهذا يتضمن طلب وقايتهم من سيئات الأعمال وعقوباتها التي تسوء صاحبها، فإنه سبحانه متى وقاهم العمل السيئ وقاهم جزاء السيئ».

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ﴾ [غافر: ١٠]:

قال ابن جزري: «وهذه الحال تكون للكفار عند دخولهم النار، فإنهم إذا دخلوها مقتوا أنفسهم، أي مقت بعضهم بعضاً، ويحتمل أن يمقت كل واحد منهم نفسه، فتناديهم الملائكة وتقول لهم: مقت الله لكم في الدنيا على كفركم أكبر من مقتكم أنفسكم اليوم».

﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [غافر: ١٨]:

من ألوان العذاب فقد الأحبة الذي يشاركون المرء أوجاعه وآلامه؛ لذا كان من عذاب أهل النار: فقدان الحميم.

﴿ يَعْلَمُ حَاقِنَةُ الْآعِينَ وَمَا تَخْفَى الصُّدُورُ ﴾ [غافر: ١٩]:

أن تحتل نظر إلى من حولك دون أن يشعر.. حتى هذه الله يعلمها.

﴿ يَعْلَمُ حَاقِنَةُ الْآعِينَ ﴾ [غافر: ١٩]:

قال ابن عباس: «هو الرجل ينظر إلى المرأة، فإذا نظر إليه أصحابه غَضَّ بصره، فإذا رأى منهم غفلة تدسس بالنظر، فإذا نظر إليه أصحابه غَضَّ بصره، وقد علم الله عز وجل منه أنه يود لو نظر إلى عورتها».

﴿ ذُرُوفِي أَقْتُلْ مُوسَى ﴾ [غافر: ٢٦]:

وما الذي يمنعك يا فرعون؟! لعله أراد: أوجدوا لي الذرائع المناسبة لقتل موسى، وقوموا بتهيئة الرأي العام لعملية القتل!

﴿ ذُرُوفِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ﴾ [غافر: ٢٦]:

الاستهزاء بدعوات الصالحين صفة مشتركة بين الطغاة.

﴿ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾ [غافر: ٢٦]:

للطغاة ذرائع كاذبة لاضطهاد المصلحين وإيذائهم، يدلسون بها على الجماهير ويستحقونهم.

﴿ وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴾

[غافر: ٢٧]: الكبير حجاب يحجب القلب عن تذكر يوم الحساب.

﴿ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ، وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ﴾

[غافر: ٢٨]: قدّم مؤمن آل فرعون الكذب في خطابه على الصدق وذلك لئلا يعتقد القوم أنه متعصب لموسى.

﴿ فَمَنْ يَضُرَّنَا مِنَ بَاسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا ﴾ [غافر: ٢٩]:

أدخل نفسه في الخطاب ليستميل قومه، ويؤلف قلوبهم.. هذه حكمة كل داعية.

﴿وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾ [غافر: ٤٤]:

من فَوَّض أمره إلى الله لا يعتريه قلق؛ لأن قلبه صار معلقًا بالسما.

﴿وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٤]:

ذكر أن سبب تفويض أمره معهم إلى الله، بأن الله عليم بأحوال جميع العباد، فشمله علم الله وشمل خصومه.

العمل: ﴿وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾، والنتيجة: ﴿فَوْقَهُ اللَّهُ سَعَاتِ مَا مَكْرُوا﴾ هل رأيت أرباح التفويض؟ اللهم إني فوضتك في أموري كلها.

﴿فَوْقَهُ اللَّهُ سَعَاتِ مَا مَكْرُوا﴾ [غافر: ٤٥]:

الله وحده القادر على أن ينجيك من كل من يمكر بك، بحسب ما في قلبك من قوة التفويض والتوكل على الله.

﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٦]:

قال ابن كثير: «وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور».

﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾

[غافر: ٥١]: قال البغوي: «قال ابن عباس: بالغلبة والقهر، وقال الضحاك: بالحجة، وفي الآخرة بالعذر. وقيل: بالانتقام من الأعداء في الدنيا والآخرة، وكل ذلك قد كان للأنبياء والمؤمنين، فهم منصورون بالحجة على من خالفهم، وقد نصرهم الله بالقهر على من ناوهم وإهلاك أعدائهم، ونصرهم بعد أن قُتلوا بالانتقام من أعدائهم، كما نصر يحيى بن زكريا لما قُتل، قُتل به سبعون ألفاً، فهم منصورون بأحد هذه الوجوه».

قال ابن عاشور: «والمعنى لا تستبطئ النصر فإنه واقع، وذلك ما نصر به النبي

ﷺ في أيامه على المشركين يوم بدر ويوم الفتح ويوم حنين وفي أيام الغزوات الأخرى، وما عرض من الهزيمة يوم أحد كان امتحاناً وتبليهاً على سوء مغبة عدم الحفاظ على وصية الرسول ﷺ أن لا يبرحوا مكانهم، ثم كانت العاقبة للمؤمنين».

كيف يقع النصر في الدنيا؟ وقد قُتِلَ زكريا، ويحيى، وحاولوا قتل عيسى فرفعه الله إليه، وأخرج إبراهيم من أرضه، وهاجر محمد ﷺ؟ والجواب: أن النصر إما يكون في الحياة بمحق الأعداء، أو يكون بالانتقام من الأعداء لإيذائهم الأنبياء، وذلك في حياة الأنبياء أو بعد موتهم، فالوعد أكيد، لكن الميعاد مخفي.

﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [غافر: ٥١]:

قال القشيري: «نصرهم على أعدائهم بكيد خفي ولطف غير مرئي، من حيث يحسبون، ومن حيث لا يحسبون».

﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرَتُهُمْ ﴾ [غافر: ٥٢]:

الاعتذار اليوم سَمَتْ الأبرار، وما أحبه إلى الرحيم الغفار، لكن غدا لا تقبل الأعذار، ولا ينفع تبرير من الفجار.

﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ [غافر: ٥٥]:

قال القشيري: «الصبر في انتظار الموعد من الحق على حسب الإيمان والتصديق، فمن كان تصديقه وبقينه أتم وأقوى كان صبره أتم وأوفى».

قال القشيري في التفسير: «كن بقلبك فارغا عنهم، وانظر من بعد إلى ما يُفعل بهم، واستيقن بأنه لا بقاء لجولة باطلهم، فإن لقيت بعض ما تنوعدهم به وإلا فلا تك في ريب من مقاساتهم ذلك بعد».

﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴾ [غافر: ٥٥]:

قل (سبحان الله وبحمده) كل صباح ومساء، ففي الحديث: «من قال: سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياها وإن كانت مثل زبد البحر» صحيح الجامع رقم: ٦٤٣١.

﴿ وَأَسْتَغْفِرْ لَدُنْكَ ﴾ [غافر: ٥٥]:

قال البغوي: «أمره بالاستغفار مع أنه مغفور له لتسن به أمته».

قال الألوسي: «أمر عليه السلام بذلك إبانة لفضل التوبة ومقدارها عند الله تعالى، وأنها صفة الأنبياء، وبعثا للكفرة على الرجوع عما هم عليه بأبلغ وجه

والطفه، فإنه عليه السلام حيث أمر بها وهو منزّه عن شائبة اقتراف ما يوجبها من الذنب وإن قل، فتوبتهم وهم عاكفون على أنواع الكفر والمعاصي مما لا بد منه أصلاً (أولاً).

﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]:

كان سفيان الثوري يقول: «يا من أحبّ عباده إليه من سأله فأكثر سؤاله، ويا من أبغض عباده إليه من لم يسأله، وليس أحد كذلك غيرك يا رب».

﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ﴾ [غافر: ٦٠]:

ليس أبسط ولا أروع ولا أجمل ولا ألطف من هذه الطلب!

﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]:

لو لم ترّد نيل ما أرجو وأطلبه من جود كفك ما عودتني الطلب.

كان عمر - رضي الله عنه - يقول: «إني لا أحمل همّ الإجابة، ولكن أحمل هم الدعاء، فإذا ألهمت الدعاء، فإن الإجابة معه»، وكان يقول للصحابه: «لستم تُنصرون بكثرة، وإنما تُنصرون من السماء».

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [غافر: ٦١]:

أكثر الناس لا يشكرون نعم الله عليهم؛ فكيف يشكرون الناس؟!

﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ [غافر: ٧٥]:

قال السعدي: «وهذا هو الفرح المذموم الموجب للعقاب، بخلاف الفرح المدحوح الذي قال الله فيه: ﴿قُلْ يَفْضِلُ اللَّهُ وَرَحْمَتُهُ فِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ [يونس: ٥٨]، وهو الفرح بالعلم النافع، والعمل الصالح».

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَكَيْمَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يَرْجِعُونَ﴾ [غافر: ٧٧]:

الاحتمالان إذن قائمان!

أن ترى نهاية عدوك أو لا تراها..

لكن الوعد الإلهي بالعقوبة الإلهية ليس خاضعاً للاحتمال.

الرسالة هنا: العبد عبدُ والربُّ رباً وليس للعبد أو من مهماته تحديد ساعة الفرج ولا موعد النهايات ومصارع الطغاة .. بل الأمر في هذا إلى الله وحده.

إما نرينك يا محمد في حياتك بعض الذي نعد هؤلاء المشركين من العذاب والنقمة، فإذا كان هذا حال النبي ﷺ، فكيف بحالنا نحن؟! ﴿أَوْ تَوَفَّيْنَاكَ﴾ قبل أن يحلَّ بهم ذلك، فالينا مصيرك ومصيرهم، لنحكم عند ذلك بينك وبينهم بالحق بأن ندخلهم النار، ونكرمك بجوارنا في جنات النعيم.

سورة فصلت

﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [فصلت: ٧]:

قال الزمخشري: «فإن قلت لم خص من بين أوصاف المشركين منع الزكاة مقررًا بالكفر بالآخرة؟ قلت: لأن أحب شيء إلى الإنسان ماله، وهو شقيق روحه، فإذا بذله في سبيل الله فذلك أقوى دليل على ثباته واستقامته وصدق نيته ونصوع طويته».

﴿ثُمَّ أَسْتَوِي إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾

[فصلت: ١١]: الجمادات أطوع لله من بعض الأحياء!

﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]:

بعضنا يخضع لله كرها، فليتنا نخضع له طوعًا كما خضعت السماوات والأرض في رضا وسرور.

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْتَهُمْ﴾ [فصلت: ١٧]:

«أي هداية بيان، وإنما نص عليهم، وإن كان جميع الأمم المهلكة، قد قامت عليهم الحجة، وحصل لهم البيان؛ لأن آية ثمود آية باهرة، قد رآها صغيرهم وكبيرهم، وذكرهم وأنشاهم، وكانت آية مبصرة؛ فلهذا خصهم بزيادة البيان والهدى».

﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ﴾ [فصلت: ١٧]:

الجزء من جنس العمل، فمن استحب الضلال على الهدى كالذي أحب العمى على البصر، فكان جزاؤهم بالصاعقة لأنها تُعمي الأبصار قبل أن تهلكهم كما قال تعالى: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾ [البقرة: ٢٠].

﴿قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [فصلت: ٢١]:

ولم لا؟ وقد تحررت الجوارح من أسر الإرادة، وجاء الوقت لتشتبك إلى الله، وتنطق بكلمة الحق التي كنتم تحت سطوة إرادتك وقهرك.

﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾

[فصلت: ٢٢]:

سبب نزولها:

في صحيح مسلم عن ابن مسعود قال: «اجتمع عند البيت ثلاثة نفر، قرشيان وثقفي، قليل فقهُ قلوبهم، كثير شحم بطونهم، فقال أحدهم: أترون الله تعالى يسمع ما نقول؟! فقال الآخر: يسمع إن جهرنا، ولا يسمع إن أخفينا، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ﴾».

﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنْنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَبَكُمْ﴾ [فصلت: ٢٣]:

قال قتادة: «من استطاع منكم أن يموت وهو حسن الظن بربه فليفعل، فإن الظن اثنان؛ ظن ينجي، وظن يُردي».

قال عمر بن الخطاب في هذه الآية: «هؤلاء قوم كانوا يدمنون المعاصي ولا يتوبون منها، ويتكلمون على المغفرة، حتى خرجوا من الدنيا مغاليس، ثم قرأ: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنْنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَبَكُمْ﴾».

﴿فَإِنْ يَصْبرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا فَمَا لَهُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾

[فصلت: ٢٤]: يُقال: ثوى فلان بالمكان، إذا أقام به إقامة دائمة، فهؤلاء إن صبروا واستسلموا فهم باقون في النار، وإن يستغثوا أي يطلبوا العتب والاعتذار لم ينفعهم ولم يُقبل منهم، فهم أيضًا باقون في النار.

﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا فَمَا لَهُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ [فصلت: ٢٤]:

خطب رسول الله ﷺ فقال: «والذي نفسي بيده.. ما بعد الموت من مستعتب، وما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار».

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ [فصلت: ٣٠]:

قال أبو بكر ثم استقاموا: لم يشركوا بالله شيئاً، وقال عمر: استقاموا على الطريقة لطاعته ثم لم يروغوا وروغان الثعالب. وقال عثمان: ثم أخلصوا العمل لله، وقال علي: ثم أدوا الفرائض.

سبب نزولها:

عن ابن عباس: نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وذلك أن المشركين قالوا: ربنا الله والملائكة بناته وهؤلاء شفعاؤنا عند الله، فلم يستقيموا. وقال أبو بكر: ربنا الله وحده لا شريك له ومحمد ﷺ عبده ورسوله، فاستقام.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ [فصلت: ٣٠]:

متى هذا التنزل؟! قال الزهري وقتادة: هي نزول الملائكة بالبشارة من الله تعالى عند الموت.

﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ [فصلت: ٣٠]:

قال مجاهد: «لا تخافوا على ما تقدمون عليه من أمر الآخرة، ولا تحزنوا على ما خلفتم من أهل وولد، فإننا نخلفكم في ذلك كله».

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]:

كان الحسن إذا تلا هذه الآية يقول: «هذا رسول الله، هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا والله أحب أهل الأرض إلى الله، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب إليه».

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت: ٣٤]:

قال الشاعر:

وما شيء أحبُّ إلى سفيهٍ إذا سبَّ الكريمَ من الجواب
متاركة السفيه بلا جواب وأشد على السفيه من السباب

قال ابن عباس في تفسير الآية: «ادفع بحلمك جهل من يجهل عليك».

روي عن ابن عباس قوله: «أمر المسلمين بالصبر عند الغضب، والحلم عند الجهل، والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان، وخضع لهم عدوهم، كأنه ولي حميم».

﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]

قال أنس بن مالك: «هو الرجل يشتمه أخوه فيقول: إن كنت كاذبًا فغفر الله لك، وإن كنت صادقًا فغفر الله لي».

﴿أَمَنَ يُلَقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي ءَامِتًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [فصلت: ٤٠]:
لو لم يكن الفوز غداً إلا النجاة من أهوال النار وفزع يوم القيامة، والشعور بالأمان، لكفى، فكيف لو كان مع هذا الفوز العظيم جنات النعيم؟
﴿وَلَئِنَّهُ لَكُنْتُ عَزِيزٌ﴾ [فصلت: ٤١]:

ولأنه عزيز؛ لذا لا يعطيك أعز معانيه إلا بعد أن تُعطيه أعز أوقاتك، ولا يمنحك بعضه إلا بعد أن تمنحه كلك، فغلو السلعة يقتضي غلو الثمن!
﴿مَا يَقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾ [فصلت: ٤٣]:

التَّهْمُ واحدة على مر العصور، ومع سائر الأنبياء، فكاذب وساحر وكاهن ومجنون ومتآمر، ليس في الأمر جديد!
﴿أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤]:

أي أنهم لا يسمعون ولا يفهمون كما أن من دُعي من مكان بعيد لا يسمع ولا يفهم.



الجزء الخامس والعشرون

من سورة فصلت الآية ٤٧

إلى سورة الجاثية الآية ٣٧

عدد الفوائد ٨٦

﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ [فصلت: ٤٧]:

اتخذ الكفار عدم العلم بوقت الساعة حجة على التكذيب بالساعة، فساق الله لهم ثلاثة نظائر، لا يعلمها إلا الله، وهي تجري أمام أعينهم: أولها: علم ما تخرجه أكمام الزرع من الثمار بكميته وجودته وموعد سقوطه، وثانيها: حمل الإناث من إنسان أو حيوان، ولا يعلم الولود من العقيم منها قبل الزواج إلا الله، وثالثها: وقت وضع الأجنة باليوم والساعة.

﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُوْ عَاكِ عَرِيضٍ﴾ [فصلت: ٥٠]:

قال أبو السعود: «أي كثير، مستعار مما له عَرْضٌ متسعٌ للإشعار بكثرته واستمراره وهو أبلغ من الطويل؛ إذ الطول أطول الامتدادين، فإذا كان عَرْضُهُ كذلك، فما ظنُّكَ بطولِهِ؟».

سورة الشورى

﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ [الشورى: ١٩]:

قال السعدي: «ومن لطفه .. أن قيَّض لعبده كل سبب يعوقه ويحول بينه وبين المعاصي، حتى إنه تعالى إذا علم أن الدنيا والمال والرياسة ونحوها مما يتنافس فيه أهل الدنيا، تقطع عبده عن طاعته، أو تحمله على الغفلة عنه، أو على معصية صرفها عنه، وقدر عليه رزقه، ولهذا قال هنا: ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الشورى: ١٩]: بحسب اقتضاء حكيمته ولطفه».

أوصى ابن قدامة إخوانه: «واعلم أن من هو في البحر على اللوح، ليس بأحوج إلى الله وإلى لطفه من هو في بيته بين أهله وماله، فإذا حققت هذا في قلبك فاعتمد على الله اعتماد الغريق الذي لا يعلم له سبب نجاة غير الله».

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ [الشورى: ٢٠]:

قال قتادة: «إن الله يعطي على نية الآخرة ما شاء من أمر الدنيا، ولا يعطي على نية الدنيا إلا الدنيا».

﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى: ٢٣]:

سبب نزولها:

جاء في سبب نزول هذه الآية أن رسول الله ﷺ كان له في كل بطن من قريش قرابة، فنزلت ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ أي إلا أن تصلوا قرابة ما بيني وبينكم.

﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَّوْا فِي الْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٢٧]:

سبب نزولها:

قال خباب بن الأرت: «فينا نزلت هذه الآية، وذلك أنا نظرنا إلى أموال بني قريظة وبني النضير وبني قينقاع، فتمنيهاها، فأنزل الله عز وجل هذه الآية».

قال شقيق بن إبراهيم: «إن الله عز وجل لو رزق العباد من غير كسب، لتفرغوا فتفاسدوا، ولكن شغلهم بالكسب حتى لا يتفرغوا للفساد».

﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ [الشورى: ٢٨]:

يا رب.. هذا فعلك باليائسين القانطين، فكيف بالموقنين الذين أحسنوا الظن بك يا رب العالمين!

﴿وَمَا أَصْبَحْكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كُنْتُمْ آيْدِكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾

[الشورى: ٣٠]: قيل لأبي سليمان الداراني: ما بال العقلاء أزالوا اللوم عن أساء إليهم؟ فقال: لأنهم علموا أن الله تعالى إنما ابتلاهم بذنوبهم، قال الله تعالى:

﴿وَمَا أَصْبَحْكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كُنْتُمْ آيْدِكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾

قال الضحاك: «ما تعلم رجل القرآن ثم نسيه إلا بذنب»، ثم قرأ: ﴿وَمَا أَصْبَحُكُمْ مِنْ مَّصِيْبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠]، ثم قال الضحاك: «وأي مصيبة أعظم من نسيان القرآن؟!».

دخلوا على عمران بن حصين في مرضه، فقال له رجل: والله إني لأياس من بعض ما أراك. قال: «لا تفعل، فإن أحبه إلى أحبه إلى الله. قال الله: ﴿وَمَا أَصْبَحُكُمْ مِنْ مَّصِيْبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠] هذا مما كسبت يداي، ويأتي عفوري فيما يبقى».

قال ابن تيمية: «وإذا رأيت العبد يقع في الناس إذا آذوه، ولا يرجع إلى نفسه باللوم والاستغفار، فاعلم أن مصيبته مصيبة حقيقية، وإذا تاب واستغفر وقال: هذا بذنوبي، صارت في حقه نعمة».

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ [الشورى: ٣٢]: جوار جمع جارية وهي السفن، وسميت جارية لجريانها.

﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]:

قيل لرجل من بني عبس: ما أكثر صوابكم! فقال: نحن ألف، وفينا حازم واحد، فكنا نشاورة ونطيعه، فصرنا ألف حازم.

قال علي رضي الله عنه: «نعم المؤازرة المشاورة، وبش الاستعداد الاستبداد».

قال عمر بن عبد العزيز: «إن المشورة والمناظرة بابا رحمة ومفتاحا بركة، لا يضلّ معهما رأي، ولا يفقد معهما حزم».

قال الحسن البصري: «والله .. ما استشار قوم قط إلا هتدوا لأفضل ما بحضرتهم، ثم تلا: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨].

قال طلحة بن عبيد الله: «لا تشاور بخيلاً في صلة، ولا جبائناً في حرب، ولا شاباً في جارية». لماذا؟! لأن النتيجة معروفة مسبقاً!

﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]:

قال ابن جرير: «هذا يدل على أن العفو عن الظلمة أفضل من الانتصار، لأنه ضمن الأجر في العفو، وذكر الانتصار بلفظ الإباحة في قوله: ﴿وَلَمَنْ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [الشورى: ٤١].»

يستحيل علينا بعقولنا القاصرة ومداركنا الضعيفة أن نتخيل عظمة هذا الأجر الذي على الله!! فمن يقدر الله قدره؟!

كان الحسن البصري يدعو ذات ليلة: اللهم اعف عمن ظلمني، فأكثر في ذلك، فقال له رجل: يا أبا سعيد، لقد سمعتك الليلة تدعو لمن ظلمك حتى تمنيت أن أكون فيمن ظلمك، فما دعاك إلى ذلك؟ قال: قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾.

﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾ [الشورى: ٤٢]:

كتب عمر إلى عامل له: «فلتجف يدك من دماء المسلمين، وبطنك من أموالهم، ولسانك عن أعراضهم! فإن فعلت فليس عليك سبيل، ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾».

﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣]:

يُحكى أن رجلاً سبَّ رجلاً في مجلس الحسن البصري، فكان المسبوب يكظم، ويعرق فيمسح العرق، ثم قام فتلا هذه الآية، فقال الحسن: «عقلها والله وفهمها إذ ضيعها الجاهلون».

متى يكون عدم العفو أولى؟ قال القرطبي: «وبالجملة العفو مندوب إليه، ثم قد ينعكس الأمر في بعض الأحوال فيرجع ترك العفو مندوباً إليه، وذلك إذا احتيج إلى كَفٍّ زيادة البغي وقطع مادة الأذى، وعن النبي ﷺ ما يدل عليه، وهو أن زينب أَسْمَعَتْ عائشة رضي الله عنهما - بحضرته، فكان ينهاها فلا تنتهي، فقال لعائشة: (دونك فانتصري)».

لكنه قال في لقمان: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧]، فلم الصبر في الأولى ﴿لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ وفي الثانية: ﴿مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ ١٤

سِرُّ التوكيد باللام في الأولى أنه صبر مضاعف؛ لأنه صبر على عدوان له فيه غريم، وهو مطالب فيه بأمرين: الصبر والمغفرة معاً، وهو أمرٌ على النفس من الصبر على القضاء الإلهي الذي لا حيلة فيه.

﴿إِنَّ الْخَسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [الشورى: ٤٥]: قال القرطبي: «خسروا أنفسهم لأنهم في العذاب المخلد، وخسروا أهلهم لأن الأهل إن كانوا في النار فلا انتفاع بهم، وإن كانوا في الجنة فقد حيل بينه وبينهم». ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذَّكَرَ﴾ [الشورى: ٤٩]: قدّم الإناث اعتناءً بهن وتأنيساً لمن وهبهن. قال واثلة بن الأسقع: «من يُمنِ المرأة تكبيرها بأنثى قبل الذكر، لأن الله بدأ بالإناث».

سورة الزخرف

﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣]: مسؤولية العرب مضاعفة؛ لأن القرآن نزل بلغتهم، فسيحاسبون مرتين! كلما زاد فهمك وتذوقك للغة العربية، زاد تدبرك وتعقلك لما جاء في القرآن. ﴿وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَسُقِّلُونَ﴾ [الزخرف: ١٤]:

أي راجعون، وفيه أن على كل راكب أن يتذكر يسفره السفرة العظمى التي هي الانقلاب إلى الله تعالى للمساءلة والمحاسبة.

﴿أَوْ مَن يُنثَوُا فِي الْعِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف: ١٨]: ظاهر الآية يدل على أن النشوء في الزينة والنعموة مما يُعاب ويُذم، وأنه من صفات النساء، فعلى الرجل أن يجتنب ذلك، ويربأ بنفسه عنه.

قال عمر رضي الله عنه: «اخشوشنوا في اللباس، واخشوشنوا في الطعام، وتمعددوا»، أي اصبروا على عيش معد بن معدان في الحضر والسفر، وتشبهوا بلباسه، ولا تشبهوا بزي الأعاجم.

فيه دلالة على أن التحلي بالذهب مباح للنساء، وحرام على الرجال؛ لأنه تعالى جعل ذلك عنواناً للضعف والنقصان، وإنما زينة الرجال الصبر على طاعة الله، والترين بزينة التقوى.



﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾ [الزخرف: ٢٠]:



الاعتذار بالقدر لتبرير الضلالة مسلك قديم من مسالك المنحرفين.

﴿قَالَ مُتَرَفُوهُمْ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾



[الزخرف: ٢٣]: التحرر من العقل الجمعي وسياسة القطيع ضرورة إن أردت النجاة من العذاب غداً، لأن الكثرة منحرفة، والمؤمنون قلة.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١]:



والرجلان: الوليد بن المغيرة من مكة، وعروة بن مسعود من الطائف.. هذا إيمان على مقياس القوم، ووفق ما يشتهون! أي أيان هذا؟

داء الحسد قديم، وكثيراً ما صد أناساً عن الهداية رغم معرفتهم بالحق.

قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: «يكفيك من الحاسد أن يغمّ وقت سُرورك».

إن محمداً فقير ليس معه شيء، فكيف يصير نبياً رسولاً!! إنها المقاييس المادية حين تكون سبباً في الضلالة وحرمان الهداية.

﴿أَمَرَ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزخرف: ٣٢]:



قال ابن كثير: «ليس الأمر مردوداً إليهم، بل إلى الله عز وجل، والله أعلم حيث يجعل رسالاته، فإنه لا ينزلها إلا على أذكى الخلق قلباً ونفساً، وأشرفهم بيتاً، وأطهرهم أصلاً».

الرحمة هنا هي النبوة، ﴿وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢]، والرحمة هنا هي الجنة.



﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الزخرف: ٣٢]:



قال حاتم الأصم: «نظرت إلى قوله تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، فتركت الحسد، واجتنبت الخلق، وعلمت أن القسمة من عند الله تعالى، فتركت عداوة الخلق عني».

﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦]:

من عرض الله عليه خير المواهب، وأعظم العطايا، فأعرض عنها، عاقبه الله أشد عقوبة، ونُقِضَ له شيطاناً يؤزره إلى المعاصي أژا، ويصرفه عن الطاعات.

القرآن عزيز؛ لذا سخر الله شيطاناً لكل من أعرض عن كتابه، تلاوة أو عملاً.

قال ابن القيم: «فمن لم يعدب شيطانه في هذه الدار بذكر الله تعالى وتوحيده واستغفاره وطاعته، عدب شيطانه في الآخرة بعذاب النار، فلا بد لكل أحد أن يعدب شيطانه أو يعدب به شيطانه».

﴿وَلَا تَنْتَفِعُوا بِالْأَيْدِي أَنْتُمْ مُنْتَفِعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٧]:

أشد أنواع الضلال أن تتمدك بالباطل وتدعو إليه، وتصد غيرك عن الحق وتحذرهم منه، ثم تحسب نفسك من المهتدين!

سين: هل لهؤلاء عذر؟!

جيم: لا، لا عذر لهم ولا لأمثالهم؛ لأنهم بدؤوا العدوان بإعراضهم عن ذكر الله، وزهدوا في الهداية مع القدرة عليها، ورغبوا في الباطل، فالذنب ذنبهم، والجرم جرمهم.

﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْتُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [الزخرف: ٣٩]:

هذا قول يُلقى على أسمع أهل النار يوم القيامة، قال السعدي: «ولن ينفعكم أيضاً روح التسلي في المصيبة، فإن المصيبة إذا وقعت في الدنيا، واشترك فيها المعاقبون، هان عليهم بعض الهون، وتسلى بعضهم ببعض، وأما مصيبة الآخرة، فإنها جمعت كل عقاب، ما فيه أدنى راحة، حتى ولا هذه الراحة».

قالت الخنساء لما جاءها خبر قتل أخيها:

ولولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي

فلولا هذا التأسي لقتلت نفسها، لكن الله نفى عن أهل النار الانتفاع بمثل هذا التأسي.

﴿ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْأَعْمَى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾

[الزخرف: ٤٠]: استفهام بمعنى النفي، فليس يمكنك هداية من سدّدنا بصيرته، ومن صببنا في مسامع فهمه رصاص الشقاء والحرمان، وفيه تسلية لقلب النبي ﷺ الحزين على إعراض قومه.

﴿ فَإِنَّمَا نَذَرْنَا بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْقِمُونَ ﴾ [الزخرف: ٤١]:

يعني: يا محمد.. إن انقضى أجلك ولم تشهد ما توعدناهم به، فلا تشك في صدق كلامنا، فإن ما أخبرناك عنه - لا محالة - كائن.

﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الزخرف: ٤٣]:

على قدر تمسكك بالوحي من كتاب وسنة تكون استقامتك على الصراط المستقيم في الدنيا، وعلى الصراط فوق النار يوم القيامة.

﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ، فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ [الزخرف: ٥٤]:

لم أطاعوه؟!

قال القشيري: «أطاعوه طاعة الرهبة، وطاعة الرهبة لا تكون مخلصه، وإنما تكون الطاعة صادقة إذا صدرت عن الرغبة».

لولا أنهم فاسقون ما استطاع الطاغية أن يستخفهم، فإن المؤمن لا يُستخف.

﴿ فَلَمَّا أَسْفَوْنا أَنْقَمْنَا مِنْهُمُ ﴾ [الزخرف: ٥٥]:

قال عمر بن ذر: «يا أهل المعاصي.. لا تغتروا بطول حلم الله عنكم، واحذروا أسفه، فإنه تعالى ذكره قال: ﴿ فَلَمَّا أَسْفَوْنا أَنْقَمْنَا مِنْهُمُ ﴾».

﴿ وَلَمَّا ضَرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ [الزخرف: ٥٧]:

ليست بالضم من الصدود؛ بل بكسر الصاد. قال ابن عباس: أي يضحكون، وهي الوحيدة في القرآن بالكسر.

﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف: ٦٧]:

كل الصداقات مستقلب غدا عدوات، إلا أخوة زينتها التقوى!

اختر إخوانك! قال عمر بن الخطاب: لا تمش مع الفاجر فيعلمك من فجوره.

﴿ أَفْخَلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴾ [الزخرف: ٧٠]:

أي تُسَرَّون وتُكْرَمون، فيما العمل الذي جمعك بزوجتك اليوم، وترجو أن يجمعكما الله به في الجنة؟!

﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ ﴾ [الزخرف: ٧٠]:

ذهب الجنة ليس المعدن الأصفر الذي نعرفه اليوم، بل شيء مختلف، ففي الحديث: «ليس في الجنة شيء مما في الدنيا إلا الأسماء» صحيح الجامع رقم: ٥٤١٠.

﴿ وَفِيهَا مَا شَتَّاهِيَ الْإِنْسُ وَتِلْكَ الْأَعْيُنُ ﴾ [الزخرف: ٧١]:

ماذا تبقى من النعيم لم تذكره هذه الآية؟! أطلق لها خيالك!

قال ابن أبي الإصبع: «فالمح إلى كل ما تميل النفوس إليه من الشهوات، وتلذه الأعين من المراتب، لتعلم أن هذا اللفظ القليل جداً عبّر عن معاني كثيرة لا تنحصر عدداً».

﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الزخرف: ٧٢]:

ليس الإيمان بالتمني، ولا يصح شراء الجنة دون دفع الثمن، فليست الجنة بالمجان.

﴿ وَنَادَوْا بِمَمْلِكٍ لِيَقْضَ عَلَيْهِمْ نَارُكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِيدُونَ ﴾ [الزخرف: ٧٧]:

قال ابن عباس في تفسيرها: فأجابهم بعد ألف سنة: ﴿ إِنَّكُمْ مَكِيدُونَ ﴾.

سورة الدخان

﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ [الدخان: ٤]:

والأمر الحكيم هو أرزاق العباد وأجالتهم وجميع أمورهم في ذلك العام. قال الإمام الرازي: «واعلم أن تقدير الله لا يحدث في تلك الليلة، فإنه تعالى قدر المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض في الأزل، بل المراد إظهار تلك الليلة المقادير للملائكة في تلك الليلة بأن يكتبها في اللوح المحفوظ، وهذا القول اختيار عامة العلماء».

قال سعيد بن جبیر: «يؤذن للحجاج في ليلة القدر، فيكتبون بأسمائهم، وأسماء آبائهم، فلا يغادر منهم أحد، ولا يزداد منهم، ولا ينقص منهم».

﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الدخان: ١٠]:

روى البخاري عن ابن مسعود قال: إن قريشاً لما أبطأت عن الإسلام، واستعصت على رسول الله ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم من الجهد والجوع حتى أكلوا العظام والميتة، وجعلوا يرفعون أبصارهم إلى السماء فلا يرون إلا الدخان، فقل: يا رسول الله، استسق الله لمضر فإنها قد هلكت، فاستسقى لهم فشقوا، وعلى هذا الرأي يكون الدخان قد وقع فعلاً، ثم كشفه الله عنهم ببركة دعاء النبي ﷺ.

ورأى آخرون أنه من أشراط الساعة، ولم يحن بعد، وأن الدخان يمكث في الأرض أربعين يوماً يملأ ما بين السماء والأرض، فأما المؤمن فيصيبه مثل الزكام، وأما الكافر والفاجر فيدخل في أنوفهم فيثقب مسامعهم، ويضيق أنفاسهم، وهو من آثار جهنم يوم القيامة، والأصح: الرأي الأول.

﴿إِنِّي لَكُمُ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الدخان: ١٨]:

قال السعدي: «أي رسول من رب العالمين أمين على ما أرسلني به، لا أكتكم منه شيئاً، ولا أزيد فيه، ولا أنقص، وهذا يوجب تمام الانقياد له»، وكل داعية عليه أن يكون أميناً على رسالته.

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٩]:

قال مجاهد: إن السماء والأرض يبكيان على المؤمن أربعين صباحاً. قال أبو يحيى: فعجبت من قوله فقال: «أتعجب! وما للأرض لا تبكي على عبد يعمرها بالركوع والسجود! وما للسماء لا تبكي على عبد كان لتسيحه وتكبيره فيها دوي كدوي التحل».

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الدخان: ٤٠]:

يومٌ يجتمع فيه كل ظالم مع المظلوم، والقاتل والمقتول، فيقتص الله لهذا من هذا.

﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُومِ﴾ [الدخان: ٤٣]:

هذا هو الموضع الوحيد في القرآن الذي كُتِبَ فيه (شجرة) بالهاء المبسوطة والأصل أن تكتب مربوطة.

قاعدة في بسط التاء وقبضها! التاء المقبوضة تدل على أن الشيء مجهول كله أو بعضه، والتاء المبسوطة يدل بسطها على أن الشيء معلوم وبين واضح غير مجهول، ولما كانت شجرة الزقوم مجهولة في الدنيا، فكُتِبَت التاء مقبوضة، ولما أكلوا منها في النار، وأصبحت معروفة لديهم، بُسِطَتْ تأؤها في الرسم، وهذا من أسرار الرسم العثماني وملاحم إعجازه.

﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩]:

يقال على سبيل التوبيخ والتهكم، أي كنت العزيز الكريم عند نفسك، وقد روي أن أبا جهل قال: «ما بين جليلها أعز مني ولا أكرم»، فنزلت هذه الآية. كم من سيد مطاع في الدنيا، ذليل مهان في الآخرة، ففي صحيح البخاري: «إنه لبأي الرجل العظيم السمين يوم القيامة؛ لا يزن عند الله جناح بعوضة».

﴿يَلْسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الدخان: ٥٣]:

كيف يجلس أهل الجنة؟ قال ابن كثير: «متقابلين أي على الشُّرر، لا يجلس أحد منهم وظهره إلى غيره».

نعيم الجنة في كل شيء حتى في نظرة العين!

﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمْنِينَ﴾ [الدخان: ٥٥]:

آمنين من انقطاع هذا النعيم، أو آمنين من أن يناههم من أكلها أذى أو ملل أو مكروه.

﴿لَا يَذُقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ﴾ [الدخان: ٥٦]:

في الحديث: «يؤتى بالموت كأنه كبش أملح حتى يوقف على السور بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة! فيشربون ويقال: يا أهل النار! فيشربون فيقال: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم.. هذا الموت، فيضجع ويُدَبَّح، فلولا أن الله قضى لأهل الجنة الحياة والبقاء لماتوا فرحاً، ولولا أن الله قضى لأهل النار الحياة فيها لماتوا ترحاً» صحيح الجامع رقم: ٧٩٩٨.

﴿فَضَلَّ مِنْ رَبِّكَ﴾ [الدخان: ٥٧]:

الجنة محض فضل من الله؛ ولذا هتف الشافعي عند الموت:

فلولاك لم ينج من إبليس عابدٌ وكيف وقد أغوى صفيك آدم!

﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الدخان: ٥٧]:

قال ابن السكك: سمعتُ امرأة تسكن البادية تقول: «لو تطالعت قلوب المؤمنين بفكرها إلى ما أدخر لها في حُجُب الغيوب من خير الأجر، لم يصف لهم في الدنيا عيش، ولم تقر لهم في الدنيا عين!».

﴿فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ﴾ [الدخان: ٥٩]:

قال ابن جزى: «أي ارتقب نصرنا لك وإهلاكهم، فإنهم مرتقبون ضد ذلك، ففيه وعد لهم، ووعد لهم».

سورة الجاثية

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾ [الجاثية: ١٨]:

سُمِّيت سورة الجاثية بسورة الشريعة؛ لأنه قال الله عز وجل قال فيها: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨]: لا يُعرض أحد عن التحاكم إلى شريعة الله إلا هوى في قلبه.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُم كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١]:

قال إبراهيم بن الأشعث: كثيرًا ما رأيت الفضيل بن عياض يردد من أول الليل إلى آخره هذه الآية ونظيرها، ثم يقول: لست شعري! من أي الفريقين أنت؟ وكانت هذه الآية تسمى مبكاة العابدين.

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوًى﴾ [الجاثية: ٢٣]:

قال سهل بن عبد الله التستري: «هواك داؤك، فإن خالفته فداؤك».

﴿وَإِذَا نُنَادِي عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا بِآيَاتٍ مَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٥]:

قال البقاعي: «لم يجبههم إلى إحياء آبائهم إكراماً لهذه الأمة لشرف نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام؛ لأن سنته الإلهية جرت بأن من لم يؤمن بعد كشف الأمر بإيجاد الآيات المقترحات، أهلكه كما فعل بالأمم الماضية».

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُحْسَرُ الْمُبْطِلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٧]:

قدم سفيان الثوري المدينة، فسبع المعافري يتكلم ببعض ما يضحك به الناس، فقال له: يا شيخ، أما علمت أن الله يوماً يحسر فيه المبطلون؟ قال: فما زالت تُعرف في المعافري حتى لحق بالله عز وجل.

﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ [الجاثية: ٣٢]:

قال السعدي: «وهذا مما يعين على الصبر، فإن العبد إذا علم أن عمله غير ضائع، بل سيجده كاملاً هان عليه ما يلقاه من المكاره، ويسر عليه كل عسير، واستقل من عمله كل كثير».



الجزء السادس والعشرون

من سورة الأحقاف الآية ١
إلى سورة الذاريات الآية ٣٠
عدد الفوائد ١٢١

سورة الأحقاف

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٠]:

تكررت هذه العبارة في القرآن بهذه الصيغة المؤكدة ٤ مرات، فالظالم محروم من الهداية الربانية كعقوبة مستحقة على ظلمه، وهي أشد العقوبات.

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ [الأحقاف: ١٥]:

في القرآن كره بالضم وأحياناً بالفتح (كرهاً)، والنطق بالضم أقوى وأشد؛ لذا جاء مع الثقل النفسي والبدني مثل: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦].
وأما بالفتح فمع الثقل النفسي فحسب مثل: ﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [الأحقاف: ١٥]؛ فجاء التعبير الأثقل مع الأثقل، والأخف مع الأخف.

﴿وَأَصْلَحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥]:

التوبة خير ما يتقدم الدعاء، ومن أراد صلاح ذريته، فليتب من ذنوبه أولاً.

﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ [الأحقاف: ١٥]:

أي ألهمني ووفّقني، فلو لا توفيق الله ما شكره أحد، ولو لا عونه ما أطاعه منهم أحد.

﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدِي﴾ [الأحقاف: ١٥]:

من برّ الوالدين أن تشكر الله على النعم التي أنعم بها على والديك !

قال مالك بن مغول: اشتكى أبو معشر ابنه إلى طلحة بن مصرف، فقال: استعن عليه

بهذه الآية، وتلا: ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدِي﴾.

﴿تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَحْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٥]:

دمرتهم لإجرامهم، وتدمر من ورائهم كل مجرم، فسبب التدمير الإجرام، وهو تحذير باقي لأصحاب العقول والأفهام.

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ [الأحقاف: ٢٩]:

جلسة قرآنية واحدة مع إصغاء كانت سبب تحطيم سنوات طويلة من الضلالة والإغواء، فعليكم بمجالس القرآن!

﴿قَالُوا أَنْصُرُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٩]:

حين تأذّبوا مع كلام ربهم بالإنصات، كافأهم بأن وفّقهم لأشرف المهام، وهي الدعوة إلى الله؛ لأن الحسنات ولود.

﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصُرُوا﴾ [الأحقاف: ٢٩]:

فيه فضل التذكير بالخير، والتواصي بالحق بين الإخوان.

﴿وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٩]:

أولى الناس بدعوتك هم أهلك وعشيرتك.

زكاة العلم تبليغه، وشكر نعمة الهداية أن تُهدي منها إلى غيرك.

﴿فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا﴾ [الأحقاف: ٢٩]:

لا تأخير في البلاغ، ولا كسل في نشر الخير، ألا تغار من الجن أيها الإنسي!

﴿فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٩]:

هل انتفعت بما سمعت اليوم من كتاب الله؟! من علامات انتفاعك ابتداءك فوراً في تبليغ ما سمعت.

﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]:

نحتاج دائماً إلى مثالٍ للاقتداء؛ ولذا فحين أمر الله رسوله بالصبر أرشده أن يصبر كما صبر هؤلاء العظماء.

﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْرِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥]:

الصبر ضد الاستعجال، فبالصبر تتحقق الغايات، وبالاستعجال تياس القلوب وتنقطع عن المواصلة.

سورة محمد

﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ [محمد: ٤]:

قَدَم (المن) على (الفداء)، إشارة إلى ترجيح حرمة النفس على طلب المال، فالمجاهد في سبيل الله يقاتل لإعلاء كلمة الله، لا لمغنم دنيوي.

﴿ذَلِكَ وَلَوْ تَشَاءَ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لَبِلُوا بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ﴾ [محمد: ٤]:

لِلظالم دور مرسوم: يختبر الله به المظلوم؛ ليرى صبره، فإن نجح في الاختبار كافأه الله على صبره بالنصر المحتوم.

﴿وَيُصْلِحْ بَالَهُمْ﴾ [محمد: ٥]:

راحة بال الشهداء! قال البقاعي: «أي موضع فكرهم، فيجعله مهياً لكل خير، بعيداً عن كل شر، آمناً من المخاوف، مطمئناً بالإيمان بما فيه من السكينة، فإذا قُتِل أحد في سبيله تولى سبحانه وتعالى ورثته بأحسن من تولي المقتول لو كان حياً».

﴿وَيَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد: ٦]:

في صحيح البخاري: «فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدي بمنزله في الجنة منه بمنزله كان له في الدنيا».

قال مجاهد: «يمشي أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم، وما قسم الله عز وجل لهم فيها، لا يخطئون شيئاً منها، كأنهم ساكنوها منذ خُلِقُوا، لا يستدلون عليها أحداً».

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ نَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرَكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]:

لا يتأخر نصر الله إلا إن تأخر نصر العبد لربه على نفسه، وذلك بطاعة أو امره واجتناب نواهيه..

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاحْطَبُوا أَعْمَلَهُمْ﴾ [محمد: ٩]:

كراهية بعض ما أنزل الله من أحكام كفيل بإحباط الأعمال، وهنا تبرز خطورة عمل القلب!

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [محمد: ١٠]:

قال ابن القيم: «وكذلك كل موضع أمر الله سبحانه فيه بالسير في الأرض، سواء كان السير الحسي على الأقدام والدواب، أو السير المعنوي بالتفكير والاعتبار».

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾

[محمد: ١٢]: قال البقاعي: «فأنساهم دخولهم (الجنة) غصص ما كانوا فيه في الدنيا من نكد العيش ومعاناة الشدائد، وضموا نعيمها إلى ما كانوا فيه في الدنيا من نعيم الوصلة بالله، ثم لا يحصل لهم كدرٌ ما أصلاً، وهي مأواهم لا ييغون عنها حولاً، وهذا في نظير ما زوي عنهم من الدنيا، وضيق فيها عيشهم نفاسة منهم عنها حتى فرغهم لخدمته، وألزمهم حضرته حباً لهم، وتشريقاً لمقاديرهم».

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ [محمد: ١٢]:

لم كان الكفار أسوأ حالاً من الأنعام؟! لأنهم تساؤوا مع الأنعام في الطعام، لكن زادوا عليهم في العذاب، فإن الأنعام غداً تتحول إلى تراب وهم يعدّون.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾ [محمد: ١٢]:

قال الشيخ عبد القادر الجيلاني لعلامة: «يا غلام: لا يكن همك ما تأكل وما تشرب، وما تلبس وما تنكح، وما تسكن وما تجمع، كل هذا هم النفس والطبع، فأين هم القلب، همك ما أهمك، فليكن همك ربك عز وجل وما عنده».

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد: ١٧]:

من ثواب الهدى الهدى بعده؛ ولذا جاء في بعض الآثار: «من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم».

الرب شكور، طلبوا الهدى فأعطاهم الله ما طلبوا وزيادة.

﴿ فَأَعْلَزَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرَ لِذُنُوبِكِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾

[محمد: ١٩]: سئل سفيان بن عيينة عن فضل العلم فقال:

«لم تسمع قوله حين بدأ به: ﴿ فَأَعْلَزَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرَ لِذُنُوبِكِ ﴾، فأمر بالعمل بعد العلم، وقال: ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ إلى قوله: ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ ﴾ [الحديد: ٢١ - ٢٠].

وقال: ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [الأنفال: ٢٨]، ثم قال بعدها: ﴿ فاحذروهم ﴾ [التغابن: ١٤].

وقال تعالى: ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ ﴾ [الأنفال: ٤١]، ثم أمر بالعمل بعد.

﴿ وَاسْتَغْفِرَ لِذُنُوبِكِ ﴾ [محمد: ١٩]:

ذكر القرطبي وجوهاً خمسة في استغفار النبي ﷺ:

الأول: يعني استغفر الله أن يقع منك ذنب.

الثاني: استغفر الله ليعصمك من الذنوب.

الثالث: أمره بالثبات على الإيمان، أي اثبت على ما أنت عليه من التوحيد والإخلاص والحذر عما تحتاج معه إلى استغفار.

الرابع: الخطاب له والمراد به الأمة.

الخامس: كان عليه السلام يضيق صدره من كفر الكفار والمنافقين، فزلت هذه الآية.

﴿ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ [محمد: ٢١]:

الصدق لا يأتي إلا بخير.

قال ابن القيم: «ومن صدق الله في جميع أموره صنع الله له فوق ما يصنع لغيره».

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٢٢]:

قال ابن عاشور: «وفي الآية إشعار بأن الفساد في الأرض وقطعة الأرحام من شعار أهل الكفر، فهما جُرْمان كبيران يجب على المؤمنين اجتنابهما».

إن توليتم عن الجهاد ولم تقوموا به عمَّ الفساد الأرض وقُطعت الأرحام.

قال قتادة: «كيف رأيتم القوم حين تولوا عن كتاب الله؟! ألم يسفكوا الدم الحرام، وقطعوا الأرحام، وعصوا الرحمن؟».

قال البقاعي: «وقد علّم من هذا أن من أمر بالمعروف وجاهد أهل المنكر أمن الإفساد في الأرض وقطيعة الرحم، ومن تركه وقع فيهما».

الخطاب هنا للمنافقين: إن كنتم توليتم عن الجهاد بذريعة أن فيه إفسادًا وقطع أرحام، لكون الكفار أقاربكم، فلا يُتَوَقَّع منكم إلا أن تفسدوا في الأرض بعدم معونة أهل الإسلام، فإن لم تعينوهم قطعتم ما بينكم وبينهم من أرحام.

﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]:

قال ابن القيم: «فلو رُفِعَت الأقفال عن القلوب لباشرت حقائق القرآن، واستنارت فيها مصابيح الإيمان».

كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: «تَوَرَّوا القرآن». أي: استخرجوا منه كنوزه بالتدبُّر.

قرأها قارئ عند عمر رضي الله عنه، فقال شاب عنده: اللهم عليها أقفالها، ويبيدك مفاتيحها لا يفتحها سواك، فأعجب به عمر واستعان به.

﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]:

ولم يقل: (أم على قلوبهم)، وأراد بذلك العموم، والمعنى: أي قلوب هؤلاء وقلوب أمثالهم، فأَي قلب لا يستمع لكتاب الله، ولا يعيه، ولا يتدبره، فعلى قلبه قفل.

ولم يقل: (أقفال)، وكأن كل قلب من قلوب هؤلاء المنافقين عليه قفل خاص يناسبه ويحكم إغلاقه.

قيل لحكيم: ألا تعظ فلانًا، فقال: ذلك على قلبه قفل ضاع مفتاحه، فلا سبيل إلى معالجة فتحه.

ما الفارق بين الران والطبع والقفل؟ قال مجاهد: «الران أيسر من الطبع، والطبع أيسر من الإقفال، والإقفال أشد ذلك كله».

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴾ [محمد: ٢٦]:

قال المنافقون ذلك لليهود، فالمنافقون دائماً طابور خامس لأعداء الله ومنهم اليهود، ويطيعون أوامر اليهود في الكيد والتآمر على الإسلام وأهله.

﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْنُرُهُمْ ﴾ [محمد: ٢٧]:

قال ابن عباس: «لا يُتَوَفَّى أحد على معصية إلا بضرب شديد لوجهه وقفاه».

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنَهُمْ ﴾ [محمد: ٢٩]:

قال عثمان رضي الله عنه: «ما أسر أحد سريرة إلا أظهرها الله عز وجل على صفحات وجهه وقلات لسانه»، وقال ابن عقيل في الفنون: «وقل أن يضمر مضمر شيئاً إلا وظهر مع الزمان على قلّات لسانه وصفحات وجهه».

قال عثمان رضي الله عنه: «لو أن عبداً دخل بيتاً في جوف بيت فأدمن هناك عملاً، أو شك الناس أن يتحدثوا به، وما من عامل يعمل إلا كساه الله رداء عمله؛ إن خيراً فخير، وإن شراً فشر».

﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾ [محمد: ٣٠]:

المنافق مفضوح بقلات لسانه وزلات قلمه.

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾ [محمد: ٣١]:

قال إبراهيم بن الأشعث: كان الفضيل بن عياض إذا قرأ هذه الآية بكى وقال: اللهم لا تبلينا، فإنك إذا بلوتنا فضحتنا، وهتكت أستارنا.

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ ﴾ [محمد: ٣١]:

لا بد للمحبوب من اختبار المحب، ولا بد مع كل قول من تمحيص الصدق، وإلا كثر المدّعون، وتزاحم على الغنيمة المنافقون!

سورة الفتح

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح: ١]:

قال الزهري: «لم يكن فتح أعظم من صلح الحديبية، وذلك أن المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم، فتمكن الإسلام في قلوبهم، أسلم في ثلاث سنين خلق كثير، وكثر بهم سواد الإسلام».

﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ٤]:

قال الرازي: «والسكينة: الثقة بوعده الله، والصبر على حكم الله، بل السكينة معين يجمع فوزاً وقوة وروحاً، يسكن إليه الخائف، ويتسلى به الحزين، وأثر هذه السكينة الوقار والخشوع وظهور الحزم في الأمور».

﴿لِيَزِدَادُوا إِيْمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]:

أخذ العلماء من هذه الآية وأمثالها أن الإيمان يزيد وينقص. قال الإمام النووي وغيره: «إن الإيمان بمعنى التصديق القلبي، يزيد وينقص أيضاً بكثرة النظر، ووضوح الأدلة».

﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ﴾ [الفتح: ٦]:

قال ابن عاشور: «والابتداء بذكر المنافقين في التعذيب قبل المشركين لتبينه المسلمين بأن كفر المنافقين خفي، فربما غفل المسلمون عن هذا الفريق أو نسوه».

﴿الظَّالِمِينَ يَأْتِيهِمْ ظَنٌّ أَنَّهُ سَاءُ وَلَوْ بِرَأْسِ الْخَيْلِ وَقَدْ تَوَعَّدَهُ اللَّهُ بِأَن يَأْتِيَهُمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ [الفتح: ٦]:

من ظن أن الله لن ينصر دينه ولن يكتب لجنده العاقبة وأنهم يستأصلون، فهو داخل تحت مظلة هذه الآية، وقد توعدده الله بأن ما ظن وقوعه بالمؤمنين سيقع به ودائر عليه.

وهذا عكس حال المؤمن! قال سيد قطب: «فالقلب المؤمن حسن الظن بربه، يتوقع منه الخير دائماً، يتوقع منه الخير في السراء والضراء، ويؤمن بأن الله يريد به الخير في الحالين».

﴿وَتَعَزَّزُوهُ﴾ [الفتح: ٩]:

قال سهل التستري: «أي تعظموه غاية التعظيم في قلوبكم، وتطيعوه بأبدانكم، ولهذا سُمِّي التعزيز تعزيرًا لأنه أكبر التأديب».

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]:

محظوظون ومحروم واحد! روى مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله أنه سئل: كم كان عددكم يوم الحديبية؟ قال: كنا أربع عشرة مائة، فبايعنا الرسول ﷺ على أن لا نفر - سوى الجدي بن قيس فإنه اختفى تحت بطن بعيره، ولم يسرع مع القوم.

﴿وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ﴾ [الفتح: ١٠]:

الضم في كلمة ﴿عَلَيْهِ﴾ أنسب مع أن الكسر هو ما يناسب السياق؛ لأنه يؤدي لتفخيم لفظ الجلالة؛ المناسب لتفخيم العهد مع الله، والهاء مرفوعة لرفع شأن هذه البيعة، وسبب ثان أن الضمة هي أثقل الحركات، وهذا العهد أثقل العهود؛ لأنه عهد على الموت وعدم الفرار؛ فجاء أثقل الحركات مع أثقل العهود.

﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا﴾

[الفتح: ١١]: مهمل كانت ارتباطاتك، فلا يشغلك عن ذكر الله شيء، فإن هذا علامة شؤم وحرمان وطرده وخذلانه!

﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِرِنَا أَخَذُوا هَازِلَنَا نَتَّبِعُكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥]:

قال ابن جزي: «أي يريدون أن يبدلوا وعد الله لأهل الحديبية، وذلك أن الله وعدهم أن يعوضهم من غنيمة مكة غنيمة خيبر وفتحها، وأن يكون ذلك مختصاً بهم دون غيرهم، وأراد المخلفون أن يشاركوهم في ذلك، فهذا هو ما أرادوا من التبديل».

﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ نَحْسَدُونَكَ بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الفتح: ١٥]:

فسيقولون بعد أن منعهم من الخروج معك إلى خيبر، تنفيذاً لحكم الله: إنما تمنعوننا من الخروج لأنكم تحسدوننا، وتريدون حرماننا من نصيبنا في الغنيمة، والله لم يأمركم بهذا.

﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سِتْرُ دَعْوَانِي إِلَى قَوْمٍ أُولَى بِأْسِ شَدِيدٍ يَنْقُلُونَهُمْ أَوْ يَسِلُّونَ﴾

[الفتح: ١٦]: والقوم هم قبائل هوازن وثقيف الذين التقى بهم المسلمون في حنين بعد فتح مكة، وهذه الآية طمأنة للمخلفين بأنهم سينالون مغنم في غزوات آتية؛ ليعلموا أن حرمانهم من الخروج إلى خيبر حرمان خاص بواقعة معينة، ووعدهم الله بالعوض ليزيل عنهم آلام الانكسار من جراء الحرمان، وقد تحقق ذلك العوض حين خرجوا إلى حنين، وحسن إسلام كثير منهم.

﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ١٨]:

لو علم الله في قلبك رضا وتسلية وقيئاً لأفاض عليك من وابل سكينة ما يكفيك، ويقيض على من حولك.

﴿وَأَنْبَتَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٩]:

قال ابن جزري: «يعني: فتح خيبر، وقيل: فتح مكة، والأول أشهر، أي جعل الله ذلك ثواباً لهم على بيعة الرضوان، زيادة على ثواب الآخرة».

﴿وَكَفَّ أَيْدِي النَّاسِ عَنْكُمْ﴾ [الفتح: ٢٠]:

كفَّ عنكم مشركي قريش ومنعهم من حربكم، بأن قذف في قلوبهم الرعب منكم، وكان هذا نصراً وفتحاً بدليل قول رسول الله ﷺ: «أى والذي نفسي بيده، إنه لفتح».

﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾

[الفتح: ٢١]: أرجح الأقوال أنه فتح مكة؛ لأنه ترتب على نقض المشركين لصلح الحديبية، وتمّ دون قتال يُذكر، وسلّم الله مكة للمسلمين بأقل أنواع القتال، وهذا دليل قدرته سبحانه.

﴿وَالْهَدَىٰ مَعَكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ﴾ [الفتح: ٢٥]:

أي الهدي محبوساً أن يبلغ مكان نحره، وكان الهدي سبعين بدنة، وجعل الله الحديبية محل النحر، ففي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله: «نحرنا مع رسول الله ﷺ عام الحديبية البدنة عن سبعة، والبقرة عن سبعة».

﴿وَلَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ مُؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فَيُضَيِّبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الفتح: ٢٥]:

كانوا تسعة نفر: سبعة رجال وامرأتين، كانوا في مكة بين كفارها يكتُمون إسلامهم، والوطء الدُّوس، والمراد به الإهلاك، والمعرة هي المكروه والأذى، والمراد بالمعرة هنا: تعيير الكفار للمؤمنين بقولهم: لقد قتلتم من على دينكم، والمعنى: لولا كراهة أن تقتلوا أناساً مؤمنين موجودين في مكة بين كفارها، لسلطكم الله على مشركي مكة فقتلتموهم.

﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ٢٥]:

لو تميز هؤلاء المؤمنون والمؤمنات الذين يعيشون في مكة عن كفارها وفارقوهم وخرجوا منها، لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً، فالمؤمنون هم سبب وقاية أهل مكة من العذاب.

﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الفتح: ٢٧]:

قال الألوسي: «وفيه تعريض بأن وقوع الدخول من مشيئته تعالى لا من جلاذتهم وتدبيرهم».

﴿سَيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٧]:

السيا العلامة، فأثر الخشوع واضح في نور الوجه وحسن السمات، وهذا لا يكون إلا بالإخلاص والمداومة والكثرة.

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]:

قال أبو عروة: كنا عند مالك، فذكروا رجلاً يتقص أصحاب رسول الله ﷺ، فقرأ مالك هذه الآية: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] حتى بلغ: ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩]، فقال مالك: «من أصبح في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته الآية».

سورة الحجرات

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: ١]

قال السعدي: «وفي هذا النهي الشديد عن تقديم قول غير الرسول ﷺ، على قوله، فإنه متى استبانت سنة رسول الله ﷺ، وجب اتباعها، وتقديمها على غيرها، كائنًا ما كان».

قال الإمام الفخر الرازي: «واعلم أن بقدر تقديمك للنبي عليه الصلاة والسلام على نفسك في الدنيا، يكون تقديم النبي عليه الصلاة والسلام إياك في العقبى».

﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ، بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢]

سبب نزولها:

قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ فقال أبو بكر: أُمِرَ القعقاع ابن معبد، وقال عمر: بل أُمِرَ الأقرع بن حابس، فقال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي، فقال عمر: ما أردت خلافك، فتمازيا حتى ارتفعت أصواتهما، فأنزل الله هذه الآية.

﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢]

سبب نزولها: نزلت في أبي بكر وعمر وهما المبشران بالجنة، فكيف بمن سواهما؟!

﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢]

لما نزلت هذه الآية بكى ثابت بن قيس، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: أنا صيِّتٌ وأتخوف أن تكون هذه الآية نزلت في، فقال له ﷺ: أما ترضى أن تعيش حميدًا وتقتل شهيدًا وتدخل الجنة؟ قال: رضيت، ولا أرفع صوتي أبدًا على صوت رسول الله ﷺ، ومات بعدها شهيدًا.

سبب نزولها:

قيل نزلت في الأقرع بن حابس، حين نادى رسول الله ﷺ يوماً من وراء الحجرات، فلم يجبه رسول الله ﷺ، فقال الأقرع: «إِنَّ حَمْدِي زَيْنٌ، وَإِنَّ دَمِّي شَيْنٌ»، فقال له ﷺ: «ذَاكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ»، وفي رواية: «كَذَّبْتَ... ذَاكَ اللَّهُ»، أي: هو سبحانه الذي مدحه جميل وذممه قبيح، فإذا مدحك الله ارتفع قدرك، ولو سخط عليك الناس، وإذا ذمك الله، فلست جميلاً ولو أثنى عليك كل الخلق.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آمَنَ اللَّهُ قُلُوبُهُمُ لِلتَّقْوَى﴾ [الحجرات: ٣]

الامتحان: التجربة والاختبار، أي مرّن الله قلوبهم للتقوى، وهي كناية عن صبرهم على التقوى وثباتهم عليها.

قال الألوسي: «أو المراد ضرب الله تعالى قلوبهم بأنواع المحن والتكاليف الشاقة لأجل التقوى، أي لتظهر ويُعلم أنهم متقون، إذ لا تُعلم حقيقة التقوى إلا عند المحن، والاضطبار عليها، وعلى هذا فالامتحان هو الضرب بالمحن».

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات: ٤]

قال السعدي: «أدب العبد عنوان عقله، وأن الله مريدٌ به خيراً».

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكَ فَاسِقٌ مِّنْ بَنِي فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِجْهَلَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦]

سبب نزولها:

نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط، بعثه النبي ﷺ ليقبض الزكاة من الحارث بن أبي ضرار الخزاعي، فرجع من منتصف الطريق وأتى رسول الله ﷺ قائلاً له: إن الحارث منعني الزكاة وأراد قتلي، وكان كاذباً، فنزل قول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكَ فَاسِقٌ...﴾

﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: ٦]

وفي قراءة (فتبينوا)، فلا يترك أحدٌ الثبث من الأخبار إلا نادِم.

في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «كفى بالمرء كذباً أن يُحدّث بكل ما سمع»، وفي حديث المغيرة بن شعبه المتفق عليه: «وكرِه لكم قيل وقال، ...».

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]:

على قدر الإيمان تكون الأخوة؛ ولذا قال ﷺ: «ما تحاب اثنان في الله تعالى إلا كان أفضلهما أشدهما حباً لصاحبه» صحيح الجامع رقم: ٥٥٩٤.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾

[الحجرات: ١١]: قال عبد الله بن مسعود: «البلاء موكل بالقول، لو سخرت من كلب لحشيت أن أحول كلباً».

قال ابن زيد: «لا يسخر من ستر الله عليه ذنوبه ممن كشفه الله، فلعل إظهار ذنوبه في الدنيا خير له في الآخرة».

﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ [الحجرات: ١١]:

قال ابن عباس: «التنابز بالألقاب أن يكون الرجل عمل السيئات ثم تاب منها وراجع الحق، فنهى الله تعالى أن يُعَيَّرَ بها سلف من عمله».

﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١]:

الناس بموجب هذه الآية فريقان: تائب وظالم، ولا ثالث لهما.

﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾ [الحجرات: ١٢]:

قال الألوسي: «ويُشترط في حرمة هذا أن يكون المظنون به ممن شوهد منه التستر والصلاح وأونست منه الأمانة، وأما من يتعاطى الرِّيب والمجاهرة بالخبائث، كالدخول والخروج إلى حانات الخمر وصحبة الغواني الفاجرات وإدمان النظر إلى المُرد، فلا يحرم ظن السوء فيه».

﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات: ١٢]:

وقرأ الحسن وابن سيرين ﴿وَلَا تَحَسَّسُوا﴾، قيل: التجسس بالجيم: تتبع الظواهر، وبالحاء تتبع البواطن.

﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢]:

قال عليه السلام: «أتدرون ما الغيبة؟

قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذكرك أخاك بما يكره قيل: أفرأيت لو كان في أخي ما أقول قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته».

مرَّ النبي ﷺ بقبرين، فقال: «إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير؛ أما أحدهما فيعذَّب في البول، وأما الآخر فيعذَّب في الغيبة» ولذا قال قتادة: «ذُكِرَ لنا أنَّ عذاب القبر ثلاثة أثلاث: ثلث من الغيبة، وثلث من النيمة، وثلث من البول».

قال الغزالي: «والغيبة هي الصاعقة المهلكة للطاعات، ومثل من يغتاب كمن ينصب منجنيقًا، فهو يرمي به حسناته شرقًا وغربًا ويمينا وشمالًا».

كان عمر بن عبد العزيز إذا ذُكِرَ عنده رجل بفضل أو صلاح. قال: كيف هو إذا ذُكِرَ عنده إخوانه؟ فإن قالوا: إنه يتنقَّصهم، وينال منهم، قال عمر: ليس هو كما تقولون.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت للنبي ﷺ: حبسك من صفة كذا وكذا، فقال ﷺ: «لقد قلت كلمة لو مُزِجَتْ بهاء البحر لمزجته».

ومعنى مَزَجَتْه أي خالطته مخالطة يتغيَّر بها طعم البحر كله أو ريحه لشدة قُبْحِها!

﴿أَجْنَبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾

[الحجرات: ١٢]: قال الألوسي: «جاء الأمر أولاً باجتناب الطريق التي لا تؤدي

إلى العلم وهو الظن، ثم نهى ثانيًا عن طلب تحقيق ذلك الظن ليصير علمًا بقوله:

﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾، ثم نهى ثالثًا عن ذِكر ذلك إذا عُلِمَ، فهذه أمور ثلاثة مترتبة، ظنٌّ، فعلم بالتجسس، فاغتياب».

﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]:

قال مقاتل: «فيه وجهان: أحدهما: يعني ظن السوء. الثاني: أن يتكلم بما ظنه

فيكون إثمًا، فإن لم يتكلم به لم يكن إثمًا».

سورة ق

﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ [ق: ١]:

عن أم هشام بنت حارثة قالت: ما أخذت **﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾** إلا على لسان رسول الله ﷺ، كان يقرأها كل يوم جمعة إذا خطب الناس. قال ابن كثير: «والقصد أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بهذه السورة في المجمع الكبار، كالعيد والجمع؛ لاشتغالها على ابتداء الخلق والبعث والنشور، والمعاد والقيام، والحساب، والجنة والنار، والثواب والعقاب، والترغيب والترهيب».

قال الرازي: «هذه السورة تُقرأ في صلاة العيد؛ لقوله تعالى فيها **﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾** [ق: ٤٢]، وقوله تعالى: **﴿كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾** [ق: ١١]، وقوله تعالى: **﴿ذَلِكَ حَشَرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾** [ق: ٤٤]، فإن العيد يوم الزينة، فينبغي أن لا ينسى الإنسان خروجه إلى عرصات الحساب، ولا يكون في ذلك اليوم فرحاً فخوراً، ولا يرتكب فسقاً ولا فجوراً».

﴿أَءَاذًا مِنَّا وَكُنَّا نُرَآكَ ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ [ق: ٣]:

من الغباء أن يقارن أحدٌ عجزه بالعظمة الإلهية!

﴿فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ [ق: ٥]:

قال قتادة: «في هذه الآية من ترك الحق مرج عليه أمره، والتبس عليه دينه».

﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ﴾ [ق: ٣٣]:

لا تغتر بسعة رحمة الله، واجمع في قلبك مع رجاء الرحمة جرعة خشية.

﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]:

قال ابن عمر: «إن أحق ما طهر الرجل لسانه».

قال ابن القيم: «وفي اللسان آفتان عظيمتان، إن خلص العبد من إحداهما لم يخلص من الأخرى: آفة الكلام، وآفة السكوت، وقد يكون كل منهما أعظم إثماً من الأخرى في وقتها، فالساكت عن الحق شيطان أخرس، عاصي لله، مُراءٍ مدهن إذا لم يخف على نفسه، والمتكلم بالباطل شيطان ناطق، عاصي لله».

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ [ق: ١٩]:

نظرة المؤمن للموت! قال النورسي: «الموت تبديل مكان، وتحويل موضع، وخروج من سجن إلى بستان، فليطلب الشهادة من كان يريد الحياة».

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩]:

في الصحيح أن النبي ﷺ لما تغشاه الموت كان يمسح العرق عن جبينه ﷺ ويقول: «إن للموت لسكرات».

والصديق رضي الله عنه لما رأت عائشة سكرات الموت عليه، أرادت أن تسليّه، فامتثلت قول حاتم:

لعمرك ما يغني الشراء عن الفتى إذا حشجرت يوماً وضاق بها الصدر
فقال لها الصديق وهو في السكرات: يا بنية.. لا تقولي هذا، ولكن قولي كما
قال الله: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩].

استعيرت السكر للشدّة، ووجه الشبه بينهما أن كليهما يذهب العقل، ويجوز أن
يُسبّه الموت بالشراب كما قال الشاعر: الموت كأس وكل الناس شاربه.

﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١]:

قال ابن كثير: «ملك يسوقه إلى المحشر، وملك يشهد عليه بأعماله».

﴿هَذَا مَا نُوْعِدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٍ * مَنْ حَتَّى الرَّحْمَنِ بِالْعِيبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾

[ق: ٣٢، ٣٣]: ما القارق بين التائب والمنيب والأواب؟ قال ابن علان: «من
رجع عن المخالفات خوفاً من عذاب الله فهو تائب، ومن رجع حياء فهو
منيب، ومن رجع تعظيماً لجلال الله سبحانه فهو أواب».

سورة الذاريات

﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ [الذاريات: ٩]:

أي يُصرف عن القرآن من صرفه الله عقوبة له على ذنوبه، وبسبب إعراضه عن ربه.

﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات: ١٧]:

قال الحسن: كابدوا قيام الليل لا ينامون منه إلا قليلاً، وعن عبد الله بن رواحة:
هجعوا قليلاً ثم قاموا.

قال الإمام الرازي: «سيرة الكريم (أن) يأتي بأبلغ وجوه الكرم وَيَسْتَقِلُّ ويعتذر من التقصير، واللثيم يأتي بالقليل ويستكثره وَيُثْنُ به».

لم مدحهم بقلة الهجوع مع أن السَّهَر هو محل الاجتهاد؟! قال الإمام الرازي: «وهذا إشارة إلى أن نومهم عبادة، حيث مدحهم الله بكونهم هاجعين قليلاً، وذلك الهجوع أورثهم الاشتغال بعبادة أخرى، والاستغفار بالأسحار، ومنعهم من الإعجاب بأنفسهم».

﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ [الذاريات: ١٧]:

أي لا يشغلك طلب الرزق عن عبادتي، وفي الحديث القدسي: «يقول الله تعالى: يا ابن آدم .. تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى، وأسد فقرك، وإن لم تفعل ملأت صدرك شغلاً، ولم أسد فقرك» صحيح الجامع رقم: ١٩١٤.

﴿قَوْرَبِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٣]:

قال البغوي: «كما أن كل إنسان ينطق بلسان نفسه لا يمكنه أن ينطق بلسان غيره، فكذلك كل إنسان يأكل رزق نفسه الذي قسّم له، ولا يقدر أن يأكل رزق غيره».

﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِ﴾ [الذاريات: ٢٤]:

قال ابن كثير وهو يعرض لكرم أبي الضيفان إبراهيم عليه السلام:

«وهذه الآيات انتظمت آداب الضيافة، فإنه جاء بطعامه من حيث لا يشعرون بسرعة، ولم يمتن عليهم أولاً فقال: نأتيكم بطعام؟ بل جاء به بسرعة وخفاء. وأتى بأفضل ما وجد من ماله، وهو عجل سمين مشوي فقربه إليهم، لم يضعه وقال: اقربوا، بل وضعه بين أيديهم.

ولم يأمرهم أمراً يشق على سامعه بصيغة الجزم، بل قال: أَلَا تَأْكُلُونَ على سبيل العرض والتلطف، كما يقول القائل اليوم: إن رأيت أن تتفضل وتحسن وتتصدق فافعل».

الجزء السابع والعشرون

من سورة الذاريات الآية ٣١

إلى سورة الحديد الآية ٢٩

عدد الفوائد ١١٧

﴿ فَفَرُّوْا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكَرِّمٌ مِّنْهُ يَدِيرُ مِيزَانَ ﴾ [الذاريات: ٥٠]:

فرار السعداء إليه، وفرار الأشقياء منه.

﴿ فَفَرُّوْا إِلَى اللَّهِ ﴾ [الذاريات: ٥٠]:

قال السعدي: «سمى الله الرجوع إليه فراراً لأن في الرجوع لغيره أنواع المخاوف والمكاره، وفي الرجوع إليه أنواع المحاب والأمن».

لم أمرنا بالفرار؟ لأن المخاوف كثيرة، أهواء وشهوات، وفتن ومغريات، وشياطين إنس وجن، وصوارف عن الله وعقبات، فكلما تكالبت علينا وجب الإسراع بالفرار إليه.

﴿ اتَّوَصَّوْا بِهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُوتٌ ﴾ [الذاريات: ٥٣]:

تأخى المنافقين على اختلاف مواقعهم في الدول المختلفة مذهل، وتطابق مواقفهم عجيب، وكأنهم يستقون من نبع واحد، واردهم الشيطان وبضاعتهم العصيان ﴿ اتَّوَصَّوْا بِهِ ۚ ﴾

﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يُنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات: ٥٥]:

الانتفاع بالتذكيرة مؤشِّر على قوة إيمانك.

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]:

اعرف رسالتك في الحياة، والمهمة التي خلقك الله من أجلها. بل وخلق لك ما يعينك عليها، ففي الحديث: «إن الله قال: إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة» صحيح الجامع رقم: ١٧٨١.

﴿ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ﴾ [الذاريات: ٥٧]:

في الآية نفيان متدرجان يفيدان تمام غناه عز وجل كأنه قال: لا أطلب منهم رزقا، ولا ما هو دون ذلك وهو تقديم الطعام بين يدي السيد.

سورة الطور

﴿ فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ ﴾ [الطور: ٣]:

والرَّقُّ: ما يُكْتَبُ فيه، وهو جِلْدٌ رَقِيقٌ، فليس المهم فخامة الأوراق بل ما فيها من كلمات.

فهل ساهمت في نشره لتنال هذا الشرف؟!

﴿ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴾ [الطور: ٤]:

في الحديث الصحيح: «البيت المعمور في السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، ثم لا يعودون إليه حتى تقوم الساعة» صحيح الجامع رقم: ٢٨٩١

﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴾ [الطور: ٧]:

سمع عمر قارئاً يقرأ: ﴿ وَالطُّورِ ﴾ إلى ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴾، فاستند إلى جدار، ثم عاد إلى بيته يعود به الناس شهراً مما ألمَّ به.

﴿ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴾ [الطور: ٨]:

قال جبير بن مطعم رضى الله عنه: قدمت المدينة على رسول الله ﷺ لأكلمه في أسارى بدر (وكان كافراً)، فجئت إليه وهو يصلى بأصحابه صلاة المغرب، فسمعتة يقرأ وَالطُّورِ إلى إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ، مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ فكأنما صدع قلبي، فأسلمت خوفاً من نزول العذاب.

﴿ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا * وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴾ [الطور: ٩، ١٠]:

أحداث هائلة وأحوال مفزعة حرّكت هذه الأجرام العظيمة من مكانها، فكيف بأثرها على الإنسان الضعيف؟!

والإتيان بالمصدرين هدفه توضيح غرابتهما وخروجهما عن الحدود المعروفة، أي مورا عجيبا وسيرا غريبا، لا يعرف أحد كنههما.

﴿فَنَكِهِنَّ بِمَا ءَاتَيْنَهُمْ رَبُّنَّ﴾ [الطور: ١٨]:

أي مثللذين بما في أيدينا من خيرات، مأخوذ من الفكاهة - بفتح الفاء - وهي طيب العيش والسرور مع النشاط، وسميت الفكاهة بهذا الاسم لتلذذ الإنسان بها.

﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾ [الطور: ٢٠]:

الراحة بعد التعب، والنعيم بعد الشقاء، وانتهاء التعب والشقاء إلى غير رجعة.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١]:

عاطفة ممتدة! قال الإمام الرزاي: «شفقة الأبوة كما هي في الدنيا متوفرة كذلك في الآخرة؛ ولهذا طيب الله تعالى قلوب عباده بأنه لا يولّاهم بأولادهم بل يجمع بينهم».

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الطور: ٢١]:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «إن الله يرفع ذرية المؤمن معه في درجته في الجنة، وإن كانوا ذونه في العمل»، ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَهُمْ﴾، يقول: «وما نقصناهم».

﴿كُلُّ أَمْرٍ عَلَيْنَا كَسْبٌ رَهِيْنٌ﴾ [الطور: ٢١]:

قال الزمخشري: «كأن نفس العبد رهن عند الله بالعمل الصالح الذي هو مطالب به، كما يرهن الرجل عبده بدين عليه، فإن عمل صالحاً فكفها وخلّصها، وإلا أبقها».

﴿يَنْشَرُّونَ فِيهَا كَأْسًا﴾ [الطور: ٢٣]:

أي يتناولها بعضهم من بعض، وهو المؤمن وزوجاته وخدمته في الجنة، والكأس: إناء الخمر وكل إناء مملوء من شراب وغيره، فإذا فرغ لم يُسمَّ كأساً.

﴿لَا لَعْنُ فِيهَا وَلَا تَأْسٍ﴾ [الطور: ٢٣]:

قال ابن عطاء: «أي لعن يكون في مجلس محله جنة عدن، وسقاتهم الملائكة، وشربهم على ذكر الله، وريحانهم وتحيتهم من عند الله، والقوم أضياف الله».

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ﴾ [الطور: ٢٤]:

إذا كان الخادم كاللؤلؤ، فكيف يكون المخدم؟!

﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ [الطور: ٢٦]:

الخوف الذي يعتري قلبك في الدنيا هو سبب نجاتك في الآخرة.

قال إبراهيم التيمي: «ينبغي لمن لا يشفق أن يخاف أن لا يكون من أهل الجنة؛ لأنهم قالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾».

﴿فَمَنْبَأُ اللَّهِ عَلَيْنَا وَوَقْتَنَا عَذَابَ السَّمُورِ﴾ [الطور: ٢٧]:

عذاب النار النافذة في المسام نفوذ السموم وهو الريح الحارة المعروفة، وهو أبلغ في الألم، لأن كل خلية في الجسد ستعذب!

﴿فَمَنْبَأُ اللَّهِ عَلَيْنَا وَوَقْتَنَا عَذَابَ السَّمُورِ﴾ * إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ ﴿

[الطور: ٢٧، ٢٨]: دعاؤهم كان سبباً في نجاتهم من كربات يوم القيامة، فكيف لا يكون سبباً في كشف كربات الدنيا؟!

﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٨]:

استرجاع ذكرياتنا مع الصالحين في الدنيا هي بعض نعيم الجنة

﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٨]:

قال ابن عباس: الصادق في ما وعد، وهذا لائق بما دعا به أهل الجنة، فقد نادوا الله بهذا الاسم بعد أن رأوا ما وعدهم الله به واقعاً في الجنة.

﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرْتِصُ بِهِ رَبَّ الْعَنُونَ﴾ [الطور: ٣٠]:

كل (زُيْب) في القرآن فهو شك؛ إلا مكاناً واحداً في سورة الطور ﴿رَبِّ الْعَنُونَ﴾ يعني حوادث الدهر.

﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]:

قال ابن عطية: «هذه الآية يجب أن يقررها كل مؤمن في نفسه، فإنها تُفسيح مضائق الدنيا».

﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]:

أنت بمرأى ومسمع منا، فنحن نرى ونسمع كل ما نزل بك، لست وحدك!

وقالوا في جمع العين هنا، وإفراده في سورة «طه» ﴿وَلَنُصَنِّعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ مع موسى عليه السلام إلى أن فائدة الجمع الدلالة على المبالغة في الحفظ، كأن معه من الله تعالى حُفَظًا يكلؤونه بأعينهم، وذلك لتصبير الحبيب على المكائد ومشاق التكاليف والطاعات، فناسب الجمع لأنها أفعال كثيرة كل منها يحتاج إلى حراسة منه عز وجل.

سورة النجم

﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ [النجم: ٢]:

دَبَّ الله عن نبيه، فمتى نذب عنه نحن؟!

قال ابن عطية: «والضلال أبدًا يكون من غير قصد من الإنسان إليه. والغى كأنه شيء يكتسبه الإنسان ويريده، نفى الله تعالى عن نبيه هذين الحالين».

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [النجم: ٣]:

اتهم عقلك قبل أن تعترض على نص شرعي قطعي.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٤، ٥]:

تعريف الهوى باختصار هو مخالفة الوحي.

﴿ذُومِرَوقَ فَاسْتَوَىٰ﴾ [النجم: ٦]:

هي صفة من صفات جبريل عليه السلام، والمرّة - بكسر الميم - تطلق على قوة الذات، وحصافة العقل ورجاحته، وهذه لا بد أن تكون من صفات كل داعية.

﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ [النجم: ٨]:

الذي دنا وتدلّى هو جبريل، أي اقترب من النبي ﷺ ليوحى إليه، ثم كنى الله عن قرب جبريل من نبينا ﷺ بقوله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: ٩].

﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٣]:

رأى النبي ﷺ جبريل - عليه السلام - على صورته الملائكية التي خلقه الله عليها في رحلة الإسراء والمعراج.

﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ [النجم: ١٣]:

رأى النبي ﷺ جبريل عند هذا المكان المسمى سدرة المنتهى، لانتهاه علوم الخلائق عنده، وهو مكان في السماء السابعة، لا يعلم ما وراءه إلا الله.

﴿تِلْكَ إِذَا قَسَمَ ضَرِيءٌ﴾ [النجم: ٢٢]:

أي جائرة، وكلمة (ضريء) أغرب كلمة في القرآن، وجاءت غريبة لتعبر عن القسمة الغريبة التي قسمها الكفار بينهم وبين الله في شأن الملائكة: ﴿أَلَكُمُ الذِّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى﴾، وهذا تناظر جميل في اللغة كما قال الرافعي في إعجاز القرآن: «هذه الكلمة غريبة في لفظها، وغريبة في معناها، وغريبة في نطقها، وغريبة في صوتها، فجمعت أربع غرائب في أربعة حروف».

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَتْهُمَا أَنْتُمْ وَعَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ [النجم: ٢٣]:

الأسماء والأوصاف والألقاب الكاذبة لا تغير الحقائق، ولا تجعل الحرام حلالاً. وفي الحديث: «لشرب بن أناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها». صحيح الجامع: ٥٤٥٣.

﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾ [النجم: ٢٥]:

إذا تميت شيئاً من خيري الدنيا والآخرة، فسل الذي يملكها.

﴿الَّذِينَ يَحْتَبِئُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ﴾ [النجم: ٣٢]:

قال ابن عباس: هو الرجل يُلَمُّ بذنب ثم يتوب. ألم تسمع النبي ﷺ كان يقول:

إن يغفر الله يغفر جمًّا وأَيُّ عبيد لك ما أَلَمَّا؟

ليس المقصود هنا فتح الباب لارتكاب الصغائر، بل فتح باب التوبة منها، حتى لا ييأس مرتكب الصغائر من رحمة الله، فيمضي قدماً في ارتكابها، فتجره إلى الكبائر، وحتى لا يعامل مرتكب الصغيرة معاملة مرتكب الكبائر.

حذار من الصغائر! قال ابن عطاء: «وأضرُّ ما يُخاف عليك: محقرات الذنوب، لأن الكبائر ربما استعظمتها فُتيت منها، واستحقرت الصغائر فلم تُب منها!».

﴿فَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم: ٣٢]:

لا تتكلم عن نفسك، فليست العبرة بما (تقول)، وإنما بما (تعمل).

في الحديث: «لا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ، الله أعلم بأهل البر منكم، سموها زينب». صحيح الجامع رقم: ٧٢٩٧، قال ذلك ينهي عن اسم (برّة)، وأوصى أن تُسمّى بدلا منه باسم زينب.

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى * وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى﴾ [النجم: ٣٣، ٣٤]:

سبب ترويحها:

نزلت في الوليد بن المغيرة، كان قد سمع قراءة النبي ﷺ، فهمّ أن يسلم، فعاتبه رجل من المشركين، وقال له: أترك ملة آبائك؟ ارجع إلى دينك، وأنا أتحمّل عنك كل شيء تخافه في الآخرة، لكن على أن تعطيني كذا وكذا من المال، فوافق الوليد على ذلك، ورجع عن الإسلام، وأعطى بعض ماله لذلك الرجل، ثم أمسك عن الباقي، وبخل به، فأنزل الله تعالى هذه الآيات.

﴿وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى﴾ [النجم: ٣٤]:

قال ابن عباس: وأكدي: كدّره بمنه.

﴿وَابْتَهِمَ الَّذِي وَفَّى﴾ [النجم: ٣٧]:

من الذي يمدح هنا؟! ومن يطيق هذا المدح، وفّى في كل ما أمره الله به، فإبراهيم عليه السلام قدوتنا في إتقان العمل وإتمامه، على أكمل وجه، حتى مدحه الله عليه.

﴿الْأَنْزِلُ وَأَزِرُّ وَزَرَ أُخْرَى﴾ [النجم: ٣٨]:

القرآن يعلمنا الإنصاف.

دخل رجل على الحجاج مقيّداً يشكو أنه يُعاقب بعصيان عاصٍ من عشيرته، فأجابه الحجاج مبرراً الفعل شعراً:

وَلَرَّبِّ مَاخُذْ بِذَنْبِ عَشِيرَةٍ وَتَجَا الْمَقَارِفُ صَاحِبِ الذَّنْبِ!

قال الرجل: أصلح الله الأمير، ولكنني سمعت الله عز وجل يقول: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعَيْنًا عِنْدَهُ إِنَّا إِذَا ظَلَمْنَاهُ لَكُلَّمَا مَنَعْنَا﴾ [يوسف: ٧٩]، فقال الحجاج: فكوا قيده، وأعيدوا له ما أخذتموه منه، ومُر منادياً ينادي: صدق الله، وكذب الشاعر.

﴿وَأَنْ سَعِيَّةٌ سَوْفَ يُرَى﴾ [النجم: ٤٠]:

سعيك سوف يُرى في الغد، فما الداعي للرياء اليوم؟

﴿وَأَنْتَ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ [النجم: ٤٣]:

الضحك والبكاء مسائل قسرية لا دخل لأحد من البشر فيها، هم فقط أسباب، والله هو مسبب الأسباب.

﴿وَأَنْتَ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾ [النجم: ٥٠]:

وسيهلك عادًا الثانية والثالثة، وكل من سلك سلوك عاد في الظلم والإجرام، سيهلكه الله كما أهلك عادا الأولى.

﴿وَأَنْتُمْ سَكِيدُونَ﴾ [النجم: ٦١]:

قال ابن عباس: السمود: اللهو والباطل، وقيل الشمود: الغناء بلغة حمير، ومنه قول بعضهم لجاريته: اسمدي لنا، أي: غني لنا.

سورة الرحمن

﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [الرحمن: ٢، ١]:

إلى كل مربٍّ أو معلِّم: لن تكون ناجحًا حتى تكون رحيماً، وتأمل كيف قدَّم الله الرحمة على التعليم!

﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ [الرحمن: ٣، ٢]:

النعم قسيان: نعمة خلق وإيجاد، ونعمة هداية وإرشاد، ونعمة الهداية والإرشاد أعظم من نعمة الخلق والإيجاد؛ لذا بدأ بها.

﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ [الرحمن: ٨]:

ثم قال: ﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٩]: والطغيان: الزيادة إذا كان الكيل لهم، والخسران: النقصان إذا كان الكيل لغيرهم، عدالة الإسلام مطلقة.

﴿فَيَا أَيُّهَا الْآءَ رَبِّكُمَا تَكْذِبَانِ﴾ تكررهما ٣١ مرة في السورة نفسها من باب تقرير النعم والتذكير بها، قال ﷺ: «لقد قرأتها - يعني سورة الرحمن - على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردودًا منكم كنت كلما أتيت على قوله ﴿فَيَا أَيُّهَا الْآءَ رَبِّكُمَا تَكْذِبَانِ﴾ قالوا: ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد» صحيح الجامع رقم: ٥١٣٨.

﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]:
اليوم شأن، وغدا شأن آخر.

قال عبيد بن عمير: «يجيب داعيًا، ويعطي سائلًا، أو يفك عانيًا، أو يشفي سقييًا».

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١]:

سين: الفراغ لا يكون إلا عن شغل، والله تعالى لا يشغله شأن عن شأن!

جيم: هذا وعيد من الله لعباده، وليس بالله شغل يشغله، حاشاه.

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِّنْ نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْصِرَانِ﴾ [الرحمن: ٣٥]:

الشواظ هو اللهب الذي لا يخالطه دخان، والنحاس هو الدخان الذي لا لهب معه، والمعنى: أنتم لا تستطيعون الهرب من قبضتنا بحال من الأحوال، ولو حاولتم الهروب لأرسلنا عليكم لهبًا يحرقكم، ودخانًا يخنقكم، وفي هذه الحالة لا تنتصران.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٣٩]:

وأثبت في موطن آخر: ﴿وَقَفَّوْهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ [الصفات: ٢٤].

كيف نفى السؤال وأثبتته؟! السؤال قسيان: قسم أثبتته الله، وقسم نفاه الله، فالذي أثبتته الله هو سؤال التقرير والتوبيخ، أي: لم فعلتم هذا؟ والذي نفاه الله في سورة الرحمن هو سؤال الاستعلام والاستفهام.

﴿يَعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ بِسَمْعِهِمْ﴾ [الرحمن: ٤١]:

المجرم يعرفه كل أحد يوم القيامة بسماه، فلا يحتاج إلى تمييز أو تعريف.

﴿فِيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: ٤١]:

قال ابن عباس: «تأخذ الرابطة بناصيته وقدميه، ويجمع فيكسر كما يكسر الحطب في التنوير».

﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ [الرحمن: ٤٦]:

قال سهل التستري: «هم بمعصية، ثم ذكر مقامه بين يدي الله تعالى يوم الحساب، فأنتهى عنها».

قال النبي ﷺ: «جنتان من ذهب آتيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آتيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى الله إلا رداء الكبرياء على وجهه سبحانه وتعالى».

﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَاطِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَحِىَ الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمن: ٥٤]:

اتكاء أهل الجنة لا يباعدهم عن ثمر شجرها الداني إليهم ليلتقطوه بأفواههم دون الحاجة إلى الاعتدال من جلستهم!

﴿فَإِنَّ قَاصِرَاتِ الطَّرَفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ لِنَاسٍ قَبْلَهُنَّ وَلَا جَانٌّ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * كَانَتْهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٥٦-٥٨]:

قدّم صفة العفاف على صفة الجمال؛ فلا قيمة لجمال المرأة بغير عفاف.

﴿فَإِنَّ قَاصِرَاتِ الطَّرَفِ﴾ [الرحمن: ٥٦]:

أي غاضات الأبصار عن غير أزواجهن، فمن قصر طرفه في الدنيا عن الحرام، أعطاه الله قاصرات الطرف كما وعد- في الجنان.

﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّاتٍ﴾ [الرحمن: ٦٢]:

تفاوت درجات العباد في الجنة بحسب تفاوت همهم في الدنيا.

يعني: أقل منهما، لكن لأنه ليس في الجنة ما يُسمى (أقل)، فاستعاض عن ذلك بقوله: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا﴾.

في الأولى قال: ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ [الرحمن: ٥٢]، وفي الثانية قال:

﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨]، ففي الأولى أطلق خيالك، وفي الثانية

قيّده، وبينهما من فارق النعيم ما لا يخفى.

سورة الواقعة

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ [الواقعة: ١]:

قال رسول الله ﷺ: «شيتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت» صحيح الجامع رقم: ٣٧٢٣.

قال جابر بن عبد الله: «كان رسول الله ﷺ يصلي الصلوات كنحو من صلاتكم التي تصلون اليوم ولكنه كان يخفف، كانت صلاته أخف من صلاتكم، وكان يقرأ في الفجر الواقعة ونحوها من السور».

﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾ [الواقعة: ٣]:

قال محمد بن كعب: «تخفض رجالاً كانوا في الدنيا مرتفعين، وترفع رجالاً كانوا في الدنيا مخفوضين».

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة: ١٠، ١١]:

أي السابقون إلى الخيرات مقربون في الدرجات.. السرعة هنا = ارتقاء هناك.

﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة: ١١]:

ولم يقل: المتقربون، حتى يفهم أن ما هم فيه فضل من الله تعالى، وليس شيئاً حصلوا عليه بأنفسهم.

﴿عَرَبًا أَتْرَابًا﴾ [الواقعة: ٣٧]:

عرباً أي محبات إلى أزواجهن. قال المبرد: هي العاشقة لزوجها، وأتراباً: يعني: كلهن على سن واحدة.

﴿وَوَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُورٍ﴾ [الواقعة: ٤٣]:

غاية البشاعة والرعب أن يكون الظل الذي يأوي إليه المتعبون لهيباً يشوي الوجوه!

﴿فَشَرِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ﴾ [الواقعة: ٥٥]:

الهم: الإيل تصاب بداء تشرب منه فلا ترتوي، وتتعذب فلا تموت وتستريح، فشبّه أهل النار بها وهو أخط تشبيه.

﴿لَوْ شَاءَ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٠]:

كان بعض الصالحين يدعو مع شرب الماء العذب: الحمد لله الذي جعله عذبا فراتا برحمته، ولم يجعله ملحا أجاجا بذنوبنا!

﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ [الواقعة: ٧١]:

ما أسهل تحويل الاستمتاع بالدفع إلى عبادة بنية صالحة!

﴿وَمَتَّعًا لِلْمُقْوِينَ﴾ [الواقعة: ٧٣]:

للمقوين أي للمسافرين. قال ابن القيم: «وخصَّ المقوين بالذكر وإن كانت منفعتها عامة للمسافرين والمقيمين تنبيها لعباده - والله أعلم بمراده من كلامه - على أنهم كلهم مسافرون، وأنهم في هذه الدار على جناح سفر ليسوا هم مقيمين ولا مستوطنين، وأنهم عابرو سبيل وأبناء سفر».

﴿تَمَحَّنْ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَمَتَّعًا لِلْمُقْوِينَ﴾ [الواقعة: ٧٣]:

قال الرازي: «قدم كونها تذكرة على كونها متاعا؛ ليعلم أن الفائدة الأخروية أتم وبالذكر أهم»!

﴿فَلَا أَقْسَمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ﴾ [الواقعة: ٧٥]:

فلا أقسم بمعنى أقسم و(لا) للتأكيد، على عادة العرب في كلامهم أنهم إذا أقسموا على إثبات أمر واضح قالوا: لا أقسم، أي لا يحتاج إلى قسم.

﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٩]:

قال ابن تيمية: «فإذا كان ورقه لا يمسّه إلا المطهرون؛ فمعانيه لا يهتدي بها إلا القلوب الطاهرة».

أكثرنا فهما لكلام الله أطهرنا قلبا.

﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ﴾ [الواقعة: ٨٨، ٨٩]:

قال أبو العالية: «لم يكن أحد من المقربين يفارق الدنيا حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة، فيشمّه ثم يقبض».

سورة الحديد

﴿سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد: ١]:

كل من حولك من الأحياء وما حولك من الجمادات يسبح، تناغم مع الكون وسبح!

خمس سور في القرآن بدأت بتسبيح الجمادات، تعظيماً له، فإذا كان في حق الجمادات ولا تكليف عليهم، فكيف بالأحياء المكلفين!

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ، وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد: ١١]:

قال ابن القيم: «وحيث جاء هذا القرض في القرآن قيده بكونه حسناً، وذلك يجمع أموراً ثلاثة: أحدها أن يكون من طيب ماله لا من رديئه وخيئه. الثاني: أن يخرج طيبة به نفسه ثابتة عند بذله ابتغاءً مرضاة الله.

الثالث: أن لا يمن به ولا يؤذى.

فالأول يتعلق بالمال، والثاني يتعلق بالمنفق بينه وبين الله، والثالث بينه وبين الآخذ».

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ سَعَىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ [الحديد: ١٢]:

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما: «يؤتون نورهم على قدر أعمالهم، فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة، ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم، وأدناهم نوراً من نوره أعلى إبهامه فيطفأ مرة ويوقد مرة».

﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [الحديد: ١٤]:

قال ابن عاشور: «وذكروا لهم أربعة أصول هي أسباب الخسران، وهي: فتنة أنفسهم، والترصص بالمؤمنين، والارتياح في صدق الرسول ﷺ، والاغترار بما تموه إليهم أنفسهم.

﴿فَالْيَوْمَ لَا يَتُخَذُ مِنْكُمْ وِدِيَةً وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الحديد: ١٥]:

كل شيء يمكن تعويضه إذا فات إلا الإيمان، وصدق من قال: اليوم يقبل منك مثقال ذرة، وغداً لن يقبل منك ملء الأرض ذهباً.

﴿قَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد: ١٦]:

كلما طال البعد عن القرآن قسا قلب العبد، ولين القلب بكثرة تعاهد القرآن.

﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الحديد: ١٥]:

هذا تمثيل رائع، فالقلوب التي ماتت بسبب القساوة، يمكن إحيائها بالمواظبة على الذكر، كما يحيي الله تعالى الأرض بالمطر.

﴿أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ﴾

[الحديد: ٢٠]: قال ابن عاشور: «وقد ذكر هنا من شؤون الحياة ما هو الغالب على الناس، وهي أصول أحوال المجتمع في الحياة، وهي أيضًا أصول أطوار آحاد الناس في تطور كل واحد منهم، فإن اللعب طور سن الطفولة والصباء، واللهو طور الشباب، والزينة طور الفتوة، والتفاخر طور الكهولة، والتكاثر طور الشيخوخة».

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠]:

قال القشيري: «الدنيا حقيرة، وأحقر منها قدرًا طالبها، وأقل منه خطرًا المزاحم فيها، فما هي إلا جيفة، وطالب الجيفة ليس له خطر، وأخس أهل الدنيا من يخيل بها، وهذه الدنيا المذمومة هي التي تشغل العبد عن الآخرة!».

﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِنَاءُهُ﴾ [الحديد: ٢٠]:

الكفار هنا الزراع الذين يزرعون الأرض، ويبدون فيها البذور، وسمّوا كفارًا من الكفر بمعنى الستر والإخفاء لأنهم يخفون البذور في الأرض.

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ [الحديد: ٢٢]:

قال ابن عباس: «لما خلق الله القلم قال له: اكتب، فكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة».

﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣]:

كلمة (لَوْ) ليس لها وجود في قاموس المؤمن.

﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣]:

تساؤل مشروع! قال ابن جزي: «فإن قيل: إن الإنسان لا يملك نفسه أن يفرح بالخير ويحزن للشر، فالجواب: أن النهي عن الفرح إنما هو عن الذي يقود إلى الكبر والطغيان، وعن الحزن الذي يخرج عن الصبر والتسليم».

﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥]:

قال الإمام ابن كثير: «وَجَعَلْنَا الحديد رادعا لمن أبى الحق، وعانده بعد قيام الحجة عليه؛ ولهذا أقام الرسول ﷺ بمكة ثلاث عشرة سنة، تنزل عليه السور المكية، لبيان أن دين الله حق، قلما قامت الحجة على من خالفه، شرع الله القتال بعد الهجرة، حماية للحق».

قال الإمام الفخر الرازي: «ثم إن الحديد لما كانت الحاجة إليه شديدة، جعله الله سهل الوجدان، كثير الوجود، والذهب لما كانت حاجة الناس إليه قليلة، جعله الله - تعالى - عزيز الوجود، وبهذا تتجلى رحمة الله على عباده، فإن كل شيء كانت حاجتهم إليه أكثر جعل الحصول عليه أيسر».

﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَبْصُرُهُ وَرَسُولُهُ بِالْغَيْبِ﴾ [الحديد: ٢٥]:

المراد به علم الظهور الذي يترتب عليه الثواب أو العقاب، أما علم أنه سيكون فهذا معلوم منذ الأزل، هذا من تمام عدل الله أن لا يعاقب عباده إلا بما ظهر منهم.

قال ابن عباس رضى الله عنهما: «ينصرونه ولا يبصرونه»، والمراد أنه ينصر الله عز وجل وينصر رسله وهو لم ير الله، ولذا قال البغوي: «أي قام بنصرة الدين ولم ير الله ولا الآخرة، وإنما يُحَمَّدُ ويُثَابُ مَنْ أطاع الله بالغيب».

﴿مَا كُتِبَتْهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا آيَتُ غَاةٍ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ [الحديد: ٢٧]:

قال الإمام الآلوسي: وقوله سبحانه: ﴿إِلَّا آيَتُ غَاةٍ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ استثناء منقطع، أي: ما فرضناها نحن عليهم رأسا، ولكن ابتدعوها وألزموا بها أنفسهم ابتغاء رضوان الله.

﴿فَمَارَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧]:

ابتدعوها من أجل أن يرضى الله عنهم، ولكن بمرور الأيام، لم يحافظ كثير منهم على ما تقتضيه هذه الرهبانية من زهد وتقى، بل صارت طقوسا خالية من الروح.

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفَلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾

[الحديد: ٢٨]: ذكر ابن كثير أنه لما افتخر أهل الكتاب بأنهم يؤتون أجرهم مرتين، أنزل الله هذه الآية في حق هذه الأمة، واستدل بقول النبي ﷺ: «إنما أجلكم فيما خلا من الأمم كما بين صلاة العصر إلى مغارب الشمس، وإنما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثلي رجل استأجر أجراً فقال: من يعمل من غدوة إلى نصف النهار على قيراط قيراط؟ فعملت اليهود، ثم قال: من يعمل من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط؟ فعملت النصارى، ثم قال: من يعمل من العصر إلى أن تغيب الشمس على قيراطين قيراطين؟ فأنتم هم، فغضبت اليهود والنصارى وقالوا: ما لنا أكثر عملاً وأقل عطاء؟ قال: هل ظلمتكم من حقكم شيئاً؟ قالوا: لا. قال: فذلك فضلي أوتيته من أشاء». صحيح الجامع رقم: ٢٣١٥

﴿يُؤْتِكُمْ كِفَلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ [الحديد: ٢٨]:

ثمرة التقوى رائعة! قال القرطبي: «وأصل الكفل كساء يكتفل به الراكب، فيحفظه من السقوط، أي يؤتكم نصيبين يحفظانكم من هلكة المعاصي، كما يحفظ الكفل الراكب من السقوط».

﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ [الحديد: ٢٨]:

قال ابن القيم: «نكتة بديعة وهي أنهم يمشون على الصراط بأنوارهم، كما مشوا بها بين الناس في الدنيا، ومن لا نور له فإنه لا يستطيع أن ينقل قدماً عن قدم على الصراط، فلا يستطيع المشي أحوج ما يكون إليه».

الجزء الثامن والعشرون

من سورة المجادلة الآية ١

إلى سورة التحريم الآية ١٢

عدد الفوائد ١٢٩

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ [المجادلة: ١]:
ما أدق تعبير القرآن، فالمرأة تجادل رسول الله ﷺ في زوجها، أما شكواها فلا
ترفعها إلا إلى الله.

﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ [المجادلة: ١]:
حوار كل اثنين - مهما استترا عن العيون مسموع ومسجل عند الله، فعند كل
إساءة أو تجاوز في كلامك تذكر هذه الآية.

﴿وَأَنَّهُمْ لَيَقُولُنَّ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾ [المجادلة: ٢]:
قال الألوسي: «ويُعلم من الآيات أن الظهار حرام، بل قالوا: إنه كبير؛ لأن فيه
إقدامًا على إحالة حكم الله تعالى وتبديله بدون إذنه، وهذا أخطر من كثير من
الكبائر، ومن ثم سماه عز وجل مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا».

﴿أَخَصَّنَهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦]:
ما أخوفني غداً من ذنوب منسية وهي عند الله مكتوبة محصية.
ما أخطر أن يجتمع إحصاء الرب ونسيان العبد!

خطورة النسيان أنه يؤدي لترك الاستغفار على الذنب، فتتراكم الذنوب، فتفسد القلوب!
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكْتُبُ مِنْ نَفْسٍ ثَلَاثَةً إِلَّا هُوَ
رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةَ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَقُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا
كَانُوا ثُمَّ يُنْزِلُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧]:

افتتح الكلام بالعلم وختمه بالعلم، ولهذا قال ابن عباس والضحاك وسفيان
الثوري وأحمد بن حنبل: «هو معهم بعلمه».

﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ [المجادلة: ٨]:

كانوا إذا دخلوا على النبي ﷺ يخفثون لفظ «السلام عليكم»؛ ويعدلون عن ذلك ويقولون: أنعم صباحاً، وهي تحية العرب في الجاهلية؛ لأنهم لا يحبون أن يتركوا عوائد الجاهلية. قاله ابن عباس، فما هي تحيتك لزملائك؟!

﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [المجادلة: ١٠]:

الحزن مؤامرة شيطانية ومن جنود إبليس ليشوش على المؤمنين إيمانهم وعبادتهم.

في الحديث: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر، حتى تختلطوا بالناس؛ من أجل أن يُحْزَنَهُ»، وسبب الحزن أن يظن أن الاثنين يتناولانه بسوء أو يخفيان عنه شيئاً.

كان ابن عمر يتحدث مع رجل، فجاء آخر يريد أن يناجيه، فلم يناجِه حتى دعا رابعاً، فقال له وللأول: تأخرا، وناجى الرجل الطالب للمناجاة.

﴿وَلَيْسَ بِضَارِهِمْ شَيْءٌ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المجادلة: ١٠]:

لا يقضي على الأحزان مثل التوكل على الرحمن.

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المجادلة: ١١]:

قال قتادة: «نزلت هذه الآية في مجالس الذكر، وذلك أنهم كانوا إذا رأوا أحدهم مقبلاً، ضنوا بمجالسهم عند رسول الله ﷺ، فأمرهم الله أن يفسح بعضهم لبعض».

سبب نزولها:

وفي رواية أخرى لقتادة: كان رسول الله ﷺ يكرم أهل بدر، فجاء ناس منهم وقد سبقوا في المجالس، فلم يفسح أحدٌ لهم، فشق ذلك على رسول الله، فقال لمن حوله من غير أهل بدر: قم يا فلان، فشق ذلك عليهم، وعرف ﷺ الكراهة في وجوههم، وقال المنافقون: ألستم ترعسون أن صاحبكم هذا يعدل بين الناس؟ والله ما رأيناه قد عدل على هؤلاء، فقال رسول الله ﷺ: «رحم الله رجلاً يُفسح لأخيه»، فجعلوا يقومون بعد ذلك سراعاً، ونزلت هذه الآية.

﴿يَفْسَحُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المجادلة: ١١]:

وحذف الله سبحانه متعلق ﴿يَفْسَحُ اللَّهُ﴾ ليشمل كل ما يرجو الناس أن يفسح الله لهم فيه من رزق، ورحمة، وخير دنيوي وآخروي.. استحضّر هذه النية مع كل إفراح في مجلس.

﴿فَافْسَحُوا يَفْسَحُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المجادلة: ١١]:

مجرد إفراحك لأخيك في المجلس يفسح الله لك به في الدنيا والآخرة، فكيف لو قضيت له حاجته أو فرّجت كُرْبَتَهُ؟!

قال الرازي: «واعلم أن هذه الآية دلّت على أن كل من وسّع على عباد الله أبواب الخير والراحة، وسّع الله عليه خيرات الدنيا والآخرة، ولا ينبغي للعاقل أن يُقَيّد الآية بالتفسّح في المجلس، بل المراد منه إيصال الخير إلى المسلم، وإدخال السرور في قلبه».

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرُّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَى كُودِ صَدَقَةٍ﴾ [المجادلة: ١٢]:

سبب نزولها:

ذكر ابن عباس أنها نزلت بسبب أن المسلمين كانوا يكثرون المسائل على رسول الله ﷺ حتى شقوا عليه، فأراد الله أن يخفف عن نبيه، فلما نزلت هذه الآية، كف كثير من الناس، ثم وسّع الله عليهم بالآية التي بعدها.

ذكروا في سبب تقديم الصدقة أسباباً: تعظيم أمر مناجاة الرسول ﷺ، والتخفيف عن النبي ﷺ ليتفرغ لعظيم المهام، وتهوين الأمر على الفقراء الذين قد يسبقهم الأغنياء إلى مجلس النبي ﷺ، فإذا علموا أن مناجاة الأغنياء تسبقها صدقة، لم يضجروا.

﴿فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [المجادلة: ١٣]:

سبب نزولها:

نزلت بعد عشرة أيام من التي قبلها، ونسخت التي قبلها، وهي من أظهر آيات النسخ، لأنها أسقطت وجوب تقديم الصدقة. قال الألوسي: «والظاهر - والله أعلم - أن الحادثة من باب الابتلاء والامتحان، ليظهر للناس محب الدنيا من محب الآخرة، والله بكل شيء عليم».

﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [المجادلة: ١٤]:

سبب نزولها:

نزلت في منافق اسمه عبد الله بن بئيل، فقال له النبي ﷺ: «علام تستمني أنت وأصحابك»، فحلف بالله ما فعل ذلك، فقال له النبي ﷺ: «فعلت» فانطلق فجاء بأصحابه، فحلفوا بالله ما سبوه، فنزلت هذه الآية.

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ، كَمَا يَحْلِفُونَ لَكَ﴾ [المجادلة: ١٨]:

فيه دليل على أن العبد يبعث على ما مات عليه. قال القاضي عياض: هو عام في كل حالة مات عليها المرء، وقال السيوطي: يبعث الزمار بمزمارة، وشارب الخمر بقدره.

﴿أَسْخَوْذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمُ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾ [المجادلة: ١٩]:

عملية أسر متكاملة الأركان، وتجنيد في حزب الشيطان، وملاحمها الرئيسية: نسيان الذكر، وأعلاه: القرآن!

﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ [المجادلة: ٢١]:

قال الزجاج: غلبة الرسل على نوعين: من بُعث منهم بالحرب فهو غالب بالحرب، ومن لم يؤمر بالحرب فهو غالب بالحجة.

﴿لَا يَتَّخِذُ قَوْمًا يُمُونُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]:

لا يجتمع في قلب مؤمن إيمان ومحبة أعداء الرحمن، فكيف يجتمع النقيضان؟!

﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ [المجادلة: ٢٢]:

أعطاهم ومنحهم شهادة الإيمان وجعلها في قلوبهم؛ لأن المودة مكانها القلب، فلما أخلوا قلوبهم لله كتب الله فيها الإيمان

﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢]:

أكد ذلك بثلاثة مؤكّدات: (ألا) و(إن) و(هم).

سورة الحشر

﴿مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا﴾ [الحشر: ٢]:

هذا ظن أصحاب رسول الله ﷺ، وهم أفضل الخلق إيماناً بعد الأنبياء، فكان عطاء الله لهم خيراً مما ظنوا، فلا تستعجز قدرة الله أن تحقق أمانيك، وأطلق لآمالك العنان حين تعامل الكريم المنان.

﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ وَنَكُمْ﴾ [الحشر: ٧]:

يعني بين الرؤساء والأقوياء، فيغلبوا عليه الفقراء والضعفاء، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا إذا اغتتموا غنيمة أخذ الرئيس ربعها لنفسه، وتسمى المربع، ثم يوزع منها بعد المربع ما شاء، فجعل الله الفيء لرسوله يقسمه كما أمره به.

﴿وَمَا ءَانَكُمْ الرَّسُولُ فَحُذُّوهُ وَمَا نَهَكُمْ عَنْهُ فَأَنْهَوْا﴾ [الحشر: ٧]:

قال ابن عاشور: هذه الآية جامعة للأمر باتباع ما يصدر عن النبي ﷺ من قول أو فعل، ويندرج تحتها جميع أدلة السنة.

في «الصحيحين» عن عبد الله بن مسعود أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لعن الله الواشيات والمستوشيات»، فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها: أم يعقوب، فجاءت ابن مسعود فقالت: بلغني أنك لعنت كيت وكيت، فقال لها: وما لي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ وهو في كتاب الله؟ فقالت: لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه ما تقول، فقال: لئن كنت قرأته لقد وجدته، أما قرأت: ﴿وَمَا ءَانَكُمْ الرَّسُولُ فَحُذُّوهُ وَمَا نَهَكُمْ عَنْهُ فَأَنْهَوْا﴾.

﴿وَمَنْ يُوقِ شَحْ نَفْسِهِ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]:

قال ابن القيم: «الفرق بين الشح والبخل أن الشح هو شدة الحرص على الشيء والإحفاء في طلبه والاستقصاء في تحصيله، والبخل: منع إنفاقه بعد حصوله وحبه وإمساكه، فهو شحيح قبل حصوله بخيل بعد حصوله».

قال ابن مسعود: «البخل: أن تمنع ما تقدر عليه. والشُّحُّ: أن تأخذ مال أخيك بغير حقّه»، ولذا قال الأزهرى: «إن من أخرج زكاته، وعفَّ عن المال الذي لا محلُّ له، فقد وقى شحَّ نفسه».

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحشر: ١٠]:

قال مالك: «إن من قال في أحد من الصحابة قول سوء فلا حظ له في الغنيمة والنسيء؛ لأن الله وصف الذين جاءوا بعد الصحابة بأنهم: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾، فمن قال ضدَّ ذلك فقد خرج عن الذين وصفهم الله».

﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحشر: ١٠]:

قال سعيد بن بريد النباخي: «ينبغي أن نكون بدعاء إخواننا أوثق منا بأعمالنا، نخاف في أعمالنا التقصير، ونرجو أن نكون في دعائهم لنا مخلصين».

﴿الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [الحشر: ١١]:

هذا قول المنافقين لليهود قريظة والنضير: ﴿لَئِنْ أَخْرَجَ كَرْتُمْ لَنَخْرُجَنَّكُمْ﴾، ولا نطيع محمدا في قتالكم، ولا حظ علاقة الأخوة بين المنافقين والكافرين، علاقة نسب شيطاني!

﴿لَئِنْ أَخْرَجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُوهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُؤْلِكَنَّ الْأَذْبَرُ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ﴾ [الحشر: ١٢]:

هذه الآية دليل على صحة نبوة النبي ﷺ من جهة علم الغيب؛ لأن اليهود أخرجوا فلم يخرجوا معهم، وقوتلوا فلم ينصروهم.

﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ [الحشر: ١٤]:

قال ابن عاشور: «وفي الآية تربية للمسلمين ليحذروا من التخالف والتدابير، ويعلموا أن الأمة لا تكون ذات بأس على أعدائها إلا إذا كانت متفقة الضمائر، يرون رأيا متماثلا».

﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الحشر: ١٦]:

مثل المنافقين في تزيينهم الشر والفساد ليهود بنى النضير، كمثال الشيطان إذ قال للإنسان في الدنيا: اكفر بالله، فلما كفر ومات على كفره، وبعثه الله يوم القيامة، ندم وألقى التبعة على الشيطان الذي تبرأ منه، ووجه الشبه: أن المنافقين تبرءوا من معاونتهم عند ساعة الجحد، كما يتبرأ الشيطان من الكافر يوم القيامة.

﴿ وَتَنْظُرُ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ [الحشر: ١٨]:

قال قتادة: «قرب الله القيامة حتى جعلها غداً، وذلك أنها آتية لا محالة، وكل آت قريب». قال مالك بن دينار: «مكتوبٌ على باب الجنة: وجدنا ما عملنا، وربحنا ما قَدَّمنا، وخسرنا ما خَلَّفنا».

قال السعدي: «هذه الآية أصل في محاسبة العبد نفسه، وأنه ينبغي له أن يتفقدوها، فإن رأى زللاً تداركه بالإقلاع عنه، والتوبة النصوح، والإعراض عن الأسباب الموصلة إليه، وإن رأى نفسه مقصراً في أمر من أوامر الله، بذل جهده واستعان بربه في تكميله وتتميمه، وإتقانه، ويقايس بين ممن الله عليه وإحسانه وبين تقصيره، فإن ذلك يوجب له الحياء بلا محالة».

شمل كلماتك المكتوبة على صفحاتك في مواقع التواصل، ومقاطعك المسجلة على يوتيوب، فهذه حسنات أو سيئات جارية بعد موتك.

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾ [الحشر: ١٩]:

قال ابن القيم: «من نسي ربه، أنساه ذاته ونفسه، فلم يعرف حقيقته ولا مصالحه، بل نسي ما به صلاحه وفلاحه، في معاشه ومعاده، فصار معطلاً مهملاً، بمتزلة الأنعام السائبة بل ربما كانت الأنعام أخبر بمصالحها منه، لبقائها على هداها الذي أعطاها إياه خالقها».

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]: قال القرطبي: «حث على تأمل مواضع القرآن، وبين أنه لا عذر في ترك التدبر، فإنه لو خطب بهذا القرآن الجبال مع تركيب العقل فيها لانقادت لمواعظه، ولرايتها على صلابتها ورزانتها خاشعة متصدعة، أي متشققة من خشية الله». كان مالك بن دينار يقرأ هذه الآية ثم يقول: «أقسم لكم.. لا يؤمن عبد بهذا القرآن إلا صدع قلبه».

سورة الممتحنة

﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾ [الممتحنة: ٣]: لما اعتذر حاطب بن أبي بلتعة بأن له أولادًا ورحمًا بين الكافرين، بين الله عز وجل أن الأهل والأولاد لن ينفعوا صاحبهم شيئًا يوم القيامة إن عصى الله. ﴿إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُكُمْ وَأَنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [الممتحنة: ٤]: في الحديث: «أوثق عرى الإيمان: الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله عز وجل» صحيح الجامع رقم: ٢٥٣٩.

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الممتحنة: ٥]: لا تسلطهم علينا، وتنصرهم علينا، فيظنوا بذلك أنهم على الحق ونحن على الباطل. ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِينِكُمْ أَنَّ تَبَرُّوهُمْ وَيُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨]: عن أسماء بنت أبي بكر قالت: قدمت على أمي وهي مشركة في عهد قريش، فاستفتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله.. إن أمي قدمت علي وهي راغبة أفأصلها؟ قال: «نعم.. صليها». قال ابن عيينة: فنزل قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾.

﴿عَنِ اللَّهِ أَنْ يَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَّوَدَّةَ﴾ [الممتحنة: ٧]: لا تفرط في عداوة أحد، ولا تقطع جبل وصلك بينك وبينه، واجعل بينك وبينه شعرة لا تقطع، ودع بابا بينكما لا يغلق.

﴿أَنْ تَبْرُوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨]:

الإسلام دين الإحسان، فالقسط هو تمام العدل، والبرُّ فوق العدل!

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ [الممتحنة: ١٠]:

اختبار نيات لكل المؤمنات!! قال ابن عباس: «امتحانها أن تُسْتَحْلَفَ ما خرجت لبغض زوج، ولا عشقاً لرجل من المسلمين، ولا رغبة عن أرض إلى أرض، ولا لحدث أحدثه، ولا لالتباس دنيا، وما خرجت إلا رغبة في الإسلام وحياً لله ولرسوله».

جاءت سبيعة بنت الحارث الأسلمية مسلمة بعد صلح الحديبية، فأقبل زوجها في طلبها، وكان كافراً، فقال: يا محمد .. ردّ عليّ امرأتي، فإنك قد شرطت أن تردّ علينا من أتاك منّا، فأنزل الله: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾، فاستحلفها رسول الله ﷺ على ذلك، فحلفت فلم يردّها، وأعطى زوجها مهرها، وكان يرد من جاءه من الرجال، ويحبس من جاءه من النساء بعد الامتحان، ويعطي أزواجهن مهورهن.

﴿وَأَوْثُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا﴾ [الممتحنة: ١٠]:

إنها عدالة الإسلام! قال القرطبي: «أمر الله تعالى إذا أمسكت المرأة المسلمة أن يردّ على زوجها ما أنفق وذلك من الوفاء بالعهد؛ لأنه لما مُنِعَ من أهله بحرمة الإسلام، أمر برد المال إليه حتى لا يقع عليهم خسران من الوجهين: الزوجة والمال».

﴿وَلَا تُنْكِرُوا بَعْضَ الْكُوفَرِ﴾ [الممتحنة: ١٠]:

الكوافر جمع الكافرة، فنهى الله المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات، فمن كانت له امرأة كافرة بمكة، فقد انقطعت عصمة الزوجية بينهما. قال الزهري: فلما نزلت هذه الآية طلق عمر بن الخطاب امرأتين كانتا له بمكة مشركتين.

﴿وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ [الممتحنة: ١٢]:

قال ابن تيمية: «ومعصيته لا تكون إلا في معروف؛ فإنه لا يأمر بمنكر، لكن هذا كما قيل: فيه دلالة على أن طاعة أولي الأمر إنما تلزم في المعروف، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «إنما الطاعة في المعروف».

سورة الصف

﴿لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢]:

قال القشيري: «خلف الوعد مع كل أحد قبيح، ومع الله أقبح».

في الحديث: «أتيت ليلة أسري بي على قوم تُقرَضُ شفاههم بمقاريض من نار، كلما قُرِضَتْ وَفَّتْ، فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: خطباء أمتك الذين يقولون ما لا يفعلون، ويقرؤون كتاب الله، ولا يعملون به» صحيح الجامع رقم: ١٢٩.

قال السَّعْيِي: «ما خطب خطيب في الدنيا إلا سيعرض الله عليه خطبته ما أراد بها».

﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٣]:

والمقت هو البغض، ومن استوجب مقت الله لزمه العذاب، قال صاحب الكشاف: المقت أشد البغض وأبلغه وأفحشه، ومنه نكاح المقت لتزوج الرجل امرأة أبيه، ولم يقتصر على أن جعل بغض الله كبيراً حتى جعل أشده وأفحشه لمن خالف قوله فعله.

في الحديث: «مَثَلُ الْعَالَمِ الَّذِي يَعْلَمُ النَّاسَ الْخَيْرَ وَيَنْسِي نَفْسَهُ، كَمَثَلِ السَّرَاجِ يَضِيءُ لِلنَّاسِ وَيَحْرَقُ نَفْسَهُ» صحيح الجامع رقم: ٥٨٣١.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَتْهُمْ بَنِينَ مَرْصُوصًا﴾

[الصف: ٤]: ﴿صَفًّا﴾ توحى بوحدة الهدف، وتآلف القلوب، وجودة النظام، وشرعية العمل الجماعي، وحسن التعاون، وروح الفريق.. فكل هذا يحبه الله.

﴿كَانَتْهُمْ بَنِينَ مَرْصُوصًا﴾ [الصف: ٤]:

البناء قوي بتماسكه، لكن لبناته لا قيمة لها وهي متفرقة، وكذلك هو الفارق بين العمل الفردي والجماعي.

الإسلام دين النظام، ففي أحلك الظروف وساحة القتال أمرنا الله بالنظام، فما بالك بأوقات الرخاء؟!
 ٤٤٢

﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف: ٥]:

بداية الزيف من العبد، ثم يعاقبه عليه الرب، فلا يفضل قوم ابتداء؛ بل يبين لهم الطريق، فإن اختاروا الضلال؛ الإنسان مخير لا مسير في أمر الهداية.

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨]:

مهما كثر النافخون ولو كانوا كل الخلق، فلن يستطيعوا إطفاء نور الشمس، فكيف بنور الله!

لا تقلق على دين الله ودعوته، لكن اقلق على نفسك أن لا يكون لك موضع قدم في سفينة العاملين لدينه والمنافحين عن دعوته.

﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ [الصف: ١٣]:

غاية المؤمن الأساسية رضا الله والجنة، وما عدا ذلك من النصر والتمكين لا يعدو أن يكون هدفاً ثانوياً، عبّر عنه بقوله: ﴿وَأُخْرَى﴾.

سورة الجمعة

روى مسلم في صحيحه عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة والمنافقين.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾

[الجمعة: ٥]: يا قارئ القرآن: هل تفهم ما تقرأ؟ وهل تعلم ما تقول؟!

قال ابن القيم: «فهذا المثل وإن كان قد ضرب لليهود، فهو متناول من حيث المعنى، لمن حمل القرآن، فترك العمل به، ولم يؤدِّ حقه، ولم يرعه حق رعايته».

﴿وَلَا يَمْنُنَوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [الجمعة: ٧]:

المسيء يكره الموت، والمحسن لا يهابه، ولذا قال معاذ بن جبل لما حضرته الوفاة: «مرحباً بالموت زائر مغيب، وحبيب جاء على فاقة».

﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾ [الجمعة: ٨]:

تحاول الفرار من الموت وتظنه وراءك، فإذا به أمامك!

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ [الجمعة: ٩]:

قال القاسمي: «قال بعضهم: قد أبطل الله قول اليهود في ثلاث: افتخروا بأنهم أولياء الله وأحبواؤه فكذبهم بقوله: ﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الجمعة: ٦]، وبأنهم أهل الكتاب والعرب لا كتاب لهم، فشبههم بالحمار يحمل أسفاراً، وبالسبت وليس للمسلمين مثله، فشرع الله لهم الجمعة».

﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ [الجمعة: ٩]: قال السيوطي: «فيها مشروعية صلاة الجمعة، والأذان لها والسعي إليها، وتحريم البيع بعد الأذان، واستدل بالآية من قال إنها يجب إتيان الجمعة على من كان يسمع فيه النداء، ومن قال لا يحتاج إلى إذن السلطان، لأنه تعالى أوجب السعي، ولم يشترط إذن أحد، ومن قال لا تجب على النساء لعدم دخولهن في خطاب الذكور».

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْجَةً أَوْفَوْا أَنْفُسَهُمْ إِلَى اللَّهِ وَكَرُّوا قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمِنَ النَّجْرَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزْقِينَ ﴿١١﴾﴾ [الجمعة: ١١]:

اثنا عشر رجلاً منعوا كارثة كونية! قدم دحية الكلبي بتجارة من الشام، وذلك قبل أن يُسلم، وكان ذلك أثناء الخطبة، فترك الصحابة النبي ﷺ لمخاطب حتى ما بقي مع النبي ﷺ إلا اثنا عشر صحابياً، فقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده.. لو تابعتهم حتى لا يبقى منكم أحد، لسال عليكم الوادي نارا».

﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمِنَ النَّجْرَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزْقِينَ﴾ [الجمعة: ١١]: أعلمهم الله أن ما عنده من ثواب صلاتهم واستماع الخطبة خيرٌ لهم من لذة لهوهم وفوائد تجارتهم، قال السعدي: (وإن حصل منها بعض المقاصد، فإن ذلك قليلٌ منغص، مُقَوِّتٌ لخير الآخرة، وليس الصبر على طاعة الله مُقَوِّتاً للرزق، فإن الله خير الرازقين، فمن اتقى الله رزقه من حيث لا يحتسب، ومن قدَّم الاشتغال بالتجارة على طاعة الله لم يُبارك له في ذلك، وكان هذا دليلاً على خلو قلبه من ابتغاء الفضل من الله، وانقطاع قلبه عن ربه، وتعلُّقه بالأسباب، وهذا ضررٌ محضٌ يعقب الخسران).

أخرج مسلم في صحيحه: «كان رسول الله ﷺ يقرأ - أحياناً - في الركعة الأولى بسورة الجمعة، وفي الأخرى: إذا جاءك المنافقون».

ورواه الطبراني بلفظ آخر فيه توضيح: كان رسول الله ﷺ مما يقرأ في صلاة الجمعة بـ: ﴿الْجُمُعَةُ﴾؛ فيحرض به المؤمنين، وفي الثانية بسورة ﴿الْمُنَافِقُونَ﴾؛ فيقرع به المنافقين.

حكمة ربانية كثيرة من المنافقين لا يأتون الصلاة إلا يوم الجمعة، فيسمعون سورة (المنافقون)، وتقرع أسماعهم زواجر الآيات عن قبيح صفاتهم، فكأنها جلسة مصارحة إجبارية، وفصل من فصول الوعظ الإلزامي.

سورة المنافقون

﴿هُمُ الْاَعْدُوْۤا فَاَحْذَرُھُمْ﴾ [المنافقون: ٤]:

هذا اللفظ يقتضي الحصر، أي لا عدو إلا هم، ولم يُرد الله هنا حصر العداوة في المنافقين، بل هو من باب إثبات الأولوية والأحقية لهم في الوصف بالعداوة.

الحرب مع الأعداء أيام وتنقضي، وأما المنافقون فمقامهم مع المسلمين صباح مساء، يدلون العدو على عورات المؤمنين، ويتربصون بهم الدوائر؛ لذا كانوا أحقَّ بالعداوة من العدو الظاهر.

قال الفيلسوف الألماني كارل شميث في تعريف السياسة: «إن السياسة هي قبل كل شيء القدرة على استكشاف العدو».

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَتْهُم بِضُغُوْنٍ وَهُمْ مُّسْتَكْبِرُوْنَ﴾ [المنافقون: ٥]:

لما صدق الله زيد بن أرقم في ما أخبر به عن عبد الله بن أبي، مقت الناس ابن أبي، وقال له بعضهم: امض إلى رسول الله يستغفر لك، فلوى رأسه وقال: لقد أشرتم عليّ بالإيمان فأمنت، وأشرتم عليّ بأن أعطي زكاة مالي فأعطيت، ولم يبق لكم إلا أن تأمروني بالسجود لمحمد!

﴿ هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا وَلَهُمْ حَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [المنافقون: ٧]:

التضييق على المؤمنين في أرزاقهم من أساليب المنافقين في كل العصور، ودليل على قلة الفقه وغياب اليقين.

﴿ يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ﴾ [المنافقون: ٨]:

قال زيد بن أرقم:

«خرجنا مع النبي ﷺ في سفر أصاب الناس فيه شدة، فقال عبد الله بن أبي لأصحابه: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله، وقال: لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجن الأعز منها الأذل. فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، فأرسل إلى عبد الله بن أبي فسأله، فاجتهد يمينه ما فعل. قالوا: كَذَبَ زَيْدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فوقع في نفسي مما قالوا شدة، حتى أنزل الله عز وجل تصديقي في: ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ ﴾.

قالها رجل واحد هو ابن سلول، لكن الله نسب القول لهم جميعاً، لأنهم رضوا قوله!

﴿ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [المنافقون: ٩]:

استخدم لفظ تلهكم بدلاً من تشغلكم، لأن من الشغل ما هو محمود، كما في الحديث: «إن من الصلاة لشغلا»، وأما الإلهاء فهو مذموم في كل الأحوال.

﴿ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [المنافقون: ٩]:

الخاسر الحقيقي ليس في التجارة والأموال، بل المشغول عن ذكر الله.

﴿ وَانْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [المنافقون: ١٠]:

قال ابن عباس: «هذه الآية أشد على أهل التوحيد؛ لأنه لا يتمنى الرجوع في الدنيا أو التأخير فيها أحد له عند الله خير في الآخرة».

قال ابن عباس: من كان له مال يبلغه حج بيت ربه، أو تجب عليه فيه زكاة، فلم يفعل، سأل الرجعة عند الموت، ف قيل له: إنما يسأل الرجعة الكفار، فقال: سأتلو عليكم بذلك قرآنًا، ثم قرأ هذه الآية: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْوَيْلُ﴾.

حديث نبوي يشرح آية قرآنية! قال رسول الله ﷺ: «أفضل الصدقة أن تصدق وأنت صحيح شحيح، تأمل الغنى وتخشى الفقر، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا، ولفلان كذا، ألا وقد كان لفلان كذا» صحيح الجامع رقم: ١١١١.

سورة التغابن

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ [التغابن: ٩]:

قال الألوسي: «التغابن تفاعل من الغبن وهو فوت الحظ، والمراد بالمغبون من غُبن في أهله ومنازله في الجنة، فيظهر يومئذ غُبن كل كافر بترك الإيمان، وغُبن كل مؤمن بتقصيره في الإحسان».

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [التغابن: ١١]:

وكان المصيبة تستأذن ربها أولاً، فإن أذن لها نزلت وإلا تراجعت، فلا تظن أن شيئاً أصابك إلا بإذن ربك.

﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١]:

قال إبراهيم بن إسحاق: «أجمع عقلاء كل ملة أنه من لم يجز مع القدر لم يتها بعبثه».

﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١]:

قال ابن عباس: «يَهْدِ قَلْبَهُ لليقين فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه».

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التغابن: ١٣]:

قال ابن القيم: «قوة التوكل وضعفه بحسب قوة الإيمان وضعفه، وكلما قوي إيمان العبد كان توكله أقوى، وإذا ضعف الإيمان ضعف التوكل، وإذا كان التوكل ضعيفاً، فهو دليل على ضعف الإيمان ولا بد».

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ﴾

[التغابن: ١٤]:

سبب نزولها:

قال عطاء بن يسار: «نزلت في عوف بن مالك الأشجعي كان ذا أهل وولد، وكان إذا أراد الغزو بكوا إليه ورققوه فقالوا: إلى من تدعنا؟ فيرق فيقيم، فنزلت: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ..﴾».

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التغابن: ١٤]:

آية فيها عزاء لمن ابتلي بزواج ناشز، أو ولد عاق، فصبر عليهم وعفا عنهم، وفي وعد الله له بالمغفرة تسلية لهذا المبتلى.

﴿إِنْ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ﴾ [التغابن: ١٤]:

اتخذها منهجاً في حياتك: لا تُعمَّم!

﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن: ١٥]:

أي بلاء واختبار قد يحملكم على كسب الحرام، ومنع حق الله تعالى، فلا تطيعوهم في معصية الله.

قال ابن مسعود: «لا يقولن أحدكم: اللهم اعصمني من الفتنة، فإنه ليس أحد منكم يرجع إلى مال وأهل وولد إلا وهو مشتمل على فتنة، ولكن ليقُل: اللهم إني أعوذ بك من مضلات الفتن».

﴿فَأَنقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]:

قال سعيد بن جبير: «لما نزلت: ﴿أَتَقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ اشتد على القوم العمل، فقاموا حتى ورمّت أقدامهم، فأنزل الله هذه الآية: ﴿فَأَنقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ تخفيفاً على المسلمين».

هل هذا تخفيف أم تكليف؟! الأمران محتملان، لكن أكثر الناس يحمل الآية على التخفيف دون التكليف، ويتخذونها ذريعة للتخفيف والتهرب من التكليف الشرعية.

﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١٧]:

والله شكور يعطي على العمل اليسير الأجر الكثير، وحليم لا يعاجل بالعقوبة.

سورة الطلاق

﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق: ١]:

إرشاد المؤمنين إلى ما يجب عليهم اتباعه إذا أرادوا طلاق أزواجهم، ونهيبهم عن إيقاع الطلاق حال الحيض، لكونه طلاقاً بدعيّاً محرّماً، ولكنه مع ذلك يعتبر نافذاً. قال القرطبي: «من طلق في طهر لم يجامع فيه، نفذ طلاقه وأصاب السنة، وإن طلقها وهي حائض نفذ طلاقه وأخطأ السنة».

﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ [الطلاق: ١]:

روى البخاري أن عبد الله بن عمر طلق امرأة له وهي حائض، فقال رسول الله ﷺ: «ليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض فتطهر، فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهرة قبل أن يمسه، فتلك العدة التي أمر بها الله عز وجل».

﴿لَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾ [الطلاق: ١]:

حق المطلقة أن تبقى في بيتها فترة العدة، هذا شرع الله، فما بال كثير من الناس ضربوا به عرض الحائط وخالفوه.

ونسبة البيت إلى المرأة فيه دلالة على أهمية إعطائها سلطة فيه وصلاحيات في اختيار أئانه وإدارة شؤونه، فهو مملكتها.

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ [الطلاق: ١]:

لست حراً بل أنت عبد، فلا تتجاوز حدودك مع الله، وإلا كنت ظالماً.

﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق: ١]:

﴿يُحْدِثُ﴾: ينشئ بلا مقدمات، وينشئ ماذا؟ أمراً إلهياً نافذاً!

﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [الطلاق: ٢]:

ثبت الأخلاق من علامات قوة الإيمان.

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢]:

كلما كانت التقوى أقوى كان المخرج من الشدة أقرب.

قال ابن أبي العز الحنفي: «ضمن الله للمتقين أن يجعل لهم مخرجاً مما يضيق على الناس، وأن يرزقهم من حيث لا يحتسبون، فإذا لم يحصل ذلك دل على أن في التقوى خللاً، فليستغفر الله وليتب إليه».

﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]:

قال ابن مسعود: «إن أكثر آية تفويضا في القرآن: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾».

﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣]: قال ابن القيم: «فلما ذكر كفايته للمتوكل عليه، فربما أوهم ذلك تعجيل الكفاية وقت التوكل، فعقبه بقوله: ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣] أي وقتاً لا يتعداه فهو يسوقه إلى وقته الذي قدره له، فلا يستعجل المتوكل ويقول: قد توكلت، ودعوت فلم أر شيئاً ولم تحصل لي الكفاية، فالله بالغ أمره في وقته الذي قدره له».

﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَارْزُقُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَأَنْزِعُوا يَدَيْكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُم فَاسْتَزِغْ لَهُ أُخْرَى﴾ [الطلاق: ٦]:

إذا ولدت المطلقة، ورزيت أن ترضع ابنها، فعلى الرجل أن يدفع لها أجر الرضاعة.

﴿وَأَنْزِعُوا يَدَيْكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾ [الطلاق: ٦]:

والإتسار معناه التشاور، وسُمِّي التشاور بذلك لأن المتشاورين في مسألة، يأمر أحدهما الآخر بشيء فيستجيب لأمره، فعليكم أيها الآباء والأمهات بالتشاور فيما ينفع أولادكم في ما يتعلق بالرضاعة والأجر عليها وغيرهما.

﴿وَإِنْ تَعَاَسَرْتُم فَاسْتَزِغْ لَهُ أُخْرَى﴾ [الطلاق: ٦]:

التعاسر مأخوذ من العسر الذي هو ضد اليسر، يقال تعاسر المتبايعان، أي لم يتفقا على شيء، بأن امتنع الأب عن دفع أجرة الأم، أو امتنعت الأم عن الإرضاع إلا بأجر معين، فللاب البحث عن مرضعة أخرى.

﴿لِنُفِقَ دُوسَعَةً مِّن سَعَتِهِ يَوْمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُفِقْ مِمَّا آَلَهُ اللَّهُ﴾ [الطلاق: ٧]:

توجيهه بأن ينفق كل واحد على مقدار حاله، ولا يكلف الزوج ما لا يطيق، وأن اختلاف أحوال الناس في النفقة أمر طبيعي.

﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧]:

ولم يقل (سوف يجعل) لشدة قرب الفرج كلما اشتدت الكرب، فكيف ييأس من يقرأ آية كهذه؟!

سورة التحريم

﴿عَرَفَ بَعْضُهُ، وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ [التحريم: ٣]:

قال سفيان: «ما زال التغافل من فعل الكرام»، وقال الحسن: «ما استقصى كريم قط».

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨]:

قال القرطبي: «يجمعها أربعة أشياء: الاستغفار باللسان والإقلاع بالأبدان وإضمار ترك العود بالجنان ومهاجرة سيئ الإخوان».

ليست التوبة بالكلام بل بالأفعال! قال الجيلاني: «التوبة قلب دولة! من تاب ولم يغير ما كان عليه قبل التوبة فقد كذب في توبته».

﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِّنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ [التحريم: ١٠]:

الخيانة هنا ليست الزنى! قال ابن عباس رضي الله عنهما: «ما زنتا، أما خيانة امرأة نوح فكانت تقول للناس: إنه مجنون، وأما خيانة امرأة لوط، فكانت تدل على الضيف، فتلك خيانتها».

﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ [التحريم: ١١]:

قال ابن القيم: «فطلبت كون البيت عنده قبل طلبها أن يكون في الجنة، فإن الجار قبل الدار».

﴿وَمِنْهُمْ ابْنَةُ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا الْقَاتِنِينَ﴾ [التحريم: ١٢]

قال البيضاوي: «القائتين: من عداد المواظبين على الطاعة، والتذكير للتغليب والإشعار بأن طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال الكاملين حتى عُذَّت من جملتهم».

ذكر الله ثلاثة أصناف للنساء:

المرأة الكافرة - التي لها صلة برجل صالح وهي امرأة نوح وامرأة لوط،

والمرأة الصالحة - التي لها صلة برجل كافر وهي آسيا امرأة فرعون،

والمرأة العزباء - التي لا صلة بينها وبين أحد وهي مريم عليها السلام،

فالأولى: لا تنفعها صلتها، والثانية: لا تضرها صلتها، والثالثة: لا يضرها عدم وجود الصلة شيئاً.

قال يحيى بن سلام: «ضرب الله المثل الأول يحذر عائشة وحفصة، ثم ضرب لهما المثل الثاني يحرضهما على التمسك بالطاعة، وفي ضرب المثل للمؤمنين بمريم اعتبار آخر: وهو أنها لم يضرها عند الله شيئاً قذف أعداء الله اليهود لها، ونسبتهم إياها وابنها إلى ما برأها الله عنه، مع كونها الصديقة الكبرى المصطفاة على نساء العالمين، فلا يضر الرجل الصالح قذح الفجار والفساق فيه، وفي هذه تسلية لعائشة أم المؤمنين إن كانت السورة نزلت بعد قصة الإفك».

الجزء التاسع والعشرون

من سورة الملك الآية ١
إلى سورة المرسلات الآية ٥٠
عدد الفوائد ١١٠

سورة الملك

﴿لَبِّلُوكُمْ أَتَكْمُلُونَ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]:

لم يقل أكثر عملاً، ليلفت انتباهك إلى أن العبرة بجودة العمل لا بكمثرته!

﴿ثُمَّ أَجِيعَ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: ٤]:

هذا تحدُّ إلهي، فليحاول أعظم العلماء أن يجدوا أدنى عيب أو تفاوت في خلق السماء، ولن يصلوا إلى شيء!

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك: ١٢]:

لم يروا ربهم، ولا نبههم، ولا الجنة، ولا النار، لكن آمنوا بهذا الغيب، فاستحقوا مدح الله على صفحات القرآن!

﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الملك: ١٣]:

رَبُّ يراقب النيات والخطرات، فكيف بالأفعال والكلمات!؟

﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَّن فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ الْآرْضُ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ * أَمْ أَمِنْتُمْ مَّن فِي

السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ [الملك: ١٦-١٧]:

النَّعَم نوعان: نَعَم حاصلة يعلم بها العبد، ونَعَم حاصلة خافية عليه، ولا يعرف قدرها إلا عند فقدها، وهذا أحد أمثلتها.

﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الملك: ٢٢]:

مَثَلُ ضربه الله للمؤمن والكافر، فالكافر مَثَلُ مَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ، ومنحنياً لا مستوياً، وأما المؤمن فيمشي سَوِيًّا منتصب القامة في طريق واضح، وهكذا سيكونون في الآخرة، المؤمن يمشي سَوِيًّا إلى الجنة، والكافر يمشي على وجهه إلى النار.

﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الملك: ٢٣]:

هذا حال أكثر الناس! قال ابن كثير: «أي قلما تستعملون هذه القوى التي أنعم الله بها عليكم في طاعته، وامثال أوامره، وترك زواجره».

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾ [الملك: ٢٣]:

قال صالح بن الإمام أحمد بن حنبل: كان أبي إذا خرجت الدلو ملأى قال: الحمد لله. قلت: يا أبت.. ما الفائدة؟ فقال: يا بُني.. أما سمعت الله عز وجل يقول: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾.

سورة القلم

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]:

سئلت عائشة عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: «كان خُلُقُه القرآن».

قال ابن عاشور: «واعلم أن إجماع الخلق العظيم الذي هو أعلى الخلق الحسن هو التدين، ومعرفة الحقائق، وحلم النفس، والعدل، والصبر على المتاعب، والاعتراف للمحسن، والتواضع، والزهد، والعفة، والعفو، والجمود، والحياء، والشجاعة، وحسن الصمت، والتؤدة، والوقار، والرحمة، وحسن المعاملة والمعاشرة».

﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩]:

لا مداينة على حساب العقيدة، ولا التقاء في منتصف الطرق، وكان وضوح النبي ﷺ وصراحته يؤذيان الكفار، فيطلبان منه التخفيف، فحذّره الله من المداينة.

المداينة أن تضحي بالدنيا لأجل الدين، وتكون باستعمال الألفاظ اللينة مع عدم قبول المنكر أو إقرار صاحبه عليه، وأما المداينة فأن تضحي بالدين لأجل الدنيا.

﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ [القلم: ١٠]:

كثرة الحلف علامة بارزة من علامات الكذب.

﴿إِذْ أَقْسَمُوا لَبَصَرُهَا مَصِيحِينَ﴾ [القلم: ١٧]:

أقسموا على أن يجرموا الفقراء، فحرمهم الله، ولو عزموا على إكرامهم لأكرمهم الله.

﴿نَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِبُونَ﴾ [القلم: ١٩]:

كم من ظالم نائم، ولا يدري أن قرار إهلاكه قد اتخذ، وجاري التنفيذ.

أيها الظالم.. ليس هذا آخر طائف ينزل على الظالمين، واشتراكك مع هؤلاء في جريمة الظلم يعرّضك لسيف العقاب.

﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ [القلم: ٢٠]:

أي احترقت حتى صارت رمادًا كالليل الأسود، لا تُبَيِّن شيئًا يُتَفَعَّ به، وهذه عاقبة الظلم، يمنع البركات ويقطع الخيرات!

﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ بُشًى﴾ [القلم: ٢٤]:

﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ [القلم: ٢٠]: لا تضيّق على الفقير، فيضيّق الله عليك، ولا تحرم الناس فضلك، فيحرمك الله من فضله.

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢]:

أعظم تهديد لغير المصلي أن يتصور هذا المشهد الأخروي الذي سيتعرض له غداً.

في الحديث المتفق عليه: «يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة، فيذهب ليسجد، فيعود ظهره طبقاً واحداً».

قال كعب الأحبار: «والله ما نزلت هذه الآية إلا عن الذين يتخلفون عن الجماعات»، وقال سعيد بن جبير: «كانوا يسمعون حي على الصلاة حي على الفلاح فلا يجيبون، وهم سالمون، أصحاب فلا يأتونه».

﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القلم: ٤٤]:

قال الحسن البصري: «كم من مستدرج بالإحسان إليه، وكم من مفتون بالثناء عليه، وكم من مغرور بالستر عليه».

قال القشيري: «الاستدراج انتشار الصيت بالخير في الخلق، والانتواء على الشر - في السر - مع الحق».

﴿وَأَن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ﴾ [القلم: ٥١]:

قال ابن كثير: «وفي هذه الآية دليل على أن العين إصابتها وتأثيرها حق بأمر الله عز وجل، كما وردت بذلك الأحاديث المروية من طرق متعددة كثيرة».

﴿لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ﴾ [القلم: ٥١]:

وجد النبي ﷺ حين وجد طفلاً ييكي: «ما لصيكم هذا ييكي؟ هلا استرقتم له من العين» صحيح الجامع رقم: ٥٦٦٢.

سورة الحاقة

﴿وَتَعْبَهُ أُذُنٌ وَعِيَّةٌ﴾ [الحاقة: ١٢]:

هي الأذن المؤدية إلى القلب، فالكلام إما أن يدخل الأذن فيخرج من الأذن دون أن يمر على القلب، أو يمر من الأذن إلى القلب.

جاءت الإشارة لعكس الأذن الواعية في الحديث: «ويل لأقماع القول» صحيح الجامع رقم: ٨٩٧، والحديث يتوعد من يتسرب الكلام من أذنه إلى الأذن الأخرى لديه كأنهما قمع.

﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة: ٣٢-٣٤]:

كان أبو الدرداء رضي الله عنه يحض امرأته على تكثير المرق لأجل المساكين، ويقول: «خلعنا نصف السلسلة بالإيمان، أفلا نخلع نصفها الآخر». اقتبس ذلك من الآية.

﴿وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾ [الحاقة: ٤٤، ٤٦]:

قال الزمخشري: «المعنى لو ادعى علينا شيئاً لم نقله لقتلناه صبراً، كما يفعل الملوك بمن يتكذب عليهم، معاجلة بالسخط والانتقام، فصور قتل الصبر بصورته ليكون أهول، وهو أن يؤخذ بيده، وتضرب رقبته، ومعنى ﴿لَاخِذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾.. والكلام هنا عن رسول الله ﷺ!

سورة المعارج

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج: ١]:

سؤال المشركين عن العذاب يتضمن ثلاثة معان: الإنكار، والتهكم، والاستعجال، فهو سؤال الجَّهال لا سؤال استفهام واستعلام.

﴿تَفْرُجُ الْمَلَكُوتَ وَالرُّوحَ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]: قال ابن عباس: «هو يوم القيامة، جعله الله على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة»، فما أطول ذلك اليوم على الخلق، وما أقصره على المؤمنين.

قال القرطبي: «وهذا القول أحسن ما قيل في الآية - إن شاء الله - بدليل ما رواه قاسم بن أصبغ من حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة» فقلت: ما أطول هذا؟ فقال ﷺ: «والذي نفسي بيده، إنه ليُخَفَّفَ عن المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة المكتوبة يصلِّيها في الدنيا».

﴿وَلَا يَسْتَلُ حِمِيمٌ حَمِيمًا﴾ [المعارج: ١٠]:

في هذا اليوم لا يسأل صديق صديقه النصرة أو المعونة؛ لأن كل واحد منهما مشغول بهموم نفسه من شدة الموقف وهمول الحساب.

﴿تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾ [المعارج: ١٧]:

النار كائن حي! في الحديث: «يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان يبصران وأذنان يسمعان ولسان ينطق، يقول: إني وكُلْتُ بثلاثة: بكل جبار عنيد، وبكل من دعا مع الله إلها آخر، وبالمصورين». صحيح الجامع رقم: ٨٠٥١.

﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلِكَ مُهْطِعِينَ﴾ [المعارج: ٣٦]:

سبب نزولها:

أي مسرعين. وفي سبب نزولها قال الواحدي والبقوي: كان المشركون يجتمعون حول النبي ﷺ، ويستمعون كلامه ويكذبونه ويستهزئون بالمؤمنين، ويقولون: لئن دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبله، وليكونن لنا فيها أكثر مما لهم، فأنزل الله هذه الآية.

سورة نوح

﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣]:

قال القرطبي: «الرجاء هنا بمعنى الخوف، أي ما لكم لا تخافون لله عظمة وقدره على أحدكم بالعقوبة، وأي عذر لكم في ترك الخوف من الله».

ويحك .. توقّر مديرك وأميرك، وتحافهما وترعى حقهما أكثر من مراعاة حق الله .. ما أعظم جهل العبد وما أظلمه!

﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾ [نوح: ٢١]:

ما أعظم أدب الأنبياء مع الله! فقد نسب عصيانهم إلى أمره لا إلى الله.

﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ [نوح: ٢٤]:

الضلال والحُرمان من الهداية هما مصير كلّ ظالم.

لعل ضلال الظالمين اليوم هو أثر استجابة دعوة نبي الله نوح من آلاف السنين!

﴿مِمَّا خَطَبْتَهُمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا﴾ [نوح: ٢٥]:

الذنب بلا توبة لا بد له عند الله من عقوبة، قد تتأخر لكنها نازلة لا محالة.

﴿رَبِّ آغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ﴾ [نوح: ٢٨]:

داوم على الدعاء لوالديك أحياء أو أمواتاً! في الحديث: «إن الرجل لثَرَعَ درجته في الجنة فيقول: أنى لي هذا؟ فيقال: باستغفار ولدك لك» صحيح الجامع رقم: ١٦١٧.

سورة الجن

﴿وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا﴾ [الجن: ٣]:

قال القرطبي: «الجَدُّ في اللغة: العظمة والجلال، ومنه قول أنس رضي الله عنه: كان الرجل إذا حفظ البقرة وآل عمران جَدًّا في عيوننا، أي: عظم، فمعنى جَدُّ ربنا: عظمته وجلاله».

﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٥]:

والقاسطون: هم الجائرون الظالمون، جمع قاسط، وهو الذي ترك الحق واتبع الباطل، بخلاف المُقْسِط فهو الذي اتبع الحق وترك الباطل.

﴿وَالْوِاسِقَتُمْ وَأَعْلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ [الجن: ١٦، ١٧]:

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في هذه الآية: «أينما كان الماء كان المال، وأينما كان المال كانت الفتنة».

﴿لَتَفْنِينَ فِيهِ﴾ [الجن: ١٧]:

عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «إنما أخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزيتها».

قال ﷺ: «والله ما الفقر أخشى عليكم، وإنما أخشى عليكم أن يُبْسَطَ عليكم الدنيا، كما يُبْسَطَ على من قبلكم، فتنافسوها، كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم».

سورة المزمل

﴿يَا أَيُّهَا الرَّمْلُ * قَرِّ آلِيلَ﴾ [المزمل: ١، ٢]:

ذهاب مخاوفك وتقوية عزائمك في قيام الليل.

﴿وَرَقِلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]:

كيف الترتيل؟! وُصِفَتْ تلاوة الفضيل بن عياض للقرآن بأنها «حزينة شهيّة بطيئة مترسّلة، كأنه يُخاطب إنساناً».

قال عبد الله بن مسعود: «لا تشروه نشر الرَّمْل، ولا تهدوه هذَّ الشَّعر، وقفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب». أي لا تسرعوا في قراءته.

قال ابن عباس: «لأن أقرأ سورة أرتلها أحب إليّ من أن أقرأ القرآن كله».

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل: ٦]:

أي أشد تأثيراً في القلب وإن كانت أثقل على النفس وأتعب للبدن، ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ أي أقرب لفهم القرآن لخلو الذهن في جوف الليل، وإقبالهم على ما يقرءونه.

﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المزمل: ١٠]:

هذا أدب المسلم وثبات أخلاقه حتى مع أعدائه وخصومه!

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن الهجر الجميل؟! فقال: الهجر الجميل: هجر بلا أذى!

قال ابن مسعود - رضي الله عنه - في وصف الهجر الجميل: «خالطوا الناس وزايلوهم وصافحوهم ودينكم لا تكلّموه»، لا تكلّموه بمعنى لا تجرحوه.

﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ [المزمل: ١٣]:

هل شعرت يوماً بغصة من لقمة طعام كدت معها أن تختنق؟! هذا هو طعام أهل النار الدائم، يدخل إلى الخلق، فلا هو نازل ولا خارج، وأما نوعه فقال ابن عباس: وهو الغسلين والزقوم والضريع.

﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ [المزمل: ١٧]:

قال الحسن: «أي بأي صلاة تتقون العذاب؟ بأي صوم تتقون العذاب؟».

﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ [المزمل: ١٨]:

من الدلالات اللغوية لهذه الآية: أن السماء تُذكر وتؤنث.

﴿فَاقْرَءُوا مَا يَنْتَزِعُ مِنَ الْقُرْآنِ عِلْمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرَضَى﴾ [المزمل: ٢٠]:

ليكن لك ورد يومي ثابت من القرآن مهما كان يسيراً.

حتى لو كنت مريضاً، أو كنت في جهاد أو طلب رزق، لا تقطع صلتك بالقرآن،

فكيف لو كنت فارغاً من كل هذه الأشغال؟!

﴿وَأَخْرُونَ يُضْرَبُونَ فِي الْأَرْضِ يَلْتَعُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَخْرُونَ يَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾

[المزمل: ٢٠]: ما أروع الكسب الحلال! قال ابن عمر رضي الله عنهما: «ما خلق الله موتة

أموتها بعد الموت في سبيل الله أحب إلي من الموت بين شعبي رجلي، أتبغي من

فضل الله ضارباً في الأرض».

سورة المدثر

﴿وَيْبَاكَ فَطْهَرُ﴾ [المدثر: ٤]:

قال الماوردي: «ولهم في تأويل الآية وجهان: أحدهما - معناه: وقلبك فطهر من الإثم والمعاصي، قاله ابن عباس وقتادة. الثاني - معناه وقلبك فطهر من الغدر، أي لا تغدر، فتكون دنس الثياب».

﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدثر: ٦]:

قال الحسن: «لا تستكثر عملك! فإنك لا تعلم ما قبل منه، وما رد فلم يقبل».

قال ابن كيسان: «لا تستكثر عملك، فتراه من نفسك، إنها عملك منة من الله سبحانه عليك، إذ جعل لك سبيلا إلى عبادته، فله بذلك الشكر أن هداك له».

﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرُ﴾ [المدثر: ٧]:

اصبر لربك لا تجلداً، ولا ليراك الناس، ولا ليشنوا على شجاعتك وتجلدك، أخلص في صبرك حتى يقبله الله.

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدثر: ١١]:

قال ابن عاشور: «كان الوليد بن المغيرة يلقب في قريش بالوحيد؛ لتوحده وتفرده باجتماع مزايا له لم تجتمع لغيره من طبقته، وهي كثرة الولد، وسعة المال، ومجده ومجد أبيه من قبله، وكان مرجع قريش في أمورهم؛ لأنه كان أسن من أبي جهل وأبي سفيان، فلما اشتهر بلقب الوحيد، كان هذا الكلام إيحاء إلى الوليد بن المغيرة».

﴿وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا﴾ [المدثر: ١٤]:

والتمهيد هنا استعارة لتيسير أموره ونفاذ كلمته في قومه، بحيث لا يعسر عليه مطلب، ولا يستعصي عليه أمر، وتبوين وتنكير (تمهيداً) لإفادة تعظيم هذا التمهيد.

﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ * كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِإِيْتِنَاعِهِدَا ﴿[المدثر: ١٥، ١٦]:

﴿كَلَّا﴾ ردع وإبطال لطمع الوليد في الزيادة من النعم وقطع لرجائه، والمقصود تطمين النبي ﷺ بأن الوليد سيقطع الله عنه الرزق لثلاث تكون نعمته فتنة لغيره، فيغيرهم حاله بسلوك نفس الطريق.

﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ في هذا إيذان بأن كفران النعمة سبب قطعها؛ ولذا قال ابن عطاء: «من لم يشكر النعم فقد تعرض لرواها، ومن شكرها فقد قيدها بعقلها».

﴿لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٩]:

ومعنى: لَوَاحَةٌ مغيرة للبشرات، ومسودة للوجوه، والبشر: جمع بشرة وهي ظاهر الجلد.

﴿عَلَيْنَا تِسْعَ عَشْرَ﴾ [المدثر: ٣٠]:

قال أبو جهل لقريش: ثكلتكم أمهاتكم! محمد يخبر أن خزنة النار تسعة عشر، وأنتم الشجعان، أفيعجز كل عشرة منكم أن ييطشوا بواحد منهم؟ فقال أبو الأشد - واسمه كلدة بن أسيد بن خلف -: أنا أكفيكم منهم سبعة عشر، عشرة على ظهري، وسبعة على بطني، واكفوني أنتم اثنين، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً...﴾.

﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ [المدثر: ٣٧]:

وكلمة (شاء) في الآية معناها أن تقدمك أو تأخرك إنما هو (قرارك) الشخصي.

معناه أن لا وقوف في الطريق إلى الله ألبتة، فإما تقدم وإما تأخر، ومن لم يتقدم بالحسنات سيتأخر بالسيئات؛ فإن لم تتقدم كل يوم فأنت (متأخر).

آية فيها تهديد ووعد يدفع كل واحد منا لمحاسبة نفسه باستمرار، خوفاً من أن تراجع أعماله الصالحة، فيحرص على اغتنام كل دقيقة من وقته آناء الليل وأطراف النهار.

﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]:

عن الملائكة والأنبياء والشهداء والصالحين؛ لأنهم ليسوا من أهل الشفاعة، فإنه ليس للكفار شفيع يشفع لهم.

﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ * كَانَهُمْ حُرُمٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ﴾ [المدثر: ٤٩، ٥٠]:

من كره النصيح والناصحين فقد أخرج نفسه بنفسه عن حدود آدمية!

سورة القيامة

﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: ٢]:

قال الحسن: «إن المؤمن لا تراه إلا يلوم نفسه يقول: ما أردت بكلمتي، يقول: ما أردت بأكلتي، ما أردت بحديث نفسي، فلا تراه إلا يعاتبها، وإن الفاجر يمضي قُدُماً فلا يعاتب نفسه».

﴿أَحْسَبُ الْإِنْسَانَ أَلَّنْ يَجْمَعَ عِظَامَهُ * بَلَى قَدَرِينَ عَلَى أَنْ سُوءَ بَنَانَهُ﴾ [القيامة: ٣، ٤]:

البنان: الأصابع، فبنه بالبنان ألوهي أصغر العظام - على بقية أعضاء الجسم، فلما زعموا أن الله لا يبعث الموتى ولا يقدر على جمع العظام، قال لهم: بلى قادرين على أن نعيد هذه السلاميات على صغرها، ونؤلف بينها حتى تستوي، ومن قدر على هذا فهو على جمع الكبار أقدر.

﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ [القيامة: ٥]:

قال سعيد بن جبير: «يقدم على الذنب ويؤخر التوبة، فيقول: سوف أتوب، سوف أعمل، حتى يأتيه الموت على شر أحواله وأسوأ أعماله».

قال ابن عباس: «يعني الكافر يكذب بما أمامه من البعث والحساب».

﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ [القيامة: ١١]:

والوزر: المراد به الملجأ والمكان الذي يحتتمي به الشخص ليتقي به ما يخاف، وأصله: الجبل المرتفع المنيع، من الوزر وهو الثقل، فلا مهرب يوم القيامة من الحساب.

﴿بَلِ الْإِنْسَانِ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ [القيامة: ١٤]:

أنت أدري الناس بنفسك، وتستطيع أن تحدد الجميع إلا نفسك التي بين جنبيك.

﴿لَا تَحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ [القيامة: ١٦]:

سبب نزولها:

روى الشيخان عن ابن عباس: كان النبي ﷺ يعالج من التنزيل شدة، فكان يحرك شفثيه - يريد أن يحفظه مخافة أن يتفلت منه شيء، أو من شدة رغبته في حفظه، فأنزل الله هذه الآيات.

إذا كان الله ينهي نبيه عن العجلة في قراءة القرآن مع وجود سبب معتبر لذلك، فماذا يقول من يقرؤه باستعجال دون تدبر أو فهم دون وجود سبب معتبر لذلك؟

﴿وَجْهٌ يُومِئُ نَاصِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢]:

النضارة ليست اليوم، بل في ذلك اليوم! ومعايير الآخرة تختلف عن معايير الدنيا، فكم من ضاحك هنا يابك هناك، وقد ييكي هنا من يضحك هناك، والعبرة بمن يضحك آخرًا!

سورة الإنسان

﴿هَذَا أَنَّى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١]:

تأمل هوانك وضعفك الذي كنت عليه، وأنت سترجع لنفس المصير، فهذا أدعى ألا تكبر!

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: ٦]:

قال القرطبي: «إن الرجل منهم ليمشي في بيوتاته، ويصعد إلى قصوره، وييده قضيب يشرب به إلى الماء، فيجري معه حيثما دار في منازل على مستوى الأرض في غير أخلود، ويتبعه حيثما صعد إلى أعلى قصوره».

﴿وَيَطِغُمُونَ أَلْطَافَ اللَّهِ عَلَى خُبَيْهِمْ، مَسْكِينًا وَيتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨]:

ينفق مما يحب لا مما يكره أو استغنى عنه، ويبدل ما يحب طمعًا في الفوز بما هو أحب: الجنة!

يحثك القرآن على الإحسان إلى الأسير ولو كان كافرًا، فكيف بمن يؤذي الأسير المسلم ويعذبه؟!

﴿إِنَّمَا تُطْعَمُونَ لُوحِيهِ اللَّهِ لَا نُزِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ [الإنسان: ٩]:

تربية ربانية لصاحب المعروف على الإخلاص؛ ومن علاماته: عدم طلب المقابل على معروفه ولو بكلمة شكر.

قال ابن تيمية: «كان المحققون للإخلاص لا يطلبون من المحسن إليه لا دعاء ولا ثناء ولا غير ذلك، فإنه إرادة جزاء منه؛ فإن الدعاء نوع من الجزاء على الإحسان والإساءة».

كانت عائشة - رضي الله - عنها إذا أرسلت إلى قوم بهدية تقول للمرسل: اسمع ما يدعون به لنا، حتى ندعو لهم بمثل ما دعوا لنا، ويبقى أجرنا على الله تعالى.

﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ١٠]:

أي يومًا تعبس فيه الوجوه من هوله وشدته. قال الأخفش: القمطير: أشد ما يكون من الأيام وأطولها في البلاء.

﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا﴾ (١٠) ﴿فَوَقَّهَهُمُ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ١٠، ١١]:

ببساطة: خوفهم من الله هو الذي نجاهم.

﴿وَلَقَّهَهُمْ نَصْرَهُ وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: ١١]:

قال ابن القيم: «جمع لهم بين النصرة والسرور، وهذا جمال ظواهرهم، وهذا حال بواطنهم، كما جملوا في الدنيا ظواهرهم بشرائع الإسلام، وبواطنهم بحقائق الإيمان».

﴿وَجَزَّوْنَهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٢]:

النهاية السعيدة الأكيدة لرحلة الصبر الشاقة الطويلة المثيرة.

في الصبر من الخشونة والضيق والألم ما اقتضى أن يكون جزاؤهم من نعيم الجنة ونعومة الحرير ما يقابل ذلك الحبس والخشونة.

﴿وَنُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾ [الإنسان: ١٧]:

قال قتادة: «الزنجبيل اسم العين التي يشرب بها المقربون صُرْفًا، وَنُسْجَ لسائر أهل الجنة».

قال ابن القيم: «وهذا لأن الجزاء وفاق العمل، فكما خلصت أعمال المقربين كلها لله خلَّص شرايهم، وكما مزج الأبرار الطاعات بالمباحات مُزِجَ لهم شرايهم، فمن أخلص أخلص شرايه، ومن مزج مُزِجَ شرايه». جزاء وفاقا.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: ٢٠]:

ثُمَّ بفتح الثاء هي اسم إشارة، بمعنى هناك، وأما ثَمَّ بالضمّ: حرف عطف.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا * فَأَصْبِرْ﴾ [الإنسان: ٢٣، ٢٤]:

يا صاحب الكرب .. إن أردت جرعة صبر، فافتح مصحفك!

﴿وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾ [الإنسان: ٢٨]:

أصله: شَدَّ الشيء بالإسار، والإسار في اللغة: الجلد الذي لم يُدْبِغ؛ لأن الجلد الذي لم يُدْبِغ إذا أخذت سيوره وشددت بها شيئاً وهي مبلولة ييس، فاستحكم الشدّ غاية الاستحكام، ومنه قيل للأسير: (أسير) لأنه يُشَدُّ بالإسار.

أي شددنا عظامهم إلى بعض كما يُشَدُّ الشيء إلى الشيء بالإسار، فلو كان الذي شدّ يدك بمعصمك، ومعصمك بمرفقك، ومرفقك بمنكبك، لو كان غير متقن لتساقطت أعضاؤك منك في الطريق!

سورة المرسلات

﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ [المرسلات: ٢٠]:

قال ابن عاشور: «هذا الوصف كناية رمزية عن عظيم قدرة الله تعالى، إذ خلق من هذا الماء الضعيف إنساناً شديداً القوة عقلاً وجسماً».

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ [المرسلات: ٢٥]:

قال القرطبي: «أي ضامة تضم الأحياء على ظهورها والأموات في بطنها، وهذا يدل على وجوب مواراة الميت ودفنه، ودفن شعره وسائر ما يزيله عنه، ومنها قوله عليه السلام: (قَصُّوا أَظْفَارَكُمْ، وَادْفِنُوا قُلَامَاتَكُمْ)».

﴿أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ [المرسلات: ٣٠]:

انطلقوا- أيها المشركون- إلى ظل من دخان جهنم، والذي تفرَّق من ضخامته إلى ثلاث شعَب، وسمَّاه بالظل على سبيل التهكم بهم، إذ يكونون في أمس الحاجة إلى ظل يأوون إليه، فيجدونه ناراً.

﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ [المرسلات: ٣٢]:

ترتفع شرارات النار في الهواء، ثم تسقط على رأس الكافر؛ لتكون كل شرارة منها كأنها قصر ضخم أصابه في مقتل!

﴿كَأَنَّهُ جِمَلَتٌ صُفْرٌ﴾ [المرسلات: ٣٣]:

جمع الجِمال غرضه تصوير تشديد العذاب! قال الألوسي: «الجمال إذا انفردت واختلط بعضها ببعض، فكل من وقع فيها بين أيديها وأرجلها في ذلك الوقت نال بلاء شديداً وألماً عظيماً، فتشبيه الشرارات بها حال تتبعها يفيد حصول كمال الضرر».

﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ * كَأَنَّهُ جِمَلَتٌ صُفْرٌ﴾ [المرسلات: ٣٢-٣٣]:

هنا تشبيهان: شبه شرر النار في عظمتها وضخامته بالقصر وهو البناء العظيم العالي، وشبهه في اللون والكثرة والتتابع وسرعة الحركة بالجمال الصفراء.. ذكره الألوسي.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ [المرسلات: ٤٨]:

قال قتادة: «عليكم بحسن الركوع؛ فإن الصلاة من الله بمكان».

الجزء الثلاثون

من سورة النبا الآية ١
إلى سورة الناس الآية ٦
عدد الفوائد ١٣٩

سورة النبا

﴿وَجَعَلْنَا آتِلَ لِبَاسًا * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبا: ١٠-١١]:

آية توصيك ألا تقلب ليلك إلى نهار، ولا نهارك إلى ليل، بل اجعل الليل للنوم، والنهار للسعي، وتمتع ببركة البكور.

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتًا﴾ [النبا: ١٧]:

مِيقَاتٌ للكفرة والظلمة والمفسدين، ولا مفرّ لهم منه، وهو كذلك مِيقَاتٌ للمؤمنين للقصاص من المجرمين، وإن غدا لناظره قريب.

قال ابن عاشور: «وهذا ردّ لسؤالهم تعجيله وعن سبب تأخيره، سؤالاً يريدون منه الاستهزاء بخبره، والمعنى: أن ليس تأخر وقوعه دالاً على انتفاء حصوله، والمعنى: ليس تكذيبكم به مما يحملنا على تغيير إيانته المحدد له، ولكن الله مستدرجكم مدة».

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ [النبا: ٢١]:

أي موضع رصد، يرصد فيه خزنتها من كان يكذب بها وبالقيامة، والإخبار أنها كانت مرصداً للمبالغة حتى كأنها أصل الرصد، فإنها لا تفلت أحداً حق عليه العذاب.

قال الحسن وقتادة: «لا يدخل أحد الجنة حتى يجتاز النار، فإن كان معه جواز نجا وإلا احتبس».

﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ [النبا: ٢٥]:

والحميم هو الماء الذي بلغ الغاية في الحرارة، والغساق: هو ما يسيل من جلودهم من القيح والدماء والصدديد.

﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبا: ٣٠]:

قال عبد الله بن عمرو: «لم ينزل في شأن أهل النار آية أشد من هذه الآية:

﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ قال: فهم في مزيد من العذاب أبداً».

﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلْبَسْنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ [النبا: ٤٠]:

عن أبي هريرة وابن عمر رضي الله عنهم أن الله تعالى يقتص يوم البعث للبهائم بعضها من بعض ثم يقول لها: كوني تراباً فتكون، فيتمنى الكافر مثل ذلك.

سورة النازعات

﴿قُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَنَا تَرَكَّى﴾ [النازعات: ١٨]:

ما أجمل أسلوب الداعية في خطابه، تعلموا من موسى وهو يخاطب أشد الناس له عداوة.

إذا كان شأن مخاطبة أعدى أعداء الله ومن ادعى الألوهية بالرفق واللين، فكيف بخطاب أخيك المسلم؟!

يا رب .. هذا أمرك بالرفق مع من جحدك، فكيف رفقت بمن وحَّدك؟ هذا رفقت بالكفار، فكيف رفقت بالأبرار؟!

﴿وَبُرِّزَتِ الْحَجِيبُ لِمَن يَرَى﴾ [النازعات: ٣٦]:

قال الشوكاني: «والظاهر أن تبرز لكل راء، فأما المؤمن فيعرف برؤيتها قدر نعمة الله عليه بالسلامة منها، وأما الكافر فيزداد غمًا إلى غمه، وحسرة إلى حسرته».

في حديث مسلم عن ابن مسعود مرفوعاً: «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها».

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَسُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [النازعات: ٤٦]:

هذه الدنيا ليست إلا غدوة أو روحة.

فكيف لا تصبر على شدتها؟!

أو كيف يغتر عاقل بلذتها؟!

سورة عبس

﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ * ﴿مِنْ نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ﴾ [عبس: ١٨، ١٩]:

قال الحسن: «كيف يتكبر من خرج من سبيل البول مرتين!!». أي مرة حين خرج دفقة مني من أبيه، ومرة حين نزل من بطن أمه.

سورة التكوير

﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ [التكوير: ٤]:

قال السعدي: «أي: عطّل الناس حينئذ نفائس أموالهم التي كانوا يهتمون لها ويراعونها في جميع الأوقات، فجاءهم ما يذهلهم عنها، فنبّه بالعيشار، وهي النوق التي تتبعها أولادها، وهي أنفس أموال العرب إذ ذاك عندهم، على ما هو في معناها من كل نفيس».

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: ١٤]:

هذا جواب الشرط، وقد ذكر بعد ثلاثة عشر جملة من قوله: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾، وهو علم يقين لا يقبل الشك، ولا ينفع معه تبرير ولا إنكار!

سورة الانفطار

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣]:

قال السعدي: «المراد بالأبرار، القائمون بحقوق الله وحقوق عباده، الملازمون للبر، في أعمال القلوب وأعمال الجوارح، فهؤلاء جزاؤهم النعيم في القلب والروح والبدن، في دار الدنيا، وفي دار البرزخ، وفي دار القرار».

﴿وَيَنَّ الْقُجَّارَ لَفِي حَجِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٤]:

حجيم كذلك في الدور الثلاثة: في دار الدنيا، ودار البرزخ، وفي دار القرار.

سورة المطففين

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: ١]:

تهديد شديد من رب العالمين لمن يبخس الناس أموالهم ويغشهم، فحقوق العباد ذات شأن عظيم عند رب العالمين.

قال سلمان الفارسي: «الصلاة مكيال، فمن وثق مكياله وثق له، ومن طفف فقد علمتم ما قال الله تعالى في المطففين».

إذا كان الويل لمن طفف مكيال الدنيا، فكيف حال من طفف مكيال الدين، وفي الحديث: «أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته، لا يُثم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها». صحيح الجامع رقم: ٩٨٦

﴿وَإِذَا كَالُوا لَهُمْ أَوْ وَزَنُوا لَهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: ٣]:

الأصل كالوا لهم ووزنوا لهم، ولكن حُدِثَت (اللام)؛ لأن هؤلاء المطففين أكلوا حقوق الناس ونقصوا الكيل عند الوزن، فنقص اللفظ، وحُدِثَت اللام، وهذا من الأساليب البيانية الرائعة، وتناظر بديع جميل بين اللفظ والمعنى.

﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ﴾ [المطففين: ٤]:

قال عمر بن عبد العزيز يوماً لرجل شتمه: لولا يوم القيامة لأجيتك!

﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [المطففين: ٤، ٥]:

هذا سر انتشار العدوان بين الناس، العدوان على الأموال والأعراض والأبدان والإنسان والحيوان.

﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]:

عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نزع واستغفر الله وتاب، صقل قلبه، فإن عاد زيد فيها، حتى تعلو على قلبه، وهو (الران) الذي ذكر الله في كتابه: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾».

قال المفسرون: هو الذنب على الذنب حتى يسود القلب، وقال مجاهد: «هو الرجل يذنب الذنب، فيحيط الذنب بقلبه، ثم يذنب الذنب فيحيط الذنب بقلبه، حتى تغشى الذنوب قلبه».

﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]:

كما أنهم - اليوم - محرومون من معرفته، فهم غدا ممنوعون من رؤيته.

قال الشافعي: «لما حجب قوماً بالشُّحط، دلَّ على أن قوماً يرونه بالرضا، ثم قال: أما والله لو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى ربه في المعاد لما عبده في الدنيا».

﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ * ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾ [المطففين: ١٥، ١٦]:

تأمل كيف قدَّم الله عدم رؤيته على عقوبة النار، ولعله دليل على أن العذاب النفسي في النار أشد من العذاب البدني.

﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ [المطففين: ٣٥]:

قال القشيري: «أثبت النظر ولم يبيِّن المنظور إليه لاختلافهم في أحوالهم، فمنهم من ينظر إلى قصوره، ومنهم من ينظر إلى حوره، ومنهم ومنهم...، ومنهم الخواص، فهم على دوام الأوقات إلى الله - سبحانه - ينظرون».

سورة الانشقاق

﴿كَذَّاهَا فَمَلَأْنَاهُ﴾ [الانشقاق: ٦]:

اللقاء المرتقب أعملك هو شخص في انتظارك غداً، فما شكل هذا الشخص.. أقصد العمل؟

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوِّقِيَ كُنْبَهُ، وَرَأَى ظَهْرَهُ﴾ [الانشقاق: ١٠]:

قال الألوسي: «وتميِّز الكفرة بكون الإعطاء من وراء ظهورهم، ولعل ذلك لأن مؤثي الكتب (من الملائكة) لا يتحملون مشاهدة وجوههم لكمال بشاعتها، أو لغاية بغضهم إياهم، أو لأنهم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم».

سورة البروج

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَنَؤُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ [البروج: ١٠]:

قال الحسن البصري: «انظر إلى هذا الكرم والجود، قتلوا أوليائه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة!».

يراد بهم جميع من عذبوا المؤمنين والمؤمنات في أي عصر، ويدخل فيهم أصحاب الأخدود، وكفار قريش الذين آذوا رسول الله وأصحابه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَنَؤُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾

[البروج: ١٠]: جمع سبحانه لهم بين عذاب جهنم وعذاب الحريق، لبيان أن عذابهم مضاعف، مرة لظلمهم، ومرة لشركهم.

في الحديث: «إن الله تعالى يعذب يوم القيامة الذين يعدّون الناس في الدنيا» صحيح الجامع رقم: ١٩٠٠.

﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ [البروج: ١١]:

أمة كاملة نالها الإحراق، ومع ذلك سمّاها الله الفوز الكبير! فالثبات على الحق ولو صاحبه الموت يؤدي إلى الجنة، وهي الفوز الكبير وأي فوز!

الثبات على الحق هو الانتصار الإيماني، وهو مقدّم على الانتصار العسكري.

الفوز غير النصر، والفوز في القرآن لمن ثبت على الحق حتى فاز بالجنة، ولو مات حرقاً كأصحاب الأخدود؛ ولذا قال حرام بن ملحان بعد طعنه: فزت ورب الكعبة.

سورة الطارق

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ السَّرائِرُ﴾ [الطارق: ١٠]:

قال ابن القيم: «وفي التعبير عن الأعمال بالسر لطيفة، وهو أن الأعمال نتائج السرائر الباطنة، فمن كانت سريرته صالحة كان عمله صالحاً، فتبدو سريرته على وجهه نوراً وإشراقاً وحياء، ومن كانت سريرته فاسدة كان عمله تابعاً لسريرته لا اعتبار بصورته، فتبدو سريرته على وجهه سواداً وظلمة وشيناً».

سورة الأعلى

﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ [الأعلى: ٩]:

قال ابن كثير: «ذكر حيث تنفع التذكيرة، ومن هنا يؤخذ الأدب في نشر العلم، فلا يضعه عند غير أهله».

قال علي رضي الله عنه: «ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم»، وقال: حدث الناس بما يعرفون.. أتجبون أن يكذب الله ورسوله». للتذكير شروط! قال الشيخ السعدي: «مفهوم الآية أنه إذا ترتب على التذكير مضرة أرجح ترك التذكير؛ خوف وقوع المنكر».

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [الأعلى: ١٦]:

قرأ ابن مسعود هذه الآية، فقال: «أتدرون لم أثرت الحياة الدنيا على الآخرة؟ لأن الدنيا حضرت وعجلت لنا طيباتها وطعامها وشرابها، ولذاتها وبهجتها، والآخرة عُيِّت عنا، فأخذنا العاجل، وتركنا الآجل».

﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الأعلى: ١٧]:

أي الجنة خير وأدوم من الدنيا. وقال النبي ﷺ: «ما الدنيا في الآخرة إلا كما يضع أحدكم إصبعه في اليم، فليُنظر بم يرجع».

قال مالك بن دينار: «لو كانت الدنيا من ذهب يفتنى، والآخرة من خزف يبقى، لكان الواجب أن يُؤثر خَزَفٌ يبقى، على ذهب يفتنى. قال: فكيف والآخرة من ذهب يبقى، والدنيا من خزف يفتنى».

سورة الغاشية

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾ [الغاشية: ٢]:

والمراد بخاشعة ذليلة، لماذا لم يصفها بالذل ابتداء؟ قيل: إشارة إلى التهكم، وأنها خشعت في وقت لا يتفعل فيها الخشوع.

﴿فِيهَا سِرٌّ مَرْفُوعَةٌ﴾ [الغاشية: ١٣]:

والسرر: جمع سرير، مرفوعة وذكروا في حكمة ارتفاعها أن يرى المؤمن إذا جلس عليها جميع ما خوله ربه من النعيم والملك فيها، وهذا من متع الجنة البصرية.

سورة الفجر

﴿وَالْفَجْرِ﴾ [الفجر: ١]:

قال ابن عباس: «هو انفجار الصبح كل يوم»، يقسم ربنا برحيل الظلام وميلاد الضياء، فأبشروا.

إن إدبار الليل وإقبال النهار آية من الآيات اليومية الباهرة الدالة على كمال قدرة الله، وأنه وحده المدبر لكل الأمور، فتفاءل برّب قدير كريم.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسَّرَ﴾ [الفجر: ٤]:

قال السعدي: «أي: وقت سريانه وإرخائه ظلامه على العباد، فيسكنون ويستريحون ويعطشون، رحمة منه تعالى وحكمة».

قال ابن عاشور: «ومعنى يسري: يمضي سائراً في الظلام، أي إذا انقضى منه جزء كثير، شبه تقضي الليل في ظلامه بسير السائر في الظلام وهو الشّري، وتقيد الليل بظرف إذا يسر لأنه وقت تمكن ظلمة الليل، فحينئذ يكون الناس أخذوا حظهم من النوم، فاستطاعوا التهجد».

﴿فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ [الفجر: ١٢، ١٣]:
كثرة الفساد والافساد مؤذن بقرب زواله وانتهائه.

أيها المفسدون.. استلمتم من الله رسالة: لا تغتروا.. إمهالي ليس بالإهمال.

﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ [الفجر: ١٣]:

قال صاحب الكشاف: «وذكر السوط إشارة إلى أن ما أحلّه الله بهم في الدنيا من العذاب العظيم بالقياس إلى ما أعدّ لهم في الآخرة، كالسوط إذا قيس إلى سائر ما يُعذّب به».

﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ، فَيَقُولُ رَفِيَ أَهْتَنِينَ * كَلَّا﴾ [الفجر: ١٦، ١٧]:

قال ابن القيم: «وأخبر تعالى أن توسعته على من وسع عليه وإن كان إكراماً له في الدنيا فليس ذلك إكراماً على الحقيقة، ولا يدل على أنه كريم عنده من أهل محبته، وأن تقتيره على من قتر عليه لا يدل على إهانته له وسقوط منزلته عنده، بل يوسع ويقتري ابتلاءً وامتحاناً، فيبتلى بالنعم كما يبتلى بالمصائب».

﴿وَلَا تَخْضَوْنَ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ﴾ [الفجر: ١٨]:

فيه ذمٌ عدم التواصي بالخير والحض عليه، وفيه أن أفراد الأمة متكافلون، ومأمورون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مع التزام كل واحد بما يأمر به، وابتعاده عما نهى عنه.

﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: ٢٤]:

اكتشف عند الموت أن حياته الحقيقية لم تبدأ بعد! وأن كل ما عاشه كان أضغاث أحلام وبضعة أبوهام! للأسف.. اكتشاف متأخراً!

كل حياة تنتهي بالموت ليست حياة، الحياة الحقيقية هي التي لا موت فيها.

تعريف الاغترار بالدنيا! قال سعيد بن جبير: «الغرة في الحياة الدنيا أن يعتز بها وتشغله عن الآخرة، أن يمهد لها ويعمل لها، كقول العبد إذا أفضى إلى الآخرة: ﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾».

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا * وَلَا يُوثِقُ وِقَاةُهُ أَحَدًا﴾ [الفجر: ٢٥-٢٦]:

المعنى لا يعذب أحدٌ تعذيباً مثل تعذيب الله لهذا الكافر، ولا يوثق أحدٌ إيثاقاً مثل إيثاق الله إياه بالسلاسل والأغلال، فنفي المائلة في الشدة معناه تعذيبه أشدَّ عذاب يعذب به العصاة.

﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ [الفجر: ٢٩]:

قال الألوسي: «وكان الأمر بالدخول في جملة عباد الله تعالى الصالحين إشارة إلى السعادة الروحانية؛ لكمال استئناس النفس بالجليس الصالح، والأمر بدخول الجنة إشارة إلى السعادة الجسدية».

سورة البلد

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤]:

الدنيا لا تصفو لأحد، ولذا سئل الإمام أحمد: متى يجد العبد طعم الراحة، فقال: عند أول قدم يضعها في الجنة.

خُلِقْتُ عَلَى كَدٍ وَأَنْتَ تَرِيدُهَا صَفْوًا مِنَ الْأَكْدَارِ
وَمُكَلِّفُ الْأَيَّامِ ضِدَّ طِبَاعِهَا مُتَطَلِّبُ فِي الْمَاءِ جَذْوَةَ نَارِ!

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ [البلد: ٨ - ٩]:

قرأ الفضيل ليلة هذه الآية، فبكى فسئل عن بكائه، فقال: «هل بتَّ ليلة شاكراً لله أن جعل لك عينين تبصر بهما؟ هل بتَّ ليلة شاكراً لله أن جعل لك لساناً تنطق به؟»، وجعل يعدد من هذا الضرب.

﴿أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ [البلد: ١٤]:

سَغَبَ الرجل: إذا دخل في المجاعة، وقال الراغب: السَّغَبُ: الجوع مع التعب. قال النخعي: «قيد الإطعام بيوم المجاعة، لأن إخراج المال في ذلك الوقت أثقل على النفس وأوجب للأجر».

﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ [البلد: ١٥]:

في الحديث النبوي: «الصدقة على المسكين صدقة، وهي على ذي الرحم اثنتان: صدقة وصلّة» صحيح الجامع رقم: ٣٨٥٨.

﴿أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [البلد: ١٦]:

هو الفقير إذا اشتد فقره، كأنه لُصِقَ بالتراب من فقره وضره، فليس فوقه ما يستره، ولا تحته ما يفرشه. قال مجاهد: «هو الذي لا يقيه من التراب لباس ولا غيره».

سورة الشمس

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَّهَا﴾ [الشمس: ٩]:

أقسم الله سبع مرات متوالية، دلالة على أهمية ما يقسم عليه، وجواب القسم هو: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَّهَا﴾.

﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا﴾ [الشمس: ١٠]:

معنى دَسَّها: حال بينها وبين فعل الخير وأخفاها بالمعاصي، يقال: دَسَّ فلان الشيء إذا أخفاه وكتمه، وأصل فعل دَسَّى: دَسَسَ، فلما اجتمع فيه ثلاث سينات، قُلبت السين الثالثة ياء.

﴿إِذْ أَنْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ [الشمس: ١٢]:

المبادر إلى الظلم والفساد والشر هو أكثر الخلق شقاوة وخسرانا دنيا وآخرة.

﴿فَعَقَرُوهَا﴾ [الشمس: ١٤]:

عقرها واحد، ورضي البقية، فنسب الله الجريمة لهم جميعا! وأهلكهم كلهم.. ما أخطر عمل القلب!

﴿فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾ [الشمس: ١٤]:

قد يتسبب فرد في إهلاك أمة، فعاقِر الناقة -واسمه قِدَار بن سالف- تسبب بفعلته في عذاب قوم ثمود!! ولذا يُضْرَب به المثل في الشؤم، فيقال: (فلان أشأم من قِدَار).

﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ [الشمس: ١٥]:

قال الرازي: «وهذه الآية وإن كانت متأخرة، لكنها على هذا التفسير في حكم المتقدم، كأنه قال: إذ انبعث أشقاها، ولا يخاف عقباها، والمراد بذلك أنه أقدم على عقرها، وهو كالآمن من نزول الهلاك به ويقومه».

سورة الليل

﴿فَسَنِّيَرُهُ لِلْيَنَّى﴾ [الليل: ٧]:

قال الزمخشري: «سَمَّى طريقة الخير باليسرى لأن عاقبتها اليسر، كما سَمَّى طريقة الشر العسرى لأن عاقبتها العسر».

﴿لَا يَصْلَحُهَا إِلَّا الْأَشَقَى * الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [الليل: ١٥-١٦]:

سُئِلَ الحسن البصري عن أطفال المشركين فقال: في الجنة، قيل: عن من هذا؟ فقال: عن الله: ﴿لَا يَصْلَحُهَا إِلَّا الْأَشَقَى * الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾، وهذا لم يُكذَّب ولم يتوَلَّ.

﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمٍ تُجْزَى﴾ [الليل: ١٩]:

سبب نزولها:

ذكر الإمام ابن جرير أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق، فقد كان يعتق العجائز من النساء إذا أسلمن، ويشتري الضعفة من العبيد فيعتقهم، فقال له أبوه: يا بني، أراك تعتق أناساً ضعفاء، فلو أنك تعتق رجالاً جلداء - أي: أشداء - يقومون معك، ويمنعونك، ويدفعون عنك، فقال أبو بكر: أي أبت.. إنما أريد ما عند الله، فنزلت هذه الآيات.

سورة الضحى

﴿وَالضُّحَى﴾ [الضحى: ١]:

سبب نزولها:

قال جندب بن سفيان: «اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاثاً، فجاءت امرأة (أم جميل امرأة أبي لهب)، فقالت: يا محمد، إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره قريبك منذ ليلتين - أو ثلاثة - فأنزل الله عز وجل: ﴿وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾».

أقسم الله بنور الضحى الذي يأتي بعد ظلمة الليل، وهو مناسب لنور الوحي الذي أتى بعد احتباسه عنه، فأقسم الله بضوء النهار بعد ظلمة الليل، على ضوء الوحي الذي أتى بعد ظلمة انقطاعه.

﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ [الضحى: ٣]:

هذا جواب القسم، ونفى الله التوديع الذي لا يكون إلا بين المتحابين، ونفى الله القَلَى أو القِلَى، وهو البغض الشديد، ولا يكون إلا بين المتخاصمين، أي ما تركك ربك منذ اختارك، وما أبغضك منذ أحبك.

استعمل ضمير المخاطب في الأمر المحبوب، فقال: (ما ودَّعَكَ)، وفيه تكريم للنبي ﷺ وتودُّد له بذكر حرف المخاطب، ولم يقل (وما قلاك)، إكراماً لنبيه وتزجيلاً له أن يكون من المبعوضين، فلا يليق استخدام فعل قلى مع النبي ﷺ. يوجهنا الله هنا لأدب الحديث مع من نُجلِّهم ونحترمهم.

﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾ [الضحى: ٤]:

ثَوَابُ الله خير لك من نعيم الدُّنْيَا، وقد رآه عمر مضجعاً قد أثار الحصر في جنبه، فبكى، فقال: يا رسول الله .. هذا كسرى وقيصر فيما هما فيه، وأنت صفوة الله من خلقه، فقال له ﷺ: «يا عمر .. ألا ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة». قال الألوسي: «وقال بعضهم: يحتمل أن يراد بهما نهاية أمره ﷺ وبدايته، أي لنهاية أمرك خير من بدايته، فأنت لا تزال تتزايد قوة، وتتصاعد رفعة».

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى: ٥]:

ولم يقل: ما ترضى! فالخير في عطاء الله ولو خالف ما نتمناه.

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١]:

في الحديث النبوي: «إذا أتاك الله مالاً، فليَرَ أثر نعمة الله عليك وكرامته» صحيح الجامع رقم: ٢٥٤.

قال الإمام الرازي: «إن الله أخرج حق نفسه وهو الشكر، وقَدَّم حق اليتم والسائل، لأنه غني وهما محتاجان، وتقديم حق المحتاج أولى».

قال الرازي: «وضع (الله) في حظها الفعل، ورضي (من عباده) لنفسه بالقول»، يعني التحدث بنعمته.

سورة الشرح

﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ [الشرح: ٢، ٣]:

قال الإمام محمد بن عبد الله: «الكلام على التمثيل، فإن ما كان يحمله عليه السلام من ثقل الإهتمام بشأن قومه، وضيق المذاهب بين يديه قبل تواتر الوحي عليه بالإرشاد، لم يكن ثقلًا حسيًا ينقض منه الظهر، ولكنه كان همًّا نفسيًّا يفوق ألمه ألم ذلك الثقل الحسي الممثل به، فعبر عن الهم الذي تبخع له النفوس بالحمل الذي تقصم له الظهر».

﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥-٦]:

قال ابن القيم: «فالعسر وإن تكرر مرتين فتكرر بلفظ المعرفة فهو واحد، واليسر تكرر بلفظ النكرة فهو يسران، فالعسر محفوف بيسرين، يسر قبله، ويسر بعده، فلن يغلب عسر يسرين».

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ [الشرح: ٧]:

سكن الفراغ بوسعه أن يذبح إيمان أتقى الأتقياء، والعاقل من ملأ فراغه بالطاعات، ولم يدع فرجة يتسلل منها الشيطان.

سورة التين

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]:

انتبه! هنا نعمة منسية تستحق الشكر!

كل مولود يولد على الفطرة!

قال عبد الرحمن بن كيسان: «أحسن تقويم: أكمل عقل وفهم وأدب وعلم وبيان»، وقال الطاهر بن عاشور: «وتفيد الآية أن الإنسان مفطور على الخير، وأن في جبلته جلب النفع والصالح لنفسه وكرهه ما يظنه باطلاً أو هلاكاً، ومحبة الخير والحسن من الأفعال، لذلك تراه يُسرُّ بالعدل والإنصاف، وينصح بما يراه مجلبة لخير غيره، ويغيث الملهوف، ويعامل بالحسنى، ويغار على المستضعفين، ويشمئز من الظلم».

سورة العلق

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ۚ﴾ [العلق: ٦-٧]:

يبدأ الطغيان باستغناء العبد عن فضل ربه واعتماده على نفسه.

﴿كَلَّا لَا تُطَعَّمُهُ سَبَّحَةٌ وَتَسْبُحُ ۚ﴾ [العلق: ١٩]:

مما يستفاد من هذه الآية أن مما يُدفع به أذى الأعداء وبطش الظالمين: عبادة الله وخاصة الصلاة وكثرة السجود.

سورة القدر

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۚ﴾ [القدر: ١]:

قال ابن عباس: «يُكْتَب من أم الكتاب في ليلة القدر ما يكون في السنة من موت وحياة ورزق ومطر حتى الحج، يقال: يحج فلان ويحج فلان».

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۚ﴾ [القدر: ٢]:

قال الفراء: «كُلُّ ما في القرآن من قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ فقد أدراه، وما كان من قوله: ﴿وَمَا يَدْرِيكَ﴾ [الأحزاب: ٦٣] فلم يُدْرِه».

سورة البينة

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۚ﴾ [البينة: ٧]:

قال أبو هريرة: «أتعجبون من منزلة الملائكة من الله، والذي نفسي بيده.. لمنزلة العبد المؤمن عند الله يوم القيامة أعظم من منزلة ملك، واقراءوا إن يَشْم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾».

سورة الزلزلة

﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: ٤]:

أي: تشهد على العاملين بما عملوا على ظهرها من خير وشر، فالأرض من جملة الشهود الذين يشهدون على العباد، ذلك ﴿يَأْنُ رَبِّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ [الزلزلة: ٥]: أي أمرها أن تخبر بما عمل عليها، فلا تعصي أمره.

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْنَاءًا لِّمُرُوا أَعْمَلَهُمْ﴾ [الزلزلة: ٦]:

الصَّدر مقابل الورد، وهو الرجوع من شرب الماء، وهي إشارة إلى أن الحياة الدنيا حدث عارض، مثل مشهد السقاية، فهي أقصر ما تكون، فالدنيا هي المورد، والصَّدر هنا هو قيام الناس للبعث، وجاء لفظ ﴿يَصْدُرُ﴾ دون غيره للدلالة على هذا المعنى.

﴿أَشْنَاءًا﴾ [الزلزلة: ٦]:

أي متفرقين، وهذا أدعى للحيرة والخوف والرهبة؛ إذ مع الجماعة يكون الأُنس والإلف، وهذا لا يتاح مع التشتت والتفرق، ولا سيما في يوم الفرع الأكبر.

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧]:

قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا يظلم المؤمن حسنة يشاب عليها الرزق في الدنيا، ويجزي بها في الآخرة؛ وأما الكافر فيعطيه بها في الدنيا، فإذا كان يوم القيامة، لم تكن له حسنة».

سورة العاديات

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ [العاديات: ٦]:

قال الفضيل: «الكنود الذي تُسبِّه سيئة (مُصيبة) واحدة حسنات (نعمًا) كثيرة، ويعامل الله على عقد عَوْضٍ»، ومعنى عقد العوض أنه يعبد في مقابل نعمه عليه، فإذا فقد النعم كسل أو توقف عن العبادة.

قال الحسن: «الكنود اللوام لربة، يَعُدُّ المحن والمصائب، وينسى النعم والراحات».

وفي هذا تسلية للعبد إن وجد قلة الوفاء من الخلق، فإذا كان الإنسان كنودًا جحودًا لربه؛ وهو الذي خلقه وأكرمه، فكيف لا يكون فيه شيء من الجحود مع سائر الخلق؟! مع سائر الخلق؟!

﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ [العاديات: ١٠]:

لم تأت مادة **﴿وَحُصِّلَ﴾** إلا في سورة العاديات، والتحصيل في اللغة: الجمع والتميز، وأصله من الحوصل والحوصلة، وهي من الطير كالمعدة للإنسان، ولهذا دلالة، فكل ما يعمل به الإنسان مستقر في أعماقه، ومجموع في صدره، حتى يحين ميعاد كشفه يوم القيامة.

أقسم الله بثلاثة أشياء: **﴿وَالْعَدِيدِ﴾** **﴿فَالْمُورِبَةِ﴾** **﴿فَالْمَغِيرَةِ﴾**، وجعل جواب القسم أيضًا ثلاثة أشياء: **﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾** **﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾** **﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾**.

قال الرازي: «وإنما خصَّ أعمال القلوب بالتحصيل دون أعمال الجوارح؛ لأن أعمال الجوارح تابعة لأعمال القلوب، فإنه لولا البواعث والإرادات في القلوب، لما حصلت أفعال الجوارح».

سورة القارعة

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ٣]:

لا علم لك بكنهها، لأنها في الشدة بحيث لا يبلغها عقل أحد ولا فهمه، وكأنه الله تعالى يقول: قوارع الدنيا في جنب تلك القارعة ليست بقوارع.

﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ٥]:

تأثير القيامة في الجبال الشائحات هو أنها جعلتها كالعهن المنفوش أي الصوف الملوّن، فكيف سيكون حال العبد الضعيف يومها!

﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ [القارعة: ٨]:

قال أبو بكر رضي الله عنه: «إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلاً، وإنما خفت موازين من خفت موازينه باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم، وحق لميزان يوضع فيه الباطل أن يكون خفيفاً».

﴿فَأُتِمَّتْ هَآوِيَةٌ﴾ [القارعة: ٩]:

قال الرازي: «فيه وجوه: أحدها: أن الهاوية من أسماء النار، وكأنها النار العميقة يهوي أهل النار فيها مهوى بعيداً، وثانيها: فأم رأسه هاوية في النار؛ لأنهم يهونون في النار على رؤوسهم، وثالثها: أنهم إذا دعوا على الرجل بالهلاك قالوا: هوت أمه لأنه إذا هوى أي سقط وهلك فقد هوت أمه حزنا عليه».

﴿نَارُ حَامِيَةٍ﴾ [القارعة: ١١]:

نار الدنيا في جنب نار الآخرة ليست حامية، وبذلك صار آخر السورة مطابقاً لأولها، فالقارعة ليس كأي قارعة، ونار الآخرة ليست كأي نار.

سورة التكاثر

﴿الْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: ١]:

قال السعدي: «ولم يذكر المتكاثر به، ليشمل ذلك كل ما يتكاثر به المتكاثرون، ويفتخر به المفتخرون، من التكاثر في الأموال، والأولاد، والأنصار، والجنود، والخدم، والجاه، وغير ذلك مما يقصد منه مكاثرة كل واحد للآخر».

قال رسول الله ﷺ: «لو أن لابن آدم وادياً من ذهب أحب أن يكون له واديان، ولن يملأ فاه إلا التراب، ويتوب الله على من تاب»، وقال أبي: «كنا نرى هذا من القرآن، حتى نزلت: ﴿الْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾» [التكاثر: ١].

﴿الْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ١-٢]:

عن ميمون بن مهران قال: قرأ عمر بن عبد العزيز ﴿الْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ فبكى، ثم قال: ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ «ما أرى المقابر إلا زيارة، ولا بد لمن يزورها أن يرجع إلى الجنة، أو إلى النار».

قال قتادة: «كانوا يقولون: نحن أكثر من بني فلان، ونحن أعدُّ من بني فلان، وهم كل يوم يتساقطون إلى آخرهم، والله ما زالوا كذلك حتى صاروا من أهل القبور كلهم».

سورة العصر

﴿وَالْعَصْرُ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣]:

قال الشافعي: «لو فكَّرَ الناس في سورة العصر لكفتهم».

﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣]:

قال الإمام الرازي: «ودلَّت الآية على أن الحق ثقيل، وأن المحن تلازمه؛ فلذلك قرن به التواصي بالصبر».

سورة الحمزة

﴿تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾ [الهمزة: ٧]:

أي تشرف على الأفئدة، وخص الأفئدة؛ لأن الألم إذا وصل إلى الفؤاد، مات صاحبه، فأخبر سبحانه أنهم في حال من يموت، لكنهم لا يموتون.

تعلم مقدار ما يستحقه كل واحد من أهل النار من العذاب، وكذلك بعلامة أطلعها الله عليها في كل عبد دخل النار.

سورة الفيل

﴿الْفِيلُ﴾ [١]:

ذكر مقام الربوبية دون مقام الألوهية؛ لأن المقام مقام حماية ودفاع ونعمة وفضل، وهو ما يستدعي مقام الربوبية، كما أن رب الأسرة يحمي أسرته ويرعى مصالحهم، وأضاف ضمير المخاطب (الكاف) للنبي ﷺ فقال (رَبُّكَ) دلالة على عظم مكانته ﷺ عند ربه، وتسليه له، وثبتيًا لقلبه.

سورة قريش

﴿قُرَيْشٌ﴾ [١]:

اللام متعلقة بقوله: ﴿فَلْيَعْبُدُوا﴾ [قريش: ٣]:، أي: ليعبدوا الله، لأجل نعمته عليهم بالإيلاف، أو اللام متعلقة بفعل تعجب محذوف، والتقدير: اعجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف، وتركهم عبادة رب هذا البيت، الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف.

﴿إِلَيْفٌ قُرَيْشٍ * إِلَيْفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ [قريش: ١، ٢]:

الإيلاف: من الإلف وهو اعتياد الشيء، والتكرير تفخيماً لأمر الإيلاف وتذكيراً لعظيم فضل الله فيه. قال ابن عباس: «أمرُوا أَنْ يَأْلَفُوا عِبَادَةَ رَبِّ هَذَا الْبَيْتِ، كَالْفَهْمِ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ».

سورة الماعون

﴿وَلَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ [الماعون: ٣]:

قال الإمام الرازي: «وإضافة طعام إلى المسكين تدل على أن ذلك حق المسكين، فكأنه - المكذب بالدين - منع المسكين مما هو حقه، وذلك يدل على نهاية بخله وقساوة قلبه وخساسة طبعه».

سورة الكوثر

﴿إِن شَاءَ رَبُّكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣]:

رأى العاصي بن وائل السهمي رسول الله ﷺ في المسجد الحرام، فتحدث معه، فلقبه عدد من صناديد قريش فقالوا: من كنت تتحدث معه؟ فقال لهم: ذلك الأبتَر، وكان قد تُوفي ابنه عبد الله بعد أن مات ابنه القاسم قبل عبد الله، فانقطع بموت عبد الله الذكور من ولده ﷺ يومئذٍ، وكانوا يصفون من ليس له ابن بالأبتَر، فأنزل الله هذه السورة.

سورة الكافرون

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦]:

قال الشنقيطي: في هذه السورة منهج إصلاحي، وهو عدم قبول ولا صلاحية أنصاف الحلول (لأن ما عرضه عليه ﷺ من المشاركة في العبادة، يعتبر في مقياس المنطق حلًّا وسطًا لاحتمال إصابة الحق في أحد الجانبين، فجاء الرد حاسمًا وزاجرًا وبشدة) لأن فيه أي فيما عرضه مساواة للباطل بالحق، وفيه تعليق المشكلة، وفيه تقرير الباطل، إن هو وافقهم ولو لحظة.

سورة النصر

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١]:

سبب نزولها:

قال عبد الله بن عمر: «نزلت هذه السورة بمَنَى في حِجَّةِ الوداع، ثُمَّ نزلت: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾، فعاش بعدهما النبي ﷺ ثمانين يوماً، ثُمَّ انتقل إلى الرفيق الأعلى».

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ﴾ [النصر: ٣]:

وفي رواية عنها: «كان رسول الله ﷺ يُكثِرُ أن يقول في ركوعه وسجوده: سُبْحَانَكَ اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي».

سورة المسد

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [المسد: ١]:

ليس في الآية تكرار، فالجملة الأولى دعاء عليه بالهلاك والخسران، والجملة الثانية: إخبار عن أن هذا الدعاء قد استجيب، وأن الخسران قد نزل به فعلاً، وخصَّ اليدين بالتهاب، لأن العمل أكثر ما يكون بهما، وقيل: المراد باليدين نفسه، وقد يُعبر عن النفس باليد.

هذه الآية دليل على إعجاز القرآن، فكان أبو لهب يستطيع أن يدعي الإسلام ليبطل هذه الآية لكنه لم يفعل. سئل الحسن عن قوله تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾.. هل كان في أم الكتاب؟ وهل كان أبو لهب يستطيع ألا يصل النار؟ فقال: «والله ما كان يستطيع ألا يصلها، وإنما لفي كتاب الله من قبل أن يخلق أبو لهب وأبواه».

سورة الإخلاص

﴿ اللَّهُ أَكْبَرُ ﴾ [الإخلاص: ٢]:

قال ابن عباس: (الصَّمَدُ): «السيد الذي قد كُمل في سُؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد عظم في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والغني الذي قد كمل في غناه، والجبار الذي قد كمل في جبروته، والعالم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله سبحانه هذه صفته، لا تنبغي إلا له».

سورة الفلق

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ [الفلق: ١]:

الاستعاذة بالفلق من أسباب التفاؤل، وتذكير بالنور بعد الظلمة، والسعة بعد الضيق، والفرج بعد الانغلاق، والفلق كل ما يفلقه الله، كالنبات من الأرض، والأولاد من الرحم، والحي من الميت، وكل هذا يبشِّر بالفرج.

قال الإمام الرازي: «في سورة الفلق المستعاذ به مذكور بصفة واحدة، وهي أنه رب الفلق، والمستعاذ منه ثلاثة أنواع من الآفات، وهي الغاسق والنفاثات والحاسد. أما سورة الناس فالمستعاذ به مذكور بصفات ثلاث: وهي الرب والملك والإله، والمستعاذ منه آفة واحدة، وهي الوسوسة، فما الفرق بين الموضعين؟

أن الشاء يجب أن يتقدر بقدر المطلوب، فالمطلوب في سورة الفلق سلامة النفس والبدن، والمطلوب في سورة الناس سلامة الدين، وهذا تنبيه على أن مضرة الدين وإن قلّت، أعظم من مضار الدنيا وإن عظمت».

﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٥]:

قال الحسين بن الفضل: «إن الله جمع الشرور في هذه السورة وختمها بالحسد؛ ليُعلم أنه أخص الطبائع».

سورة الناس

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١]:

قال القرطبي: «وإنما ذكر أنه رب الناس، وإن كان رباً لجميع الخلق لأمرين: أحدهما: لأن الناس معظّمون، فأعلم بذكرهم أنه رب لهم وإن عظموا. الثاني: لأنه أمر بالاستعاذة من شرهم، فأعلم بذكرهم أنه هو الذي يعيذ منهم».

﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ [الناس: ٤]:

قال ابن عباس: «ما من مولود إلا على قلبه الوسواس، فإذا عقل، فذكر الله، خنس، وإذا غفل، وسوس، قال: فذلك الوسواس الخناس».

﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس: ٦]:

قال الحسن: «هما شيطانان، أما شيطان الجن فيوسوس في صدور الناس، وأما شيطان الإنس فيأتي علانية».



الفهرس الموضوعي





أولاً: العقائد

الايان بالله

٢٠٢	١٩٨	١٩٩	١٢٥	١١٧	١١٢	١١١	١١٠	١٠٩	١٠٨	٨٩	٨٧	٨٦	٤٧	٢
٤٥١	٣٤٧	٣٩٦	٣٦٤	٣٥٥	٣٤١	٣٣٧	٦٦٨	٦٧٧	٦٦٥	٦٥٤	٦١٢	٦١١	٢٠٥	٢٠٤
٧٢٣	٧٢١	٦٦٥	٦٦٤	٦٥٧	٦٦٩	٦٦٦	٦٠١	٥٧١	٥٧٠	٥٥٦	٥٥١	٥٥٠	٤٨٠	٤٧٨
١-٢	٩٧٧	٩٧٢	٩٥٧	٩٣٨	٨٥٥	٨١٨	٧٨٤	٧٧٤	٧٦٦	٧٤٩	٧٣٤	٧٢٩	٧٢٨	٧١٦
١١١٩	١١١٧	١٠٩٩	١٠٦١	١٠٤٤	١٠٤٩	١٠٣٧	١٠٢٦	١٠٢٦	١٠٢٥	١٠٢١	١٠٢٠	١٠١٩	١٠١٤	١٠٠٨
١٢٦٩	١٢٦٨	١٢٥٤	١٢٣٨	١٢٢٢	١٢١٥	١٢٠٥	١٢٠٤	١٢٠٠	١١٩٩	١١٨٨	١١٨٧	١١٥٩	١١٥١	١١٥٠
١٥٨١	١٥٧٦	١٥٦٥	١٥١٦	١٥٣٤	١٥٠٨	١٤٩٤	١٤٩١	١٣٩٠	١٣٨٩	١٣٧٦	١٣٧٤	١٢٨١	١٢٧٢	١٢٧٠
١٧٨٤	١٧٤٤	١٧٣٦	١٧١٣	١٦٩٩	١٩٢	١٦٧٠	١٦٦٣	١٦٦٥	١٦٤٢	١٦٢٢	١٦٢٥	١٦٢١	١٦١٩	١٥٨٩
٢٠٣٣	٢٠٢٤	٢٠١١	٢٠٠٠	١٩٤٠	١٩٠٦	١٨٨٢	١٨٠٠	١٨٧٩	١٨٧٨	١٨٧٠	١٨٥٠	١٨٤٨	١٨١٩	١٨٩٣
٢٦٨٨	٢٦٨٦	٢٦٧٥	٢٦٣٠	٢٥٦٢	٢٤١٢	٢٢٦٢	٢٢٣٢	٢٢٣١	٢١٧٥	٢١٠٩	٢٠٩٨	٢٠٦١	٢٠٢٣	٢٠١٧
			٣٢٤٩	٣٢٣٥	٣١٢٨	٣٠٧٧	٣٠٠٠	٢٩٩٤	٢٩٤١	٢٩٠٠	٢٨٧٧	٢٧٦٠	٢٧٣٧	٢٦٩١

الايان بالغيب

٢٩١٢	٢٨٦٣	٢٨٦٢	٢٨١٩	٢٥٤٩	٢٣٦٩	٢٣٣٤	٢٢٦٤	٦٥١	١٨	١٧
------	------	------	------	------	------	------	------	-----	----	----

الايان بالملائكة

٢٤٨٧	٢٤٢٠	١٤١٨	٢٣٢٥	١٨٣٥	١٤٧١	١٥٨٣	٢٢١	١٤
	٣٠٧٣	٢٧٩٤	٢٧٩٣	٢٧٦٥	٢٧٤٦	٢٥٣٨	٢٤٨٩	٢٤٧٨

الايان بالرسل

٢٥٤٤	١٩٨٠	١٩٠٢	١٨٩٤	١٨٣٩	١٨٣٨	١٧٩٢	١٥١٥	١٥٠٧	١٤٤٨
٢٩٠٩	٢٨٩١	٢٧٨٩	٢٧١٣	٢٧٠١	٢٧٠٩	٢٦٤٩	٢٦٣٢	٢٦٢٧	٢٥٤٧

الايان بالآخرة

٥٠٥	٤٨٥	٤٠٥	٣٨٧	٢٩٢	٢٨٤	٢٥١	٢٤٥	٢٤٤	٢٤٣	١٦١	١٥١	٩٢	٥٥	٤
١٤١٣	١٣٩٤	١١٨٦	١١٧٦	١١٧١	١١٦٧	١١٢	١٠٨٧	٨٧	٧٩٦	٧٩٥	٧٤٧	٧٣٨	٧٠٥	٦٨٥
١٧٦٢	١٧٦٠	١٧٥١	١٧٣٥	١٧١٥	١٦٥٥	١٦٥٣	١٦٥٩	١٦١٧	١٦٠٢	١٥٤٠	١٥٣٩	١٥٣٠	١٥٢٥	١٤٤٥
٢١٨٤	٢٠٩٢	١٩٩٥	١٩١٨	١٩١٥	١٩١٤	١٩١٣	١٨٤١	١٨٤٠	١٨٣٦	١٨٣٣	١٨٢٨	١٨٠٣	١٨٠٢	١٧٨٢
٢٤٥٩	٢٤٢٢	٢٤٠٦	٢٤٠٠	٢٣٩٢	٢٣٩١	٢٣٨٣	٢٣٤٧	٢٣٨٢	٢٣٣٣	٢٣٤٣	٢٢٤٠	٢٢٢٧	٢٢١٦	٢٢١٥
٢٨٢٤	٢٨٢٣	٢٧٤٥	٢٧٤٤	٢٧٤٣	٢٧٤٢	٢٧٣١	٢٦٣٤	٢٦٣٣	٢٦٢٤	٢٥٤٩	٢٥٤٥	٢٥٣١	٢٥٠٥	٢٤٦٤
٣٠٣٤	٣٠٣٣	٣٠٠٨	٢٩٤٦	٢٩٤٥	٢٩١٥	٢٩١٢	٢٨٩٤	٢٨٤٦	٢٦٢٠	٢٦١٩	٢٦١٦	٢٦١٣	٢٥٣٧	٢٥٣٥
٣١٩٦	٣١٩٥	٣١٧٢	٣١٧١	٣١٧٠	٣١٥٨	٣١٥٧	٣١٤٥	٣١٣٧	٣١٣٦	٣١٢	٣١٥٥	٣١٤٤	٣٠٥٥	٣٠٣٥
										٣١٢٩	٣١٢٠	٣١٢٤	٣١٢٣	٣١٢٢

الايان بالجنة

١٠٩٣	٨٣٠	٨٢٩	٤٢٥	٤١٨	٤٠٩	٤٠٨	٤٠٧	٣٩١	٣٩٠	٣٥٤	٣٤٩	٣٣٨	٣٣٧	٦٨	٦٥
١٩٨٣	٢٨٥٥	١٨٣٤	١٨٣٢	١٧٢٢	١٦٩٥	١٦٩٤	١٥٠٢	١٣٦٥	١٣٦٤	١٢٤١	١١٧٢	١١٧٠	١١٦٩	١١٦٨	١١١٨
٢٤٨٠	٢٤٧٩	٢٤٧٨	٢٤٣٨	٢٤٣٧	٢٤٠٣	٢٤٠٢	٢٤٠١	٢٣٨٥	٢٣٨٤	٢٣٦٢	٢٣٦١	٢٣٥٨	٢٢٦٢	٢٢٦١	١٩٨٤
	٣١٧٥	٣١٥٧	٣٠٨٩	٢٨٣٤	٢٦٥٩	٢٦٥٥	٢٦٥٤	٢٦٢٢	٢٦٢١	٢٦٢٠	٢٦١٩	٢٦١٨	٢٦٠٧	٢٦٠٦	٢٦٠٥



الايمان بالنار

١٤١٧	١٤١٦	١٣٩٩	١٤٠٥	١٣٦٢	١٣٧١	١٣٨٤	١٣٧٢	١٣١٧	١٣١١	١٣٠٦	١٣٠٢	١٣٠١	١٢٩٨
١٣٩٩	١٣٩٨	١٣٩٧	١٣٩٦	١٣٩٥	١٣٩٤	١٣٩٣	١٣٩٢	١٣٩١	١٣٩٠	١٣٨٩	١٣٨٨	١٣٨٧	١٣٨٦
١٣٨٥	١٣٨٤	١٣٨٣	١٣٨٢	١٣٨١	١٣٨٠	١٣٧٩	١٣٧٨	١٣٧٧	١٣٧٦	١٣٧٥	١٣٧٤	١٣٧٣	١٣٧٢
١٣٧١	١٣٧٠	١٣٦٩	١٣٦٨	١٣٦٧	١٣٦٦	١٣٦٥	١٣٦٤	١٣٦٣	١٣٦٢	١٣٦١	١٣٦٠	١٣٥٩	١٣٥٨
١٣٥٧	١٣٥٦	١٣٥٥	١٣٥٤	١٣٥٣	١٣٥٢	١٣٥١	١٣٥٠	١٣٤٩	١٣٤٨	١٣٤٧	١٣٤٦	١٣٤٥	١٣٤٤

اسماء الله وصفاته

١٤١٧	١٤١٦	١٣٩٩	١٤٠٥	١٣٦٢	١٣٧١	١٣٨٤	١٣٧٢	١٣١٧	١٣١١	١٣٠٦	١٣٠٢	١٣٠١	١٢٩٨
١٣٩٩	١٣٩٨	١٣٩٧	١٣٩٦	١٣٩٥	١٣٩٤	١٣٩٣	١٣٩٢	١٣٩١	١٣٩٠	١٣٨٩	١٣٨٨	١٣٨٧	١٣٨٦
١٣٨٥	١٣٨٤	١٣٨٣	١٣٨٢	١٣٨١	١٣٨٠	١٣٧٩	١٣٧٨	١٣٧٧	١٣٧٦	١٣٧٥	١٣٧٤	١٣٧٣	١٣٧٢
١٣٧١	١٣٧٠	١٣٦٩	١٣٦٨	١٣٦٧	١٣٦٦	١٣٦٥	١٣٦٤	١٣٦٣	١٣٦٢	١٣٦١	١٣٦٠	١٣٥٩	١٣٥٨
١٣٥٧	١٣٥٦	١٣٥٥	١٣٥٤	١٣٥٣	١٣٥٢	١٣٥١	١٣٥٠	١٣٤٩	١٣٤٨	١٣٤٧	١٣٤٦	١٣٤٥	١٣٤٤

الولاء والبراء

١٢٩٨	١٢٩٧	١٢٩٦	١٢٩٥	١٢٩٤	١٢٩٣	١٢٩٢	١٢٩١	١٢٩٠	١٢٨٩	١٢٨٨	١٢٨٧	١٢٨٦	١٢٨٥
------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------

الايمان بالقدر

١٢٩٨	١٢٩٧	١٢٩٦	١٢٩٥	١٢٩٤	١٢٩٣	١٢٩٢	١٢٩١	١٢٩٠	١٢٨٩	١٢٨٨	١٢٨٧	١٢٨٦	١٢٨٥
------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------

الايمان بالكتب

١٢٩٨	١٢٩٧	١٢٩٦	١٢٩٥	١٢٩٤	١٢٩٣	١٢٩٢	١٢٩١	١٢٩٠	١٢٨٩	١٢٨٨	١٢٨٧	١٢٨٦	١٢٨٥
------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------

ثانيًا: عبادات الجوارح

الصلاة

١٢٩٨	١٢٩٧	١٢٩٦	١٢٩٥	١٢٩٤	١٢٩٣	١٢٩٢	١٢٩١	١٢٩٠	١٢٨٩	١٢٨٨	١٢٨٧	١٢٨٦	١٢٨٥
١٢٨٤	١٢٨٣	١٢٨٢	١٢٨١	١٢٨٠	١٢٧٩	١٢٧٨	١٢٧٧	١٢٧٦	١٢٧٥	١٢٧٤	١٢٧٣	١٢٧٢	١٢٧١
١٢٧٠	١٢٦٩	١٢٦٨	١٢٦٧	١٢٦٦	١٢٦٥	١٢٦٤	١٢٦٣	١٢٦٢	١٢٦١	١٢٦٠	١٢٥٩	١٢٥٨	١٢٥٧
١٢٥٦	١٢٥٥	١٢٥٤	١٢٥٣	١٢٥٢	١٢٥١	١٢٥٠	١٢٤٩	١٢٤٨	١٢٤٧	١٢٤٦	١٢٤٥	١٢٤٤	١٢٤٣

الدعاء

١٢٩٨	١٢٩٧	١٢٩٦	١٢٩٥	١٢٩٤	١٢٩٣	١٢٩٢	١٢٩١	١٢٩٠	١٢٨٩	١٢٨٨	١٢٨٧	١٢٨٦	١٢٨٥
١٢٨٤	١٢٨٣	١٢٨٢	١٢٨١	١٢٨٠	١٢٧٩	١٢٧٨	١٢٧٧	١٢٧٦	١٢٧٥	١٢٧٤	١٢٧٣	١٢٧٢	١٢٧١
١٢٧٠	١٢٦٩	١٢٦٨	١٢٦٧	١٢٦٦	١٢٦٥	١٢٦٤	١٢٦٣	١٢٦٢	١٢٦١	١٢٦٠	١٢٥٩	١٢٥٨	١٢٥٧
١٢٥٦	١٢٥٥	١٢٥٤	١٢٥٣	١٢٥٢	١٢٥١	١٢٥٠	١٢٤٩	١٢٤٨	١٢٤٧	١٢٤٦	١٢٤٥	١٢٤٤	١٢٤٣
١٢٤٢	١٢٤١	١٢٤٠	١٢٣٩	١٢٣٨	١٢٣٧	١٢٣٦	١٢٣٥	١٢٣٤	١٢٣٣	١٢٣٢	١٢٣١	١٢٣٠	١٢٢٩
١٢٢٨	١٢٢٧	١٢٢٦	١٢٢٥	١٢٢٤	١٢٢٣	١٢٢٢	١٢٢١	١٢٢٠	١٢١٩	١٢١٨	١٢١٧	١٢١٦	١٢١٥
١٢١٤	١٢١٣	١٢١٢	١٢١١	١٢١٠	١٢٠٩	١٢٠٨	١٢٠٧	١٢٠٦	١٢٠٥	١٢٠٤	١٢٠٣	١٢٠٢	١٢٠١
١٢٠٠	١١٩٩	١١٩٨	١١٩٧	١١٩٦	١١٩٥	١١٩٤	١١٩٣	١١٩٢	١١٩١	١١٩٠	١١٨٩	١١٨٨	١١٨٧

الصيام

١٢٩٨	١٢٩٧	١٢٩٦	١٢٩٥	١٢٩٤	١٢٩٣	١٢٩٢	١٢٩١	١٢٩٠	١٢٨٩	١٢٨٨	١٢٨٧	١٢٨٦	١٢٨٥
------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------

الحج

١٢٩٨	١٢٩٧	١٢٩٦	١٢٩٥	١٢٩٤	١٢٩٣	١٢٩٢	١٢٩١	١٢٩٠	١٢٨٩	١٢٨٨	١٢٨٧	١٢٨٦	١٢٨٥
------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------

الزكاة

1976	1977	1978	1979	1980	1981	1982
------	------	------	------	------	------	------

الجهاد

1-V	1-T	9AV	9AV	0VE	01E	EAP	PTI	WOP	PD	PEV	PE7	1EA
	17V1	1779	170P	1701	17T	1779	1A1	1A1	17A	11P0	1EA	1P1

الأخذ بالأسياب

FAIR	IV	IV-V	IV-E	IV-A	IV-P	IV-D
------	----	------	------	------	------	------

إصلاح ذات البين

۱۲۲۱	۱۱۲۲	۱۲۲۳	۱۲۲۴
------	------	------	------

القرآن

[illegible]

الدعوة الى الله

[illegible]

الأمر بالمعروف

m	nir	Tot	VTE	A0	A01	M	I9I	OPO	PPI	VVI	VZI	VLI	F9F9	30M	W9T9
---	-----	-----	-----	----	-----	---	-----	-----	-----	-----	-----	-----	------	-----	------

النهي عن المنكر

A07	A0F	V17	V10	V1E	7EE	7EP	7E1	09P	00E	00P
P179	P10E	P1V1	T-7	T1V1	T177	1FEO	11-1	91A	A97	A90

الذكر

071	07	009	00E	01	00A	000	00V	01	99	9A	9V	9T	90
0071	007E	00E9	0009	00V0	00V1	00V	0079	0000	00T	001	00A0	00A1	007
07-0	07-1	07-	0799	0100	01A0	09A7	0V9A	0A0A	0V0A	0VET	0VET	000T	07E
	0A0A	0790	0090	00A7	00IV	00ET	07-	0799	079A	079V	079T	07AA	07AV



الصدقة

٢٩٤	٢٤٢	٢٣٥	٢٣٤	٢٣٣	٢٢٧	٢٢٦	٢٢٥	٢٢٤	٢١٩	٢١٨	١١٩
٢١٥٤	١٥٥٥	١٥٥٤	١٥٥٢	١٣٦١	١٣٦٠	١١١١	١١١٠	١٠٨٨	٢٣٠	٢٩٦	٢٩٥
٣١٨٠	٣١٧٩	٣١٧٨	٢٩٦٥	٢٩٦٤	٢٩٦٣	٢٨٩١	٢٥٢٦	٢٣٧٣	٢٣٣٢	٢٢٢٣	٢٢٢٥

صلة الرحم

٢٩٢٢	٢٧٢٢	٢٠٣٤	١٥٥١	١٤٩٧	١٣٦٢	٨٥٧	٤١٩
------	------	------	------	------	------	-----	-----

استغفار

٢٩٨	٢٩٥	٢٢٣	٥٢٥	٢٥٢	٢٢٤	٢٢٣	٢٢٢	١٥٧	١٥٦
٢٠٧٦	١٩٧٥	٢٢٤١	١٥٥٠	١٤١١	١٢٢٨	١٢٢٢	١٢٠١	٩٧٤	٩٧١
	٣٢٤٢	٢٧٥١	٢٢٢٤	٢٥٢١	٢٥١٥	٢٥١٤	٢٤٣٥	٢٤٢٧	٢٤٢٦

قول الحق واتباعه

٧٩٤	٧٨٢	٧٨١	٧٦٧	٦٢٨	٦٢٧	٦٢٦	٥٧٩	٢٨٩
٣٠١٤	٣٠١٣	٢٨٦٥	٢٤٢٨	٢١٠٠	٢٠٥٨	٢١٩٠	١١٢٤	١١١١

قيام الليل

٣١٩٠	٣١٦٤	٣٠٠٠	٢٧٥١	٢٧٤٩	٢٤٢٦	٢٢٩٩	١٥٩٢	١٥١٣	٣١٤
------	------	------	------	------	------	------	------	------	-----

المسارعة الى الخيرات

١١٠٣	١١٠٠	١٠٦٦	١٠٦٤	٩٩٨	٧٤٦	٧٣١	٥٩٩	٥٠٨	٩٢٨	٩١
١٩٠١	١٨٢٧	١٧٥٣	١٧٢٩	١٥٢٩	١٤٢٦	١٤٠٠	١١٣٨	١١٣٦	١١٠٥	١١٠٤
٣١٨٩	٣١٤٤	٢٨٢٠	٢٧٥٠	٢٦٤٧	٢٣٥٦	٢٢٢٦	٢٢٢٦	٢١٢٠	٢٠٦٦	٢٠١٥

طلب العلم

١٢٦٧	١٤٨٣	١٢٧٦	١١٩٨	٧٣٠	٧٢٨	٥٨٦	٥٧٨	٥٣٣	٤٨٩	٢٥٦
	٢٩٣٤	٢٦٦٤	٢٣٤٩	٢١٩٤	٢١٩٣	١٧٦٥	١٧٣٩	١٦٨٦	١٦٧٦	١٦٦٨

غض البصر

٢٨٣١	٢١٢٢	١٩٤٨	١٩٤٧
------	------	------	------

عبادة السر

١٧٠٠	١٧٠١	٢٧٧٤
------	------	------

المشورة

٢٩٩١	٢٥٢٦	٢٥٢٥	٢٥٢٤	٢٥٢٣	١٨٥
------	------	------	------	------	-----

ثالثاً: عبادات القلوب

الشكر

٩٨٦	٩٨٥	٩١٩	٨٩٧	٦٩٤	٥٢٧	٥٢٦	٢٤٧	١٢٣	١١٦	٩٤	٤٦	٣	١
٢٠٤٨	٢٠٤٧	٢٠٤٦	١٨٩٢	١٧٣٦	١٥١٦	١٤٨٤	١٤٠٦	١١٣٦	١٣٨٥	١٣٨٤	١٣٨٢	١٣٧٩	١١٩٤



٢١١٨	٢٢٤	٢٢٢٨	٢٢٢٢	٢٢٤١	٢٢٧٢	٢٢٧٥	٢٢٧٠	٢٢٢٢	٢٢٢٢	٢٢١٩	٢٢٥٧	٢٢٧٥	٢٢٧٤
		٢٢٢٢	٢٢٢٤	٢٢٢٠	٢٢١٩	٢٢١٨	٢٢١٧	٢٢١٠	٢٢٢٢	٢٢١٠	٢٢١٩	٢٢١٧	٢٢٢٢

الثبات

١٢٨٥	١٢٨٤	١٢٨٣	١٢٥٣	١٢١٠	١٢١٩	١٢٢٨	٩٨٠	٩٥٨	٩٤٢	٩٤١	١٢٩٠
	٢١٥٢	٢١٥١	٢١٥٠	١٢٢٤	١٢٢٣	١٢٢٢	١٥٠١	١٤٠٢	١٢٩١		

مجاهدة النفس

٤٢٧	٢١	٢٠٨	٢٠٧	١٧٢	١٢٩	١٢٥	١١٤	١١٣	٨٥
٢١٢٢	٢٠٧٥	٢٠٧٤	٢٠٤٩	٢٠٤٨	٢١٢٥	٢١٧١	٢١٧٠	١٢٩٤	٦٠٠

الافتقار الى الله

٧٤	٧٢٩	٦٧٥	٦٧٤	٦٦٧	٤٤	٤٣٨	٣٩٨	٣٢٢	٣٠٤	٢٧٥	٢٢٩	١٩٩	١٥٥	١٣٤
١٣٥	١٢٨٩	١٢٧٧	١١٤٢	١٠١٠	١٠٤٥	١٠٣٤	١٠٢٤	١٠٢٢	٩٩٢	٩٩١	٩٤٩	٩٢١	٨٣٥	٨١١
٢٢٢٤	٢١٨	٢٠٨٨	٢٠٢٢	١٩٨٥	١٩٠٥	١٩٠٠	١٨٢٥	١٨١٩	١٧٧٩	١٧٢١	١٥٩٠	١٤١١	١٣٢٨	١٣٢٧
٢٢٤٥	٢٠٢٩	٢٠٢٠	٢٠٧٨	٢٠٧٧	٢٠٧٢	٢١٨٤	٢٥٧٨	٢٤٨٥	٢٣٤٢	٢٢٤٥	٢٣٤٤	٢٢٥٧	٢١٢٢	٢١٢٥

المراقبة

٢٠٨٩	١٧٢٢	١٥٢٢	١٥٢٧	١٣٥٢	١٣١٣	١١٨٢	١١٤	١١٢٣	٨١٥	٧١٠	٦٠٢	٥٢٤
	٢٠٨٤	٢٠٠٢	٢٠٨٢	٢٠٧٤	٢٠٢٢	٢٤٩٤	٢٤٩٣	٢١٧٢	٢١٢٠	٢١٢٩	٢١٢٨	٢١٢٧

الإخلاص والنية

٥١٢	٥١٢	٤٢	٤٥٤	٣٥٩	٢٤٩	١٩٣	١٧٨	١٥٠	٨٢	٧٠	٦٧
١٥٣١	١٥١١	١٣٢٣	١٢٧٥	١٢٧٣	١١٩٠	٩٩٥	٩٦٢	٨٤٤	٨٣٧	٧٨٦	٥١٧
٢٢٥٢	٢٢٥١	٢٢٥٠	٢٢٤٩	٢١٢٢	٢٠٣٣	٢٠٢٧	٢٠٢٠	٢٠١٩	١٩٣٩	١٨٥٦	١٢٩٨
	٢١٨٩	٢١٥٣	٢٠٩٤	٢٠٩٣	٢٠٩٢	٢٠٢٥	٢٩٢٢	٢٨١١	٢٨١٣	٢٧٧٧	٢٤٤

تفكير

١٤٢٧	١٤٢٣	١٣٨	١٣٧٣	١٣٥٦	١١٧٨	١١٦٦	١١٤٥	٨٨١	٧٥٢	٧٢٢	٦٩٣	٤٤٤	٤٢٣	٤١٢
٢١٩٤	٢١٩٣	٢١٠٢	٢٠٧٩	١٨٩١	١٨٥١	١٨١٥	١٧٩١	١٧٣٢	١٦٤٨	١٦٨٨	١٦٠٥	١٥٧٨	١٤٨٨	١٤٧٣
		٢٢٢١	٢١٩١	٢١٦٣	٢١١٣	٢٠٢٨	٢٠٠٤	٢٨٥١	٢٨٤٤	٢٧٦٨	٢٦٥٨	٢٣٥٣	٢٢٠١	٢١٠١

البقيّة

١٩٤	١٧٠	١٢٩	١٠٥	١٠٤	١٠٣	١٠٠	٣٩	٧
٣٢١	٣١٣	٢٢٣	٢٢٢	٢٢٠	٢١٦	٢١٤	٢١٣	٢١٠
٨٧٧	٧٤٠	٧١٢	٥٤٤	٥٤٣	٤٩٢	٣٩٧	٣٩٩	٣٢٢
١١٣	١١٢٨	١٠٧٨	١٠٧٧	١٠٥٢	١١٨	١٠٧	١٠٣	٨٩٤
١٣٣٨	١٢٢٢	١٢٢١	١٢١٨	١١٨٤	١١٧٧	١١٤٨	١١٢١	١١٣
٢٢٦١	٢١٣٥	٢١٣٠	٢٠٩٩	٢٠٩١	٢٠١٥	١٨٠٤	١٧٦٧	١٤٦٥
٢٢٧٤	٢٢٧٠	٢٢٦٨	٢٢٤٨	٢٢٤٧	٢٢٤٦	٢٢٢٤	٢٢٢٥	٢٢١٣
٢٥١٢	٢٥٠٩	٢٥٠٨	٢٥٠٧	٢٤٢٢	٢٣٩٧	٢٣٣٢	٢٣٢٠	٢٢٨٩
٣٢٢٩	٢٩٢٩	٢٩٠٠	٢٧٥٣	٢٧٠٦	٢٥٩٩	٢٥٢٥	٢٥٢٤	٢٥٢٣



التوبة

٤٢٨	٤٢٧	٤٢٦	٣٣٤	٣٣٣	٣٢٦	١٨١	١٨٠	١٣٩	١٣٨	١٣٠	٧٨
١٩٥٦	١٩٥١	١٩٥٠	١١٢٩	١١٢٦	١١٢٥	٢١٣	٢٠٤	٧٧	٦٤	٤٨٧	٤٣٥
٢٧٤٧	٢٧٢٤	٢٦٣٧	٢٥١٥	٢٢٨٤	٢٢٨٢	٢١٩٠	٢٠٤٣	٢٠٦	١٩٥٥	١٩٥٤	١٩٥٣
	٣١٤٦	٣١٣٨	٣٠٨١	٣٠٤٣	٢٩٩٧	٢٩٩٦	٢٩٨٧	٢٩١٤	٢٨٠٢	٢٨٠١	٢٨٠٠

التوكل

٥٩٤	٥٨١	٥٤١	٣٩٥	٣٨٦	٣٨٥	٣٦٦	٢٨٧	٢١٧	٢٠٩	٢٠٣	٢٠	٦٨	٨
١٢٥٥	١٢٢٩	١١٨٣	١١٤٨	١١٤٧	١٠٥٣	١٠٣٥	١٠٣	٩٤٨	٩٤	٨٧٤	٧٤٠	٦٧٣	٦٧١
١٨٤٩	١٨٠٤	١٧٤٩	١٦٨٠	١٦٣٩	١٥٨٧	١٥٠٣	١٤٣٢	١٣٩١	١٣٥١	١٣٥٠	١٣٤٦	١٣٤١	١٢٩٨
٢٤٣٤	٢٤٣٣	٢٤٣٢	٢٢١٢	٢٢١١	٢٢٠٩	٢٢٠٨	٢٠٩٠	٢٠٤٣	٢٠٤٢	٢٠٣٨	٢٠٣٧	٢٠٣٦	١٨٧١
			٢٩٨٩	٢٩٨٨	٢٩٧	٢٨٨٥	٢٧٥٦	٢٥٨٧	٢٥٣٩	٢٥٠٣	٢٥٠٢	٢٥٠١	٢٤٢٢

الاستقامة

٤٧٩	٤٠٦	١٦٧	١٦٦	١٦٥	١٤٠	٩١	٨١	٧	٢	١٢	٩
١٣٤٦	١٢٤٤	١٢٤٣	١٢٤٢	١١٩٧	١١٩٦	١١٩٥	١١٩٤	٨٥٩	٨٤١	٧٤٤	٥٤٦
	٣٠٤٧	٢٨٦٤	٢٦٠٠	٢٤٤٨	٢٤٤٧	٢٣٠٢	٢٢٨١	١٢٣٤	١٢٣٧	١٨٨٥	١٦١١

تحري الحلال

٣٠٦٣	٢٩٠٥	١٩٥٧	١٨٩٦	١٦٣٥	١٢٣٤	٨٥٣
------	------	------	------	------	------	-----

المحاسبة

١٧٣٢	١٦١٥	١٥٦٦	٩٩٧	٩٠٠	٩٥٩	٥٤٧	٤٨٦	٣٨٨	٣٠٨	١٣٢	١٣٠
٣٠٨٤	٣٠٧٩	٣٠٧٦	٣٠٧٥	٢٩١٤	٢٥٨٨	٢٣٦٥	٢٣٦٤	٢٣٢٢	٢٢٣٥	٢١٨٧	١٩٩٤

رجاء

٦٢٢	٥٦٥	٥٦٤	٥١٨	٤٢٦	٣٣٩	٣٣٦	٣٣٥	٢٧١	٨٩	٧٧	١١
٢٣٣٣	١٨٧٦	١٧٠٥	١٥٩٩	١٥٦٨	١٤٤٥	١٣٤٩	١٣٤٧	٩٧٦	٩٧٥	٨٩٠	٨٤١
	٣٢٤٦	٣٢٢٢	٣١٦٦	٣١٦١	٣٠٣٩	٣٠٣٨	٢٥٥٢	٢٤٨٣	٢٤٧٢	٢٣٥٥	٢٣٥٤

خوف

٢٦٩	٥٩٠	٣٩٩	٢٧	٢٥٧	١٢٠	٩٣	٤٦	٢٤	٣٦	١٣
١٦٠٧	١٦٦	١٤٠٨	١٣٤٩	١٢٨٨	١٠١٢	٨٨٨	٨٤١	٦٨٣	٦٨٢	٦٧٠
٢٣٥٧	٢٣٥٥	٢٣٥٤	٢٣٤٩	٢٢٩٢	٢٠٤١	١٨٩٩	١٨٩٨	١٨٧٦	١٨٧٥	١٦٠٨
٣٠٩٦	٣٠٣٩	٣٠٣٨	٢٧٧٦	٢٧٧٨	٢٧٦٧	٢٧٣٩	٢٧٣٣	٢٤٨٣	٢٤٧٢	٢٤٥٣

حب الله

٣٩٩٢	١١٢	١١١	١١٠	١٠٩
------	-----	-----	-----	-----

الاستعانة

٢٢٠٩	٢١٩٢	١١١٢	١٠٥٥	٩٥٨	٨٧٣
------	------	------	------	-----	-----

الامتثال لأمر الله

٢٣٢٦	٢٣١٤	٢٢٩١	٢٢٩٠	١٤٨١	١٣٤٣	١١٢٢	١٠٤٤	١٠٤١	٩٦٥	٩٥٦	٧١٣	٦٩١
	٣٢١٢	٣٠٠٠	٢٩٨٣	٢٩٧٤	٢٩٠٣	٢٩٠٢	٢٨٧٤	٢٧٩٠	٢٦٥٦	٢٥٢٨	٢٥٢٧	٢٤١٣



الرضا

التَّقْوَى

الزهد

الأخوة (الإخاء)

علو الهمة

رابعاً: الأخلاق الحميدة

التواضع

سلامه الصدر

القيادة

الانصاف

الأمانة

599



العفة

٢٨٤	١٣٦	١٩١٩	١٩٢٢	٢١٩	٢١٢	٢١٢٨	٢١٢٩	٢١٣٠	٢١٣١	٢١٨٣	٢٢٨٦	٢٣٠٧	٢٨٣٠
-----	-----	------	------	-----	-----	------	------	------	------	------	------	------	------

حفظ اليمين

٢٤٨

الإيجابية

٥٨٩	١٩٥	٨٧٨	١٢٥١	١٢٥٢	١٢٧٢	٢٤٢٥
-----	-----	-----	------	------	------	------

الإحسان

٤٤	٤٩	٥٠	١١	١٨٣	٤١٢	٤٩٤	٥٨٣	٨٤٣	١١٠٢	١٢٩٣	١٤٩٧	١٧١٤	٢١٣٤
٢١٧٢	٢١٧٣	٢٢٠٤	٢٨٢٩	٢٨٧٥	٢٩٢٤	٣٠٠٣	٣٠٩١	٣١٧٨	٣٢٦٦	٣٣٥٤	٣٤٤٢	٣٥٣٠	٣٦١٨

الصدق

٤٥	٢٧٢	٢٧٣	٢٥٢	١١٣٤	١٢٩٩	١٣٠٥	١٣١٠	١٣١٨	٢٢٢١
----	-----	-----	-----	------	------	------	------	------	------

حُسن الخلق

٨٤٧	١٠٨٩	١٣٠٣	٢٧٢١	٢٩٨٥	٣٠١١	٣٠١٢	٣٠٤٠
-----	------	------	------	------	------	------	------

الكلمة الطيبة

٢١	٢٢	٢١٨	٣٧٢	٣٧٧	٣٧٨	٣٧٩	٤٥	٤٢٥	٥٢٩	٦٤٢	٦٤٧	٦٦٢	٧٤٣	٨٨٥
١٠٩	١٠٦٣	١١٤٣	١٢٨٦	١٤١١	١٤٦٨	١٥١٤	١٥٧٠	١٥٧١	١٥٧٢	١٥٧٣	١٥٧٤	١٥٧٥	١٧٣٥	١٨١٨
١٩٤٤	٢٢٨٥	٢٣١٧	٢٣١٨	٢٣٤٢	٢٤٤٢									

كظم الغيظ

٣٣١	٤٣٤	١٣٢٢	١٤٥٢	٢٣٨١	٢٥٧١
-----	-----	------	------	------	------

العفو

٢٤	٣٣٢	٥٢٨	٥٧٢	٦١٢	٨٤٨	٩٢٢	١٢٠	١٣٣٢	١٣٣٢	١٣٣٧	١٤٥١	١٤٥٢
١٤٥٣	١٤٦١	١٩٤١	١٩٤٢	٢٥٥٨	٢٥٦٧	٢٥٦٨	٢٥٦٩	٢٥٧٢				

حُسن الظن

٣٧	٤٣٣	٦٦٨	٧٨٥	٨٤٥	٨٤٦	١٨٦	١٣٩١	١٣٤	١٢٦٩	١٩٣	٢٢١١	٢٥٣٣	٢٥٥٧	٢٧٣
----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	------	-----	------	-----	------	------	------	-----

التفاؤل

٣٩٣	٤١	٤٣١	٤٣٢	٧٨	٩٤١	٩٩٢	١١٧٧	١١٨٥	١٢٢٢	١٢٧٧	١٣٣٨	١٤٤٤	١٢٦٧	١٣١٠	١٣١١	١٣١٢	١٣١٣
-----	----	-----	-----	----	-----	-----	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------

الرفق واللين

٦٣٠	١٠٩٤	١١٤٧	١١٤٨	٢٣٠٥	٢٤٣٠	٣٠٥٥	٣٠٥٦	٣٠٥٧	٣٠٩٠	٣٠٩١	٣١٢١	٣١٢٢
-----	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------

الحكمة

٧٢	٢٨٦	٥٠٦	٥١٠	٥١١	٦٠٦	٧٢٤	٨٨٥	١٢٥٩	١٣١٩	١٣٣٩	١٤٤٧	١٤٥٢	١٢٧١	١٢٩٠	١٣٥٥
١٨٠٩	٢٤٩	٢٥١	٢٥٧	٢٦٥	٢٧٧	٢٨٠	٢٨١	٢٨٢	٢٨٣	٢٨٤	٢٨٥	٢٨٦	٢٨٧	٢٨٨	٢٨٩





الشجاعة

٢٥٨	١٢٧٨	٤٠
-----	------	----

التغافل

٢٩٩٥	١٨٧٧	١٣٢٤	٦٧٢
------	------	------	-----

كتمان السر

٢٧٢٣	١٣٢٠	٤٤٩
------	------	-----

الرحمة

٢٨١٥	٢٢٤٢	٢٢٣٠	٢٠٢٢	٢٤٥	٢٠٤	٥٨٧	٥٨٧	٥٤٧	٥٠٧	٤٩١	٤٩	١٩٠	١٨٩
------	------	------	------	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	----	-----	-----

الهداية

٢٩٣٧	٢٨١٢	٢٥٢٩	٢٠٨٤	١١٢٧	١٣٩٧	٩٤
------	------	------	------	------	------	----

العدل

٢٩٩٣	٢٩٠١	٢٨١٧	٢٤٢٧	٢٠٥٠	١٩٦٥	١٨١	١٨١	١٨٩	١٤٩١
------	------	------	------	------	------	-----	-----	-----	------

الوفاء

٣٢٧٨	٢٩٢٧	٢٠٤٥	١٨٩٠	١٨٣٧	١٩١	١٨١
------	------	------	------	------	-----	-----

الحياء

٢١٢٩	٢١٢٧	٢٠٥٣	٢٠٣٠
------	------	------	------

الكرم

٣١٨٩	٣٠٣٠	٤٩٣
------	------	-----

دفع الحسنة بالسيئة

١٩٠٩	١٩٠٨	١٩٠٧	١٣٠١	١٢٤٩	١٢٤٨	١٢٤٧	١١٠٩	١١٠٨	٤٥٨	١٢١
	٢٥٤٤	٢٥٤٣	٢٥٤٢	٢٥٤١	٢٥٤٠	٢٥٣٩	٢٠٠٩	١٩١٢	١٩١١	١٩١٠

الإتحاد

٢٩٣١	٢٩٣٥	٢٩١
------	------	-----

خامسًا: الأخلاق الذميمة

قول الزور

٢٩٦٠	٢٨٧٦	١٩٨٧	١٨٦٣	٥٨٤
------	------	------	------	-----

الفسق

٢١٠	٢٨٦	٢٧٨	٢١٤٢	١٢٦٦	١٢
-----	-----	-----	------	------	----

نقض العهد

٣٠٦	٢٩٣	١٥٠	١٤٩٩	١٤٩١
-----	-----	-----	------	------

البخل

٣٢٣٨	٣٠٢٠	٣٠١٦	٤٥٧
------	------	------	-----



التنازع

٣٢٤	٣٣٧	٣٣٦	٢٤٥٧	٢٤٥٦	٢٤٩٦	٩٨٣	٣٥٨
-----	-----	-----	------	------	------	-----	-----

الرياء

٣٢٢	٣٢٦	٢٤١٨	١٩٩١	٦
-----	-----	------	------	---

الاشاعة

٢٠٢٩	١٩٣٨	١٩٣١	١٥٦١
------	------	------	------

الكذب

٨٦٦	٨٨	٨٧	٦٨١	٦٨٠	٦١٧	٦١٥	٦٠٨	٤٨	٢١
	٣٨٢	٣١٥	٢٧٤١	٢١٦٩	٢٠٤٤	١٥٦	١٥٠٤	١٤٩٥	٨٩٩

سوء الظن

٢٩٧٣	٢٨٨٣	٢٨٨٢	١٩٣٢	١١٩١	٢٣١
------	------	------	------	------	-----

المكر

٢٤٩٥	٢٣٦٧	٢٣٦٦	٢٠٨٢	٢٠٨١	١٤٧٧	١٣٧	١٢٦	١١٤	١١٣	١٠٦	١٠٥	١٠٤	١٠٣	١٠٢
------	------	------	------	------	------	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----

الإسراف والتبذير

٧٧٥	٧٧١	١٥٥٣
-----	-----	------

الأثرة

٤٢

استصغار الذنب

٢٦٦٣	١٩٣٧	١٩٣٦	١٩٣٥	١٩٣٤	١٩٣٣	٩٠٤	٩٠٣	٩٠٢	٩٠١	١١٨
------	------	------	------	------	------	-----	-----	-----	-----	-----

الخيانة

٢٩٩٨	١٤٧٦	١٠٠	٩٩٩	٩٦٩	٦١٧	٦١٥	٥٢٣	٥٢٢	٥٢١	٥٢
------	------	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	----

اللمز

٢٧٢٣	١٨١	٦
------	-----	---

السخرية

٣٣٢	٢٧٦	٢٤٩٦	٢٤٢٣	٢٢٦٩	١٩١٦	١٧٥٤	١٥٨٠	١٧١٩	٦٣٦	٦٣	٦٠
-----	-----	------	------	------	------	------	------	------	-----	----	----

الجحود

١٤٠٤	١١٥٦
------	------

معاداة المؤمنين

٣١٤٠	٢٩٦	٢٨٨١	٢٨٣٣	١١٦٤	٩٤١
------	-----	------	------	------	-----

الظلم

٥٧٧	٥٧٦	٥٧٥	٥٦٨	٥٣٥	٥٢٨	٥٢٦	٤٢٢	٣٩٤	٢٣٠	٢٢٩	١٨٢	٧٥	٧٤	٧٢
١٥٥٩	١٥٥٨	١٤١١	١٣٤٧	١١٤٤	١٠٩٦	١٠٤٣	١٠٤٢	٩٦٦	٨٣٢	٨٣١	٦٨٩	٦١١	٦٠٥	٥٨٠



٢٢٤١	٢٢٨٢	٢٢٥٩	٢٢٥٤	٢٢٤٧	٢٢٤١	٢٢٤٠	٢٢٣٩	٢٢٢٤	٢٢١٣	٢٢٠٧	٢١٠٧	٢٠٩٧	١٧٥٠	١٦٦٤
	٢٢٠٧	٢١٨٢	٢١٦٥	٢١٤١	٢١١٩	٢٠٩٨	٢٠٨٧	٢٠٣٥	٢٠٢٧	٢٠٩٧	٢٠٦٨	٢٠٥٥	٢٠٥٤	٢٠٥٣

الجدال

٢٢٥٨	١٨٤٢	١٦٦١	١٦٦٠	١٦٥٩	١٦٥٨	٩٢٨	٨٤٩
------	------	------	------	------	------	-----	-----

شهادة الزور

٢٠٠٧	٢٤٨	٨٣
------	-----	----

اللغو

٢١١٩	٢١١٨	١٨٨٠	١٨٨٧	١٨٨٦
------	------	------	------	------

التبرير

٢٥٨٢	١٤٨٠
------	------

المن والاذي

٢٨٥٣	٢٨٠٦
------	------

اللهو

٢١٢٤	١٩٦١	٢٩٦٢
------	------	------

التجسس

٢٤٣٣	٢٧٦٦
------	------

الغيبة

٢٧٣٣	٢٧٣٢	٢٧٣١	٢٧٢٩	٢٧٢٨	٢٧٢٧
------	------	------	------	------	------

سادسًا: معاصي الجوارح

الرشوة

١٩٦١	١٥٨٦	٢٣٣٠	٢١	٢٢	١٤١
------	------	------	----	----	-----

البأس

٢٤٥٥	١٤٤٣
------	------

الزنى

١٩٦١	١٥٥٧	١٢٨٠	٧٨٠	٤٩٨
------	------	------	-----	-----

الربا

٢٢٥	٢٤١	٢٤	٢٣٩	٢٣٨	٢٣٧	٢٣٦
-----	-----	----	-----	-----	-----	-----

السرقه

١٥٨٦	١٦
------	----

قتل النفس

١٧٤٥	١٥٥٨	٥٩٨	٥٠٥	٥٠٣	٥٠٢
------	------	-----	-----	-----	-----



القذف

١٩٦٧

أكل الحرام

٦٠٣	٦٩	٩٠٥	٣٣٥
-----	----	-----	-----

الخمر

٦٤٩	٧٦٧	٦٧٩٨
-----	-----	------

الشرك

٦٨٩	٧٣٦	٣٧٢	١٨٤٧	٦٥٦	٦٦٩	٦٤٧٤
-----	-----	-----	------	-----	-----	------

كتمان الحق

١٠٦	٥٥٢	٨٥٣	٨٧١	٣٩٧	١٣٥٦	٦٣٨٦	٦٧٣٨	٦٤٧٤
-----	-----	-----	-----	-----	------	------	------	------

الفتنة

١٧٣

سابعاً: معاصي القلوب

العجب

٦	٦٥	٤٦٩	٧٦	٨٠	١٠٦٣	١٠٦٧	١١٦٥
---	----	-----	----	----	------	------	------

الحسد

٤٤٦	٤٤٧	٤٧٠	٤٧١	٨٦٥	١٧٣٣	١٧٧٥	٦٥٨٤	٦٥٨٥	٦٥٨٦	٦٩٦٧	٣٠٦٦	٣٠٦٧	٣٢٤٧	٣٢٤٨
-----	-----	-----	-----	-----	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------

النفاق

٦١	٦٣	٣	٣١	١٩٦	٣٦٦	٣١٧	٣١٨	٤١١	٤٧٦	٤٨٦	٤٩٥	٤٩٦	٤٩٧	٥٠٠	٥٠٠
٥٦٦	٥٦٣	٦٢٣	٦٢٤	٧٥٦	٧٦٨	٨٦٧	٩٨٤	١١١	١٠٥٨	١٠٧١	١٠٧٦	١٠٧٤	١٠٧٦	١٠٨٦	١٠٨٣
١٨٤	١٨٥	١٨٧	١٩١	١٩٥	١٩٧	١٩٨	١١٠٧	١١١٥	١١٤١	١١٥٨	١١٦٦	١١٦٦	١١٦٦	١١٦٦	١١٦٦
١٩٦٩	١٩٧١	١٩٧٧	١٩٨٦	١٩٧٥	١٩٧٦	١٩٧٧	١٩٨٥	١٩٨٦	١٩٨٦	١٩٨٦	١٩٨٦	١٩٨٦	١٩٨٦	١٩٨٦	١٩٨٦
٢٧٣٣	٢٧٣٤	٢٧٣٥	٢٧٣٦	٢٧٣٧	٢٧٣٨	٢٧٣٩	٢٧٤٠	٢٧٤١	٢٧٤٢	٢٧٤٣	٢٧٤٤	٢٧٤٥	٢٧٤٦	٢٧٤٧	٢٧٤٨

الكبر

٢٢	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠	٣١	٣٢	٣٣	٣٤	٣٥	٣٦	٣٧	٣٨	٣٩	٤٠
٨٧٢	٨٧٣	٨٧٤	٨٧٥	٨٧٦	٨٧٧	٨٧٨	٨٧٩	٨٨٠	٨٨١	٨٨٢	٨٨٣	٨٨٤	٨٨٥	٨٨٦	٨٨٧

الغفلة

٦٣٦	٦٣٩	٦٣٩	٧٠٣	٧٠٣	٨١٩	٩١٦	٩٢٤	٩٥٥	١١٧٤	١١٨١	١٢١٣	١٣٥٩
١١١	١٢١	١٢١	١٣٨	١٣٨	١٣٨	١٣٨	١٣٨	١٣٨	١٣٨	١٣٨	١٣٨	١٣٨

حب الدنيا

٥٦	٥٧	٥٩	٧٥٨	٦٥٧	٦٥٨	٧٢٨
----	----	----	-----	-----	-----	-----



اتباع الهوى والشهوات

٥٢	٥٣	٥٤	٥٥	٥٦	٥٧	٥٨	٥٩	٦٠	٦١
٦٢	٦٣	٦٤	٦٥	٦٦	٦٧	٦٨	٦٩	٧٠	٧١
٧٢	٧٣	٧٤	٧٥	٧٦	٧٧	٧٨	٧٩	٨٠	٨١
٨٢	٨٣	٨٤	٨٥	٨٦	٨٧	٨٨	٨٩	٩٠	٩١
٩٢	٩٣	٩٤	٩٥	٩٦	٩٧	٩٨	٩٩	١٠٠	١٠١

حيل إيليس

١٠٢	١٠٣	١٠٤	١٠٥	١٠٦	١٠٧	١٠٨	١٠٩	١١٠	١١١
١١٢	١١٣	١١٤	١١٥	١١٦	١١٧	١١٨	١١٩	١٢٠	١٢١
١٢٢	١٢٣	١٢٤	١٢٥	١٢٦	١٢٧	١٢٨	١٢٩	١٣٠	١٣١
١٣٢	١٣٣	١٣٤	١٣٥	١٣٦	١٣٧	١٣٨	١٣٩	١٤٠	١٤١

ثامنًا: تصحيح مفاهيم

تصحيح مفاهيم

١٤٤	١٤٥	١٤٦	١٤٧	١٤٨	١٤٩	١٥٠	١٥١	١٥٢	١٥٣
١٥٤	١٥٥	١٥٦	١٥٧	١٥٨	١٥٩	١٦٠	١٦١	١٦٢	١٦٣
١٦٤	١٦٥	١٦٦	١٦٧	١٦٨	١٦٩	١٧٠	١٧١	١٧٢	١٧٣
١٧٤	١٧٥	١٧٦	١٧٧	١٧٨	١٧٩	١٨٠	١٨١	١٨٢	١٨٣
١٨٤	١٨٥	١٨٦	١٨٧	١٨٨	١٨٩	١٩٠	١٩١	١٩٢	١٩٣

تاسعًا: أسباب نزول

اسباب نزول

١٩٤	١٩٥	١٩٦	١٩٧	١٩٨	١٩٩	٢٠٠	٢٠١	٢٠٢	٢٠٣
٢٠٤	٢٠٥	٢٠٦	٢٠٧	٢٠٨	٢٠٩	٢١٠	٢١١	٢١٢	٢١٣
٢١٤	٢١٥	٢١٦	٢١٧	٢١٨	٢١٩	٢٢٠	٢٢١	٢٢٢	٢٢٣
٢٢٤	٢٢٥	٢٢٦	٢٢٧	٢٢٨	٢٢٩	٢٣٠	٢٣١	٢٣٢	٢٣٣
٢٣٤	٢٣٥	٢٣٦	٢٣٧	٢٣٨	٢٣٩	٢٤٠	٢٤١	٢٤٢	٢٤٣

اسباب تسمية

٢٤٤	٢٤٥	٢٤٦	٢٤٧	٢٤٨	٢٤٩	٢٥٠	٢٥١	٢٥٢	٢٥٣
٢٥٤	٢٥٥	٢٥٦	٢٥٧	٢٥٨	٢٥٩	٢٦٠	٢٦١	٢٦٢	٢٦٣

عاشرًا: معاملات

الإخوة

٢٦٤	٢٦٥	٢٦٦	٢٦٧	٢٦٨	٢٦٩	٢٧٠	٢٧١	٢٧٢	٢٧٣
-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----



الوالدان

١٧٨	١٥٤٩	١٥٤٨	١٥٤٦	١٥٤٤	١٥٤٣	١٥٤٢	١٥٤١	١٥١٦
	٣٩٢٢	٢٢٣٩	٢٢١٧	٢١٧٤	٢١٧٣	٢١٧٢	٢١١٢	١٧-٨

الذرية

٢٧٧٢	٢٥٧٥	١٩٧٠	٢١٨٥	٢١٨٤	٢١٨٣	٢١٨٢	٢١٨١	٢١٦٤	١٤١	١٣٢١	١٢١	١٢٢٤	١٢٢٣	١١٩٢
------	------	------	------	------	------	------	------	------	-----	------	-----	------	------	------

الصحية

٢٣٩٩	٢٢٧٩	٢١٣٣	١٧٤١	١٦٤٤	١٦٢٩	١٦٢٨	١٥٧٧	١٥٠	٩٧٣	٧٦٥	٧٢١	٧٢٠
------	------	------	------	------	------	------	------	-----	-----	-----	-----	-----

الزواج

١٩٤٥	١٣٦٦	٥٥	٥٤٠	٥٣٩	٤٥٣	٤٥٢	١٨٨	١٨٧	١٨٥	١٨٢	١٣٧
٣٠١	٢٩٩٢	٢٩٩	٢٩٨١	٢٩٨٠	٢٩٧٩	٢٩٣٣	٢٩٢٨	٢١٠٥	٢٢٩٤	٢٢٢٩	٢٢٢٨

معاملات

٣١٩٤	٣٠٥٥	٣٠٤٤	٣٠١٢	٢٢٧٣	٢٢٤٢	٤٥٢	٤٢٤	٤٢٣	٢٤٦
------	------	------	------	------	------	-----	-----	-----	-----

حادي عشر: سنن ربانية

شؤم المعصية

٨-٤	٧٨٨	٧٤٨	٧٤٥	٦٩٩	٦٦٢	٦٦١	٦١٨	٥٣٤	٥٢٧	٤٧٣
٣١٨٥	٢١٧٧	٢٤٩	٢٤٥٠	١٧٧٨	١٧٧٠	١٧٦٨	١٦٩٣	١٣٣٠	٨٤٠	٨٢٩

عاقبة الظالمين

١٠٣١	١٠٠	٩٦٧	٩٥٢	٨٦٢	٨١٠	٨٠٩	٧٧٠	٧٦٩	٧٦٥	٧١٣	٧٠٢	٦٧٧	٦٤٥	٥٩٥
١٣٥٨	١٣٥٤	١٣٥٣	١٢٤٦	١٢٤٠	١٢٣٩	١٢٣٣	١٢٢١	١١٤	١١٣٩	١٠٩٩	١٠٦٩	١٠٦٨	١٠٦١	١٠٣٢
١٩٨٩	١٧٨٥	١٦٠٤	١٥٩٥	١٥٩٤	١٥٩٣	١٥٩١	١٥٣٢	١٥٢٨	١٥٢١	١٥١٩	١٤٩٥	١٤٦٨	١٤٦٧	١٤١٥
٢٣٩٠	٢٣٨٩	٢٣٨٨	٢٣٨٧	٢٢٣٩	٢٢٣٨	٢٢٣٦	٢١٨٧	٢١٨١	٢١٧٩	٢١٤٥	٢١٤٤	٢١٤٣	٢١٠	٢٠٨
٢٥٩١	٢٥٧٤	٢٥٣٥	٢٥٣٤	٢٥٣٠	٢٥١٠	٢٤٩٢	٢٤٩١	٢٤٥٤	٢٤٤٤	٢٤٤٣	٢٤٣٩	٢٤٠٧	٢٣٩٨	٢٣٩٣
٢٨٥٦	٢٨٤٢	٢٨٢٦	٢٨٢٥	٢٨١٣	٢٧٦٦	٢٧٤٨	٢٧٠٥	٢٦٩٠	٢٦٨١	٢٦٨٠	٢٦٥٧	٢٦٤١	٢٦٠٢	٢٥٩٦
٣١٠٨	٣٠٧٨	٣٠٧٧	٣٠٤٦	٣٠٤٣	٣٠٤٢	٣٠٤١	٣٠٣١	٣٠١٩	٣٠١٨	٣٠١٧	٣٠٠٨	٢٩٦٦	٢٩٣٣	٢٩١٦
٣١٨٤	٣١٧٣	٣١٦٧	٣١٦٥	٣١٤٩	٣١٤٨	٣١٤٧	٣١٤٢	٣١٤٠	٣١٤	٣١٣٩	٣١٢٠	٣١١٧	٣١١٦	٣٠٩
										٣٢٣٠	٣٢٢٥	٣٢٢٤	٣٢١٥	٣١٨٨

عاقبة المتقين

١٢٦٧	١٢٠٣	١١٥٢	١١٣٧	١١٢١	٩٩٣	٩٢٤	٨٧٨	٨٢٨	٥٩٢	٤٦٨	٤٦١	٤٥٩	٣٢٠	٢٥٨
٢٧٧١	٢٢٦٧	٢٦٥٣	٢٦١٥	٢٥٥٣	٢٥٠٦	٢٤٤٥	٢٢٦٢	١٧٦٨	١٥٣٣	١٥٢٠	١٤٧٨	١٤٧٥	١٤٦٦	١٣٧٥
٢٨٥٤	٢٨٥٠	٢٨٤٠	٢٨٣٩	٢٨٣٢	٢٨٣١	٢٨٢٥	٢٨٢٨	٢٨٢٧	٢٧٨٣	٢٧٨٢	٢٧٧٧	٢٧٧٦	٢٧٧٥	٢٧٧٣
٣١٥٩	٣١٤٣	٣١٣٠	٣١٠	٣٠٩٨	٣٠٩٧	٣٠٨٧	٣٠٨٧	٣٠٠٨	٢٩٦٩	٢٩٦٨	٢٩١٣	٢٨٩٨	٢٨٩٧	٢٨٧٣
										٣٢١١	٣٢١٨	٣٢١٧٥	٣٢١٦٤	٣٢١٠

الابتلاء

٢١١٣	١٤٢٨	١٣٩٣	١٣٩٢	١٣٦٩	٩٥١	٩٢٠	٨٧٦	٧٨٧	٧٥٥	٦٩٦	٤٠٢	٣٧٤	٣٧٢	٣٧١
			٣١٦٨	٢٨٥٧	٢٤٢٩	٢٤١٤	٢٣٥٩	٢٣٣٧	٢١٦٩	١٨٢٢	١٨٢١	١٧٩٦	١٧٩٥	١٧٩٤



الاستدراج ولاهمال

٤٠٢	٧٠٠	٧٨١	٩٧٨	٩٧٩	١٧٩٧	١٨٩٧	٣٠٢٤	٣٠٢٥	٣١٦٦
-----	-----	-----	-----	-----	------	------	------	------	------

الجزاء من جنس العمل

١٤٧	٦٧٨	٧٧١	١٣٣١	١٤١٨	١٤٦٦	١٥٨٨	١٦٤٧	١٦٦٤	١٧٢٥	١٧٥٧	١٩٢٥	١٩٤٣
-----	-----	-----	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------

غلبة الحق

٧٨٨						١٧٨٩					
-----	--	--	--	--	--	------	--	--	--	--	--

سنن ربانية

٣٤٣	٣٤٥	٣٥٦	٦٥٦	٨٥٤	١٦٤٤	١٦٦٥	١٣٠٨	١٣٠٩	١٣١٧	١٣٣١	١٣٥٧	١٤١٨	١٤٦٦	١٣٠٦	١٦٨٦
-----	-----	-----	-----	-----	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------

ثاني عشر: الأحكام

الطلاق

١٧٧	١٨٨	٢٩٧٩	٢٩٨٠	٢٩٨١	٢٩٩٠	٢٩٩٦
-----	-----	------	------	------	------	------

أحكام فقهية

١٧٨٤	١٩٦٠	١٩٦٣	١٩٦٤	٢١٧١	٢٣٠٤
------	------	------	------	------	------

ثالث عشر: لغويات

لغويات

١٢٠	١٦٩	١٨٨	٣٧٥	٥٧٣	٧٤٢	٩٦٣	٩٦٤	١٠٣٩	١٠٦٧	١٢٨٦	١٣٠٦	١٣٤٥	١٤١٤	١٤٦٤
٢١٧٩	٢١٠٥	٢١٠٨	٢١٥٨	٢١٨٠	٢٢١٠	٢٢٢٩	٢٢٦٠	٢٢٦٣	٢٢٧٨	٢٢٦٤	٢٢٦٩	٢٣٢٨	٢٤٤٩	٢٤٥٥
٢٤١٠	٢٤٨٢	٢٥٩٨	٢٦٠٣	٢٦١٧	٢٦١٨	٢٦٣٦	٢٦٧٧	٢٦٧٨	٢٦٦٤	٢٧٥٥	٢٧٦٩	٢٧٨٤	٢٧٩٦	٢٧٩٦
٢٨٢٦	٢٨٣٣	٢٨٣٩	٢٨٤٦	٢٨٤٧	٢٨٨٧	٢٨٩٩	٢٩٠٤	٢٩٥٤	٢٩٦١	٢٩٦٦	٣٠٤٥	٣٠٤٦	٣٠٦٠	٣٠٦٠
٣٠٦٤	٣٠٦٩	٣٠٧٢	٣٠٨٣	٣٠٩٥	٣١٠٠	٣١٠٦	٣١١٤	٣١١٠	٣١١١	٣١١٨	٣١٢٣	٣١٥٩	٣١٦٠	٣١٦٠
٣١٦١	٣١٦٤	٣١٨٠	٣١٩٣	٣٢٠١	٣٢٠٦	٣٢١٣	٣٢٢٠	٣٢٢٩	٣٢٢٠	٣٢٢٦	٣٢٣٧	٣٢٤٣		



الفهرس

٣.....	الإهداء
٤.....	مفاتيح التدبر العشر
٥.....	دليل استخدام الكتاب
٦.....	أنت شريك في الأجر والنشر
٧.....	رابط الكتاب المسموع
٨.....	خارطة الطريق
٩.....	المقدمة
٢٥.....	الفوائد التدبرية

٢٥.....	الجزء الأول - عدد الفوائد ٨٣
٣٧.....	الجزء الثاني - عدد الفوائد ١١٣
٥٣.....	الجزء الثالث - عدد الفوائد ١٠٠
٦٧.....	الجزء الرابع - عدد الفوائد ١٣٨
٨٣.....	الجزء الخامس - عدد الفوائد ١٣٣
١٠١.....	الجزء السادس - عدد الفوائد ٧٨
١١٣.....	الجزء السابع - عدد الفوائد ١٠٤
١٢٧.....	الجزء الثامن - عدد الفوائد ١٠٦
١٤١.....	الجزء التاسع - عدد الفوائد ١٢٢
١٥٧.....	الجزء العاشر - عدد الفوائد ٨٠
١٧٣.....	الجزء الحادي عشر - عدد الفوائد ٩٧
١٨٧.....	الجزء الثاني عشر - عدد الفوائد ١٠٦
٢٠١.....	الجزء الثالث عشر - عدد الفوائد ١١٣



الجزء الرابع عشر - عدد الفوائد ٨٩	٢١٥
الجزء الخامس عشر - عدد الفوائد ١٦٣	٢٢٧
الجزء السادس عشر - عدد الفوائد ١٠٧	٢٤٩
الجزء السابع عشر - عدد الفوائد ١٠٤	٢٦٥
الجزء الثامن عشر - عدد الفوائد ١٠٣	٢٨١
الجزء التاسع عشر - عدد الفوائد ٩٥	٢٩٧
الجزء العشرون - عدد الفوائد ١٢٠	٣١٣
الجزء الحادي العشرون - عدد الفوائد ٧٩	٣٢٩
الجزء الثاني والعشرون - عدد الفوائد ٩٩	٣٤٣
الجزء الثالث والعشرون - عدد الفوائد ٧٩	٣٥٩
الجزء الرابع والعشرون - عدد الفوائد ٨٧	٣٧١
الجزء الخامس والعشرون - عدد الفوائد ٨٦	٣٨٥
الجزء السادس والعشرون - عدد الفوائد ١٢١	٣٩٩
الجزء السابع والعشرون - عدد الفوائد ١١٧	٤١٧
الجزء الثامن والعشرون - عدد الفوائد ١٢٩	٤٣٣
الجزء التاسع والعشرون - عدد الفوائد ١١٠	٤٥٣
الجزء الثلاثون - عدد الفوائد ١٣٩	٤٦٩
الفهرس الموضوعى	٤٩٣
الفهرس	٥٠٨

صدر للمؤلف

(١) شباب جنان :

كتاب يستهدف الشباب، فالشباب بذرة غالية منحها الله لكم يا شباب، وترك لكم أن تختاروا الأرض التي تبذرون فيها.

(٢) معاً نصنع الفجر القادم:

كتاب يثبث الأمل في القلوب وييسر بحتمية الانتصار عن طريق إشاعة: خماسية الأمل، وخماسية الأمل، وخماسية السنن، وخماسية العمل، وخماسية الهمم.

(٣) رُدَّ إليَّ روحي (بجزءيه: بأي قلب نلقاه وجرعات الدواء):

موسوعة قلبية شاملة موضوعها القلوب.

(٤) هبي يا ريح الإيمان (كتاب + كتيبات متفرقة):

كتاب يحوي عشر نسمات تهدف إلى زيادة الرصيد الإيماني ودعم الذاتية التعبدية.

(٥) سباق نحو الجنان:

كتاب يتناول صفات القلوب المتسابقة نحو الآخرة، ورسوم الاشتراك في السباق، مع ذكر الواحات التي تأوي إليها القلوب، والعقبات التي تعترضها.

(٦) صفقات رابحة (كتاب + كتيبات متفرقة):

عشر صفقات تعبّر عن عشر عبادات متنوعة تتضمن كل صفقة منها: تسهيلات الصفقة أي ما يعينك عليها، وأرباحها وتشمل ثوابها الذي يدفعك إليها، والشروط الجزائية.

(٧) رحلة البحث عن اليقين:

يتناول معنى اليقين، وكيف غرس النبي ﷺ اليقين، والعقبات التي تحول دونه، وتوائم اليقين، وكيف الوصول إليه.

(٨) أول مرة أصلي:

وهي رائعة من روائع ابن القيم، هذبتها وبسطتها وشرحتها وأضفت إليها أضعاف معانيها، لتجعل بإذن الله لصلاتك طعاماً آخر ومذاقاً أروع.

(٩) ونطق الحجاب:

وهي رسالة تخاطب الأخت المسلمة تعلمها الطريق إلى أفضل حجاب من خلال سردها لثمرات الحجاب المزهرة، وأشواك التبرج المهلكة، ويركّز الكتاب على الحجاب كسلوك قبل أن يكون زيّا.

(١٠) ليلي بين الجنة والنار:

لكل قيس ليلي، ويلي عند أصحاب الآخرة في الجنة، وهو كتابان في كتاب واحد، أحدهما عن الجنة ونعيمها والطرق المؤدية إليها، والثاني عن النار وجحيمها وطرق الوقاية منها.

(١١) يا صاحب الرسالة:

كتاب يخاطب من حمل دعوة الإسلام، واحترق قلبه كمدا على حال أمتنا، فأضاء بهمته ما حوله.

(١٢) الحرب على الكسل (١٠ طلقات في قلب الكسل):

كتاب يستهدف علاج الفتور والتعامل الصحيح مع مواسم الكسل، وذلك عبر عشر خطوات ناجعة هي أقرب إلى خارطة طريق واضحة توصل إلى الهمة العالية والعزم الفتّي.

(١٣) وغرّد قلبي:

كتاب يجمع أفضل ما نزل على صفحتي على الفيس وتويتر مبنية منسقة، وتشمل مواضيع مختلفة، وبمثل وجبة خفيفة لمن لا يحب القراءات المطولة، وهو يحوي قرابة الألف تغريدة.

(١٤) جنتان:

ويشمل الآثار الطيبة للحسنات، مع فتح أبواب الرجاء، وتغليب مدرسة الترغيب.

(١٥) ينابيع الرجاء:

كتاب من جزئين؛ يحوي ستين سنة ربانية وبشارة إلهية، مستقاة من القرآن والأحاديث، وهدفها: بث روح الأمل، واليقين بحسن عاقبة المتقين، وسوء عاقبة الفجار والظالمين.

(١٦) وتستمر المعركة:

كتاب يهدف إلى تجسيد عداوة الشيطان لديك إلى عداوة حسية ملموسة، وعلى شكل معركة.

(١٧) درجات ودركات : أول صفوف أهل الجنة ، وأسفل دركات النار:

كتاب يتناول ميزان تفاضل الأعمال، وأثقلها في الميزان، وكيف أن ذلك سبيل لنيل أعلى الدرجات في جنة الرضوان، كما يتناول (أي الذنب أعظم)، وذلك لتعرف أن بعض الذنوب أثقل في ميزان العبد من بعضها كما هو في الحسنات.

(١٨) هنيئاً لمن عرف ربه:

كتاب عن أبرز الأسماء الحسنى، وهو مقسّم إلى جزئين: أسماء الجمال وأسماء الجلال، والهدف بلوغ شاطئ الخوف والرجاء، ويعرض لما يزيد عن ثلاثين اسماً من أسماء الله تبارك وتعالى.

(١٩) روائع العبادات والمعاملات والقلبيات:

ثلاث كتب تحوي أبرز تغريداً على صفحات التواصل مفهومة حسب الموضوع.

(٢٠) أول سؤال إجباري:

رسالة عبارة عن كراسة عملية تعين كل مقصّر في صلاته على الانتظام في الصلاة بالترغيب والترهيب والوسائل العملية.

(٢١) داء ودواء:

كتاب يناقش ١٥ داء ودواء من أمراض القلوب والجوارح.

(٢٢) علامة استفهام: كتاب فيه إجابة ٧٥ سؤال من التي أجابها الدكتور خالد على موقع الأسك.

(٢٣) جعلناه نورا: أكثر من ٣٢٠٠ فائدة تربوية تشمل الثلاثين جزءاً، ليكون رفيقاً للمتجذّدين، وعونا للمتدبرين، وكل جزء له فوائده التدبرية الخاصة به، مع شرح عشر مفاتيح لتدبر القرآن.

(٢٤) قلوب أمام المرأة: كتاب يعرض لصفات المنافقين وأقسام النفاق الأربعة، كالنفاق العبادي والسلوكي والاجتماعي والحركي، والتعرض لأسباب النفاق، وعلاج النفاق.

مفاتيح التدبر العشرة



1 الفهم أولاً:

اعرف معنى الكلمات التي تقرأها من أحد كتب التفسير المعتمدة

2 شدة الاحتياج:

لا بد من احتياجك لهداية القرآن وأنواره وأنتك بدون أنواره من الضالين

3 القراءة في الصلاة:

قراءة القرآن في الصلاة وداخل المسجد أجمع للقلب والهمة وأعون على التدبر

4 القراءة ليلاً:

الليل محل الأعطيات وتنزل البركات وخاصة الثلث الأخير منه

5 تكرار الآيات:

تكرار الآية يؤدي بالمعنى إلى الاستقرار وبالتالي إلى الاعتبار

6 الترتيل وعدم التعجل:

التأني في القراءة يجعل المعاني في متناول قلبك ليعيها

7 الجهر بالقراءة:

رفع صوتك بالتلاوة يجعل قلبك أسمع للقراءة

8 تحسين الصوت بالتلاوة:

صوتك الجميل سيتسلل إلى القلب، ويسري في الروح

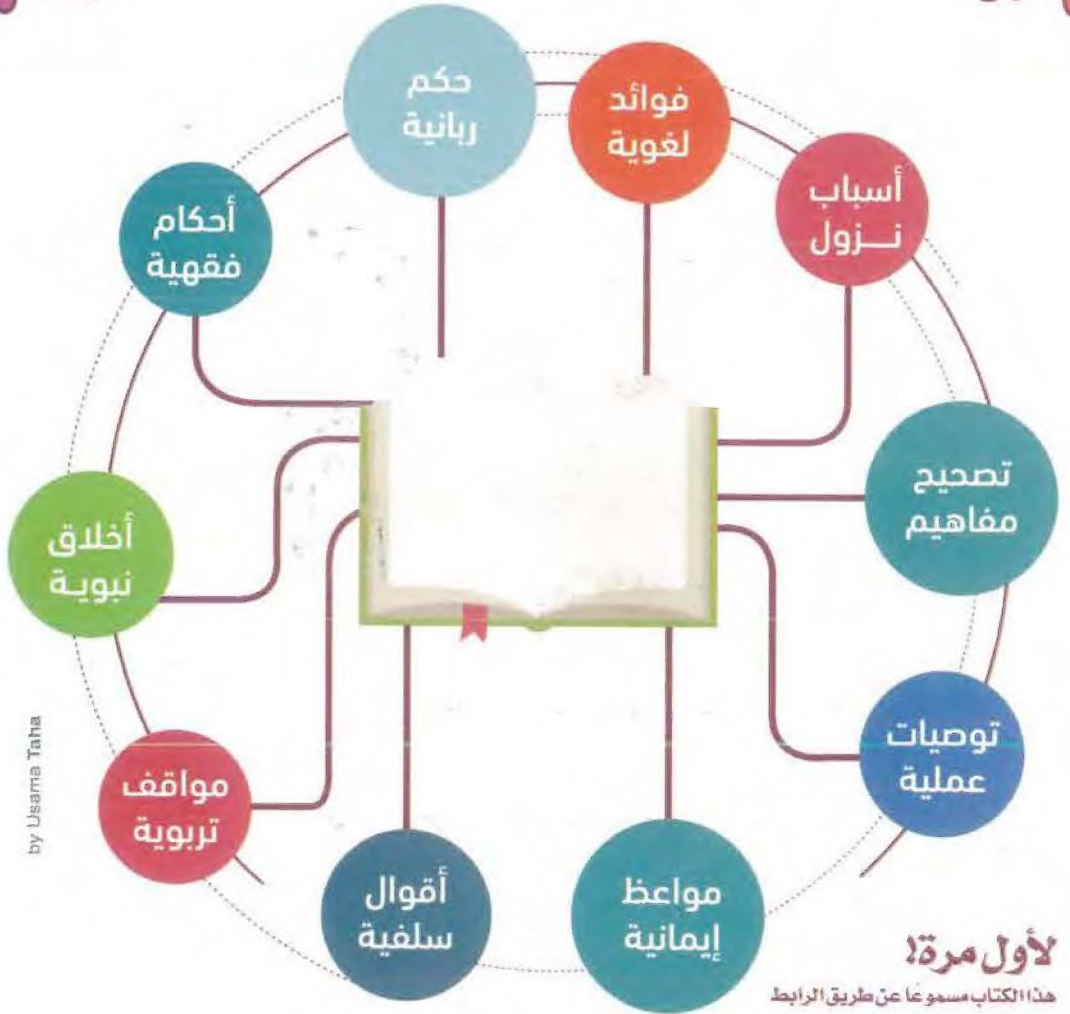
9 التفاعل مع الآيات:

دعائك بالرحمة عند آيات الرحمة، وسؤال الله الجنة عند آيات الجنة، والتعوذ من النار عند آيات العذاب

10 التخلص من موانع الفهم:

وهي الذنوب والكبر واتباع الهوى والتي تشكل حجاباً يحول دون أنوار القرآن للقلب

في هذا الكتاب



لأول مرة!

هذا الكتاب مسموعاً عن طريق الرابط



9 789774 565174

f Khaled Abu Shadi
@khaledabushadi
khaledabushadi
http://thearchive.me/ask/KhaledabuShadi/
www.khaledabushadi.com



دار
الأندلس الجديدة
للنشر والتوزيع

01148881532
newandalus.book@gmail.com